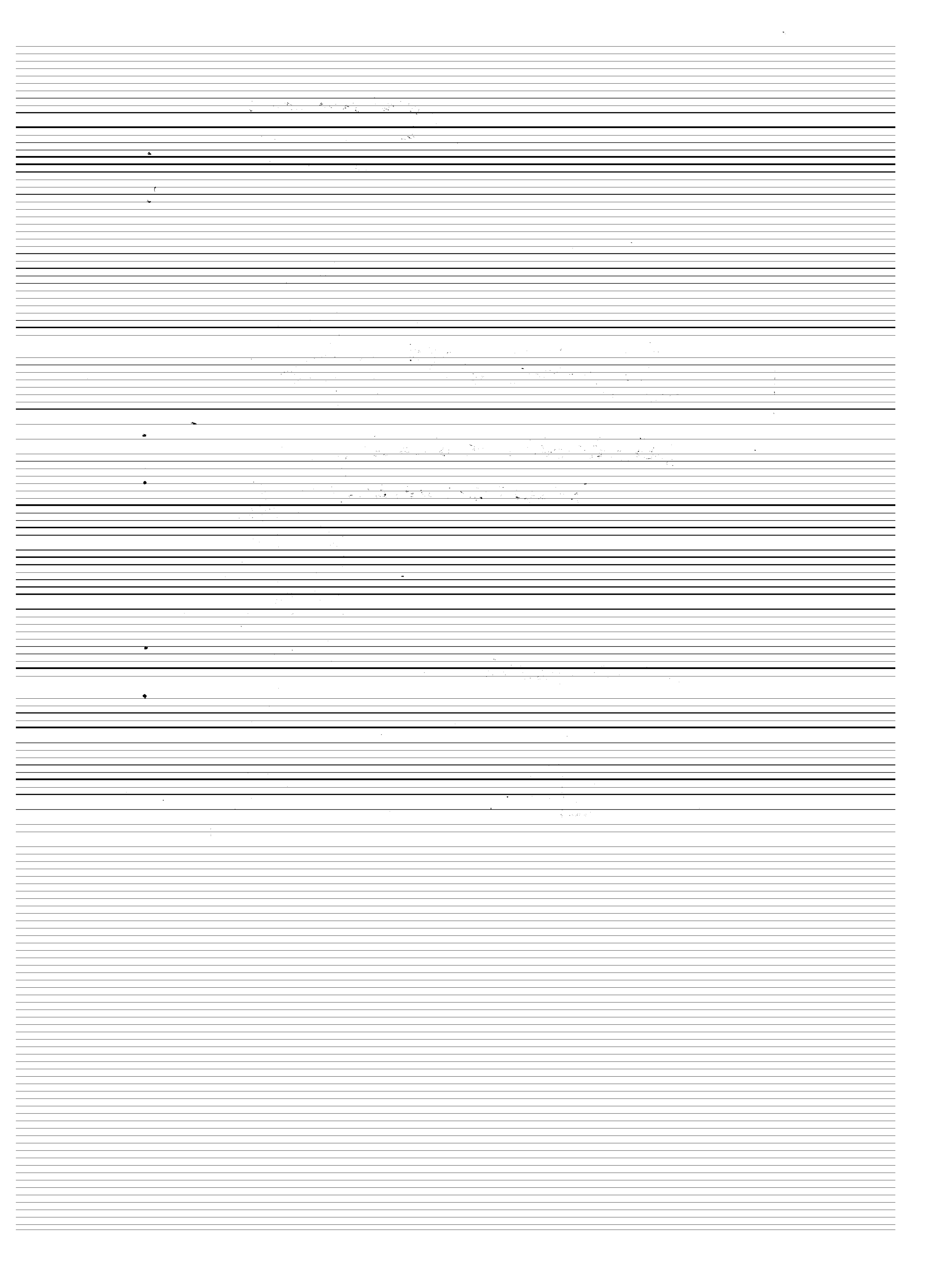
د. ناصر محمد اسماعيل
جامعة الأزهر ــــ كلية الدعوة
قسم الأديان المقارنة

دوافع الاستشراق

وموازين البحث عند المستشرقين

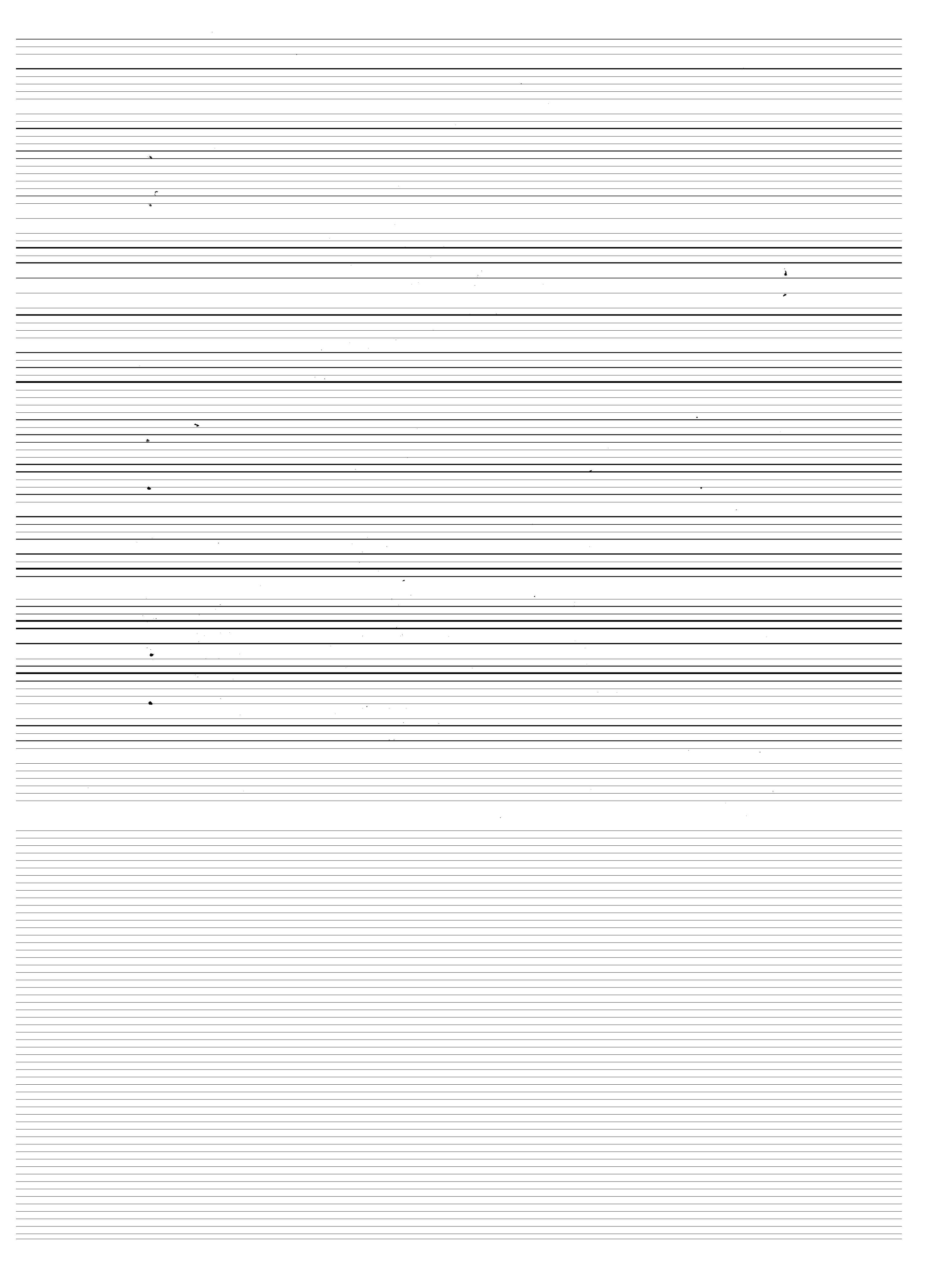
رسالة نالت درجة الماجستير

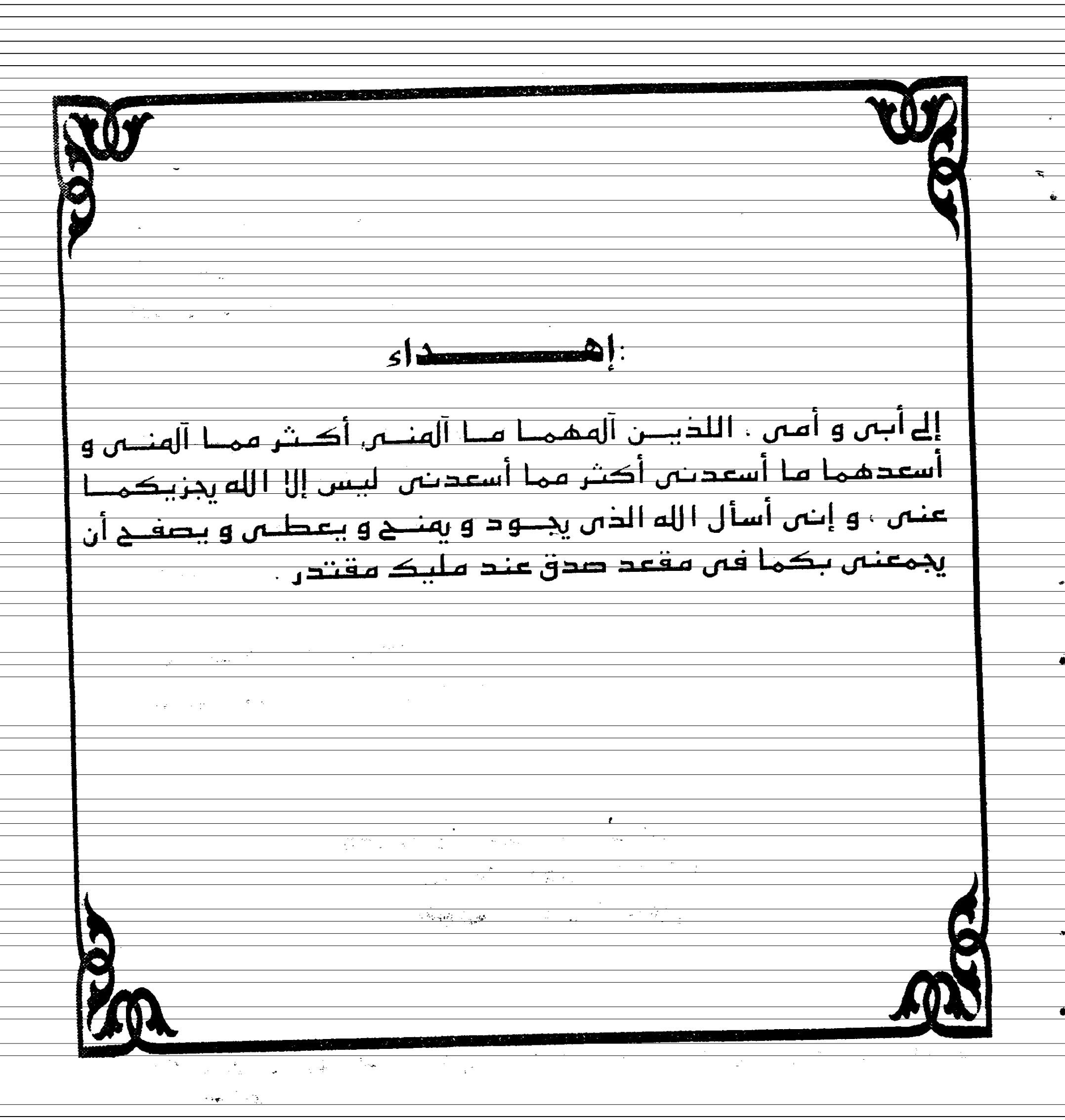
مركز التنوير الإسلامي





وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ





إهـــــــداء:

إلى أبى و أمى ، اللذيــن آلمهمـا مـا آلمنــى أكــثر ممــا آلمنــى و أسعدهما ما أسعدنى أكثر مما أسعدنى ليس إلا الله يجزيكمــا عنى ، و إنى أسأل الله الذى يجــود و يمنــح و يعطــى و يصفــح أن يجمعنى بكما فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

اسم الكتاب : دوافع الاستشراق وموازين البحث عند المستشرقين
المـــؤلف : د. ناصر محمد السيد اسماعيل
تصميم الغلاف : د. إسلام أحمد عبد الله

الناشـــــر : مركز التنوير الإسلامي
عنوان المراسلة : القاهرة–كوبري القبة ــ ١٠١شارع القائد
البريد الإليكتروني : abuislam_a@hotmail.com
الهاتف : ٤٨٤٤٦٠٤ ــ ٤٨٥٧٥٧٣القاهرة

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/٣٠٣٥
الترقيم الدولي : ٦-٠٨١-٢٨٩-٩٧٧

(*) استخدمت حرف (ص) بمعنى: إشارة إلى التقويم الصليبي المعروف خطأ بالتقويم الميلادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين . القائل : ﴿ و لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ البقرة ٢١٧ . اللهم ربنا لك الحمد أولا و آخرا . و لك الحمد ظاهرا و باطنا . و لك الحمد حتى ترضى . و لك الحمد بعد الرضا . و لك الحمد أبدا أبدا .

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك .

و أشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد . الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد . و أشهد أن سيدنا محمدا عبد الله و رسوله . وصفيه من خلقه و خليله . بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح للأمة . و كشف الله به الغمة . و جاهد في الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين .

اللهم صل و سلم و زد وبارك على إمام المتقين و خاتم النبيين و المرسلين . سيدنا و مصطفانا محمد صلى الله عليه . و على آله و صحبه و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . آمين .

أما بعد

فهذه مقدمة لبحثي الذي سأتناول فيه بتوفيق الله و معونته موضوع "

دوافع الاستشراق و موازين البحث عند المستشرقين بين الماضي و الحاضر

و هو من الموضوعات القديمة الجديدة في نفس الوقت .. و كما له طرافته و جدته . فكذلك له خطورته و أهميته . فإنه يتناول الحديث عن التقاء حضارتين . و تصارع فكرتين . و تنافس ديانات . و هي لقاءات و صراعات و منافسات . في أدوار مختلفة . تقلبت فيها تلك الحضارات و هذه الأفكار بين القوة و الضعف و الهيمنة حينا . و السقوط حينا آخر .

و تشكل هذا الصراع حسب كل دور من أدوار هذه الحضارات و الديانات .

و إنني أسأل الله العلي القدير . أن يوفقني . و أن يلهمني الرشد و الصواب . و أن يبلغني مما يرضيه آمالي . و إن عجزتُ عن ذلك قوتي . و قصرت همتي . فعليك اللهم جبر الكسير . و تيسير العسير .

أنت – سبحانك – ولي ذلك و القادر عليه

﴿ فلله الحمد رب السموات و رب الأرض رب العالمين و له الكبرياء في السموات و الأرض و هو العزيز الحكيم ﴾ الجاثية ٣٦ ، ٣٧ .

أهمية الموضوع و أسباب اختياره

أولاً : أهمية الموضوع :

إن حركة الاستشراق تعتبر إحدى حالات الاحتكاك بين الحضارات ، و صورة من صورة التدافع الفطرى بين الحق و الباطل .

و إن من الحكمة أن نعترف ،أن الاستشراق بطرحه الفكرى . و أثره الفعلى يمثل الاتجاه الفكرى الرسمى الذى يشكل عقليات الشباب . و تخرج من ثمراته القيادات . التى يراد منها توجيه الأمة إلى حيث ينبغي أن تكون .

و هذا الأمر يجعل (إعادة النظر فى كتابات الاستشراق . و دوافعه و خططه من أبرز حاجات الدعوة الإسلامية اليوم)[1] .

و يمكن تلخيص أهمية هذا الموضوع فى النقاط التالية :-

أولا : أن الطرح الاستشراقى العلمي النزيه . جدير بالبحث و الدراسة للاستفادة من معطياته ، و لا غنى للباحث عنه ، فهو يمثل النظرة الغربية الموضوعية للدراسات الإسلامية . كما أنه يمثل مصلا واقيا ضد الاتجاه الاستشراقى المغرض .

ثانيا : قامت حركة الاستشراق بدراسة الإسلام و حضارته دراسة تفصيلية لم تغادر فنا و لا علما من فنون الحضارة الإسلامية و علومها إلا وقفت على دقائقه و أسراره .

و لا شك أن هذه الدراسات لا بد من أن يقف عليها الباحث المسلم ليرى كيف تناولوا الدراسات الإسلامية و العربية و موقفهم منها من حيث الحيدة و الإنصاف أو التحامل و الإجحاف .

ثالثا : مثّل الاستشراق المغرض حربا على الإسلام فى إحدى الصور الآتية :-

١- تقديم المادة العلمية التى يستخدمها المعتدون فى بلبلة أفكار المسلمين العاميين . و تشكيكهم فى دينهم

٢- صناعة الكوادر العلمانية . التى تتولى تغريب الأجيال المسلمة و طبعها بالثقافات و الأخلاق الغربية المخالفة للثقافة و الأخلاق الإسلامية .

---

(١)/ أنور الجندى ، الاستشراق مجافاته لتاريخ الأمة الإسلامية و ثقافتها ص٢٥٨ . مجلة المنهل عدد ٤٧١ ، رمضان و شوال ١٤٠٩هـ أبريل و مايو ١٩٨٩م جدة ، السعودية .

٣- العمل كجواسيس و عملاء للاستعمار . و السير في ركاب الخطة . التي تهدف إلى السيطرة على العالم الإسلامي اقتصاديا و سياسيا .

٤- الهجوم على العقيدة الإسلامية و التشكيك فيها . لإفقادها مصداقيتها لدى المسلمين .

٥- تشويه الجهاد الإسلامي . و الطعن في دوافعه و أهدافه .

٦- الاهتمام بالحركات الباطنية و إعلاء شأنها .

٧- تحكيم الهوى و الوهم في الدراسات المتعلقة بالإسلام دينا وحضارة .

٨- التصحيف والتحريف عمدا لتشويه الحقائق والشخصيات المسلمة .

رابعا : البحث عن الدوافع الحقيقية لحركة الاستشراق . و هل كانت دوافع دينية . أم سياسية أم استعمارية . أم اقتصادية أم علمية . أم كلها جميعا .

خامسا : الكشف عن المناهج الاستشراقية التي نهجها المستشرقون في دراستهم للإسلام . ووضعها في موازين البحث العلمي .

فكان لزاما دراسة الأعمال الاستشراقية : لما يأتي :-

١- للرد على ما تحمله من سم ناقع – في صورة العمل العلمي – و تقديم المادة العلمية السليمة كتصور صحيح عن الإسلام و حضارته . للدراسين الغربيين والمسلمين على السواء .

٢- للتصدي للتيار العلماني . الذي يهدف إلى عزل الإسلام و تهميش دوره في سياسة الحياة . على منهاج الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٣- كشف المخابئ الاستشراقية السياسية والاستعمارية . التي تعمل في الخفاء لهدم الكيان الإسلامي

٤- تنقية العقيدة الإسلامية من الشوائب . التي عمد المستشرقون إلى رميها بها . كالطعن في عقائد " القضاء و القدر و ربانية الإسلام و القرآن " .

٥- كشف الدوافع الحقيقية للجهاد في الإسلام . و بيان الأهداف السامية للحرب الإسلامية .

٦- كشف عوار الحركات الباطنية . التي كانت جيوبا لأعداء الإسلام على مر الزمان .

٧- رد المستشرقين إلى قواعد البحث العلمي النزيه . و تعرية شرهم .

أسباب اختيار الموضوع

من أجل هذا عزمت متوكلا على الله تعالى على الحديث في هذا الموضوع الشائك الشائق .
أما كونه شائكا : فلأنه طريق تكتنفه عقابيل الاستشراق . الذى يمثل الحرب الباردة على الإسلام .
و أما كونه شائقا : فلأنه من أسمى المشاعر التى يتفيئ ظلالها الإنسان . ذلك الشعور بالسعادة عندما تتجلى إحدى الحقائق الإسلامية . بعد أن ننفض عنها غبار التشكيك المغرض .

و أسأل الله أن يمنحنى عونه و توفيقه . و أن يحتسب لى عنده عزمى و نيتى . و أن يغفر لى تقصيرى و زلاتى . و أن يجعل عملي في موازين الحسنات . مع صالحات الأعمال و خالصات الآثار .

ربنا عليك توكلنا و إليك أنبنا و إليك المصير .

منهج البحث

(تختلف كتب الأديان و المذاهب فى تناول موضوعاتها . فمنها ما يسلك مسلك العرض و التقرير . و منها ما يلتزم أصحابها بالتفنيد و الدحض . و إظهار التهافت فيما يرونه فى هذه العقائد)[1] و التيارات و المذاهب الفكرية التى يتعرض لها الباحث .

و بناء عليه فإن هذه الدراسات تنقسم إلى قسمين :-

القسم الأول : دراسة عرضية و صفية .

القسم الثانى : دراسة جدلية أو نقدية .

و المراد بالدراسة الوصفية الدراسات المقارنة التى يلتزم فيها الباحث الحيدة دون أية محاولة فى الرد على تعاليم الأديان التى تخالف عقائد الباحث . فالباحث فى مقارنته يصف الأديان التى يجرى عليها المقارنة و يعرضها فى دراسته كما وصفتها كتب تلك الأديان و المراجع التى يعتمد عليها . و هذه الدراسة تمثلت عند أبى الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى فى كتابه المِلَل و النِحَل . و فى العصر الحاضر الأستاذ الدكتور أحمد شلبى)[2] .

و من قبله الإمام "محمد أبو زهرة " الذى قال فى مقدمة كتابه " محاضرات فى النصرانية " :(عسير على المرء أن يكتب فى رأى يخالف رأيه . و يتحرى مع هذه المخالفة أن يصور الرأى كما يجول بخاطر صاحبه . و ينبعث فى نفسه . فيبين دوافعه و غاياته . و إذا كان ذلك واضحا فى رأى مخالف يرتأى . فكيف تكون الحال إذا كانت المخالفة فى عقيدة تعتنق . و تتغلل فى أعماق النفس . و تستكن فى أطوائها !! إن الطريق حينئذ يكون أوعث . و مسالكه أضيق . لذلك كان الطريق غير معبد أمام الباحث الذى يريد أن يكتب فى النصرانية كما تجول بخاطر معتنقيها . و يفرض من نفسه ناظرا غير متحيز . يبين العقيدة كما هى فى نفس أصحابها . لا كما ينبغى أن تكون . أو كما يعتقد هو)[3] .

و لاشك أن هذا المنهج الذى يقف عند حد التقرير و الوصف و لا يتعداه إلى بيان الحق و الصواب من الباطل و الزيغ .منهج و إن كان علميا و له أنصاره . إلا أنه من أخطر المناهج التى لها أكبر

---

[1] د/ محمود على حماية ، ابن حزم و منهجه فى دراسة الأديان صـ١٩٨ ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م ، دار المعارف ، القاهرة .

[2] د/ السيد محمد عقيل على لمهدلى ، مقدمة فى علم مقارنة الأديان صـ٥٥ ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م ، دار الحديث ، القاهرة .

[3] الإمام محمد أبو زهرة ، محاضرات فى النصرانية صـ١٠ ، الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م . دار الفكر العربى ، القاهرة .

الضرر في هذا العصر الذى نعيش فيه .

ذلك العصر الذى أصبحت وسائل التثقيف – على اختلاف أنواعها – و منها كتب الأديان . التى أصبح الناس يتناولونها . و يقبلون عليها – أصبحت وسائل التثقيف فيه . فى متناول جميع الناس سواء صاحب الحصانة من العلم و الدين . أو أصحاب المعارف المتواضعة . الذين يندفعون إلى التثقف بدون أخذ على شيخ . أو أستاذ فى مدرسة أو جامعة . الأمر الذى يجعلهم عرضة للوقوع فى الشبهات . أو عدم الفهم . لعدم العاصم من فقه أو دين أو أستاذ موجه .

إن طرح شُبَه أصحاب التيارات و المذاهب و الأديان . دون رد و تفنيد . قد يدخل الشك فى قلوب كثير من الناس . لا سيما من لا حَظَّ له من دين يعصمه . أو ثقافة دينية تحميه .

و لا شك أن هذه الدرسات تمثل كذلك وقودا لأصحاب الأهواء . الذين يتخذونها حججا ، فيقولون : قال فلان كذا . و قال فلان كذا . رادين مذاهبهم المنحرفة إلى أصحاب الكتب التى تكتفى بمجرد التقرير و العرض .

و الأدهى من ذلك . أولئك الذين يترجمون أعمال المستشرقين . دون إيراد ردود على مطاعنهم . و دون تصحيح لأخطاءهم . و كشف لتحريفهم . فإن الناس فى عصرنا يمكنهم الوصول إلى المرض . و لكنهم لا يستطيعون الوقاية منه .

و من ثم كان أمثل الطرق للبحث فى هذه الدراسات . المنهج الجدلى أو النقدى . الذى يعرض للشبهة و الرد عليها .

و الدراسة (الجدلية هى الدراسة المقارنة التى يحاول الباحث فيها . الرد على الموضوعات التى أجرى عليها المقارنة . و إظهار بطلانها بالنسبة لما يدين به الباحث فى عقائد أصحاب الأديان الأخرى . و من أقدم الدراسات الجدلية . رسالة الجاحظ فى الرد على النصارى . و الإمام أبو محمد على بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ فى كتاب " الفصل فى الملل و الأهواء و النحل ")[1] .

و لهذا المنهج ميزات منها :-

١- الحيوية و الحركة . و البعد عن الجفاف و الجمود . مما يعين القارئ على مواصلة القراءة . ويطرد عنه الضيق و الملل . حيث يتخيل الموقف و كأنه مباراة بين حجج المؤيدين و ردود المعارضين .

---

(١) د/السيد محمد عقيل بن على المهدلى ، مقدمة فى علم مقارنة الأديان صـ ٦٠، ٦١ ، بتصرف . مرجع سابق .

٢- إعطاء المسلم فيضا من الحجج و الأدلة . التي يستطيع بها الدفاع عن العقيدة التي يحملها و الدين الذي شرفه الله به .

٣- كشف ما في الأديان - و كذلك التيارات الفكرية والمذاهب المعاصرة - من تحريف باطل . مما يزيد المسلم استمساكا بدينه . و حبا للرسالة التي ختم الله بها الرسالات . و نسخ بها ما سبق من عقائد و أديان .

٤- تنمية ملكة المناظرة . و تعليم فن النقاش و المحاورة . و الكشف عن الأساليب الملتوية . و المقدمات الخاطئة . التي لا تتفق مع مقررات العلم . و التي يمكن أن يستخدمها الخصم في الجدل

٥-دراسة الشُبَه دون بيان لمخاطرها و انحرافها . قد تترك أثرا في نفس القارئ ، فتعلق بذهنه دون أن يدرى جوابا عليها . و خاصة للمبتدئين . الذين لا يميزون بين صحيح الآراء و باطلها .

٦- إن دراسة الآراء و عرضها سهل ميسور . أما الرد على الباطل منها ، فيحتاج إلى قدرة خاصة في الجدل . فليس كل من يؤرخ . يمكنه أن يضع يده على مواطن القوة و الضعف فيها)[1] .

و لا شك أن الناس في عصرنا هذا . في حاجة إلى الدراسات التي تعرض لآفات الاستشراق - الذي هو عقل الغزو الفكري - ثم الرد عليها . مما يوقف الناس على ربانية هذا الديـن . الذي قال عنه المعصوم صلى الله عليه و سلم :" إن الدين يسر و لن يشاد الدين أحد إلا غلبه . فسددوا و قاربوا ، و أبشروا و استعينوا بالغدوة و الروحة و شئ من الدلجة "[2]

من أجل هذا . كان المنهج الذي اخترتيه في هذا البحث . المنهج الجدلي . حيث أورد شبهة الاستشراق و أعقب بالرد عليها

و الله المستعان . و عليه التكلان . و هو حسبي و نعم الوكيل .

---

[1] المرجع السابق صـ٦ ، ٧ .

[2] مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح للزبيدي صـ١٧ . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ =١٩٩٤م ، دار الإيمان المنصورة ، مصر ، و الحديث رواه الإمام أبو هريرة رضي الله عنه و أرضاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التمهيد

الاستشراق

أولا : حول مصطلح الاستشراق :-

تركيب الاستشراق تركيب عربي . و إن كان من مستحدثات التراكيب . التي لم توجد في المعاجم العربية القديمة . إلا أنه يجرى على قواعد اللغة العربية .

فمن كلمة " شرق " يقال (شَرَقت الشمس تشرق شروقا : طلعت ... و التشريق : الأخذ في ناحية الشرق .

و شرَّقوا : ذهبوا إلى الشرق . أو أتوا الشرق ... و في الحديث : لا تستقبلوا القبلة و لا تستدبروها و لكن شرِّقوا أو غرِّبوا " ... و في الحديث أيضا :" أناخت بكم الشُرُق الجُون .

يعني الفتن التي تجئ من قبل جهة الشرق . ... و روى ثعلب عن ابن الأعرابي قال : الشرق : الضوء . و الشرق : الشمس ... و يقال : أقعد في المشرق . أي في الشمس)[1] .

(و الشرق جهة شروق الشمس . و المشرق مثله)[2] .

و يطلق على (البلاد الإسلامية في شرقي الجزيرة العربية)[3] .

فكلمة شرق أو الشرق في صورها المختلفة . تعني : الشرق . أو جهة شروق الشمس . ثم (تجئ حروف الزيادة ... لتجلب معها بعض المعاني الجديدة التي لم تكن قبل مجيئها)[4] .

وواضح أن الزيادة لحقت التركيب في صورته الاسمية (و الاسم المزيد قد تكون زيادته حرفا واحدا على أصوله الثلاثة . كألف في " كتاب " و قد تكون حرفين كالألف و الميم في كلمة " مُكاتب " و قد تكون ثلاثة كالميم و السين و التاء في " مُستكتب " و مثلها " مستشرق " و قد تكون أربعة . كالهمزة و السين و التاء و الألف في " استكتاب " و مثلها " استشراق)[5]

---

(1) العلامة جمال الدين بن منظور جـ٢ صـ٣ص٣٠ ، بدون ط ، بدون ت ، دار لسان العرب ، بيروت ، لبنان .

(2) العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي جـ١ صـ٣٦٧ . الطبعة الثانية ، ١٣٢٤هـ ١٩١٦م

(3) المعجم الوسيط جـ١ صـ٤٨٠ . الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢ م دار الدعوة ، اسطنبول . تركيا .

(4) أ/ عباس حسن ، النحو الوافي جـ٤ هامش صـ٧٤٨ الطبعة الثانية بدون ت ، دار المعارف ، القاهرة .

(5) المرجع السابق جـ٤ صـ٧٤٨ . بتصرف .

و في المنجد : المستشرق : العالم باللغات و الآداب و العلوم الشرقية) .

و إذا اتجهنا صوب المعاجم الأجنبية . وجدنا أصل الكلمة (Orient .n. adj و هي تستعمل اسما و صفة بمعنى : الشرق . المشرق . لؤلؤة متألقة . ... يجعله مواجها للشرق ... و Oriental adj. n بمعنى " شرقي ... شرقي الخصائص . نفيس . قيّم ... و Orientalism.n بمعنى : سمة الاستشراق : و هي معرفة و دراسات اللغات و الآداب الشرقية . و Oientalist و تعنى المستشرق الدارس للغات الشرق و فنونه و حضارته)[2] .

و (Oientalist مستشرق : متضلع في اللغات الشرقية و Oientalize استشراق : تَطَبَّعَ بأخلاق الشرقيين . صيّره شرقيا)[3] .

و في معجم اللغة العربية المعاصرة (Oriental studies الاستشراق و Orientalist مستشرق having oriental maners و يعني : الأخذ بعادات و تقاليد الشرق)[4] .

الاستشراق اصطلاحا : -

الاستشراق (تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين : شعوبهم و تاريخهم و أديانهم و لغاتهم . و أوضاعهم الاجتماعية و بلدانهم و سائر أراضيهم . و ما فيها من كنوز و خيرات و حضاراتهم و كل ما يتعلق بهم)[5] .

و يقول د/ حسن حنفي : الاستشراق : هو دراسة الحضارة الإسلامية من باحثين ينتمون إلى حضارة أخرى و لهم بناء شعوري مخالف لبناء الحضارة التي يدرسونها)[6] .

و يقول الأستاذ إدوارد سعيد عن الاستشراق : (نهج من الإنشاء له ما يعززه من المؤسسات و المفردات

---

(1) المنجد في اللغة و الأعلام صـ٣٨٤ ، طبعة ٢٢ ، بدون ت ، دار المشرق ، بيروت .

(2) منير البعلبكي . قاموس المورد صـ٦٨٣ ، الطبعة الثامنة و العشرون ١٩٩٤ م . دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان

(3) قاموس إلياس العصري . إلياس أنطون إلياس ، إدوار ا . إلياس ، صـ٥٠٠ ، الطبعة ٢٢ ١٩٧٨م . دار الشباب للطباعة ، القاهرة .

(4) Hans vehr. a dictionary modeen written arabic . edited by j .milton cown page ٤٦١ . third printing . librairie du liban berut - macdonald& evansltd. london .

(5) أ/ عبد الرحمن حبنكة الميداني . أجنحة المكر الثلاثة صـ١١٨ .

(6) د/ محمود ماضي – الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي و نقده صـ١٣ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م دار الدعوة للطبع و النشر و التوزيع ، الإسكندرية .

و تراث البحث و الصور و المعتقدات المذهبية و حتى الأجهزة الاستعمارية . والأساليب الاستعمارية)[١] .

و يقول الدكتور : حسين نصار عن كلمة الاستشراق (و الكلمة تعني : تسليط الأضواء على حضارة الشرق و إمعان النظر فيها ... الاهتمام بفحصها و دراستها و رصد ظواهرها . و استكشاف خباياها و تتبع تطوراتها ... و تحليل كل ما يطرأ عليها)[٢] .

و عن النظر إلى هذه التعريفات يتضح لنا بعض سمات الاستشراق و هي :-

١-الشمولية في دراسة كل ما يتصل بالشرق عامة و الإسلام بصفة خاصة . دون إهمال أي جزئية من جزئيات حضارة هذا الشرق .

٢- مخالفة البناء الشعوري - و يعني الخلفية الفكرية للمستشرقين - للبناء الفكري و الشعوري الذي تصوغ الحضارة الإسلامية أبناءها في قالبه .

٣- ارتباط عملية التنظير في الاستشراق . بما بعدها حيث تُتَّخذ السياسات . و تُتَّخذ المواقف على ضوء هذه الدراسات .

و المستشرق (هو كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية . و تقصى آدابها طلبا لتعرف شأن أمة أو أمم شرقية . من حيث أخلاقها و عاداتها و تاريخها و دياناتها و علومها و آدابها و غير ذلك من مقومات الأمم)[٣] .

و يقول الدكتور محمود حمدى زقزوق :(و كلمة مستشرق تطلق بالمعنى العام على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله . أقصاه ووسطه و أدناه . في لغاته و آدابه و حضارته و أديانه)[٤] .

و يظهر لنا من خلال هذين التعريفين أن المستشرق : كل عالم غربي - غير عربي - و بالتحديد أوربي أو أمريكي غير مسلم

---

[١] أ/ إداورد سعيد ، الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء صـ٣٧ ترجمة أ/كمال أبو ديب الطبعة الرابعة ١٩٩٥م مؤسسة الأبحاث العربية بيروت لبنان

[٢] د/ حسين نصار ، الاستشراق بين المصطلح و المفهوم مجلة المنهل صـ١٢ عدد ٤٧١ رمضان وشوال ١٤٠٩هـ أبريل و مايو ١٩٨٩م جدة السعودية .

[٣] د/ محمود ماضي ، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي و نقده صـ١٣ مرجع سابق .

[٤] د:محمود حمدى زقزوق الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري صـ١٨ . الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان

ماذا تعني كلمة الشرق في الاصطلاح الأوروبي ؟

(يمتد الشرق في الاصطلاح الأوربي . من الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط إلى المحيط الهادي مضافا إليه القسم العربي من أفريقية . أو ما عرفناه باسم شمال أفريقيا . و يحتوي على مصر و ليبيا و تونس و الجزائر و المغرب الأقصى ... و لا يضم هذا الشرق حضارة واحدة . فهو مهد الحضارات القديمة المصرية والسامية – العربية إحداها – و الفارسية و الهندية و الصينية ...إلخ .

و من ثم فالمعنى الدقيق لكلمة الاستشراق : الاهتمام بكل الحضارات التي بزغت في الشرق . و ليست الحضارة العربية وحدها . كما يشيع بيننا .

و لذلك استخدم بعض العلماء كلمة الاستعراب . للدلالة على العناية بالحضارة العربية وحدها . و لكن لم تشع شيوع نظيرتها)[1] .

و من المعلوم أن شرق كل جهة يتعدد بتعدد هذه الجهات . و لو أن الشرق يقصد به مفهوم جغرافي . فإن هذه المنطقة التي تعتبر في الاصطلاح الأوربي شرقا . تقع إلى الجنوب الشرقي من العالم الأوربي . الذي كان منبت هذه الحركة .

و الدكتور " رودي بارت " يقدم لنا تفسيرا لهذا الأمر فيقول : (الظاهر أن اسم الشرق تعرض لتغيير في معناه . فالشرق بالقياس إلينا نحن الألمان يعني : العالم السلافي ° ... و هذه المنطقة يختص بها علميا : بحوث شرق أوربا ... أما الشرق الذي يختص بالاستشراق . فمكانه جغرافيا في الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا .

و المصطلح يرجع إلى العصر الوسيط . بل إلى العصور القديمة ،حيث كان البحر المتوسط يقع كما قيل في وسط العالم . و كانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه . فلما انتقل مركز الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال . بقي مصطلح الشرق رغم ذلك دالا على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط .

---

[1] د/ حسين نصار ، الاستشراق بين المصطلح و المفهوم صـ١٢ ، ١٣ بتصرف مرجع سابق .

° السلاف = الصقالبة ، و هو اسم أطلقه العرب على الشعوب السلافية القاطنة بين جبال أورال و البحر الأدرياتيكي و هم فرعان : صقالبة الشمال – الروس و البولونيون – و صقالبة الجنوب – الصرب و الكروات و السلوفاك و البلغار – كانوا في العصور الوسطى هدفا للغارات و السبي من جانب قبائل الهون و السكسون الذين كانوا يعتبرونهم عبيدا و أرقاء في أسواق الأندلس ، و منه جاء اللفظ صقالبة ، و هو إسباني مشتق من اللاتينية : إسكلافوس و معناها : الأرقاء السلافيون .و من صفاتهم . معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية / مصطفى عبد الكريم الخطيب صـ٢٩٢ .

كذلك تعرضت لفظة الشرق في أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية . لتغيير آخر في معناها . أو إذا شئنا دقة أكثر تعرضت لاتساع في نطاق مدلولها . فقد انطلق الفاتحون في ذلك الوقت من شبه الجزيرة العربية . لا ناحية الشمال و الشرق فحسب . بل ناحية الغرب كذلك . و زحفوا في غضون عشرات من السنين . إلى مصر و شمال أفريقيا . حتى بلغوا المحيط الأطلسي . و استوطن الإسلام قطاع بلدان شمال أفريقيا دينا . و تعرب السكان تدريجيا . و هم الأقباط في مصر . و البربر غربيها . و منذ ذلك الحين تعتبر مصر . و بلدان شمال أفريقيا ضمن الشرق . و يختص الاستشراق حتى بشمال أفريقيا . الذى يسمى بالمغرب . أى بلد غروب الشمس .وإن كان اسم الاستشراق يفترض أنه يختص بالبلدان العربية دون غيرها)[1] .

و كلام رودى بارت يفيد : أن الشرق لديهم . يعني مفهوما حضاريا و ليس مفهوما جغرافيا . و هو دراسة الآداب و العلوم و اللغات و الفنون المتصلة بالإسلام و حضارته . بدليل أنه اعتبر الفتوحات الإسلامية توسعا في معنى كلمة " الشرق " فمتى كان الإسلام فثم الشرق . و قد صدقوا و إن لم يقصدوا ما فهمنا .

نشأة الاستشراق

إذا نظرنا إلى الاستشراق على أنه احتكاك حضارتين . أو ديانتين . فإن الاستشراق بهذا المعنى يبدأ منذ عصر الرسالة الأول . و بدقة أكثر . منذ هاجر الرسول صلى الله عليه و سلم إلى المدينة . حيث جاور اليهود فيها . و قد حاول اليهود كثيرا التشكيك في الإسلام . و صرف الناس عنه . عن طريق التشكيك ووضع بذور الفرقة بين المسلمين .

يقول الأستاذ الدكتور أحمد شلبي :(و فكرة الاستشراق بعيدة الجذور في التاريخ . و يتجه بعض الكتاب إلى ربطها بعصر الرسالة . فبعد الهجرة النبوية للمدينة اصطدم المسلمون باليهود في يثرب . و لم يكن اليهود يستطيعون مواجهة الزحف الإسلامي الجارف . فوافقوا على عقد المعاهدة مع المسلمين ... و لكن .... لم يكونوا مخلصين لهذه المعاهدة ... و عقدوا العزم على المقاومة . و اتخذت مقاومتهم للإسلام في المرحلة الأولى جانب الصراع الفكرى . تاركين الصراع العسكرى لقريش . فبدأوا بالجدل . الذى قصدوا به أن يشككوا الناس . لعلهم يردون عن الإسلام بعض من اعتنقوه . أو بعض

---

(1) رودى بارت –الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية صـ١١ ،١٢ ترجمة د/مصطفى ماهر بدون ط ١٩٦٧م دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة .

من هم على وشك اعتناقه . و أثاروا بذلك مسائل كالقضاء والقدر . و خلق الأفعال . و قد حكى القرآن ذلك الموقف : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ البقرة ١٠٩ .

و هذا التصرف هو نهج الاستشراق دائما ... و يعتبر الصراع الفكرى الذى قام به اليهود مطلع حركة الاستشراق[1] .

و سوف تمر معنا لاحقا أمثلة لنصارى و يهود قاموا بهذا الدور الفكرى المعادى للإسلام خلال التاريخ الإسلامى . عن طريق كتابات و مناقشات . قصدوا بها تشكيك المسلمين فى دينهم . و تشويه محاسن الإسلام

و ما عبد الله بن سبأ اليهودى – و إلقاؤه بذور التشيع المتطرف – إلا إحدى هذه الحلقات الاستشراقية التى لم تنقطع أبدا . و إن تلونت حسبما يتاح لها من إمكانيات الدس و التشكيك (و كان القديس يوحنا الدمشقى – ٦٧٦ -٧٤٩م الذى خلف أباه على بيت المال . فى خلافة هشام بن عبد الملك . ثم اعتزل فى دير القديس سابا بفلسطين)[2] إحدى حلقات هذه السلسلة . و الذى كان من تواليفه فى هذا الصدد

(محاورة مع مسلم و إرشاد النصارى فى جدل المسلمين)[3] .

إن المحاورات التى جرت بين النبى صلى الله عليه و سلم و بين اليهود و النصارى و التى تدل على معرفتهم بالإسلام و دراستهم له . هى روح الاستشراق فى شكله الاصطلاحى الحديث . و تلك الكتابات لعلماء النصارى و التى ضمنوها مآخذهم على الإسلام و التى أطلقوها بناء على دراسة و معرفة بالإسلام هى كذلك استشراق حقيقى . و إن لم يأخذ مسمى الاستشراق .

(و بعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى . بينما يرى " رودى بارت " أن بدايات الدراسات الإسلامية و العربية فى أوربا . تعود إلى القرن الثانى عشر . الذى تمتْ فيه لأول مرة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية . كما ظهر أيضا فى القرن نفسه أول قاموس عربى لاتينى .

---

[1] د/ أحمد شلبى – الاستشراق تاريخه و أهدافه صـ١٥ ، ١٨ بتصرف ، بدون ط ١٩٩٦م مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

[2] أ/ نجيب العقيقى ، المستشرقون جـ٢ صـ٧٢ بتصرف الطبعة الرابعة ، بدون ت – دار المعارف – القاهرة .

[3] المرجع السابق جـ١ صـ٧٢ .

و ما ذهب إليه " بارت " في هذا الصدد سبق أن عبر عنه كتاب المستشرق " جوستاف دوجا[*] " " تاريخ المستشرقين في أوربا من القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر " و هناك من الباحثين من يجعل بداية الاستشراق قبل ذلك بقرنين . أي من القرن العاشر الميلادى . و لعل هذا هو السبب الذي أدى بنجيب العقيقي إلى أن يجعل كتابه عن المستشرقين ... سجلا للاستشراق على مدى ألف عام)[1] .

و على الرغم من أن الاستشراق كما سلف بدأ كفكرة مع بدايات الدعوة الإسلامية في المدينة . و على الرغم من انه اتجاه فكرى مشهور بوضوح في تاريخ احتكاك الإسلام بالديانتين اليهودية و المسيحية إلا أن (مفهوم Orientalist " الاستشراق " لم يظهر في أوربا إلا في نهاية القرن الثامن عشر . فقد ظهر أولا في إنجلترا عام ١٧٧٩م و في فرنسا عام ١٧٩٩م . و أدرج مفهوم الاستشراق Orientalism في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م)[2] .

و فيما يلي أعرض لبعض آراء العلماء حول نشأة الاستشراق :-

(يرى " إبراهيم عبد المجيد اللبان " أن حركة الاستشراق بدأت في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى حيث ظهر الاهتمام بالعلوم العربية في هذا القرن بالذات ثم ازدهرت تلك المراكز العلمية في العالم الإسلامي و بدأ الأوربيون يتوافدون إليها ليتعلموا فيها .

و تأكيدا للرأى السابق يرجع أحمد الإسكندرى و زملاؤه بداية الاستشراق إلى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى . حينما أدرك الغرب تلك المعجزة الحضارية التي شادها المسلمون فاندفعوا إليها ليتعلموها و يتسلحوا بها و يستفيدوا منها . فأخذوا يدرسون لغتها و آدابها و يترجمون كتبها . و ينقلون علومها إلى بلادهم و كان أول من بدأ ذلك رجال الدين ثم تلاهم غيرهم من أبناء جلدتهم .

و يقول " نجيب العقيقي " إن الذين يظنون أن أوربا لم تعرف استشراقا حقيقيا قبل الحملات الصليبية مخطئون . لأن الاستشراق عرف في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى)[3]

---

[*] جوستاف دوجا مستشرق فرنسي " ١٨٢٤ - ١٨٤٩م دخل مدرسة اللغات الشرقية في باريس و سافر في بعثة إلى الجزائر عام ١٨٤٥م و في ١٨٧٢م لحق بتدريس تاريخ و جغرافيا الشعوب الإسلامية في مدرسة اللغات الشرقية ، و من آثاره تاريخ المستشرقين في أوربا من القرن ١٢ إلى القرن ١٩ ، طبقات المستشرقين عبد الحميد صالح حمدان صـ٤٢ ٤٣ .

[1] أد/ محمود حمدى زقزوق - الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضارى صـ١٩ ، ٢٠ بتصرف ، مرجع سابق .

[2] المرجع السابق صـ٢٠ ، ٢١ .

[3] نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود ، المستشرقون و توجيه السياسة التعليمية في العالم العربي صـ٢٨ ، ٢٩ ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، دار أمية الرياض السعودية

و يقول جورجي زيدان " (بدأ الإفرنج يهتمون باللغة العربية من القرن العاشر للميلاد ليطلعوا على ما فيها من العلم الطبيعي و الطب و الفلسفة . و قد نقلوا أهم تلك الكتب إلى اللاتينية و هو لسان العلم عندهم يومئذ . و أول من بلغنا من المترجمين البابا سلفتر الثاني في أواخر القرن العاشر للميلاد)[١] .

و يقول د/ إبراهيم مدكور (لا نستطيع أن نتحدث عن دراسات إسلامية بالمعنى الكامل سابقة على النصف الأخير من القرن الماضي . إن في الغرب أو في الشرق . ذلك لأن الغربيين في اتصالهم بالشرق شغلوا أولا بنواحيه السياسية و الاقتصادية . و لم يتجهوا أخيرا إلا إلى نواحيه الثقافية و ما نراه لدى بعض مؤرخيهم في القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر من تعليق على العرب و الثقافة العربية إنما هو مستمد في الغالب من المصادر اللاتينية . و أما الشرقيون أنفسهم فلم يكن في وسعهم و قد كانوا مغلوبين على أمرهم أن يحيوا معالمهم و لا أن ينهضوا بتراثهم و لم يتجه المستشرقون في عناية نحو الدراسات الإسلامية إلا في النصف الأخير من القرن الماضي " التاسع عشر")[٢] .

و يلاحظ في كلام الدكتور / إبراهيم مدكور أنه يتحدث عن مرحلة من مراحل الاستشراق . ألا و هي مرحلة ازدهار الاستشراق .

و فيما يلي عرض لآراء بعض الغربيين عن بداية الاستشراق :

و يذهب الأب " لامنس " إلى أن الأحبار الرومانيين قرروا دراسة اللغة العربية و آدابها في مدارسهم منذ القرن الثالث عشر الميلادي غير أن هذا القرار لم ينفذ إلا فترة قصيرة من الزمن . و في عام ١٥١٩م دعى ملك فرنسا " فرنسيس الأول الأستاذ بوليس بوستينيا لتدريس العربية و العبرية في عاصمة مملكته . و لكنه لم يبق في وظيفته إلا عامين ثم عاد إلى موطنه و لم يخلفه أحد في مكانه . و يؤكد لامنس أن بقية الدول الأوربية كانت تجهل علم العربية في بداية القرن السادس عشر الميلادي حتى في الأندلس نفسها)[٣] .

---

[١] جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية جـ٤ صـ١٥٧ ، بدون ط ١٩١٤ م ، مطبعة الهلال بالفجالة ، القاهرة .

[٢] د/ إبراهيم مدكور ، في الفلسفة الإسلامية منهج و تطبيقه ، صـ ٢٥ ، الطبعة الثانية بدون ت ، دار المعارف ، القاهرة .

[٣] د/ أحمد سمايلوفتش / فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر صـ٥٧ بتصرف طبعة دار المعارف ، القاهرة .

و هذا بلا شك تجنى على أثر الحضارة الإسلامية فى أوربا . إذ إن اللغة العربية كانت لغة التقدم و الرقي في ذلك الوقت . حتى كان ملوك أوربا يتحدثونها بطلاقة ينافسون بها العرب الأصليين .

(يرى " برنارد لويس أن العلماء أخطأوا حينما ظلوا يعتقدون حقبة طويلة من الزمن أن أول اتصال جدى بين الثقافة الإسلامية و ثقافة أوربا قد حدث نتيجة للحروب الصليبية ... فيذهب إلى أن أوربا شربت من مناهل العلوم العربية التى كانت تتدفق فى الأندلس أسس العرب فى أسبانيا و صقلية مدنية زاهرة أرقى بكثير من أية مدنية معاصرة لها فى ذلك الوقت ... حتى أن بعد أن استعاد المسيحيون سيادتهم على تلك البلاد ظلت العلوم العربية مزدهرة مدة من الزمن و كان من الملوك المسيحيين من يتكلم العربية و يوازى علماء العرب .

و يزعم " ماكس فانتاجوا " أن حركة الاستشراق بدأت فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى بعد دخول الصليبيين إلى القدس . و بعد احتلالها بعشر سنوات استطاع أحد العلماء الأوربيين خلال حجه فى القدس أن يتصل بعلماء العرب و استطاع أن يحمل معه إلى فرنسا نسخة من خمسة عشر كتابا فى هندسة إقليدس و نسخة أخرى من قوائم الخوارزمى الفلكية)[1] .

و بعد استعراض هذه الآراء السابقة أرى أن الاستشراق بمعنى دراسة الإسلام قد وجد مع بدايات الدعوة الإسلامية فى المدينة المنورة متمثلا فى محاورات الرسول ﷺ مع علماء اليهود والنصارى .
و محاولة هؤلاء السابقين إثارة البلبلة و الفتنة عن طريق إشاعة الشبهات و الشائعات حول دين الإسلام .أما البدايات المنظمة للاستشراق . و التى تمثلت فى دراسة اللغة العربية و التضلع من الثقافة العربية فإن ذلك قد بدأ فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى على يد طوائف الرهبان و على رأسهم البابا " سلفستر الثانى " و الذى سيرد الحديث عنه عند الحديث طلائع المستشرقين الرهبان

و على الرغم من ذلك فإنه من المجازفات التى لا تستند إلى دليل أن نحدد سنة معينة للاستشراق .
و لكنها آراء تقريبية للتأريخ لبداية هذا العمل المؤسسى الضخم الذى لم يترك صغيرا و لا كبيرا فى الدراسات الإسلامية على سعتها و شمولها إلا أدلى فيه بدلوه .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٧ ، ٥٨ بتصرف .

أطوار الاستشراق

أولا : طــور الظهــور :-

إن الاستشراق كمفهوم حضاري لكلمة الشرق . و كصورة للصراع الفكري بين الديانتين اليهودية والنصرانية و بين الإسلام . ظهر في أوائل الدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة . تمثل ذلك في صور التشكيك التي مارسها اليهود . و التي حكاها القرآن عنهم . في مثل قوله تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ البقرة ١٤٢ .

و قد حدثت (محاورات و مجادلات كثيرة حول البعث . جرت بين الرسول ﷺ و بين بعض المشركين و بخاصة أُبيّ بن خلف . ورواها القرآن الكريم . مدللا على الاتجاه الإسلامي القويم في مجادلات أهل الكتاب و غيرهم من أهل الديانات الأخرى . قال تعالى : ﴿ و ضرب لنا مثلا و نسي خلقه قال من يحيي العظام و هي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة و هو بكل خلق عليم ﴾ يس ٧٨
و جرت مناقشات بين اليهود و بين الرسول حول الكتب المقدسة و كان " محسور بن سبحان " هو المتحدث عن اليهود . فقال للرسول : ما دليلك على أن القرآن من عند الله ؟ فنزل قوله تعالى :
﴿ و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ النساء ٨٢ .

-- و كان من جرّاء ذلك رد الفعل الطبيعي . حيث كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يبادئهم بالحوار – فقد دخل الرسول عليهم مرة بيتا كانوا يجتمعون فيه اسمه " بيت المدراس " فدعاهم إلى الله و إلى وحدانيته . و ناقشهم في ادعائهم بأنهم الأخيار . و أنهم بمنجاة من النار . و أجرى مقارنة بين كتبهم المحرّفة و بين القرآن الكريم . و أيدته آيات القرآن الكريم . و سجلت هذا المحاورات . و من ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم و هم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات و غرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ آل عمران ٢٤ .
و هذه الآية تقص علينا بعض المحاورات التي حدثت بين الرسول ﷺ و بين أهل الكتاب.
و قال تعالى : ﴿ و أوحِيَ إلى هذا القرآن لأنذركم به و من بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد و إنني برئ مما تشركون ﴾ الأنعام ١٩ .
و قوله تعالى : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه و يقولون سمعنا و عصينا ﴾ النساء ٤٥ .

و قوله تعالى : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه و نسوا حظا مما ذكروا به و لا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ﴾ المائدة ١٣ .

و قد دخل كثير من اليهود الإسلام . بعد هذه المحاورات و أخلصوا له . مثل " عبد الله بن سلام " و "وثعلبة بن سعيد " و " أسد بن عبيد ")[1]

و من الصور الجماعية في مواجهة الإسلام فكريا . تلك الصورة التي أشار إليها القرآن الكريم . يقول الله تعالى : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ آلعمران ٦١ .

(قال ابن إسحاق في سيرته : وقدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفد نصارى نجران ستون راكبا . فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ... فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر . عليهم ثياب الحبرات جبب و أردية ... يقول من رآهم من أصحاب النبى – صلى الله عليه وسلم –: ما رأينا بعدهم وفدا مثله . و قد حانت صلاتهم . فقاموا في مسجد رسول الله . فقال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – : دعوهم . فصلوا إلى المشرق . قال : فكلّم رسول الله – صلى الله عليه و سلم – منهم " أبو حارثة بن علقمة " و " العاقب عبد المسيح " و " السيد الأبهم " و هم من النصرانية على دين الملك ° مع اختلاف أمرهم : يقولون – عن سيدنا عيسى عليه السلام – : هو الله .

و يقولون : هو ولد الله . و يقولون : هو ثالث ثلاثة . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

و النصرانية يحتجون في قولهم : هو الله . بأنه كان يحيي الموتى . و يبرئ الأكمه والأبرص والأسقام . و يخبر بالغيوب . و يخلق من الطين كهيئة الطير . فينفخ فيه فيكون طيرا . وذلك كله بأمر الله . و ليجعله الله آية للناس .

---

[1] أ.د/ أحمد شلبي ، المناهج الإسلامية ، أصولها الصحيحة ، انحرافاتها ، وجوب تصحيحها ، صـ ١٢٠ . ١٢١ . بتصرف . الطبعة التاسعة عشرة ١٩٩٣م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

° هم الملكانية . قال ابن حزم الملكانية و هي مذهب جميع ملوك النصارى حاشا الحبشة و النوبة و مذهب جميع نصارى أفريقيا و صقلية و الأندلس و جمهور الشام و قولهم إن الله تعالى عبارة عن : ثلاثة أشياء :أب و ابن و روح القدس ، كلها لم تزل و أن عيسى إله تام كله و إنسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر و أن الإنسان هو الذى صلب و قتل ، و أن الإله منه لم ينله شئ من ذلك .و أن مريم ولدت الإله و الإنسان ، و انهما معا شئ واحد : ابن الحل تعالى الله عن كفرهم . الإمام الشهرستاني ، الملل و النحل جـ صـ ٢٤٨ . طـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

و يحتجون في قولهم : بأنه ابن الله . يقولون : لم يكن له أب يُعلم . و قد تكلم في المهد بشئ لم يصنعه أحد من بني آدم قبله . و يحتجون في قولهم : ثالث ثلاثة : بقول الله تعالى : فعلنا و أمرنا و خلقنا . و قضيْنا . فيقول : لو كان واحدا لما قال إلا : فعلتُ و أمرتُ . و قضيتُ و خلقتُ و لكنه هو عيسى و مريم ... و في كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن .
فلما كلمه الحبران . قال لهما رسول الله : أسلما . قالا : قد أسلمنا .
قال : إنكما لم تسلما . فأسلما . قالا : بلى قد أسلمنا قبلك .
قال : كذبتما . يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا . و عبادتكما الصليب و أكلكما الخنزير . قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يجبهما . فأنزل الله في ذلك ... صدر سورة آلعمران ﴿ ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم .... ﴾ إلى بضع و ثمانين آية منها)[1] .
ثم إن رسول الله -- صلى الله عليه وسلم - لاعنهم . فأبوا هذه الملاعنة . خوفا من عقباها .

و الذي يفيدنا هنا . تلك المناظرة التي حاول فيها هؤلاء النصارى . إثبات عقائدهم في عيسى عليه السلام : أنه الله . ابن الله . ثالث ثلاثة . معارضين بذلك القرآن الكريم . و قد ارتحلوا في ذلك مئات الأميال .

و غير خاف بطلان هذه العقائد . بنص القرآن الكريم ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ المائدة ٧٢ .
﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ المائدة ٧٣ .
و هي باطلة كذلك بنصوص التوارة و الإنجيل . التي تبين لنا من أين أتى النصارى في معتقداتهم الضالة . و تصوراتهم المنحرفة عن سيدنا عيسى عليه السلام .
و هنا لا بد من الوقوف على حقيقة كلمات " الإله " " الأب " " الابن " في المنظور النصراني حتى يتبين لنا أسباب هذا الانحراف .
لقد (ذكرت أسفار العهد القدي ألفاظ "الإله" "الرب" "الأب" "الابن" و أرادت بها المعنى المجازي في المواضع والنصوص التي يأبى العقل أن يكون المراد بها المعنى الحقيقي .
فلفظ " الإله " يطلق عادة على المعنى الحقيقي لله عز و جل . و أطلق في أسفار العهد القديم

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ ١ صـ ٣٧٦ بتصرف ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

مجازا بمعنى السيد مثل " فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلها لفرعون و هارون أخوك يكون نبيك " خروج ٧:١ . و المراد جعلتك سيدا .

و أطلق أيضا على سائر اليهود بأنهم آلهة :" أنا قلت إنكم آلهة و بنو العلى كلكم " مزامير ٨٢ :٦ و المراد أنكم سادة .

و في إنجيل يوحنا أن اليهود تناولوا حجارة ليرجموا عيسى عليه السلام . أجابهم يسوع أعمالا كثيرة حسنة أريتكم عند أبى . بسبب أى عمل منها ترجموني . أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن . بل لأجل تجديف . لأنك و أنت إنسان تجعل نفسك إلها . أجابهم يسوع : أليس مكتوبا في ناموسكم : أنا قلت إنكم آلهة " يوحنا ١٠ :٣٢ – ٣٥ .

و هو بهذا استشهد من نصوص أسفارهم على أنه سيد كأى من بنى إسرائيل و ليس إلها أو ربا .

أما كلمة الأب فتطلق حقيقة على الوالد و تطلق مجازا على الله عز و جل فيقول سفر صموئيل الثاني في حق سليمان عليه السلام " أنا أكون له أبا و هو يكون لى ابنا " صموئيل الثانى ٧ : ١٤ .

و في سفر أشعياء عن اليهود مخاطبين ربهم هكذا :" فإنك أنت أبونا و إن لم يعرفنا إبراهيم و إن لم يدرنا إسرائيل . أنت يا رب أبونا وليُّنا منذ الأبد اسمك " أشعياء ٦٣ : ١٦ .

و بالنسبة لكلمة الابن ففي سفر التثنية : أنتم أولاد للرب إلهكم " تثنية ١٤ :١

و في سفر المزامير " و بنو العلى كلكم " مزامير ٨٢ : ٦ .

و في إنجيل مرقس " بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله " مرقس ١ : ١ .

و عند لوقا :" آدم ابن الله " لوقا ٣ : ٣٨ . و عند لوقا أيضا :" لأنهم مثل الملائكة و هم أبناء الله " لوقا ٢ : ٣٦)[1] .

فهل كل هؤلاء آلهة و أبناء لله تعالى ؟! اللهم لا ، و إنما هى ألفاظ أريد بها معان مجازية لاستحالة أن يكون المعنى الحقيقي هو المراد .

فالبنوة مجازية . و إنما يراد بكلمة " ابن الله " معنى الصلاح والبر .

ففى إنجيل مرقس " فصرخ يسوع بصوت عظيم و أسلم الروح .. و لما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا و أسلم الروح قال : حقا كان هذا الإنسان ابن الله " مرقس ١ : ٣٧ – ٣٩ .

---

(١) د/ محمد عبد الحليم مصطفى أبو السعد ، عيسى عليه السلام عبد الله و رسوله صـ٥٣ ،٥٦ بتصرف ، بدون ط ١٤٠٧هـ =١٩٨٦م دار النهضة العربية القاهرة .

و عند لوقا : " و نادى يسوع بصوت عظيم و قال : يا أبتاه في يدك أستودع روحي . و لما قال هذا أسلم الروح . فلما رأى قائد المائة ما كان . مجّد الله قائلا : " بالحقيقة كان هذا الإنسان بارا " لوقا ٢٣ : ٤٦ - ٤٧ .

فعبر مرقس بلفظ " ابن الله " و عبر لوقا بلفظ " البار "

مما سبق يتضح لنا حقيقة هذه الكلمات التي ضل النصارى عن مدلولاتها و اتخذوها ذريعة لمعتقداتهم الفاسدة و تصوراتهم الضالة .

و القوم محجوجون بما ورد في كتبهم المقدسة مما سلف ذكره . و بمثل ما ورد في إنجيل لوقا حينما سئل المسيح عليه السلام " ما أول الوصايا كلها ؟ فقال : أول الوصايا كلها : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد " لوقا ١٢ : ٢٨ . ٢٩ .

و سئل عن يوم القيامة فقال : " لا يعلمها إلا الله الواحد " متى ٢٤ : ٣٦ .

و قال عيسى عليه السلام : " إني ذاهب إلى إلهي و إلهكم " فشهد عليه السلام في إنجيله كله أن الله تعالى واحد .)[١] .

(و يظهر أن هذه العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة ... و التي كانت ترى أن الله هو منشئ الأشياء لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث ... و أن أول شئ صدر عن هذا المنشئ هو العقل . و قد صدر عنه كأنه يتولد منه . و لهذا العقل قوة الإنتاج . و لكن ليس كمن يولد عنه . و من العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح . و عن هذا الثالوث يصدر كل شئ و منه يتولد كل شئ .

فوجه الشبه واضح بين هذا المذهب و عقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية و إذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشرا و معروفا قبل مجمع نيقية بأمد طويل . و أنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية . و أن بطريرك الإسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية و في المجمع القسطنطيني الأول . إذا لاحظنا كل هذا ترجح لدينا نشأة التثليث تأثرا بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة)[٢] .

لقد كان لاختلاط النصارى بالأمم الأجنبية أثره في ظهور هذه العقيدة (عقيدة الثالوث المجتمع من الآب و الابن و الروح القدس . و يتضح من الاطلاع على التاريخ أن التثليث لم يكن معروفا عند

---

[١] أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري ، الرد على النصارى صـ٧٨ بتصرف ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ =١٩٨٨م مكتبة وهبة ، القاهرة .

[٢] د/ على عبد الواحد وافى ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام صـ١٢٩ بتصرف بدون ط ١٩٩٦م ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

النصارى حتى أواخر القرن الثاني الميلادى . و كان الأب أثيناغوس أول من نطق بكلمة ثالوث .
لأنه راعى عادات الرومان أصحاب السلطان على الإمبراطورية الرومانية وقتئذ حيث كانوا معتنقين
لديانتهم الوثنية . و أنه ما كان هؤلاء الرومان ليعتنقوا النصرانية و يتصوروا معنى الألوهية بغير ما هو
ممتزج بأفهامهم . و ما هو مغروس في قلوبهم من طقوس الوثنية الشائعة ... ففي مصر كان في مدينة
طيبة ثلاثة آلهة هي : آمون و موت و حنسو . و في مدينة أبيدوس كان بها ثلاثة آلهة : إيزيس و
أوزيريس و حوريس . و كذلك الإله رع مظهر الشمس فإنه سمي في الصباح حرماخيس و عند الظهيرة
"را" و عند الغروب " أتوم" أو " تمو"
ووجد مثل هذا الثالوث عند البوذيون و ا لبراهمة في بلاد الصين و في بلاد الهند كما اعتبره أيضا
الآشوريون و البابليون و الميثرانزميون أصحاب ديانة ميثرا . و التي كانت في بلاد الفرس قبل ميلاد
المسيح بستة قرون ثم نزحت إلى روما سنة ٧٠ قبل الميلاد المسيحى)[١] .
و هناك آراء و أقوال علماء و متخصصين يعضدون هذا الرأى . و هو انبثاق فكرة الثالوث المقدس عند
النصارى من أهل الأديان السابقة . أعرضت عنها اكتفاء بما أوردته . و فيه إن شاء الله الكفاية .

وقد كان أحبار اليهود و رهبان النصارى . يجلسون عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم –
ويتنازعون
و نزاعهم يشى بإنكارهم لحقائق الإسلام . قال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم و
ما أنزلت التوراة و الإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴾" آلعمران ٦٥ .
(عن ابن عباس رضى الله عنه قال : اجتمعت نصارى نجران . و أحبار اليهود عند رسول الله –
صلى الله عليه وسلم – . فتنازعوا عنده . فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا . و قالت
النصارى . ما كان إبراهيم إلا نصرانيا)[٢] . فأنزل الله هذه الآيات .
و مثل ما قام به يوحنا الدمشقى من الترويج لعشق النبى – صلى الله عليه و سلم – للسيدة زينب
بنت جحش . بعد زواجها من متبناه زيد بن حارثة رضى الله عنه .

---

(١) المستشار محمد عزت الطهطاوى ، الميزان فى مقارنة الأديان صـ١٤٥ بتصرف الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٣م ، دار القلم دمشق و الدار الشامية بيروت .
(٢) المرجع السابق صـ٣٨٠ .

و ما فعله ابن بختيشوع النصرانى (*) فى بلاط الدولة العباسية . و سيلى ذكر هذا إن شاء الله تعالى فى موضعه .

و غير ذلك من صور الصراع . التى شبت بين المسلمين و علماء اليهود و النصارى . الذين حاولوا بكل سبيل طمس معالم الإسلام . و الافتراء عليه . حيث عجزوا عن المواجهة العسكرية . فقد كانوا فى ظل الدولة الإسلامية الفتية .

إذا فالصراع الفكرى بين الإسلام و الديانتين : اليهودية و النصرانية قديم قدم الإسلام . و هو إحدى الحلقات فى الصراع بين الأديان . ختمت بظهور الاستشراق كعمل مؤسسى فى دراسة الإسلام . و الوقوف منه موقف العائب المعاند .

ثانيا : طور الإبهار :-

و أعنى بها مرحلة أستاذية الحضارة الإسلامية . حيث وقفت من العالم موقف المعلم . و زحفت البعثات الأرستقراطية . من أبناء الأمراء و الملوك للتعلم فى بلاط الأندلس . و غيرها من مراكز الثقافة الإسلامية فى العالم الإسلامى المتلاطم الأمواج فى ذلك الحين . فقد ارتحلت وفود من الغرب الأوربى صوب الحضارة الإسلامية فى الأندلس و بغداد . و غيرهما طلاب علم و معرفة . أو طلاب دسائس و تفرقة .

و فى هذه المرحلة يبرز لنا أمران جليان :-

الأمر الأول : التخلف الأوربى منقطع النظير :-

(كانت أوربا فى ذلك العهد غاصة بالغابات الكثيفة متأخرة فى زراعتها . و تنبعث من المستنقعات الكثيرة فى أرباض المدن روائح قتالة . تجتاح الناس وتحصدهم . كانت البيوت فى باريس و لندرا تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب . و لم يكن فيها منافذ و لا غرف مدفئة . لا بساط لهم غير القش . و لم يكونوا يعرفون النظافة . و يلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم . فتتصاعد منها روائح مزعجة ، و كانت الأسرة الواحدة تنام فى حجرة واحدة . تضم النساء و الرجال والأطفال ،

(*) بختيشوع كلمة سريانية من مقطعين " بخت " بمعنى " عبد " و يشوع " أى عيسى عليه السلام و لقب أسرة مستعربة اشتهر أفرادها بممارسة الطب أبا عن جد و كان موضع رعاية الخلفاء العباسيين .دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ٤٨ .

و كثيرا ما كانوا يؤون معهم الحيوانات الداجنة .

قال " درابر " : و كان من أثر ذلك أن عمت الجهالة أوربا . و ساورتها الأوهام . فانحصر التداوى في زيارة الأماكن المقدسة . و مات الطب . و حييت أحابيل الدجالين . و كلما دهم البلاد وباء فزع رجال الدين إلى الصلاة . و أغفلوا أمر النظافة . فكانت الأوبئة تفتك بهم فتكا ذريعا . و قد زارت أوربا مرارا فاجتاحت الملايين في أهلها في أيام قليلة)[1]

يقول المؤرخ " دوزى ° " و هو يتحدث عن وضع العالم الغربي في هذه المرحلة . ذلك العالم الذى كان يحيا (في ظلام الجهالة لا يرى النور إلامن سم الخياط . و النور لا يسطع إلا من جانب الأمة الإسلامية من علوم وأدب و صناعات و أعمال . و غير ذلك . و بغداد و البصرة و سمرقند °° و دمشق و القيروان°°° و مصر وفارس و غرناطة وقرطبة هي المراكز العظيمة للعلم . و عواصم أوربا التي ندهش بها اليوم أشبه بقرى لا علم فيها و لا عمران ... قال أحد مؤرخي الإفرنج : إن معظم سكان أسبانيا الإسلامية كانوا يقرأون و يكتبون في زمن كان أهل الطبقة العليا في أوربا النصرانية أميين . لا يقرأون عدا أفراد قلائل من الشمامسة)[1] .

هذا في الوقت الذى كان يزخر فيه العالم الإسلامي بألوان من المدنية والتقدم . التي جعلته قبلة العالمين في هذا الوقت .

الأمر الثاني : تفوق المسلمين الحضاري:-

كانت (جامعات المسلمين مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم و كان ملوك أوربا و أمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها . وقال العلامة " سيديو °°° "

---

(1) محمد كرد علي - الإسلام و الحضارة العربية جـ١ صـ١٨٦ . بدون ط ١٩٣٤م مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة

° دوزى .ر.ب .ا " ١٨٢٠ : ١٨٨٣م = ١٢٣٦ : ١٣٠١هـ ، ولد في ليدن من أسرة فرنسية ، غرف أكثرها بحب الاستشراق ، و تعلم مبادئ العربية في المنزل ثم واصل دراساتها في جامعة " ليدن " ... و كان إلى تضلعه من اللغات السامية يكتب باللاتينية و الفرنسية و الإنجليزية و الأسبانية و الألمانية و الهولاندية ، و من آثاره : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان . العقيقي جـ٢ صـ٣٠٨ .

°° يقال بأن الذى أسسها الإسكندر الأكبر ـ فتحها القائد المسلم " قتيبة بن مسلم سنة ٩٣هـ =٧١٢م بعد أن حاصر المدينة وقتا طويلا و سمح لقائدها السابق "إخشيذغورك " بالبقاء على العرش و لكنه عين لها واليا عربيا و معه حامية إسلامية ، و غدت سمرقند هي و بخارى قاعدة الفتوح الإسلامية الأخرى . دائرة المعارف الإسلامية جـ١٢ ص١٩٨ ، ١٩٩ .

°°° مدينة بتونس اسسها عقبة بن نافع رضي الله في عهد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ، سنة ٥٥هـ . كتاب العلم في الدراسات الاجتماعية للصف الثاني الإعدادى صـ١٩٣ .المؤسسة العربية الحديثة للطبع و النشر والتوزيع . القاهرة .

(1) المرجع السابق جـ١ صـ١٩٢ .

°°° سديو ، جان جاك "١٧٧٧-١٨٣٢ = ١١٩١-١٢٤٨هـ ، تضلع من العربية ، في مدرسة اللغات الشرقية ، من آثاره : كتاب خلاصة تاريخ العرب . العقيقي جـ١ صـ١٦٩ .

فى كتابه " تاريخ العرب " : كان المسلمون فى القرون الوسطى منفردين فى العلم و الفلسفة والفنون . و قد نشروها أينما حلت أقدامهم . و تسربت عنهم إلى أوربا . فكانوا هم سببا لنهضتها و ارتقائها .

و قال " دربير" أول مدرسة أنشئت للطب فى أوربا هى المدرسة التى أسسها العرب فى مدينة بالرم من إيطاليا و أول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون فى أشبيليه بأسبانيا .و أنهم رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا و أوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم)[1]

فى تلك الفترة (توصل العالم المسلم " الخوارزمى * " و أصحابه فى النصف الأول من القرن التاسع الميلادى إلى معرفة محيط الأرض و قدّره بأنه يبلغ ٢٠٠٠٠ ميل . وأن نصف قطرها يبلغ ٦٥٠٠ ميل . ولا شك أن صحة هذه التقديرات تدعو إلى الدهشة حقا . وفى الوقت الذى كانت هذه الأنشطة تجرى فى العالم الإسلامى كانت أوربا تؤمن بأن الأرض مسطحة .

لقد سبق العرب العالم . و أفاضوا على الدنيا حضارة و ثقافة . فأنشأوا الأسواق الحديثة بالأندلس . و أناروا الشوارع . وكانوا يبردون بيوتهم بأنابيب مياه اصطنعوها و نافورات . بينما كان الأوربيون يتخبطون فى الوحل نهارا ، و الظلام ليلا . كانت البلاد الإسلامية مليئة بالمستشفيات و المكتبات العامة و المدارس . التى يدرس فيها علوم الدين و الرياضيات و الفلسفة والطب . كما كان الصناع و العاملون المهرة فى بغداد و دمشق و مصر و قرطبة . يصنعون أجود المنتجات و الأثاث من الخشب و الحديد والفضة [2] .

هذا الواقع المشهور غير المنكور ، و الذى يشهد به كل مؤرخ منصف . يحترم الحقيقة العلمية و البحث الموضوعى . نجد من السادة المستشرقين من يتعامى عنه . و يريد كذلك أن يقنعنا بأن ذلك ما كان إلا من مواريث الحضارة الإغريقية التى كنا ناقلين لها لا غير .

---

[1] أ/ عبد الحفيظ حسين حسن ، العلم و الحضارة فى الإسلام . صـ٧١ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سلسلة كتب إسلامية عدد ١١٢ القاهرة

* الخوارزمى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف ، عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، و هو أقدم كاتب مسلم ألف كتابا موسوعيا هو " مفاتيح العلوم ، يعتبر واضع علم الجبر ، ترجمت كتبه إلى اللاتينية . دائرة المعارف الإسلامية جـ٩ صـ١٧ ، تراجم أعلام قاموس المورد صـ٦ .

[2] المرجع السابق صـ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

ثالثا : طور العصور الوسطى

(و هو الطور الذى يمتد من البداية العلمية للنشاط الاستشراقى – على خلاف فى التحديد الزمنى لهذه البداية – إلى نهاية ما يعرف فى التاريخ الأوربى بالعصورالوسطى . و لما كان التراث الاستشراقي نتاجا عقليا . كان مما يعنينا أن نتعرف على طبيعة العقلية التى أنتجته . إذ لا ينفك أى فكر فى سماته عن سمات العقول التى تولد عنها هذا الفكر . كما لا يستقل عن الروح التى عاصرت مولده)[١]

طبيعة العقلية الغربية فى العصور الوسطى

ليس شئ أدل على طبيعة هذه العقلية . مما أورده الأستاذ الدكتور " محمود حمدي زقزوق " نقلا عن أحد أعلام هذه الفترة و هو " جيبير النوجنتى " ت ١١٢٤م . و الذى صرح بأنه (لا يعتمد فى كتاباته عن الإسلام على أية مصادر مكتوبة . و أشار فقط إلى آراء العامة . و أنه لا يوجد لديه وسيلة للتمييز بين الخطأ و الصواب . ثم قال مبررا كتاباته غير العلمية عن الإسلام و نبيه :" لاجناح على المرء إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء ...

و قد أطلق " ساذرن " على هذه الفترة في كتابه " نظرة الغرب إلى الإسلام فى العصور الوسطى " عنوان " عصر الجهالة " . و هو عصر كان أبعد ما يكون عن روح العلم و الموضوعية . فى ذلك يقول " ساذرن " : على أن الشئ الوحيد الذى يجب أن لا نتوقع ظهوره فى تلك العصور . هى الروح المتحررة الأكاديمية)[٢] .

يقول المؤرخ الهولندى " يوهان هويزنجا " (و كثيرا ما يبدو لنا أن عقلية القرون الوسطى المتدهورة تظهر من السطحية و الضعف . ما لا يصدقه عقل . فهى تتجاهل التركيب المركب للأشياء ... و تنطلق إلى التعميمات – الأحكام العامة – بغير تردد . و تعرُّضُها لإصدار الحكم الخاطئ بشكل مفرط لا حد له . ولذا فإن عدم الدقة . و سرعة التصديق و الطيش . و عدم الاتساق المنطقى من الملامح الشائعة فى الاستدلال العقلى فى العصور الوسطى ... و أخيرا ماذا عسانا أن نقول عن الخفة العجيبة

---

(١) د/ السيد رزق الحجر ، الموضوعية وجودها و جدودها فى الدراسات الإسلامية لدى المستشرقين صـ٢٧ ، ٢٨ . بدون ط ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م مكتبة الزهراء القاهرة .

(٢) د/محمود حمدى زقزوق ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى صـ٢٢، ٢٣ ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

التى يتسم بها المؤلفون قرب نهاية العصور الوسطى . تلك ا لخفة التى تبدو لنا كأنها انعدام مطلق للقوى العقلية)[١] .

لا أظن أن عقلية بهذه السمات من السطحية و السذاجة يمكن أن تنتج علما يحترم . أو يكون له وزن فى الدراسات العلمية المتزنة .

(و قد تضمن الفكر الاستشراقى فى العصور الوسطى الكثير من دروب المبالغة و التهويل . من ذلك مثلا ما كتبه أحد قساوسة أوربا . و يدعى " ألجوس قرطبة " و جاء فيه " أن النبى محمدا -- صلى ا لله عليه وسلم -- كان يخبر أصحابه أنه بعد ثلاثة أيام من موته سيرفع إلى السماء .

فلما مات بقى دون دفن حتى يرفع جسده . و لكنه لم يرفع حتى تعفن جسده . و أخذت الكلاب تنهش منه)[٢] .حاشاه صلى ا لله عليه و سلم .

و يشهد التاريخ . و الراسخون فى العلم . من أصحاب النزاهة والموضوعية . مسلمون و غير مسلمين . بأنه حاز الكمالات الإنسانية حيا ، و صاغ عليها أجيالا من البشر أناروا الدنيا بما سبق إليهم من نوره صلى ا لله عليه وسلم . و لا شك أن هذا القول الذى هرف به هذا القس قد بلغ من ا لجهل و السطحية و الافتراء حد الانتهاء .

(روى الإمام مالك رحمه ا لله أنه بلغه : أن رسول ا لله صلى ا لله عليه و سلم تُوفى يوم الاثنين و دفن يوم الثلاثاء و صلى عليه الناس أفذاذا لا يؤمهم أحد . فقال ناس : يُدفن عند المنبر و قال آخرون : بالبقيع . فجاء أبو بكر الصديق . فقال : سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه و سلم يقول : ما دفن نبى قط إلا فى مكانه الذى توفى فيه . فحفر له فيه ، فلما كان عند غسله أرادوا نزع قميصه . فسمعوا صوتا يقول : لا تنزعوا القميص . فلم ينزع القميص و غسل و هو عليه صلى ا لله عليه و سلم)

و يعلق الأستاذ سعيد حوى على هذا الحديث فيقول : رواه مالك فى الموطأ كتاب الجنائز باب ما جاء فى دفن الميت و هو صحيح لغيره . قال ابن عبد البر : لا أعلمه يروى على هذا النسق بوجه من الوجوه غير بلاغ مالك هذا ، و لكنه صحيح من وجوه مختلفة و أحاديث شتى .

---

[١] يوهان هويزنجا ، اضمحلال العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، صـ٢٨ : ٣٠ بتصرف ، الطبعة الثانية ١٩٩٨م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

[٢] د/ السيد رزق الحجر ، الموضوعية وجودها و حدودها فى الدراسات الإسلامية لدى المستشرقين صـ٣٤ مرجع سابق .

و روى الحاكم عن علي رضى الله عنه قال : غسلت رسول الله صلى الله عليه و سلم فجعلت أنظر ما يكون من الميت . فلم أر شيئا . و كان طيبا حيا و ميتا صلى الله عليه و آله و سلم)[١] .

و يعرض لنا الأستاذ /اتيين دينيه في كتاب محمد رسول الله صورة النبي صلى الله عليه و سلم و هو يُغسَّل فيقول :(و غسلوه بسبع قرب من ماء بئر بقباء . و كان محمد يفضل ماءها على كل ماء . فكان العباس و ابناه الفضل و قثم يقلبان جسم الرسول الكريم . و كان أسامة بن زيد و شقران هما اللذان يصبان الماء . بينما عليٌّ رضى الله عنه قد أسنده إلى صدره يدلكه من فوق قميصه . و غسل الرسول ثلاث غسلات . واحدة بالماء القراح . وواحدة بالماء و السدر . وواحدة بالماء و الكافور . ثم طيبه علي و العباس في مواضع سجوده . أي الجبهة و الأنف و اليدين و الركبتين و القدمين . و علي يقول :" بأبى أنت و أمى . ما أطيبك حيا و ميتا . و الكل في عجب من عدم وجود أية علامة من علامات التحلل الكريه الذى يتبع الموت على جثة الرسول سوى زرقة خفيفة في أظافره)[٢]

و على الرغم من الروح البغيضة التى يتحدث بها المستشرقون المغرضون عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا أننا نجد أحدهم و هو إميل درمنجم يقول :(و غسل بنو هاشم النبى و كفنوه في ثلاثة أثواب و دفنوه بعد ست وثلاثين ساعة من وفاته مع أن العادة كانت تقضى بالدفن يوم الوفاة)[٣] .

إن تأخير دفن النبى صلى الله عليه وسلم إنما كان لحكمة و هى تعيين خليفة له صلى الله عليه وسلم قبل أن يوارى جثمانه الشريف التراب ، و هو من أقوى الأدلة على أن الإسلام كيان سياسى كما هو كيان عقيدى و أخلاقى و سلوكى كذلك .

إن كل الذين كتبوا عن السيرة النبوية و التاريخ الإسلامى مسلمين و غير مسلمين لم يذكروا أبدا أن جثمان النبى صلى الله عليه و سلم ترك حتى يرفع إلى السماء . و أنه لم يتغير و لم يحدث له تلك الشناعات التى قاءها علينا هذا المأفون الذى كان يرضى غريزته الفاسدة بالافتراء على الإسلام ونبيه .

---

(١) أ/ سعيد حوى ، الأساس فى السنة و فقهها السيرة النبوية جـ٢ صـ١٠٥١ :١٠٥٣ بتصرف . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م دار السلام القاهرة .

(٢) أ/ اتين دينيه ، سليمان إبراهيم الجزائرى ، محمد رسول الله صـ٣٠٥ ، ٣٠٦ .الطبعة الثالثة ١٩٥٩م الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة .

(٣) إميل درمنجم ، حياة محمد ، ترجمة عادل زعيتر هامش صـ٣٧٨ ، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ=١٩٤٩م ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة .

و لم تكن هذه الدعايات غريبة على الحياة الأوربية المتدنية فى العصور الوسطى و التى اشتملت على الخرافة فى أوسع صورها . و جمعت أوربا فى هذا العصر (بين الاعتقاد الإيطالى فى أرواح النبات و بين أرواح الماء و عفاريته عن " الكلتيين " . و بين معتقدات " التيوتون " فى " الغيلان " و جنيات " الفيرى " و بين وحوش السكنديناويين ... و طفق الفلاح يقيم حفلاته الموسمية العتيقة و يقدم الولاء لأرواح الخصب و النماء المرتبطة بأوقات البذار و الحصاد ...

و الواقع أن الناس فى تلك العصور كانوا كمن ينظر من خلال منظار معتم إلى أشكال العالم القديم و أحداثه البعيدة)[١] .

و اتسمت بالوحشية . ويدل على ذلك الممارسات اللإنسانية لجنود الحملات الصليبية . فبعد أن سقط بيت المقدس فى أيدى الصليبين ١٠٩٩م (كانت المذبحة التى دارت به رهيبة فظيعة . فإن الراكب على جواده كان يصيبه رشاش الدم . الذى سال فى الشوارع أنهارا . و ما أرخى ليل الخامس عشر من يوليه سدوله حتى كان الصليبيون قد شقوا سبيلهم قتالا إلى كنيسة القبر المقدس و تغلبوا على كل مقاومة فى المدينة . و هناك جثوا للصلاة ملطخين بالدماء . متعبين مكدودين يبكون من فرط السرور)[٢] .

و محال أن ننتظر من مثل هذه العقلية اتجاها علميا موضوعيا . يكون صادقا فى عرض الحقائق . قادرا على الوصول إليها . أمينا فى نقلها .

لقد قامت الحروب الصليبية إبان تلك العصور المظلمة . وأدى إلى قيامها (ازدياد روح التعصب الدينى لدى المسيحيين . ... و قد تبلور هذا التعصب فى إتجاه فكرى هو الاستشراق . حاول الغربيون عن طريقه طعن الإسلام . و التغلب على المسلمين . بعد أن فشل سلاح الحديد و النار . فقد نفر قوم من أهل الغرب . يدفعهم التعصب الدينى إلى الكتابة عن الإسلام . و قد شرع هؤلاء فى تعلم اللغة العربية لا حبا فيها . و لكن لاتخاذها وسيلة إلى قراءة القرآن ومناقشته . فى محاولة لتشويهه و تنفير الناس منه)[٣] .

وفى هذه المرحلة ظهر الاستشراق ، كصيغة غربية جديدة و كعمل مؤسسى منظم لحرب الإسلام

---

[١] هـ . سانت موس ، ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد صـ٤٠٩ بتصرف ، بدون ط ، ١٩٩٨م الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة .

[٢] هـ . ج . ويلز ، موجز تاريخ العالم ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد صـ٣٢٢ بدون ط ، ١٩٩٧م مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

[٣] د/ محمد عبد الفتاح عليان ، أضواء على الاستشراق صـ١٠ ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م دار البحوث العلمية ، برقيا ، الكويت .

(و كانت الحروب الصليبية هي المنبع الدفين الذي انبثق منه سيل الاستشراق . فقد كانت هذه الحروب فرصة لاتصال الغرب بالشرق . فكان لا بد للغرب المعتدي من معرفة ما يمكنه معرفته من أحوال هذا الشرق ومداخل السيطرة عليه و الاستبداد به . و من أهم الوسائل الموصلة إلى ذلك . دراسة ما يتعلق بالشرق لاستغلاله من جهة . و لتحوير ما يلزم للغرب تحويره من جهة أخرى)[١] .

رابعا : طور الانطلاق :-

(مما لاريب فيه أن القرن السادس عشر الميلادي . كان خطوة عظيمة في تطور الاستشراق . حيث بدأت الطباعة العربية فيها بنشاطها . فتحركت الدوائر العلمية . و أخذت تصدر كتابا بعد الآخر . و منذ ذلك الحين . خطا الاستشراق خطوة جديدة نحو الانطلاق . فانتشرت المدارس لتعليم العربية في أوربا كلها . و أقيمت المطابع لإصدار نفائس العرب . و أخذ العلماء و الرهبان يتسابقون في دراساتها .

و اهتم أباطرة الغرب بالمخطوطات العربية . فلم يألوا جهدا في اقتنائها . ثم طبعها على نفقتهم و بإشراف علمائهم . و تم كذلك إنشاء كرسيين للغة العربية . أحدهما في كمبريدج سنة ١٦٣٢م أسسه السير " توماس أدمز " و الآخر في أكسفورد سنة ١٦٣٦م أسسه رئيس الأساقفة)[٢] .

و في هذه المرحلة التي يمكن التأريخ لها من القرن السادس عشر الميلادي . أخذ الاستشراق يخطو خطوات واسعة . يتخذ شكلا أكاديميا أقرب إلى الكمال . (ففي نهاية القرن الثامن عشر و بالتحديد في شهر مارس " آذار " من عام ١٧٩٥م . قامت الحكومة الثورية في باريس بإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية . و قد كان التركيز فيها على وجه الخصوص على عنصر الفائدة العلمية . بالإضافة إلى ما يمكن أن تسهم به اللغات الشرقية في تقدم الأدب و العلم)[٣]

[١] د/ علي حسني الخربوطلي ، المستشرقون و التاريخ الإسلامي صـ٧٦ ، ٧٧ بتصرف ، سلسلة دراسات في الإسلام عدد ١١١ جمادى الآخرة ١٣٩٠هـ أغسطس ١٩٧٠ م . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .

[٢] د/ عبد الله سمك ، الاستشراق بين الجحود و الإنصاف صـ١٨ ، ١٩ بتصرف الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢ م مطبعة العمرانية ، جيزة ، مصر

[٣] أد/ محمود حمدي زقزوق الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، صـ٣٨ ، مرجع سابق .

و في (نهاية القرن الثامن عشر تأثرت حركة الاستشراق تأثرا كبيرا . إذ جاء نابليون إلى مصر مع جيشه و علمائه ١٧٨٩م – ١٨٠١م . و قرر أن يستغل اللغة العربية في تحقيق آماله و أهدافه . و طبع كتبا في تعليم العربية و هجاءها بالمطابع الفرنسية المرافقة للحملة . و قد أدى كل ذلك إلى توسيع دائرة الاستشراق . و عناية البلدان الأوربية بآداب العرب و ثقافتهم . و خاصة الدول المتنازعة على العالم العربي و شرع الغرب في إنشاء الجمعيات العلمية لدراسة الشرق .

خامسا : طور الازدهار

و حيث اتسعت دائرة الاستشراق و أصبحت ظاهرة . أخذت شكل العلمية فى أوربا . بدأ التنسيق بين هؤلاء المستشرقين . للتكامل في الجهود و الاستفادة من معطيات الأبحاث المختلفة عن كل منهم فأخذ المستشرقون يعقدون المؤتمرات الدولية مرة كل سنتين أو ثلاث سنوات أو بعد أربع . و تشرف على تنظيم كل مؤتمر لجنة من علماء الدولة . التي يعقد فيها المؤتمر لبحث جدولة أعماله ... و يضم المؤتمر مئات العلماء من أعلام المستشرقين ... فقد اشترك في مؤتمر أكسفورد ٩٠٠ عالم من ٢٥ دولة و ٥٨ جامعة و ٦٩ جمعية علمية)[١]

وبذلك بدأ العصر الحقيقي لازدهار الأعمال الإستشراقية . وفترة هذا الإزدهار هي بحق القرنان التاسع عشر والعشرون (بدأ المستشرقون في النصف الأول من القرن التاسع عشر في مختلف بلدان أوربا وأمريكا بإنشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية فقد تأسست :-

أولا :- الجمعية الأسيوية في باريس ١٨٢٢م.

ثانيا :- الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وأيرلندا ١٨٢٣م.

ثالثا :- الجمعية الشرقية الأمريكية ١٨٤٢م.

رابعا :- الجمعية الشرقية الألمانية ١٨٤٥م.)[٢]

---

(١) أ/ نجيب العقيقي ، المستشرقون جـ٣ صـ٣٦٧ بتصرف ، الطبعة الرابعة ، بدون ت ، دار المعارف ، القاهرة .

(٢) أ/د : محمود حمدي زقزوق . الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري صـ ٤١ ، مرجع سابق .

و قد بدأت هذه الجمعيات فى طبع المنشورات و المجلات و الدوريات الخاصة بها . و التى تنشر أعمالها فى شتى الميادين . و قد (زادت المجلات و الدوريات الشرقية لدى المستشرقين على ثلاثمائة مجلة متنوعة . عدا مئات تتعرض له فى موضوعاتها العامة . كمجلة القانون المقارن و محفوظات التاريخ . و مباحث العلوم الدينية . و هى تنشر بمختلف اللغات . و تتناول مباحث الشرق فى لغاته و أديانه وعلومه و آدابه و فنونه قديمها و حديثها)[1]

وقد كان " هامر برجشتال " قد أصدر أول مجلة استشراقية متخصصة فى أوربا و هى مجلة "ينابيع الشرق" و التى صدرت فى فيينا من عام ١٨٠٩م – ١٨١٨م .

و فى عام ١٨٩٥م ظهرت فى باريس مجلة تمنح اهتمامها بصفة خاصة للعالم الإسلامى و هى مجلة " الإسلام " و قد خلفتها سنة ١٩٠٦م مجلة العالم الإسلامى . التى صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية فى المغرب . و قد تحولت بعد ذلك إلى مجلة " الدراسات الإسلامية)[2] .

وهكذا يصل الاستشراق إلى صورته المؤسسية الكاملة . خلال القرنين التاسع عشر و العشرين و اللذان يعدان بحق زمان الأطروحات الاستشراقية . التى تستحق النظر و النقد . إما لأنها تتناول الدراسات الإسلامية بموضوعية و تجرد . و إما لأنها تتعمد التشويه والتحريف والخروج على النزاهة العلمية . و إن المتصفح لأعمال المستشرقين فى هذه الفترة يلمح العمل الضخم . ليس على مستوى الجمعيات والمدارس الاستشراقية فحسب . بل على مستوى الأفراد الذين تصل أعمالهم العلمية الخاصة بالشرق إلى مئات الأعمال . ما بين ترجمة . و تصنيف . و نقد . و طباعة . و نشر . و غير ذلك من سائر الأنشطة الاستشراقية .

---

(١) أ/ نجيب العقيقى ، المستشرقون جـ٣ صـ٣٧٧ ، مرجع سابق .

(٢) أد/محمود حمدى زقزوق :الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص٤١ ، ٤٢ ، مرجع سابق .



الباب الأول

دوافع الاستشراق

الفصل الأول

الدافع الديني

الفصل الثاني

الدافع الاستعماري

الفصل الثالث

الدافع الاقتصادي

الفصل الرابع

الدافع السياسي

الفصل الخامس

الدافع العلمي

الفصل الأول

الدافع الديني للاستشراق

تمهيد

بين يدى الدافع الدينى

المبحث الأول

الاستشراق ينطلق من خلفية دينية

المبحث الثانى

رجال الدين و الاستشراق

المبحث الثالث

طلائع المستشرقين الرهبان و طوائفهم

المطلب الأول : طلائع الاستشراق

المطلب الثانى : طوائف المستشرقين الرهبان

المبحث الرابع

الاستشراق و التنصير

المطلب الأول : مفهوم التنصير و التبشير

المطلب الثانى : الفرق بين الاستشراق و التنصير

المطلب الثالث : مؤتمرات التنصير

الفصـــل الأول

تمهيد

بيـــن يـــدى الـــدافـــع الـــديـنـــى

قد يتصور الإنسان نهاية للصراعات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتجارية . غيرأنى لا أتصور أبدا نهاية للصراع الفكرى الدينى .

إن الله تعالى خلق الإنسان وغرس فى ذاته الشعور بهيمنة القوة المطلقة التى انبثق عنها الوجود . ومن ثم كان وجوب الاتجاه إلى هذه القوة وحدها فيما ترجو وفيما تَحْـذَرُ . و فيما تطْلُبُ و فيما ترْهـب . يقول الحق تعالى ﴿ وإذأخذربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾ الأعراف ١٧٢ .

(إن الاعتراف بربوبية الله وحده فى الكيان البشرى . فطرة أودعها الخالق فى هذه الكينونة . وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته . وحكم ما تستشعره فى أعماقها من هذه الحقيقة ... إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى ...فقد أنشأهم مفطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده . أودع هذا فطرتهم . فهى تنشأ عليه . حتى تنحرف عنه بفعل فاعل يفسد سواءها ويميل بها عن فطرتها)[1] . عن طريق تربية خاطئة أو بيئة فاسدة .

والانحراف يكون عن التصور الصحيح للمعبود . وليس إنحرافا عن أصل الفطرة . و أما قول الماديين بالطبيعة . فهو اعتراف بوجود إله . فى صورة من صور الاستعلاء البشرى عن الرضوخ للحق و سنن الكون و أصل الفطرة .

(و نظراً لأن الشعور بوجود الخالق نابع من أصل الفطره . نجد الإيمان بقوة عُليا . فوق الطبيعه و فوق الأسباب . أمراً مشتركاً بين بنى الإنسان فى جميع البقاع . و بين شتى الأجناس و الأقوام . و فى مختلف مراحل التاريخ .

يقول الفيلسوف الفرنسى " برجسون° ": "لقد وُجِدتْ و توجد جماعات إنسانية من غير علوم و فنون وفلسفات و لكن لم توجد قط جماعات بدون ديانة " فالتدين فطرة و إن انحرف الإنسان عن الدين الحق .

---

[1] الأستاذ سيد قطب فى ظلال القرآن مجلد ٣ صـ١٣٩١ :١٣٩٣ بتصرف .طبعة ١٢ سنة ١٩٨٦م-١٤٠٦هـ ، دار الشروق ، القاهرة

° هنرى برجسون " ١٨٥٩-١٩٤١م=١٢٧٦-١٣٦٠هـ فيلسوف فرنسى ، منح جائزة نوبل فى الأدب العام ، لعام ١٩٢٧م=١٣٤٦هـ .قاموس المورد لمنير البعلبكى .طبعة ١٩٤٩م=١٤١٥هـ . دار العلم للملايين بيروت ، و بذيله تراجم للأعلام صـ١١ .

و يقول أرنست رينان* :"إنه من الممكن أن يضمحل كل شئ نحبه . وأن تبطل حرية استعمال العقل و العلم و الصناعة . و لكن يستحيل أن ينمحي التدين . بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة في الحياة الأرضية "[1] .

وإذا كان التدين أصيل في النفس البشرية . إلى الحد الذي يصل معه إلى درجة الغريزة التي لا غنى للإنسان عنها . فإن الصراع الناشيء عن هذه الغريزة أمدُهُ في الماضي والحاضر والمستقبل . بأمد هذه الغريزة كذلك .

ولعل سائلا يسأل : إذا كان التدين فطرة إنسانية وغريزة بشرية . فلماذا هذا التفاوت الشديد . وهذه الاتجاهات المتباينة بين الأديان ؟ ولماذا الانحراف الواضح في خط التَّدَيُّن البشرى ؟

وهو سؤال وجيه والإجابة عليه تتمثل فيما يلي :-

إن التفاوت بين الأديان . إنما يكون في التصور الصحيح للعقيدة . و ليس تفاوتاً في أصل الفطرة الدينية .فهناك من عبد إلهاً خاصاً به . ولا يسمح لغيره من البشر أن يشاركه في هذا الإله . فهو ابنه و حبيبه -و أعني بهم اليهود- و هناك من صعبت عليه و حدة الإله فجعل له عزوة** ينتسبون إليه و ينبثقون منه . و منهم من أرضى جوعته الدينية بعبادة حجر أو شجر أو شمس أو قمر...إلخ .

وبين أهل كل دين خلافات حول الأصول وحول الفروع . وصدق الله العظيم (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة و احدة ولايزالون مختلفين إلامن رحم ربك ولذلك خلقهم) هود١١٨ - ١١٩ .

قال الإمام فخر الدين الرازي :(والمراد : افتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال ... فإن قيل : إنكم حملتم قوله تعالى :" ولا يزالون مختلفين" على الاختلاف في الأديان .فما الدليل عليه ؟ و لم لايجوز أن يحمل على الاختلاف في الألوان و الألسنة و الأرزاق و الأعمال ؟

قلنا :الدليل عليه أن صدر هذه الآية هو قوله تعالى :"ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة " فيجب حمل هذا الاختلاف على ما يخرجهم من أن يكونوا أمة واحدة . و مابعد هذه الآية هو قوله تعالى "

---

* أرنست رينان ١٨٢٣-١٨٩٢م=١٢٣٩-١٣١٠هـ . دخل المدارس اللاهوتية و برز فيها و تضلع من اللغات الشرقية حتى صار من ثقاتها ، نزل لبنان حيث صنف كتابه حياة يسوع في دير الآباء اليسوعيين و من آثاره كتاب " ابن رشد و الرشديين . العقيقي جـ١ صـ ١٩١ .

[1] الدكتور يوسف القرضاوي ـالعبادة في الإسلام ـطبعة١٥ سنة ١٤٠٥ هـ ـ١٩٨٥ ـمكتبة و هبه ـالقاهرة .

** اعتزى إلى فلان : انتسب إليه صدقا أو كذبا ، ... و العزوة : الانتساب ، و العزوة : دعوة المستغيث . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٥٩٩ ، بدون ط بدون ت ، مؤسسة دار الدعوة ، استانبول ، تركيا .

إلا من رحم ربك " فيجب حمل هذا الخلاف على معنى يصح أن يستثنى منه قوله تعالى : " إلا من رحم ربك " وذلك ليس إلا ما قلنا .)[١] .

ومن المناسب هنا أن نعيد قول الفيلسوف الفرنسي " برجسون " : لقد وجدت و توجد جماعات إنسانية من غير علوم و فنون و فلسفات ولكن لم توجد قط جماعات بدون ديانة ".

إن فطرة التدين التي غرسها الله في نفوس البشر من الصعب أن يجتث الإنسان جذورها . حتى لو تظاهر بذلك . ومن ثم فإنه من الممكن جدا . أن يتخلى الإنسان عن أيديولوجيته[°] السياسية أو الاقتصادية أوالعسكرية إلاأنه من الصعب جداً أن يتخلى عن ديانته.لقد كان و لايزال الصراع الديني من أعنف وأشرس الصراعات على الإطلاق .و المعركة التي يضرم جذوتها صراع ديني . لاتنتهي أبدا . وإنما تنتهي لتبدأ في صورة جديدة من الصور التي يراها أحد الأطراف سبيلا إلى إنجاح فكرته .

و لئن كان ما أسلفت يحمل صفة العموم . إلاأنه أخص مايكون في حرب الأديان المحرفة للإسلام . لقد كان من العجيب أن تتناسى القوى المتناحرة قديماً أضغانها . و تجتمع راياتها . و تتوحد كلمتها . في مواجهة العدو الجديد الزاحف، من قلب الجزيرة العربية .

(لقد كانت بين الرومان و الفرس عداوات عمرها قرون . .و لكن ما إن ظهر الإسلام في الجزيرة . وأحست الكنيسة بخطورة هذا الدين الحق على ما صنعته هي بأيديها و سمته " المسيحية " . وهو ركام من الوثنيات القديمة و الأضاليل الكنسية . . متلبساً ببقايا من كلمات المسيح عليه السلام وتاريخه . حتى رأينا الرومان والفرس ينسون ما بينهم من نزاعات تاريخية قديمة . وعداوات و ثارات عميقة . ليواجهوا هذا الدين الجديد . . نسي الرومان عداواتهم مع الفرس . وأخذ النصارى يعينون الفرس ضد الإسلام في جنوب الجزيرة)[٢] .

---

(١) الإمام فخر الدين الرازي - مفاتيح الغيب مجلد ٨ صــ٦٣٦،٦٣٧ـ بتصرف الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ د ١٩٩٢ م - دار الغد العربي .

° إيديولوجية (Ideologic (F) – Ideology(E)) كلمة معربة و أصلها مركب من Idee بمعنى " فكرة ، وLogic بمعنى علم . فهي اشتقاق علم الأفكار و يراد بها ذلك العلم الذي يدرس الأفكار من حيث نشأتها و أشكالها و قوانينها و علاقاتها بالأمور الخارجية و الألفاظ الدالة عليه . و لم تعرف الكلمة إلا في أخريات القرن التاسع عشر و قد ابتكرها " نستون دي تراس " و شاع اللفظ بعد ذلك و لكنه انطوى على شيء من السخرية و أريد به البحث الأجوف و المناقشة غير القيمة و التفكير الخيالي ، و اسود اللفظ شيئا من اعتباره على يد كارل ماركس و يراد به مجموعة الآراء والمعتقدات التي تسود في مجتمع ما فالإيديولوجيا صبغة المجتمع . و إذا قال بها شخص ما ، فإنما هي وحي من الظروف السياسية و الاقتصادية والفكرية التي يعيش فيها . معجم العلوم الاجتماعية صـ٨٧ إعداد لجنة من الأساتذة المصريين و العرب المتخصصين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م =١٣٩٥ .

(٢) الأستاذ/السيد قطب - في ظلال القرآن مجلد ٣ صــ١٦٢٨،١٦٢٩ـ بتصرف.

والتاريخ يشهد على التحالفات التي قامت بين الفرس و النصارى ضد الإسلام . ففي كتاب أيام العرب في الإسلام (كان خالد بن الوليد . قد أصاب يوم الولجة* من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا أهل فارس فغضب لهم نصارى قومهم . وكاتبوا الأعاجم . وكاتبهم الأعاجم . فاجتمعوا إلى أليس** وعليهم عبد الأسود العجلي .و بانده " جابر بن بجير " . ومالك بن قيس . وبلغ ذلك " أردشير " . فكتب إلى " بهمن جاذويه " أن سِرْ حتى تقدم " أليس" بجيشك . إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب)[1]

إن حمى الضغائن على الإسلام و المسلمين . تذيب جليد الثارات القديمة بين أهل الأديان . فلايبقى إلا الإسلام والخوف من الإسلام . و الرغبة الملحة في القضاء على هذا الدين .

و الحق سبحانه و تعالى . يقرر هذه الحقيقة في قرآن يتلى إلى يوم القيامة . فيقول سبحانه ﴿ ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن أستطاعوا ﴾ البقرة ٢١٧ .

(و هذا التقرير الصادق من العليم الخبير . يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر . و على فتنة المسلمين عن دينهم . بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم . و هو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض و في كل جيل . إن وجود الإسلام في الأرض بذاته . هو غيظ و رعب لأعداء هذا الدين . ولأعداء الجماعة المسلمة في كل حين . إن الإسلام بذاته يؤذيهم . و يغيظهم ويخيفهم . فهو من القوة ومن المتانة بحيث يخشاه كل مبطل . ويرهبه كل باغ . و يكرهه كل مفسد . إنه حرب بذاته . و بما فيه من حق أبلج . ومن منهج قويم . ومن نظام سليم .

إنه بهذا كله حرب على الباطل والبغي والفساد . و من ثمَّ لايطيقه المبطلون البغاة المفسدون . ومن ثم يرصدون لأهله ليفتنوهم عنه . ويردوهم كفاراً . في صورة من صوره الكثيرة . ذلك أنهم لايأمنون على باطلهم وبغيهم و فسادهم وفي الأرض جماعة مسلمة . تؤمن بهذا الدين و تتبع هذا المنهج . وتعيش بهذا النظام . وتتنوع و سائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته . ولكن الهدف يظل ثابتاً . أن

---

* والولجة: من أرض كسكر في الشمال من المذار وهي موضع وقعت فيه معركة بين خالد بن الوليد وأندرزغر من الفرس في صفر سنة ١٢ هـ =٦٣٣م أيام العرب ص١٩١

** أليس: قرية من قرى الأنبار في منتصف الطريق بين الحيرة والأبلة وهي موضع معركة خالد بن الوليد وبهمن جاذويه من الفرس في صفر سنة ١٢هـ =٦٣٣م أيام العرب ص١٩٣

(١) ـ محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ، أيام العرب في الإسلام ص١٩٣ الطبعة الرابعة ، سنة ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م ، دار إحياء الكتب العربية ، الحلبي ، القاهرة .

يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا . وكلما انكسر في يدهم سلاح . انتضوا سلاحاً غيره . وكلما كلّت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها)[1] .

إن الحرب على الإسلام و أهله قديمة جديدة . و طريقها واسع مطرد . لم ينقطع إلى يوم الناس هذا . وإنما تتغير الأدوات و الوسائل .

كان الإسلام حربا على النصرانية الضالة المحرفة . واليهودية المغضوب عليها . فكشف عوارهما وبُعدهما عن خط الرسالة الإلهية . التي جاء بها موسى و عيسى عليهما السلام . و كان امتداد الإسلام انحسارا للنصرانية . و كان مدُّهُ جزْرا لها . فاحتبست غيظها إلى حين تسنح الفرصة . للانتقام من هذا العدو اللدود . فلم تلجأ أبداً إلى اللسان طالما أمكنها الحسام . و صدق الله العظيم ﴿ لايرقبون في مؤمن إلا ولاذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ التوبة آية ١٠ .

و صدق الله ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء و يبسطوا إليكم أيديهم و ألسنتهم بالسوء وودوا لوتكفرون ﴾ الممتحنة آية ٢ .

إن الحقد الأسود للأديان على الإسلام . قد اختطَّ لنفسه في قلب التاريخ الإنساني طريقا مشئوما مظلما اختلطت فيه الأشلاء والدماء بالأكاذيب والافتراءات . ولن تعجزنا الشواهد والوقائع التاريخية على صدق ما أسلفتُ . وإنني أجتزئ من هذه الوقائع مشهدا تكاثفت فيه قوى الشر ضد الإسلام والمسلمين . إنه ذلك المشهد الأليم . حين هجم التتار – و هم قوم و ثنيون – على بغداد في سنة ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م .

ويصف لنا " الحافظ ابن كثير " الموقف فيقول : (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان . ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقني الوسخ . وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون . وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات . ويغلقون عليهم الأبواب . فتفتحها التتار . إما بالكسر . وإما بالنار . ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة ، فيقتلونهم بالأسطحة . حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقَّة . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكذلك في المساجد والجوامع والربط . ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم ")[2] .

---

[1] سيد قطب ، في ظلال القرآن جـ١ صـ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، مرجع سابق .

[2] الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٣ ـ صـ٢٠٥ الطبعة الأولى ، بدون ت ، النور الإسلامية ، القاهرة .

ويعلق الأستاذ / سيد قطب على هذا فيقول (ذلك أن اليهود والنصارى – من أهل الذمة – كانوا ممن كانب التتار . لغزو عاصمة الخلافة . والقضاء على الإسلام والمسلمين فيها . وممن دلوا على عورات المدينة . وشاركوا مشاركة فعلية في هذه الكارثة . واستقبلوا التتار والوثنيين بالترحاب . ليقضوا لهم على المسلمين . الذين أعطوهم ذمتهم ووفروا لهم الأمن والحماية ")[1] .

و هذا غيض من فيض الغدر و الخيانة للإسلام و للمسلمين . وإلا فإن التاريخ شاهد حق على هذا وغيره .

ليس فقط بأقلام المؤرخين المسلمين . بل بأقلام المؤرخين و الكتاب المسيحيين . فهذا جوستاف لوبون[✪] وهو الفرنسي المسيحي يعرض إحدى الصفحات المظلمة للحروب الصليبية فيقول :

(كان أول ما بدأ به " ريكاردوس الإنجليزي[✪] " – بطلق على قلب الأسد – . أنه قتل أمام معسكر المسلمين ثلاثة آلاف أسير سلموا أنفسهم إليه . بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم . ثم أطلق لنفسه العنان . باقتراف القتل و السلب . مما أثار " صلاح الدين الأيوبي " النبيل . الذي رحم نصارى القدس فلم يمسهم بأذى . والذي أمد " فيليب " و " قلب الأسد " بالمرطبات والأدوية و الأزواد أثناء مرضهما)[2]

إنني أسمع الصمت من حولي . يوحي بقول الحق سبحانه و تعالى : ﴿ لايرقبون في مؤمن إلا و لاذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ التوبة ١٠ .

إن محاكم التفتيش . و أحداث انفصال باكستان عن الهند . و ما فعل الشيوعيون مع المسلمين في الصين وروسيا . واليهود في فلسطين . والشيوعيون في يوغسلافيا[✪✪] قديما . و الصرب مع المسلمين

---

(١) سيد قطب . في ظلال القرآن جـ٣ صـ١٦٠٨ . مرجع سابق .

✪ جوستاف لوبون . ولد عام ١٨٤١م . فرنسي طبيب و مؤرخ . عني بالحضارة الشرقية . من آثاره الحضارة المصرية تعريب الأستاذ صادق رستم ، و حضارة العرب ١٨٨٤م و عربه الأستاذ عادل زعيتر . العقيقي جـ١ صـ٢٠٢ .

✪ ريتشارد الأول ، ريكاردوس الأول ، ١١٥٧ - ١١٩٩م ، ملك إنجلترا ١١٨٩ - ١١٩٩ . [illegible] صـ٧٤ .

(٢) أ/ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جـ٣ صـ١٦٢٩ . مرجع سابق .

✪✪ دخل السلطان العثماني مراد الأول بلاد الصرب بعد معركة " كوسوفو " عام ٧٩٢هـ=١٣٨٩م ، و بعد عام ٨٦٤هـ=١٤٥٩م . في عهد السلطان محمد الفاتح غدت بلاد الصرب ولاية عثمانية ، فلما فتحها أقبل أهلها على الإسلام طواعية و رغبة . تنازل العثمانيون عن البوسنة و الهرسك للنمسا سنة ١٢٩٥م= ٦٩٥هـ و بدورها بدأت النمسا في اضطهاد المسلمين الذين نزحوا إلى بلاد الأناضول والمناطق التي بقيت بيد العثمانيين . و استمر النزاع بعد ذلك و لا زالت حتى يوم الناس هذا . انظر التاريخ الإسلامي د/محمود شاكر جـ٢٢ صـ٤٥٦ . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

في البوسنة و الهرسك حديثا . وما فعل المسيحيون الفلبينيون مع المسلمين في جنوب الفلبين .

كل ذلك وغيره يفصح بما لا تفصح عنه الكلمات . و يعجز دونه البيان . من حقد وغدر وخيانة وكره ورغبة في إفناء الإسلام وأهله .

و هنا أنقل فقرة عن مؤلَّف أوربي صدر سنة ١٩٤٤م فيه : (لقد كنا نخوَّف بشعوب مختلفة و لكننا بعد اختبار . لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف . لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر وبالخطر البلشيفي° .إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه . إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا . وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد . ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا . أما الشعوب الصفراء فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها . و لكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قوته على التوسع والإخضاع . وفي حيويته ..إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي)[١]

إن نظرة الغرب أو المسيحية للإسلام . نظرة خاصة . ولم تبنُ هذه النظرة الخاصة على أسس موضوعية لها قيمتها في موازين البحث العلمي النزيه . وإنما لها خلفية عدائية قديمة جديدة كانت ولا تزال .

و إن الاستشراق إحدى صور العداء للإسلام .ذلك العداء الذي لم ينقطع أبداً . بل تشكَّل في كل مكان وزمان . حسب ما أتيح للنصرانية من وسائل .

ففي زمان كان السيف والأسنة والرماح . وحين عجزت تلك الوسائل أمام المد الجارف للإسلام .بدأت وسائل التشويه . وبث الأراجيف . والتشكيك في مصادر الإسلام ـ القرآن والسنة ـ وإثارة الشبهات حول الرسول ﷺ .

ولم تكن بداية تلك الحملة الصليبية في القرون الوسطى أو قبلها بقليل حسب الاختلاف في بداية الاستشراق .بل بدأت قبل ذلك بكثير . والقرآن الكريم يسجل لنا طرفاً من هذا التهافت .

يقول تعالى ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾ النحل ١٠٣ .

° البلشفية نظام قام في روسيا و يرتبط هذا اللفظ في نشأته بحادث تاريخي أكثر من ارتباطه بتنظيم سياسي و اقتصادي ، فقد حدث خلال المؤتمر السامي الذي عقده الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي في بروكسل و لندن عام١٩٠٣م=١٣٢١هـ ، أن أثيرت مناقشات عنيفة حول تكوين الحزب و الرغبة في إعادة تنظيمه و تحديد صلاحيات العضو العامل ، فانقسم الأعضاء إلى فريقين : الفريق الأول يتزعمه " لينين " و قد انضم إليه معظم الأعضاء ، فسمي هو و أتباعه بالبلاشفة Bolishevhks ، و معناه " الأغلبية " ، معجم العلوم الاجتماعية صـ٩٧ .

[١] في ظلال القرآن ـ جـ٣ صـ١٦٣٠ . مرجع سابق .

و يقول جل شأنه ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم ءاخرون فقد جاءوا ظلما وزورا ﴾ الفرقان ٤ .
وقال تعالى : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾ الفرقان ٥ .

يقول المستشار " محمد عزت الطهطاوى " (و لم يكن المستشرقون هم أول المشككين للمسلمين في عقائدهم بل كان لهم إخوان من قبل طبقا للآتي :-

أولا : في بلاط خلفاء الأمويين . كان " يوحنا الدمشقي ٥ " وإخوانه من النصارى . يعملون على إدخال الآراء المشككة المحيرة بين المسلمين . ولقد لقّن يوحنا طائفة كبيرة من أنصاره . قصصا وأخبارا مزورة عن النبي ﷺ . وطلب منهم أن ينشروها . ويروجوها بين المسلمين . كالقصة التي زعموها عن عشق النبي ﷺ لزينب زوجة زيد بن حارثة ..

ثانياً : في بلاط خلفاء الدولة العباسية . قام " ابن بختيشوع " النصراني . بما قام به يوحنا النصراني في الدولة الأموية . فعمل على تشكيك المسلمين وقتئذ في بعض أموردينهم . بما كان يخترعه ويروجه هو وأنصاره)[١] .

واستمرت هذه الحملة على الإسلام و لم تنقطع . فالإمام " أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري " المتوفى في القرن السابع الهجري ألف كتاباً (رداً على النصارى الأقباط بمصر لتأليفهم كتاباً ينتقدون فيه المسلمين بعنوان " الصائح في جواب النصائح ")[٢] .

٥ يوحنا الدمشقي " ٦٧٥-٧٤٩ م " ولد في دمشق من آباء و معلمي الكنيسة حفيد منصور بن سرجون رئيس ديوان المال على عهد معاوية ... ألف في اللاهوت و الفلسفة و الخطابة و التاريخ و الشعر و الألحان الدينية .المنجد في اللغة و الأعلام صـ٧٥٣ . الطبعة ٢٦ . ١٩٧٣م بيروت لبنان.
[١] المستشار محمد عزت الطهطاوى ـالتبشير و الاستشراق حملات و أحقاد صـ٤٦،٤٧ ، بتصرف ، الطبعه الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة .
[٢] أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري ، الرد على النصارى ـ صـ١١ ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

والإمام القرطبي - سواء القرطبي المفسر أم قرطبي* آخر - على خلاف بين العلماء - قد ألف كتاباً تحت عنوان : " الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام و إظهار محاسن دين الإسلام و إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ " . (وهو رد على كتاب ألفه أحد النصارى . سماه " تثليث الوحدانية " بعث به من مدينة طليطلة** إلى مدينة قرطبة*** فرغ منه ٦٨٤هـ = ١٢٨٥م) [1] .

وكذلك ألف الشيخ الإمام " نجم الدين البغدادي الطوفي الحنبلي السلفي " المتوفى سنة ٧١٦هـ = ١٣١٦م كتاباً تحت عنوان : " الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان " وهو رد على نصراني طعن في الإسلام .

وكذلك الإمام ابن تيمية . ٦٦١ :٧٢٨ هـ = ١٢٦٢ : ١٣٢٧م - ألف كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " .

ولقد كان هذا الكتاب ردا على الرسالة القبرصية لأسقف أنطاكي . كان يثير الشبهات حول الدين الإسلامي .

إن هذه الكتب وغيرها كثير و كثير . تدل على الهجمة الشرسة على الإسلام . وهي كما نرى قبل الميلاد الرسمي للاستشراق بأمد بعيد .

---

* ينسب إلى قرطبة جماعة وافرة من أهل العلم منهم : أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي .... و أحمد بن محمد بن عبد البر أبو عبد الملك ت٣٣٨هـ =٩٤٩م. ... و أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن حناد بن لقيط الرازي الكناني ت٣٤٤هـ=٩٥٥م . ... و حباب بن عبادة الفرض أبو غالب القرطبي .... و حسن بن الوليد بن نصر أبو بكر يعرف بابن الولد ... و خالد بن سعد القرطبي ت٣٥٢هـ=٩٦٣م . و غيرهم كثير . معجم البلدان ياقوت الحموي تحقيق فريد عبد العزيز الجندي جـ٤ صـ٣٦٨، ٣٦٩ ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ=١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

** طليطلة وينطقها المغاربة طُلَيْطُلة .... مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس .... كانت قاعدة ملوك القرطبيين و موضع قرارهم و هي على شطي نهر تاجه ... و ذكر قوم أنها مدينة " دقيانوس " صاحب أهل الكهف ، قالوا و يقرب منها موضع يقال له : جنان الورد ، فيه أجساد أصحاب الكهف لا تبلى إلى الآن و الله أعلم ... و من خاصيتها أن الغلال تبقى في مطاميرها ٧٠ سنة لا تتغير . و كانت في أيدي المسلمين إلى أن ملكها الإفرنج سنة ٤٧٧هـ =١٠٨٤م . و كان الذي سلمها إليهم يحيى بن يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر بالله ... و ينسب إليها جماعة من العلماء منهم : أبو عبد الله الطليطلي ت٤٥٨هـ= ١٠٥٦م وروى كتاب الإمام مسلم بن الحجاج و عيسى بن دينار بن واقد الغافقي الطليطلي ت ٢١٢ هـ =٩٢٤م .بتصرف من معجم البلدان ياقوت الحموي جـ٤ صـ٤٥، ٤٦ .

*** قرطبة : كلمة أعجمية رومية ، و لها في العربية مجال يجوز أن يكون من القرطبة و هو من العدو الشديد ، قال الأصمعي : طعنه فقرطبه : إذا صرعه ، وهي مدينة عظيمة بالأندلس و مركزا حضاريا يقصده الطلاب و العلماء من أوربا للعلم و التمدن كما كانت مركزا سياسيا متألقا يقصده ملوك بيزنطة و أسبانيا المسيحية بالسفارات و الهدايا . انظر الصراع بين العرب و أوربا د/ عبدالعظيم رمضان صـ٢٠٩ دار المعارف ومعجم البلدان صـ٤ صـ٣٦٨ .

[1] الإمام القرطبي - الإعلام- جـ١ صـ ٥ ، بدون ط ، بدون ت ، دار التراث العربي ، القاهرة .

إن حركة الاستشراق هجمة شرسة على الإسلام . حمل لواءها مستشرقون تفرقت مواطنهم واختلفت دياناتهم . ولكنهم اتحدوا على النيل من هذا الدين . ولئن كانت دوافع هذه الحركة متعددة . إلا أن الدافع الديني يبرز من بينها بوضوح ويحظى بنصيب كبير كقوة دفع لهذه الحركة الفكرية .

بل أستطيع القول : إن الدافع الديني هو أقدم الدوافع وأقواها . ولئن كان الدافع الاستعماري○ ينازعه القوة لا سيما إبَّان حركة الاستعمار الغربي . حيث كان المستشرقون والمبشرون طلائع الاستعمار . إلا أن الدافع الديني كان قوة دفع للاستشراق لا يستهان بها .

و لا عجب فقد أسلفتُ أن التدين فطرة إنسانية . ويتَّبع ذلك أن الحرب من أجل الدين أشرس الحروب التي يصطلي بنارها بنو آدم . وفيما يلي ألقي الضوء على الدافع الديني للاستشراق .

○ استعمار colonization (E) colonisation (f) . نزعة بعض الشعوب القوية إلى أن تستعمر [illegible] و تبسط نفوذها على شعوب [illegible] ضعيفة من و سائل الإمبريالية ، و تدفع إليها أسباب سياسية و اقتصادية . و تخضع المستعمرات [illegible] بها من [illegible] لا يمكن أن يتعارض مع ذلك . و الاستعمار قديم قدم الإنسان . و نحن نعرف [illegible] مصر و [illegible] الاستعمار القديم و جه في الامبراطوريتين الرومانية و البيزنطية . و في التاريخ الحديث بدأت حركة استعمارية واسعة تنافست [illegible] في بسط نفوذها و احتكار حاصلات المستعمرات و ضمان أسواق تصريف تجارتها و مصنوعاتها و كان في مقدمة المتنافسين الأسبان و البرتغال من جانب و البريطانيون و الفرنسيون من جانب آخر ، تسابقوا إلى أفريقيا و آسيا و تقاسموها فيما بينهم . و كان القرن التاسع عشر ميدانا فسيحا لهذا التنافس الحاد ... و يراد أن يحل محله - هذا الاستعمار القديم - ضرب من العلاقات الاقتصادية و الثقافية التي تربط شعبا بآخر و تمكن الشعب القوي من أن يبسط نفوذه مرة أخرى على الشعب الضعيف . معجم العلوم الاجتماعية صـ٣٥ .

المبحث الأول

الاستشراق ينطلق من خلفية دينية

(لقد أذهل النصارى المد السريع للإسلام . والذى زحف على المعاقل المسيحية . وطرق أبوابها . ومن هنا فكرت البابوية في روما في مواجهة هذا الزحف عن طريق الاستشراق . فدفعت بالرهبان° والقسس°° إلى دراسة اللغة العربية ") [1]

لقد (أدى التفوق العسكرى والحضارى للمسلمين . إلى تحول أعداد كبيرة من المسيحين إلى الإسلام . كما أن كثيرا ممن بقوا على نصرانيتهم . أعجبوا في قرارة أنفسهم بالإسلام والمسلمين . مما حمل الرهبان على قيادة حركة لدراسة اللغة العربية . وترجمة التراث الإسلامي . بقصد تشويهه . وحجب محاسنه عن الجماهير المسيحية . الخاضعة لنفوذهم . ومن أجل ذلك أنشئ أول مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان°°° . كما أمر الفاتيكان بإدخال اللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى في مدارس الأديرة°°°° والكاتدرائيات ") [2]

إن الكل يعرف و (يعرف الواقع التاريخي . أن حركة الاستشراق الضخمة لم تنشأ أصلاً لخدمة الفكر واستنقاذ تراث الشرق والإسلام من الضياع . و إنما بدأت أول ما بدأت في رعاية الكنيسة الكاثوليكية . وخضعت لإشراف دقيق منظم من كبار أحبارها . و كان الرهبان والقصاد الرسوليون°°°°° هم جنودها الأولون) [3] .

° جمع راهب و هو المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا و ملاذها . زاهدا فيها معتزلا أهلها . المعجم الوسيط جـ١ صـ٣٧٦ .

°° القس رئيس من رؤساء النصارى في الدين ، وهو الآن في مرتبة بين الأسقف و الشماس . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٧٣٤ .

[1] – أ.د/سعد الدين السيد صالح – احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام. جـ١ صـ١٠١ . الطبعة الثانية ١٤١٣هـ = ١٨٩٣م ، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، الزقازيق .

°°° الفاتيكان : أو دولة مدينة الفاتيكان ، إقليم له الشخصية الدولية ، بناء على معاهدة " لا تيران " مع الحكومة الإيطالية و التي تقع مدينة الفاتيكان في قلب إقليمها ... و تبلغ مساحتها ١٠٨ فدانا ... لها محطة سكة حديد مستقلة و إذاعة خاصة ... و البابا هو رئيس دولة الفاتيكان و سلطاته مطلقة تشمل التشريع و التنفيذ و القضاء . القاموس السياسي أحمد عطية الله صـ ٨٤٥ ، دار النهضة العربية ١٩٦٨م =١٣٤٧هـ .

°°°° الدير : بيت يتعبد فيه الرهبان ... و موطنه غالبا الصحارى و رؤوس الجبال ، فإن كان في المصر سمي : كنيسة أو بيعة ، و ربما فرق بينهما في علو الكنيسة لليهود ، و البيعة للنصارى ، قال الجوهرى : و دير النصارى أصله : الدار ، و الجمع : أديار . معجم البلدان جـ٢صـ٥٦٣ .

[2] – د/ محمد عبد الفتاح عليان _ أضواء على الاستشراق – صـ٤٣ ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م دار البحوث العلمية . الكويت .

°°°°° القاصد الرسولى لقب يطلق على مندوب البابا الذى يمثله في الدول الأجنبية ، و هو يعادل السفير ... و يليه في المرتبة وكيل القاصد الرسولى و هو يعادل درجة الوزير المفوض أو المبعوث فوق العادة . القاموس السياسى ، أحمد عطية الله صـ١٧١ ، ١٩٦٨م ، دار النهضة العربية القاهرة .

[3] المهندس زكريا هاشم زكريا ـ المستشرقون والإسلام ـ صـ٢٠ ، بدون ط ، بدون ت ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .

نعم لقد كان الأحبار والرهبان هم طلائع حركة الاستشراق وروادها . مدفوعين إلى ذلك بما رأوه من المد الإسلامي في شتى الميادين . والذى بهر المسيحيين بما فيه . من معقولية في العقائد . وروحانية في العبادات . وواقعية في المعاملات . و سمو وسمو وروعة في الأخلاق . وما واكب ذلك من حضارة إسلامية متوازنة . لم يُسبق الإسلام إليها . فأقبلت الجماهير المسيحية على الإسلام اعتناقا . و من لم يعتنقه . أقبل على مراكز الحضارة الإسلامية . لينهل من علومها . و يستزيد من فنونها . و لقد كان هذا الإقبال غُصة في حلوق الرهبان . الذين أعماهم الكره لهذا الدين . لا لسبب إلا لعماية البصيرة و فقدان الموضوعية .

(و قد نقل المؤرخ " دوزى " في كتابه عن الإسلام في الأندلس . رسالة لكاتب مسيحي أسباني في ذلك العصر . ينعي فيها اللاتينية والإغريقية . وينكر على أبناء قومه هذا الإقبال على اللغة العربية . ومنها قوله : (إن أرباب الفطنة والتذوق . سحرهم رنين الأدب العربي . فاحتقروا اللاتينية . وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها . وأنهم يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم . ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون . ولايفعلون ذلك لإدحاضها والرد عليها . بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح . فأين اليوم من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والإنجيل غير رجال الدين ""

وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الأنبياء ... وا أسفاه .. إن الجيل الناشىء من المسيحيين الأذكياء لايحسنون أدبا أو لغة غير الأدب العربي واللغة العربية . وإنهم ليلتهمون كتب العرب . ويجمعون منها المكتبات بأغلى الأثمان)[1] .

إن هذه اللهجة الآسفة الحزينة . تلقى بظلال الحضارة الإسلامية الباهرة . وتكشف في الوقت ذاته عن نفسية الرهبان . التي كانت تصطرع فيها مشاعر الغضب و الحقد على هذا الدين

و لذلك أقول : لاعجب أن كان الرهبان ورجال الدين . هم طليعة حركة الاستشراق . وليس ذلك طلبا للموضوعية . ولكن لحجب نور الإسلام وحضارته عن الجماهير المسيحية . وأيضا كما قال المستشرق الألماني "رودى بارت" :-

(لإقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام ، واجتذابهم إلى الدين المسيحي . و لذلك كانت دراسة المستشرقين للإسلام في أغلبها ، كما يقول أحد الباحثين تاريخاً و تشريعاً غير مخلصة ولا نزيهة

---

[1] المهندس زكريا هاشم زكريا ـ المستشرقون والإسلام صـ١٧ . مرجع سابق .

ولا علمية . ولا موضوعية . وإنما كانت رغبة في التشفي و الانتقام من الإسلام وكتابه ورسوله)[١]

لقد كانت الروح الصليبية المتجددة في أنفس النصارى .هي السبب في هذا الإجحاف اللامعقول للاسلام .

(وهناك عقدة مدنية و عقدة دينية . إذا سهل الخطب في الأولى. عسر في الثانية . لأنها صعبة المراس متعذرة على الانتزاع . مهما جهدتَ بكل جهدك . و جمعت كل عقلك . و حُكْمُ الغرب على العرب منبعث في الأصل من تباين في المعتقدات . والمعتقدات وليدة التسليم و الاستهواء والعادات . و من الصعب استئصال ما تأصل في النفوس بمرور الأيام . لأن العناد في الاعتقاد . فطرة لاتبغي عنها النفوس البشرية حولاً...

لقد رُبِّي الغربيون في عاطفة أن النصرانية أرقى من الإسلام بكثير . وأن رسالتها أن تهدي المسلمين إلى دين المسيح ...

إن أهم أسباب الجفاء بين الغربيين والشرقيين في القرون الأولى من الهجرة . كون الإسلام جاء لهداية البشر كافة . فأتى على الوثنية في البلاد التى انتشر سلطانه فيها . ودخل فيه من الصابئة واليعاقبة والنساطرة والمجوس واليهود وغيرهم جمهور كبير . و خافت أوربا النصرانية من تسربه إلى ربوعها . فاتفقت كلمة الملوك و رجال الدين على حربه . حتى وقفت دعوته عند جزيرتي الأندلس وصقلية وما إليهما ...ثم كانت الحروب الصليبية بأيامها ولياليها الحبالي . ودامت قرنين من الزمان حتى كتبت الغلبة الأخيرة للإسلام .

وبديهي بعد هذه الطوائل والأحقاد التي طالت لياليها السود . أن يقول الخصم في خصمه ما قد يحط من قدره ويصغر من أمره . ولايفوتنا النظر أن الجهل كان فاشياً في الغرب . إبان العصور الوسطى . وأن الدين في أوربا . كان آخذاً بمخنق كل عالم و باحث)[٢] .

و إذا كان الإسلام قد أمرنا أن لا نجادل إلا بالتى هى أحسن . و أن أخلاقيات الإسلامية تمنع المسلم أن يختلق ما يشين به الآخرين و لو على غير ملة الإسلام . إلا أن كل هذا مباح في عرف الصليبيين الذين اتخذوا البحث العلمي ستارا لدسائسهم ضد الإسلام و مؤامراتهم ضد المسلمين .

---

[١] د/محمد عبد الفتاح عليان – أضواء على الاستشراق صـ٩ . مرجع سابق .

[٢] – أ/ محمد كرد على – الإسلام والحضارة الغربية ، صـ٢ ، ٣ بتصرف ، الطبعة الثالثة – ١٩٦٨م=١٣٨٨ هـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

إن هذا النص السابق يلقي بظلال واضحة . ويكشف اللثام عن النفسية التي درست الإسلام . وأقبلت على علومه وفنونه . ولاشك أن نتائج هذه الدراسة . تمثل الثوابت و الخلفية النفسية والفكرية . التي انطلق من خلالها المستشرقون من بعد ذلك . في دراستهم ونظرتهم للإسلام .

و يتضح أن النصارى عامة . ورجال الدين بصفة خاصة . حين رأوا جُزُر المسيحية . بل ترنُّحها أمام الزحف الإسلامي الكاسح . ملأ قلوبهم كرها . و حقدا على هذا الدين . والذى حاولوا كبح اندفاعه بالقوة فعجزوا . وأخفقوا أشد الإخفاق . فبدأوا في دراسته . وإلقاء الشبهات حوله . لزعزعة الثقة في نفوس أبنائه من ناحية . و لحجب نوره عن المسيحين الذين دخلوا فيه أو الذين كادوا من ناحية أخرى .

و (لقد نزل كثير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية . إلى ميدان الاستشراق . بقصد التبشير وتدريب المبشرين على العمل في بلاد الشرق . لهذا كان لابد من تكليف مبعوثيهم بتعليم اللغة العربية . فانتشر تعليمها في المعاهد الدينية و بعض الجامعات . كما أنشئت مطابع عربية . حتى أن مكتبة الفاتيكان في روما ضمت إليها مجموعات ضخمة . من الكتب العربية المختلفة)[١]

إن هذه الجهود و غيرها . أضعاف وأضعاف . لم يكن معظمها لأجل العلم والحقيقة المجردة . بل كان بحثاً عن نقاط ضعف في هذا الدين .

فـ (الدراسات الاستشراقية للإسلام . منذ نشأتها في الغرب . في العصور الوسطى حتى اليوم انبعثت من منطلق التعصب . بل الحقد التاريخي على الإسلام . و من ثم . تُمثِّل تلك الدراسات وجهة نظر معادية للإسلام . يقدمها غالباً المستشرقون اليهود و النصارى . و تبدأ الدراسات الاستشراقية و تنتهي على أساس الزعم بأن الإسلام ليس دينا صحيحا . فضلا عن أن يكون ناسخا لغيره من الأديان . و أن القرآن الكريم ليس وحيا من الله تعالى . بل هو كتاب بشرى . من تأليف محمد – صلى الله عليه و سلم – وحده أو بمعاونة آخرين .

و طبقا لهذا الزعم يصبح محمد – صلى الله عليه و سلم – . ليس نبيا . و لا رسولا . فضلا عن أن يكون . خاتم الأنبياء و المرسلين ، و قد يصفه بعضهم أحيانا . بحسن أو بسوء نية . بأنه رجل عظيم

(١) – محمد عبد الفتاح عليان – أضواء على الاستشراق صـ٢٤ ، مرجع سابق .

. أو إنسان عبقرى . أو مصلح اجتماعى . لكنه فى نهاية المطاف . ليس نبيا . و لا رسولا أى ليس صادقا إلا فى أحسن الأحوال . فى اعتقاده هو)[١].

أقول : بهذه التصورات التى كانت معتقدات شكلت العقلية الغربية فى نظرتها للإسلام . انطلق المستشرقون فى دراستهم لتراث الإسلام .

و لعل هذا الكلام . يحمل صفة التعميم للإنتاج الاستشراقى . و أنه بأجمعه مُعادٍ للإسلام . ولكنى أتحفظ و أقول : لقد وُجِدَ دائما من رأوا الحق . فعرفوا و كشفوا اللثام عنه . فتجردوا للحقيقة . و لم يجرفهم تيار التعصب . إلا أن هذا الاتجاه كان ضعيفا . بالمقارنة بالتيار الجارف المتعصب ضد الإسلام . و لئن أنصف قوم الإسلام . لقد أجحف آخرون فى الحكم عليه . و تعمدوا الكذب والتلفيق.

و نحن إذ نُجلُّ الذين انتصبوا للعلم و للموضوعية . فإننا نترك لموازين الإنسانية الرشيدة . و موازين البحث العلمى النزيه . أن تحكم على الذين تورطوا فى النيل من دين الإسلام . هائمين بلا دليل . اللهم إلا الهوى و الوهم و التعصب الأعمى . ولا شك أن الحكم سيكون قاسيا .

---

[١] د/ أحمد عبد الحميد غراب ، المستشرقون والعملاء الجدد صـ٢١ بتصرف ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م = ١٤١٢هـ .

المبحث الثانـي

رجال الديـن و الاستشـراق

كان رجال الدين المسيحي هم أول طلائع الاستشراق . ولئن كنا لانعرف (بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية . و لا في أي وقت كان ذلك . ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس . في إبان عظمتها ومجدها . وتثقفوا في مدارسها . وترجموا القرآن و الكتب العربية إلى لغاتهم و تتلمـذوا علـى علماء المسلمين فـي مختلف العلوم . وبخاصـة فـي الفلسفة و الطب و الرياضيات)[1].

لقد (بدأ الغربيون دراسة اللغة العربية في أديار الرهبان . وكـان أول وأهـم عمـل هـائل فـي مجـال الترجمة من العربية خصصوا له الوقت والجهد هو القرآن الكريم . فشرعوا فـي ترجمتـه . لا للاطلاع عليه والاستفادة منه فحسب . كما يمكن أن يتصور الإنسان . بل لمحاربته بعد الوقوف على مضمونه ...وإن أول ترجمة للقرآن الكريم باللغات الأوربية كانت باللاتينية . و قد تمت بإيعاز وإشراف رئيس ديـر كلونـي° clugny بجنوب فرنسـا الراهـب "بطـرس المبجـل"°° (وهـذا اسمـه pierre ievemerabl و كان ذلك سنة٥٣٨ هـ = ١١٤٣م . و على يد راهب إنجليزي يدعى "روبرت الرتيني°°° Robert de Retina . وراهب ألماني يدعى هرمان°°°° Hermann)[2] .

---

[1] الأستاذ/عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ـ أجنحة المكر الثلاثة ص١٢ ، الطبعة السادسة سنة ١٤١١هـ= ١٩٩٠م ،دار القلم ،دمشق ـ بيروت.

° دير أسسته الرهبانية البندكتية ، في مدينة كلوني الفرنسية ، عام ٩١٠م = ٢٩٨هـ .

°° بطرس المكرم "١٠٩٤-١١٥٦م= ٤٨٧: ٥٤٧هـ ، و يطلق عليه أيضا " بار الموقر " فرنسي من الرهبان البندكتية عينته لسعة اطلاعه رئيسا على ديرها في كلوني ١١٢٣م الذي شيدته في فرنسا ٩١٠ م.صنف كتبا في الرد على علماء الجدل المسلمين و شجب اليهود . كما أوعز بترجمة القرآن . نجيب العقيقي جـ١ ص١١٢ .

°°° روبرت أوف شستر ، اشتهر من عام ١١٤١-١١٤٨ م = ٥٣٦-٥٤٣ هـ ، من الرهبانية البندكتية ، قصد الأندلس و عين أسقفا على بامبلونة ١١٤٣م = ٥٣٨هـ ، تثقف بالثقافة العربية ، و لا سيما العلوم الرياضية والفلكية ، جاء في خطاب بطرس المكرم إلى القديس " برنرد " : قابلت روبرت و صديقه " هرمان الدلماطي " عام ١١٤١م = ٥٣٦ هـ ، و قد صرفتهما عن علم الفلك إلى ترجمة القرآن باللاتينية فأتماها عام ١١٤٣م = ٥٣٨هـ . و كانت أول ترجمة للقرآن ، و استعانا فيها باثين من العرب . ترجـم " روبـرت " مع " هرمان " كتاب الجبر و المقابلة للخوارزمي في خمسة فصول ١١٣٥م = ٥٣٠ هـ ، ثم نشرها كاربنسكي عام ١٩١٥م = ١٣٣٤هـ ، فكان ترجمتهم له و لكتاب الكيمياء من بعده فاتحة العلوم المنظمة في أوربا . العقيقي جـ١ ص١١٣ .

°°°° هرمان الدلماطي ت ١١٧٢م= ٥٦٨هـ ، فرنسي من الرهبانية البندكتية ، عين رئيسا لشمامسة سربابيلونا ثم راعيا لكنيسة شيني ١١٤١م-١١٤٣م = ٥٣٦-٥٣٨ هـ ، من آثاره : صنف في كتاب البلاغة و الشعر لأرسطو مستعينا بشرح الفارابي . العقيقي جـ١ ١١٣، ١١٤ .

[2] الدكتور/محمدصالح البنداق ـالمستشرقون وترجمة القرآن الكريم ـ ص٨٩، ٩٥ بتصرف ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م ، دارالآفاق ، بيروت.

إذاً من صوامع الرهبان و بيَعهم . انطلقت حركة الاستشراق . كما يمكننا أن نقول: إنه أيضا بالروح الصليبية التي نفثها هؤلاء . ازدادت ضراوة هذه الحركة . وانتشرت وأخذت شكل الدراسات الأكاديمية المنظمة .

يقول الأستاذ " نجيب العقيقي " :(و بدأ الاستشراق أكثر ما يكون تنظيماً وانتشاراً واستمراراً بالفاتيكان : بابَاوات وأساقفة ورهباناً . واصطناع نفوذهم في سبيله لدى الملوك والأمراء والبلديات . والإفادة منه في الرد على البروتستانتية . بعد انفصالها عنهم مما جعله لغايات متنوعة . بوسائل متعددة في أرجاء واسعة .

كان رجال الدين ـ ومرجعهم الفاتيكان يومئذ ـ يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوربا . ولا سبيل لهم إلى إرساء نهضتها إلا على أساس من التراث الإنساني . الذى تمثله الثقافة العربية . فتعلموا العربية ثم اليونانية ثم اللغات الشرقية للنفوذ منها إليه ...ولتخريج أهل جدل . يقارعون فقهاء المسلمين واليهود . ويردون عليهم ببراهين من كتبهم أنفسهم . في البلاد التي أجلاهم الإسلام عنها وبلغ أوربا منها . ثم لتدريب أدلاء يتخاطبون بالعربية . للقيام على خدمة الحجاج من أصقاع العالم إلى الأراضي المقدسة...

ومن أجدى الوسائل التي اصطنعها الفاتيكان وأوجزها: تعلم العربية ثم اليونانية واللغات الشرقية ـ في مدارس إسبانيا . وتعليمها في مدارس أديارها وكاتدرئياتها وكراسي جامعاتها . ونشر الثقافة عن طريق ما أسسه منها كجامعات بولونيا (٤٦٩هـ = ١٠٧٦م) وتولوز (٦١٤هـ = ١٢١٧م) ومونبلييه (٦١٧هـ = ١٢٢٠م) وصلمنكه (٦٢٥هـ = ١٢٢٧م) وبياسترا (٦٤٦هـ = ١٢٤٨م) ورومة (٧٠٣هـ = ١٣٠٣م) وفلورنسا (٧٢١هـ = ١٣٢١م) وبادوى (٧٦٣هـ = ١٣٦١م) وغيرها .

كما استعان ـ أى الفاتيكان ـ بالملوك و الأمراء والبلديات . على تأسيس مدارس اللغات الشرقية في عواصم بلدانهم . وتخصيصها بكراس مستقلة في كبرى جامعاتهم . فأستجابوا له ولكنها لم تنتظم إلا بعد أن قضى البابا " أكليمنضس الخامس" (٧٠٥هـ = ١٣٠٥م) (٧١٤هـ = ١٣١٤م) في مجمع فيينا (٧١١هـ=١٣١١م- ١٣١٢م =٧١٢هـ) بإنشاء كراسي للعبرية والعربية و السريانية ـ وأطلق عليها يومئذ الكلدانية أي الآرامية ـ في جامعات :روما على نفقة الفاتيكان . وباريس على نفقة ملك فرنسا

ـ وكان الفاتيكان ينفق على عشرين طالباً إكليريكياً° من الشرق في باريس بقرارات بابوية في أعوام ١٢٤٨م، ١٢٥٨م، ١٢٨٥م = ٦٤٦، ٦٥٧، ٦٨٤ هـ . وأكسفورد على نفقة ملك إنجلترا . وبولونيا و سلمنكة على نفقة رجال الكنيسة في كل من البلدين) [1] .

إلى هذا الحد كان رجال الدين المسيحي يهتمون بالاستشراق . وربما نلحظ أنهم اهتموا باللغات الشرقية الأخرى غير العربية . إلا أن الدراسات العربية المتصلة بالإسلام . كانت الأساس في دراسات المستشرقين.

وإن نتاج المستشرقين المتصل بالعلوم الإسلامية من الضخامة . بحيث لا يذكر بجانبه الجهود المبذولة في غيرها من الثقافات و اللغات .

واستمرت جهود الفاتيكان في هذا المجال فخص (كل لغة من اللغات الثلاث ـ العربية و العبرية واليونانية ـ بكرسيين . و عين أساتذتها . و أجزل أجرهم لقاء قيامهم بتعليمها تعليما سليما . يمكن من الكتابة والتخاطب بها . و لقاء ترجمتهم لمصنفاتها إلى اللاتينية ترجمة علمية دقيقة .

ثم توسع الفاتيكان في إنشاء الكراسي و المدارس و المكتبات و المطابع و المجلات في إيطاليا .

و عاون على مثلها في الغرب و الشرق . و على ترجمة التراث الإنساني عن العربية . ثم عن اليونانية و اللغات الشرقية . والاستعانة بمن يجيدها من النصارى و المسلمين و اليهود على نقله نقلا حرفيا . ثم يعمد رجال الدين إلى صياغته في أسلوب لاتيني مبين .

و لم يكتفوا بتلك المنقولات . فأنشأ "دون رايموندو الأول" رئيس أساقفة طليطلة " مكتب المترجمين في طليطلة (٥٢٥هـ = ١١٣٠م) .

وأشرف "ميخائيل سكوت"° على مكتب الترجمة الذى أنشأه "فردريك الثاني"°° في صقلية°°° (١٢٢٠م ـ ١٢٣٦م) وأفادوا من مكتب "ألفونسو الحكيم" (١٢٥٢م ـ ١٢٨٤م = ٦٥٠ : ٦٨٣هـ .

° إكليريكي clergy : إكليروس : رجال الدين المسيحي [illegible]

[1] نجيب العقيقي . المستشرقون جـ١ صـ١٠٤، ١٠٦ بتصرف ، الطبعة الرابعة ، بدون ت ، دار المعارف ، القاهرة .

° ميخائيل سكوت "١١٧٥ . ١٢٣٦م = ٥٧١ : ٦٣٤ " اسكتلندى من الرهبانية البندكتية ، تلقى العلم في أكسفورد ، و [illegible] باريس لقب العالم الرياضي غادرها إلى بولونيا و طليطلة ، حيث أتقن العربية و العبرية ، و انكب على تصنيف أول مؤلف نفيس له ، و هو خلاصة الفلسفة لابن سينا ، فأتمه عام ١٢١٠م = ٦٠٧ هـ . العقيقي جـ١ صـ١٢٦ .

°° فريدريك الثاني "١١٩٤ : ١٢٥٠م = ٥٩١ : ٦٤٨هـ ، رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة ١٢٢٠ - ١٢٥٠ = ٦١٧ : ٦٤٨هـ ، قاد الحملة الصليبية السادسة ، و توج نفسه ملكا على القدس عام ١٢٢٩م = ٦٢٧هـ . تراجم ذيل قاموس المورد صـ٣٤ .

°°° صقلية : جزيرة تقع في جنوب إيطاليا ، تمثل اليوم إحدى الوحدات الإدارية الإيطالية ، تبلغ مساحتها ٢٥,٧ ألف كم² ، من أهم المدن الإيطالية . القاموس السياسي ، أحمد عطية الله صـ٧٢٤ .

و المصنفات التى أمر الملوك و الأمراء بنقلها أو نهض العلماء بها . و نشروا جميع ذلك فى مدارسهم و معاهدهم وجامعاتهم . و منها انتقلت إلى مثيلاتها فى أوربا . وظل بعضها يدرس فيها حتى القرن السابع عشر)[1]

(ولم ينقطع منذ ذلك الوقت و جود أفراد درسوا الإسلام و اللغة العربية . و ترجموا القرآن و بعض الكتب العربية العلمية و الأدبية . حتى جاء القرن الثامن عشر . وهو العصر الذى بدأ فيه الغرب فى استعمار العالم الإسلامى . والاستيلاء على ممتلكاته . فإذا بعدد من علماء الغرب . ينبغون فى الاستشراق ويصدرون لذلك المجلات فى جميع الممالك الغربية . ويغيرون على المخطوطات العربية فى البلاد العربية والإسلامية فيشترونها من أصحابها الجهلة . أو يسرقونها من المكتبات العامة . التى كانت فى نهاية الفوضى . و ينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم . و إذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية . تنتقل إلى مكتبات أوربا .وقد بلغت فى أوئل القرن الـ١٩ مائتين و خمسين ألف مجلد . و مازال هذا العدد يتزايد حتى اليوم .

ظهور المؤتمرات الاستشراقية

وفى الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين فى باريس عام ١٨٧٣م ١٢٩٠هـ . و تتالى عقد المؤتمرات التى تلقى فيها الدراسات عن الشرق و أديانه و حضارته و ما تزال تعقد حتى هذه الأيام)[2] .

إذا كان رجال الدين هم وقود هذه الحركة النشطة التى أوقدوا جذوتها . ولما تزل مضطرمة إلى يوم الناس هذا .

يقول الأستاذ :عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة الميدانى : (و لما كان المحركون للحروب الصليبية من رجال الكهنوت الأوربيين . و العلوم العليا تكاد تكون منحصرة فى الكنيسة لديهم يومئذ . كان أوائل المتوجهين للدراسات الشرقية من هؤلاء الرجال . و لاريب أن أغراضهم فى ذلك تواكب أغراض الحروب الصليبية التى أخذت أسلوبا جديدا فى الغزو غير أسلوب الغزو العسكرى المسلح بالأدوات الحديدية . و تتفق مع أهداف التبشير بالمسيحية [3]) .

---

[1] نجيب العقيقى - المستشرقون جـ١ صـ١٠٦ ، مرجع سابق .

[2] الدكتور / مصطفى السباعى - الاستشراق و المستشرقون مالهم وما عليهم صـ١٤، ١٥ ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م ، المكتب الاسلامى بيروت - دمشق.

[3] الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ، أجنحة المكر الثلاثة صـ١٢١ ، ١٢٢ ، مرجع سابق .

وفيما يلي عرض لمؤتمرات الاستشراق التي انعقدت في الفترة من سنة ١٨٧٣م وحتى عام ١٩٧٦م[1]

م	مكان المؤتمر	تاريخ انعقاده	أعمال المؤتمر
١.	باريس	١٨٧٣م	مجلدان في ٣ أجزاء " باريس١٨٧٦م- ١٨٧٩م
٢.	لندن	١٨٧٤م	مجلدان " لندن ١٨٧٦م "
٣.	بطرسبرج	١٨٧٦م	مجلدان " بريل - ليدن ١٨٧٩-١٨٨٠م "
٤.	فلورنسا	١٨٧٨م	مجلدان " فلورنسا ١٨٨٠- ١٨٨١ "
٥.	برلين	١٨٨١م	مجلدان . في ٣ أجزاء ١٨٨١م- ١٨٨٢م "
٦.	ليدن	١٨٨٣م	أربعة مجلدات " بريل - ليدن ١٨٨٤- ١٨٨٥م "
٧.	فيينا	١٨٨٦م	خمسة مجلدات " ١٨٨٨م - ١٨٨٩م "
٨.	ستوكهلم	١٨٨٩م	ثلاثة مجلدات في خمسة أجزاء " بريل - ليدن ١٨٩٢م- ١٨٩٣م
٩.	لندن	١٨٩٢م	مجلدان " ١٨٩٣م "
١٠.	جنيف	١٨٩٤م	أربعة مجلدات " بريل - ليدن ١٨٩٥م - ١٨٩٧م "
١١.	باريس	١٨٩٧م	ثلاثة مجلدات . في ٥ أجزاء " ١٨٩٨م - ١٨٩٩م
١٢.	روما	١٨٩٩م	ثلاثة مجلدات في ٤ أجزاء فلورنسا ١٩٠١م "
١٣.	هامبورج	١٩٠٢م	مجلد " بريل - ليدن ١٩٠٤م "
١٤.	الجزائر	١٩٠٥م	ثلاثة مجلدات في ٤ أجزاء " ليرو - باريس ١٩٠٦م - ١٩٠٧م "
١٥.	كوبنهاجن	١٩٠٨م	مجلد " جريب - كوبنهاجن ١٩٠٩م "
١٦.	أثينا	١٩١١م	
١٧.	أكسفورد	١٩٢٨م	
١٨.	ليدن	١٩٣١م	

(١) / نجيب العقيقي جـ٣ صـ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

١٩.	روما	١٩٣٥م	
٢٠.	بروكسل	١٩٣٨م	
٢١.	باريس	١٩٤٨م	
٢٢.	كمبريدج	١٩٥١م	
٢٣.	استانبول	١٩٥٤م	
٢٤.	ميونيخ	١٩٥٧م	
٢٥.	موسكو	١٩٦٠م	
٢٦.	نيودلهي	١٩٦٤م	
٢٧.	ميتشيجان	١٩٦٧م	
٢٨.	كانبرا	١٩٧١م	
٢٩.	باريس	١٩٧٣م	
٣٠.	مكسيكو	١٩٧٦م	

إن هذه المؤتمرات والمجهود الضخم الذى بذل فى كل منها . و علمها المنظم الذى يكاد لا يختل نظامه إلا إذا وقع حادث دولى كالحربيين العالميتين اللتين حالتا دون انعقاد بعض المؤتمرات فى موعدها المحدد لها ذلك النظام و ذلك المجهود الضخم يدل دلالة واضحة على قوة الدافع الذى يجمع آلاف العلماء و الباحثين من شتى أصقاع العالم ليتدارسوا أمور الشرق بعامة و أمور الإسلام و المسلمين بصفة خاصة .

و إن أضعف الإيمان أن نقف موقف المدافع فيكون لعلماء المسلمين مؤتمر يجتمعون إليه من شتى دول العالم ليتباحثوا أمور أممهم و دينهم . و ليردوا على ما يخرج علينا بها هؤلاء المستشرقون المؤتمرون . و الذين إذا اجتمعوا لا ينفضوا إلا على مكيدة جديدة أو خطة خبيثة للنيل من الإسلام و المسلمين .

المبحث الثالث

طلائع المستشرقين الرهبان و طوائفهم

المطلب الأول

طلائع المستشرقين

البابا يحسب بالعربية

لعل هذا العنوان الفرعى مما يستغرب . إلا أننى أردت به أن ألفت النظر إلى مدى تمكن اللغة العربية في هذا العصر و بالتحديد فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى . و الذى كانت فيه اللغة العربية هى اللغة الأولى فى العالم و هى لغة الحضارة فى ذلك الوقت . حتى كان الباباوات أعلى المناصب الدينية فى أوربا يتشرفون بنطقهم للعربية . بل و ينظر لهم نظر التقدير و الاحترام .

كان ذلك فى عام ٣٣٤هـ =٩٤٥م . حين وضعت يد مجهولة طفلا ملفوفا بقماط[٥] بال أمام الأديرة و التقط الرهبان الطفل المسكين ليرعوه و يطلقوا عليه اسم " جربرت " . و عاش "جربرت" فى أديرة أورلياك "Auriliac" عشرين عاما إلى أن زار الدير ذات يوم "الكونت بوريل البرشلونى" " Boreivon Barceliona " و اجتذبه ذكاء الفتى و نال "جربرت" إذنا من الرهبان باصطحاب الكونت إلى وطنه عبر البرانس .

و كان الكونت " بوريل " قد لاقى على يد العرب فى الأندلس هزائم متكررة . مما اضطره كغيره من الأمراء الأسبان إلى إرسال الوفود إلى قرطبة . لطلب الصلح و قدم مندوبه الأسقف " هاتو " " Hatto " معلم "جربرت" إلى "الحكم الثانى"[٥٥] يرجو باسم سيده الكونت أن يسحب قواته التى تهدد الحدود بينهما . و لقى " هاتو " استقبالا حافلا فى بلاط "الحكم" و سحره جمال القصور و روعتها فى قرطبة . فعاد و قد زاد إعجابه بأولئك العرب .

و يُلِحُّ " جربرت " على معلمه " هاتو " أن يحدثه عن هؤلاء الأمراء المسلمين المولعين بالعلوم و الآداب أكثر من و لعهم بالحروب ...

---

٥ قمط الشئ قمطا : شده برباط ... و القِمَاطُ : الحبل و نحوه يُقمطُ به ، و هو : خرقة عريضة يلف بها المولود جمعه أقمطة و قمط . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٧٥٩ .

٥٥ الحكم الثانى ٩١٣ : ٩٧٦م = ٣٠١هـ : ٣٦٦هـ . خليفة أموى فى الأندلس ٩٦١–٩٧٦م = ٣٥٠ : ٣٦٦هـ ، شجع العلم و الثقافة . تراجم أعلام ذيل قاموس المورد صـ٤١ .

و كانت أحاديث " هاتو " هي بداية تعلق " جربرت " بالعرب . و عشقه لدراسة الرياضيات و الفلك واستمع " جربرت " في أسبانيا إلى الأساتذة العرب . و تعلم أشياء لم يكن أحد في أوربا ليحلم أن يسمع بها . و كان من أهم ما تعلمه " جربرت " نظام الأرقام و الأعداد العربية . و في عام ٩٧١ م = ٣٦١هـ صحب " جربرت " الكونت " بوريل " و " هاتو " في رحلتهما إلى روما . و هناك قابل القيصر " أوتو " الأكبر* و زوجته " آدلهيدر " " Adeiheid " و ابنهما و حفيدهما .

و عيَّن " أوتو " الثالث "** العالم الفذ " جربرت " معلما و مستشارا للقيصر . ثم كبير الأساقفة .

وفي علم ٩٩٩ م = ٣٩٠هـ ارتقى " جربرت " كرسي البابوية ليصبح البابا "سلفستر الثاني" " Silvester١١ " .

و بقي هذا الحادث الغريب لغزا حارت في تعليله الأجيال . فإن شخصية هذا الرجل الذى حير بعلمه معاصرية . والذى جارى المسلمين في معتقداتهم . بقيت دائما محاطة بالشبهات لقد نظروا إليه كساحر و كفنان غريب . ونسجوا حوله الإشاعات .

تقول الأسطورة : إنه كان يخرج ليلا من الدير إلى أسبانيا . ليتعلم على يد العرب علم الفلك و الفنون الأخرى)[1] .

إلى هذا الحد كان التفوق الإسلامي في الحرب و في السلم . و إلى هذا الحد كان احترام الأوربيين لكل من يتعلم على يد العرب . لقد عُيِّن "جربرت " معلما و مستشارا للقيصر . ثم كبيرا للأساقفة . ثم ارتقى منصب البابوية – قمة الهرم الوظيفي في المناصب المسيحية – بفضل ذكائه . وما كان الذكاء بمغن عنه شيئا . لولا ما تعلمه من علوم العرب المسلمين .

نعم (كان الرهبان في طليعة المستشرقين)[2] .

و فيما يلي ترجمة للمستشرقين الرهبان على اختلاف رهبانياتهم :-

---

* أوتو الأول ٩١٢: ٩٧٣ م = ٣٠٠: ٣٦٣هـ ملك ألمانيا ٩٣٦: ٩٧٣ م =٣٢٥ : ٣٦٣هـ ، أول أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة ٩٦٢: ٩٧٣م = ٣٥١ :٣٦٣هـ .تراجم أعلام ذيل قاموس المورد صـ٦٦ .

** أوتوا الثالث " ٩٨٠: ١٠٠٢م = ٣٧٠ : ٣٩٣هـ ، ملك ألمانيا " ٩٨٣: ١٠٠٢م =٣٧٣ : ٣٩٣هـ ، رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة اتخذ لقب امبراطور العالم . تراجم أعلام ، ذيل قاموس المورد ٦٦

[1] زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب . صـ٨٠،٨١ . الطبعة الثامنة . بدون ت ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

[2] أ/ نجيب العقيقي – المستشرقون جـ٣ صـ٢٤٩ . مرجع سابق .

المطلب الثانى

طوائف المستشرقين الرهبان

أولا : الرهبان البندكتيون :-

أسس رهبانيتهم القديس " بنديكتوس " فى جبل " كاسينو " ٥٢٩ م . فكانوا أول من عنى بالعربية تعليما و ترجمة و تصنيفا . ثم تناولوا اللغات الشرقية جميعها من فجرها حتى اليوم . و نشروا الأبحاث عنها فى مجلتهم "Revue Benedictine " و من المحدثين :-

الأب جانن " P.dom.jeannin "

آثاره : الكنائس الشرقية و طوائفها " الطبعة الثانية . باريس ١٣٤٥هـ = ١٩٢٦ م .

و نشر بمعاونة أبوين من رهبانيته . " الأنغام السريانية و الكلدانية " فى ثلاثة مجلدات . " المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٢٥ - ٢٨ -٣٠ " =١٣٤٤ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٩ هـ . و كان قد كتب دراستين فى الأناشيد السريانية الدينية فى المجلة الآسيوية " ١٩١٢ ، ١٩١٣ " = ١٣٣١- ١٣٣٢هـ .

ثانيا : الرهبان الفرنسيسكانيون :-

(أ) الإخوة الأصاغر :- نسبة إلى القديس " فرنسيس الأسيزى " الذى أسس رهبانيتهم سنة ١٢٠٩ م =١٣٢٠هـ .

و قد اتصلوا بالشرق منذ زيارته له سنة ١٢١٩ م =٦١٦هـ . و استقروا فيه لحراسة الأراضى المقدسة فى فلسطين . و أعلن إنشاؤها رسميا عام ١٣٣٥ م = ٧٣٦هـ و كانت مصر محط الفرنسيسكانيين .

ومنها انطلقوا فى اتجاهين :-

- مصر - فلسطين - سوريا - لبنان - . و - مصر - الحبشة - اليمن - .

و هكذا بلغوا " القدس " سنة ٦٢٧هـ = ١٢٢٩ م " و دمياط " ٦٢٧هـ = ١٢٢٩ م " و نيقوسيا " سنة ٦٩١هـ = ١٢٩١ م " صور* " سنة ٦٩٢هـ = ١٢٩٢ م . " و حلب " سنة ٩٧٩هـ = ١٥٧١م **و غيرها ومنذ البدء تعلم الفرنسيسكانيون اللغات الشرقية . و علموها فى أديارهم . و كبرى الجامعات و خصوا العربية بمصنفات من النحو و الصرف و القواميس و بعض الدراسات الإسلامية . و أنشأوا**

* صور ، مدينة مشهورة مشرفة على بحر الشام داخلة فى البحر مثل الكف على الساعد ، يحيط بها البحر من جميع جوانبها ، إلا الرابع الذى منه شروع بابها افتتحها المسلمون فى ايام سيدنا عمر رضى الله عنه .معجم البلدان جـ٣ صـ٣٩٧ .

المراكز الشرقية في أوربا و الشرق . كالمعهد الذى أسسه " رايموندو لوليو * " في جزيرة " ميورقة " سنة ١٢٧٦ م = ٦٧٥هـ و معهد " جير مونتوريو " في " روما " على يد الراهب المستشرق " توماسو أوبيتشيني " ** سنة ١٦٢٢ م =١٠٣٢هـ....

كما أنشأوا مطبعة للنصوص العربية في القدس سنة ١٨٤٦ م =١٢٦٣هـ . و أخرى في " طنجة " *** سنة ١٨٦٣ م =١٢٨٠ هـ . و معهد و دراسات و غيرها . شأنهم في سائر مراكزهم و معاهدهم .

و صنفوا عن الشرق مجموعات و كتبا بلغات مختلفة . و طبعوها في أوربا و أمريكا . ثم رأوا تنسيق نشاطهم مع غيرهم من العلماء . لتعريف الغرب بالشرق تعريفا أفضل . عن طريق تحقيق النصوص الشرقية الأصيلة . ونشرها مترجمة باللغات الأوربية . و كتابة الدراسات العلمية الحديثة عن الشرق الإسلامي و المسيحي .

و هكذا نرى الدأب و السفر لاستكناه المجهول . و معرفة ما في دهاليز الشرق ذلك العجوز الذي ينطوي على كل غريب و عجيب من الأفكار و المعتقدات أو عادات الشعوب .

و هو كما نرى استشراق حسب التقعيد الاصطلاحي لكلمة الاستشراق . فهو بحث في الشرق بصفة عامة وفي العربية و الإسلام بصفة خاصة .

و من المستشرقين الفرنسيسكانيين :-

الأب أوبتشيني " ت ١٦٣٢ م =١٠٤٢ هـ "

و هو إيطالي انضم إلى الرهبانية . فعين رئيسا على دير حلب سنة ١٦١٣ م = ١٠٢٢هـ و القدس سنة ١٦٢٠ م = ١٠٣٠ هـ وأوفده البابا " بولس الخامس " إلى " ديار بكر **** " سنة

---

* رايموندو لوليو "١٢٣٥-١٣١٤م" = ٦٣٣: ٧١٤ هـ ، من أغرب شخصيات العصر الوسيط المتعددة المواهب ، فهو شاعر وقصصي و رياضي و معلم و مبشر و معلم ومتصوف و رحالة ، و ولد في " بالمه " من جزيرة ميورقة و قضى في تعلم اللغة العربية و حفظ القرآن - على عبد أسود - تسع سنوات ١٢٦٦ :١٢٧٥م =٦٦٥: ٦٧٤هـ ثم قصد باريس و انضم إلى الرهبانية الفرنسيسكانية ، و آثاره متنوعة وافرة أربت على المئات ، أشهرها : تأملات في الله ، و هي موسوعة في علوم الدين ، كتب القسم الأكبر منها بالعربية . العقيقي جـ١ صـ١٢٢ . ١٢٣ .

** توماسو أوبتشيني ت ١٦٣٢م =١٠٤٢ هـ ، إيطالي انضم إلى الرهبانية الفرنسيسكانية ، و عين رئيسا على دير حلب و القدس ١٦٢٠م =١٠٣٠هـ .

*** طنجة : ميناء مغربية تطل على المحيط الأطلسي عند مدخل " بوغاز جبل طارق بنحو ٣٨ ميلا . القاموس السياسي أحمد عطية الله صـ٧٦٢ .

**** بكر : قبيلة سكنت تهامة واليمامة و البحرين ، و بعض أجزاء الجزيرة منذ العصر الجاهلي ، و أطلق العرب على موطنها في الجزيرة " ديار بكر " و يرجع نسبها إلى جد جاهلي تو بكر بن وائل بن قاسط من بني ربيعة ،و بهذا اعتبرت ديار بكر من ديار ربيعة ، و تمتد أصول بكر إلى إسماعيل و إبراهيم عليهما السلام .دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ٥٤ . الناشر القاهرة للصحافة و النشر و الوجة .

١٠٢٥هـ =١٦١٦م عين أستاذا للعربية في معهد " منتوريو " الذى أنشأه في روما سنة ١٠٣٢هـ = ١٦٢٢ م . وله آثار كثيرة منها :-

كتاب " قواعد " و هو "أجرومية* " "محمد بن داود" مع ترجمة لاتينية و تفسير " روما سنة ١٠٤٤ : ١٠٤٥هـ = ١٦٣١م -١٦٣٥م . و قاموس عربي سرياني لاتيني . في ٢٣ بابا . و عاون على تحقيق الكتاب المقدس بالعربية .

و لا شك أن اهتمامهم بقواعد اللغة العربية . و بإنشاء قواميس عربية . استكمال لأدوات البحث و دليل على اهتمامهم بالحضارة الإسلامية . التي تسلمت مقاليد الإنسانية حقبة من الزمن . فكانت أسعد أدوار التاريخ الإنساني على الأرض . فكان لا بد لهم من دراسة هذه الحضارة و الدين الّذَيْن كانا قوة الدفع للإنتاج الإنساني فيها . ومن ثم كانت دراسة العلوم الإسلامية سبيلا للغوص في أعماق هذه الحضارة . مصدرا و أسبابا و نهوضا . و ازدهارا .

الأب : " جرمانوس دومينيكوس " " ٩٩٧ : ١٠٨١هـ = ١٥٨٨ - ١٦٧٠ ".

و هو صقلي تخرج بالعربية على الأب " أوبيتشيني " في معهد " منتوريو " ثم خلفه فيه . وقضى ١٨ سنة باحثا في مكتبة " الأسكوريال " حيث خلّف عدة مخطوطات . وكان على علم بعلوم القرآن قلّ لدى علماء عصره . كما قضى في الشرق الأدنى - فلسطين ثم سمرقند** - أربع سنوات لإتقان اللهجات الشعبية و من آثاره :-

كتاب " قواعد اللغة العربية العامية " . كتبه بالإيطالية " روما سنة ١٠٤٦هـ = ١٦٣٦م " و " بناء اللغة

العربية " و هو قاموس للغة العربية الفصحى و العامية مع ترجمتين إيطالية و لاتينية " روما سنة ١٠٤٩هـ = ١٦٣٩م - ...

---

* الأجرومية: تلخيص شديد الإيجاز في النحو لابن آجروم طبعت لأول مرة ١٥٩٢م و ترجمت إلى اللاتينية ١٦١٠م . و آجروم نسبة [illegible] له لصنهاجي بن آجروم ت ٧٢٣هـ = ١٣٢٣م و هو نحوي مشهور . و كلمة آجروم كلمة بربرية معناها الفقير الصوفي . القاموس [illegible] جـ٢ .

** سمرقند : يقال بأن الذى أسسها الإسكندر الأكبر - فتحها القائد المسلم " قتيبة بن مسلم سنة ٩٣هـ =٧١٢م بعد أن حاصر المدينة وقتا طويلا و سمح لقائدها السابق "إخشيذغورك " بالبقاء على العرش و لكنه عين لها واليا عربيا و معه حامية إسلامية ، و غدت سمرقند هي و بخارى قاعدة الفتوح الإسلامية الأخرى ، دائرة المعارف الإسلامية جـ١٢ ص١٩٨ ، ١٩٩ .

و " الدفاع عن الديانة المسيحية " و هى عدة مقالات جدلية " روما سنة ١٠٤٨هـ =١٦٣٨ م . و " ترجمة القرآن الكريم " سنة ١٠٧٩هـ =١٦٦٨ م . فكانت أول ترجمة سبقت ترجمة " ماراتشي " بثلاثين سنة -- عثر علينا المستشرق الفرنسي " ديفيك "* سنة ١٨٨٣ م =١٣٠١هـ - و له في "الأسكوريال" بعض المخطوطات منها : " مسائل عدة فى القواعد العربية " " باللاتينية " و " القواعد النظرية للغة العربية " باللاتينية " و " الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية " لنجم الدين على بن عمر الكاتبى . وقد أعاد سبكها عن ترجمة لاتينية قديمة " باللاتينية " و " الفوائد و القلائد " مجموعة من الأقوال المأثورة " بالعربية " و " المدخل التطبيقي إلى اللغات العربية و الفارسية و التركية " و " ترجمة لاتينية مع هوامش جدلية " . و " القرآن وتعليم مسيحى " بالفارسية و التركية .

الأب "كانيس .ف " " ١٧٣٠م – ١٧٨٩م " Canis.p.

إسبانى قضى فى فلسطين و سوريا و لبنان ست عشرة سنة . وعلم العربية فى دمشق . وعد من ألمع اللغويين الفرنسيسكانيين . كما انتخب عضوا فى مجمع التاريخ بمدريد .

و من آثاره : كتاب قواعد اللغة العربية بالعربية و الإسبانية " مدريد ١٧٧٥ م = ١١٨٩هـ " و " مشاهد أندلسية " نقلا من العرب و النصارى . و " قاموس إسبانى لاتينى " عربى فى ثلاثة أجزاء " مدريد ١٧٨٧ م =١٢٠٢هـ " و " كتاب للمحادثة بالإسبانية و العربية . وجدل دينى و رد على البدع

الأب " بونفيلى .ج . " المتوفى عام ١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م " Bonfihli . g.

إيطالى عين رئيسا عاما على الأراضى المقدسة سنة ١٢٩١هـ =١٨٧٤ م و قاصدا رسوليا لسوريا و مصر سنة ١٣٠٧ : ١٣٢٢هـ = ١٨٨٩ – ١٩٠٤ م . و ترأس مجمع الأقباط الكاثوليكى ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨ م

و من آثاره :- " مختصر الغفران " " القدس سنة ١٢٨١هـ = ١٨٦٤ م " و " مدخل لدراسة اللغة العربية " بالإيطالية)[1] . و لا تخفى هذه الجهود الجبارة . و الترحل فى سبيل البحث عن أسرار هذا الشرق الذى حمل للغرب المسيحى تميمة الحضارة الغربية الحديثة . و هى كما نرى جهود منظمة مدعومة من السلطات الدينية و الدنيوية .

---

* ديفيك.ل.م. توفى عام١٨٨٦م فرنسى من أساتذة جامعة مونبليه و كان أول من عثر على أول ترجمات القرآن الكريم للأب "دومينيك جرمانوس" ١٨٨٣م ، من آثاره : ترجمة مختصرة لسيرة عنترة بالعامية ، و مقامات الحريرى و ترجمة غير منشورة للقرآن الكريم .العقيقى جـ١ صـ١٩٣ .

[1] أ/ نجيب العقيقى ، المستشرقون جـ٣ صـ٢٤١ : ٢٥٥ بتصرف . مرجع سابق .

(ب) الرهبان الكبوشيون :-

(في مطلع القرن السادس عشر تفرع عن الفرنسيسكانيين الأصاغر " الفرنسيسكانيون الكبوشيون " على يد "ماتيودا باشيو " Matteo da Bascia . و قدموا إلى الشرق حيث شيدوا الأديار و المدارس والمؤسسات الخيرية في " صيدا " سنة ٤هـ = ٦٢٥ م " و الموصل " ١٠٤٥هـ = ١٦٣٦ م و " دمشق " سنة ١٠٤٦هـ = ١٦٣٧ م و " ماردين " سنة ١٠٩٧هـ = ١٦٨٥ م و " عبية " سنة ١٠٩٨هـ = ١٦٨٦ م " و غزير " سنة ١١٠٧هـ = ١٦٩٥ م .

و ممن عنوا بالاستشراق :-

الأب " دي بوفه . ج " " المتوفى عام ١٠٤٨هـ = ١٦٣٨ م " De beauvais, p.

فرنسي تنقل بين حلب و بغداد ، و جاهد في سبيل النساطرة مع روما و قد أتقن العربية و التركية و الفارسية و توفى في حلب .

الأب " دي سانت إيسنيان . ج .ب " المتوفى عام ١٠٨١هـ = ١٦٧٠ م De saini-Aignan, p.j.b.

مر بمعظم مراكز الآباء الكبوشيين في الشرق ، و اتصل بالزيدية ، و حاور المسيحيين الشرقيين و قد أتقن العربية و التركية و الكردية و الأرمنية و توفى في حلب .

ومن آثاره :-

تعريب " مجموعة من المواعظ " " أجوبة الكنيسة المقدسة " و هو جدل ديني و رد على البدع المسيحية " روما ١٦٨٠ م =١٠٩١هـ " و " كتاب تاريخي جغرافي عن البلاد و الشعوب التي عرفها " نشره بعنوان " مسرح تركيا " بالإيطالية روما سنة ١٦٥٧ م =١٠٦٨هـ .

(ج) فرنسيسكانيو الأراضي المقدسة

أنشأ الفرنسيسكانيون في القدس معهد دراسات الكتاب المقدس سنة ١٨٠٥ م =١٢٢٠هـ و زودوه بالإضافة إلى المطبعة بمكتبة متخصصة " ٦٣٠٠٠ مصنف " و بكتاب سنوي و منشورات أخرى معظمها خاصة بالتنقيب عن الأماكن المقدسة و صيانتها .

و من ألمع المستشرقين في هذا المعهد :-

الأب " شنايدر " ١٨٩٦ - ١٩٥٢ م =١٣١٤ : ١٣٧٢هـ" Sehneider. P.A.M.

تخصص بالآثار البيزنطية ، و البيزنطية الإسلامية ، و قد توفى في سوريا .

و من آثاره : " آثار الأردن " " الشرق المسيحي " ١٩٣٦ - ١٩٣٩ " =١٣٥٥ : ١٣٥٨هـ ... "

و علاقات تركيا بأوربا " نشره معهد الآثار الألماني سنة ١٩٤٢م=١٣٦١هـ . و " الإسلام " ١٩٥٠م= ١٣٧٠هـ ....و آثار القسطنطينية البيزنطية و الإسلامية في حي القصور " أوريانس ١٣٧١هـ =١٩٥١م " و قبور الصحابة في القسطنطينية* . " دراسة بالفرنسية كتبها قبل وفاته و خاصة بالمنفى ١٩٥٥م = ١٣٧٥ هـ .

الأب " نابولي " المولود عام ١٩٣٨م=١٣٥٧هـ.. Napli .p.g

صقلي تخرج من معهد القدس . و تخصص بالفلسفة . ودرس فيه العلوم الإسلامية .

و من آثاره :-

" بحث في فلسفة " يعقوب بن إسحاق الكندي " و له في الكتاب السنوي " بحث مريم في القرآن "

٨-مركز الدراسات الشرقية المسيحية بالموسكي - القاهرة .

و في دير الموسكي بالقاهرة . أنشأ المستشرقون الفرنسيسكانيون مركز الدراسات الشرقية المسيحية سنة ١٩٥٤م=١٣٧٤هـ . لتحقيق التراث الشرقي المسيحي . و إعداد البحوث عنه . و رتبوا له مكتبة تحتوى على ١٦ ألف مجلد . معظمها نصوص أصلية و فرمانات و فتاوى و كتب مقدسة في طبعاتها الأولى ومجموعات إسلامية نادرة . و قواعد للغات الشرقية كاملة . و أصدروا عنه دورية باسم كوليكتانيا Collectanea و دراسات شرقية .

و من أعلام هذا المركز :-

" رونكاليا . م " . المولود عام ١٩٢٣م=١٣٤٢هـ " Roncaglia, M.

ولد في " ريجيولو " بإيطاليا . ونال الدكتوراه من السوربون . وعُيّن أول مدير للمركز . و أشرف على السلسلة الجديدة " وثائق " . و السلسلة الثالثة . و أنشأ السلسلة الرابعة " دراسات و سمى أستاذا في مدرسة الألسن بالقاهرة . ثم ترك الرهبانية إلى الحياة العلمانية سنة ١٩٥٧ م = ١٣٧٧هـ . وأقام في بيروت .

و من آثاره :-

" فرمان محمد الثاني** سنة ١٩٥٣ م و مصادر عربية إسلامية عن القديس " فرنسيس " في الشرق "

---

* القسطنطينية = اسطنبول ، عاصمة تركيا الاقتصادية و الاجتماعية ، عرفت حتى قيام الجمهورية التركية باسم القسطنطينية ، كانت عاصمة الامبراطورية العثمانية حتى انتقل مقر الحكم إلى أنقره عام ١٩٢٢م= ١٣٤١هـ ، و هي ميناء استراتيجي .القاموس السياسي أحمد عطية الله صـ٦٦ .

** محمد الثاني ، محمد الفاتح " ١٤٣٢-١٤٨١ م= ٨٣٦: ٨٨٦هـ ، السلطان العثماني ١٤٤٤م-١٤٤٦م=٨٤٨-٨٥٠هـ ، ... فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م: ٨٥٧هـ تراجم أعلام ، ذيل قاموس المورد صـ٦١ .

٥٥

٢٥-٣-١٩٥٣ " .... وله في النصرانية و الإسلام " اتجاهات جديدة " " القدس سنة ١٩٥١ م =١٣٧١هـ . و " على هامش قضية الأراضي المقدسة " " الأراضي المقدسة " ١٩٢٩-١٩٥٤ م " و الشرق و الغرب و التعاون بينهما " سويسرا ١٩٥٤ م=١٣٧٤هـ ..... " التعاون بين النصرانية و الإسلام سنة ١٩٥٥ م=١٣٧٥هـ ... و اليهودية و النصرانية و الإسلام " سنة ١٩٥٧ م= ١٣٧٧هـ و " دون سكوتو و الإسلام " سنة ١٩٥٧م)[1] .

إن الذي أسلفت هو قليل من كثير . من الجموع الكثيرة للرهبان . الذين امتلأت بهم ساحات الاستشراق . و الذين أسهموا بجهود عظيمة في دراسة الشرق بصفة عامة . و الإسلام بصفة خاصة .

وذلك يؤكد لنا أن الدافع الديني . كان نقطة الانطلاق القوية لحركة الاستشراق . فمن الأديرة و الكنائس انطلقت هذه الأسراب التي غطت منطقة الشرق الإسلامي . وأخذت تصل ليلها بنهارها في البحث الذي لا يعرف الكلل . و بحق فإنني كلما قرأت في تاريخ الاستشراق . و جهود المستشرقين أتذكر صورة العلماء المسلمين الأفذاذ الذين شادوا الحضارة الإسلامية . و نفخوا في الناس روح العلم التي وضعها فيهم الإسلام . فربت مصنفاتهم على المئات .

و كانت جهودهم في العلم - تعلمه و تعليمه - مضرب الأمثال في كل مكان . وذلك مع الفرق الشاسع بين منهجية البحث عند المسلمين و غير المسلمين . وأسباب البحث . و النتيجة المترتبة على هذا البحث .

و يخطأ من يظن أن الدافعية الدينية للاستشراق . كانت مرحلة ثم انتهت . بل لا يزال الدافع الديني له وزنه كقوة دفع قوية لحركة الاستشراق .

يقول الدكتور / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (كان أول من اجتمعت بهم هو البروفسور " أندرسون " رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الإسلامي . في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن . و هو متخرج من كلية اللاهوت في جامعة " كمبريدج " و كان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر ، خلال الحرب العالمية الثانية ....

---

(١) أ/ نجيب العقيقي ، المستشرقون جـ٣ صـ٢٥٥،٢٥٧،٢٥٨،٢٦٢،٢٦٥. بتصرف .

و زرتُ جامعة " أدنبرة " " اسكتلندا " كان رئيس الدراسات العربية فيها قسيسا عاش رئيسا للإرسالية التبشيرية في القدس قرابة عشرين سنة . حتى أصبح يتكلم العربية كأهلها ....

و في جامعة أكسفورد . وجدنا رئيس قسم الدراسات الإسلامية و العربية فيها يهوديا يتكلم العربية ببطء و صعوبة . و كان يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية.[1]

و هناك من الأمثلة المئات و لكنني اكتفيت بما ذكرت . وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

---

(1)/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . أجنحة المكر الثلاثة . صـ١٥٣،١٥٤ . بتصرف . مرجع سابق .

كلمة تنسب إلى " عقيل بن عُلَّفة " حينما قيل له : ألا تطيل الهجاء ؟ فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . عيون الأخبار لابن قتيبة صـ١٨٤ . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ = ١٩٢٥م ، دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان .

المبحث الرابع

الاستشراق و التنصير "التبشير"

تمهيد :

إن الاستشراق هو التنظير لعملية التنصير . و يخطئ من يظن أن كلا منهما اتجاه لا علاقة له بالآخر فإذا كان الاستشراق ميدانه الفكر و الثقافة و التبشير ميدانه النواحي الاجتماعية متمثلا في الطب و التعليم و غيرها من الأنشطة الاجتماعية فإنهما أداتان من أدوات الغزو الفكرى للعالم الإسلامي . وما يتبع ذلك من سيطرة اقتصادية و هيمنة سياسية . وليس ببعيد أن تكون عسكرية . يقول المؤرخ (" رينيه جروسيه * " و " جوانفيل " الذى رافق الملك " لويس التاسع " ** في حملته :

إن " لويس " في خلوته هو أول من فكر في سلاح التنصير . وفي جمع كلمة أوربا على هذا المنهج والعمل على استخدام من يمكن إغراؤهم من نصارى الشرق . و إنشاء قاعدة في الغرب للعمل الصليبي على الأراضي الممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط . و تشمل فلسطين و الأردن و لبنان . وجزءا من سوريا و البلاد المقدسة حتى الإسكندرية .

و السبيل إلى ذلك : هو الدراسة المستفيضة للغة البلاد . التي سيبعث إليها المبشرون . و التعرف على عادات أهلها و تقاليدهم و تاريخهم و أنسابهم . و على الصراعات القائمة بينهم و أسبابها لاستغلالها في دوام تمزيق المجتمع كيما يسهل ازدراده لقمة لقمة) [(١)] .

بهذا يظهر التلاحم الشديد بين رهبان الاستشراق و دهاقنة السياسة . فالتنصير هو السُلّمة التالية للاستشراق في سُلّم الغزو الفكرى (فالاستشراق يرمى إلى استكشاف قوى المسلمين للعمل على ضربها . وإثارة الشبهات حول القيم الأساسية . التي يقوم عليها وجودهم . أما التبشير فهو تنظيم تربوى و تعليمي يجرى به إخراج المسلمين من عقيدتهم و مفاهيمهم . عن طريق استغلال الطلاب و المرضى

---

* جروسيه .ر . " ١٨٨٥ : ١٩٥٢م = ١٣٠٣ : ١٣٧٢هـ ، مستشرق و أديب و مؤرخ ، عين أمينا لمتحف " سرنوسكى " بباريس و انتخب عضوا في المجمع اللغوى الفرنسي ، من آثاره : تاريخ آسيا .... و الدراسات التاريخية و الاستشراق ...و حضارة الشرق . العقيقى جـ١ صـ٢٧٢ .

** لويس التاسع " ١٢١٤ : ١٢٧٠م = ٦١١ : ٦٦٩هـ ملك فرنسا " ١٢٢٦ : ١٢٧٠ م =٦٢٣ : ٦٦٩هـ ، تزعم الحملة الصليبية التاسعة و أسر في المنصورة في مصر بدار ابن لقمان عام ١٢٥٠م = ٦٤٨هـ . المورد ٥٥ .

(١) د: عبد المتعال الجبرى . الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى صـ٨٠ . الطبعة الأولى ١٤١٦ م=١٩٩٥م مطبعة المدنى ، القاهرة .

وتحويل عقائدهم . و التأثير على مفاهيمهم و تحطيم معنوياتهم . و تنشئة أجيال ... ممسوخة مبلبلة العقائد مضطربة الثقافة . منكرة لقيمها وتراثها و لغتها و تاريخها . و بذلك يمكن القول بأن المستشرقين طلائع المبشرين[1]) .

و إن هذه الصلة الوثيقة بين الاستشراق و التنصير. لمن أكبر الأدلة على أن الدافع الديني من أهم . إن لم يكن أهم دوافع الاستشراق . و لئن كانت مهمة التنصير . تمييع القيم الإسلامية في نفوس الشباب المسلم . و إخراجه من الالتزام بمبادئ دينه . فإن الاستشراق هو الجهود المبذولة للبحث عن نقاط الضعف – بزعمهم – و بثها أراجيف في نفوس ضعفاء الإيمان من المسلمين .

وفيما يلي سألقي الضوء حول حركة التنصير باعتبارها الاستشراق في صورته الميدانية .

---

[1] أ/ أنور الجندي . أهداف التعريب في العالم الإسلامي صـ ٣٠ .بدون ت ، طبعة الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .

المطلب الأول

مفهوم التنصير و التبشير

أولاً: في اللغة :-

يقال : (نصَّره تنصيرا : جعله نصرانيا . و في الحديث " فأبواه يهودانه أو ينصرانه "[١]) ويقال : (تنصر دخل في النصرانية "[٢]) و يقال : بشره من البشرى و بابه نصر و دخل . و أبشره أيضا و " بشَّره تبشيرا " و الاسم : البشارة بكسر الباء و ضمها ..... و " المُبَشِّر و المُبَشِّرات : الرياح التى تبشر بالغيث[٣]) وفي المعجم الوسيط : " التبشير الدعوة إلى الدين (محدثة) و المُبشِّرة من النساء الجميلة التامة من كل وجه)[٤] .

و نحن نلحظ خداع الألفاظ المقصود حينما يطلقون على التنصير اسم : التبشير . يريدون بذلك أن يُجمِّلوا وجه التنصير القبيح . فالتبشير هو الإتيان بما يسر و يفرح . و المبشر هو المبعوث بالخير المعنوى . كما أن الرياح يبعثها الله بالخير المادى . و المبشرة هي المبعوثة بالخير و ذات الجمال التام و كل هذه الألفاظ مما يثير في النفس الراحة و الاطمئنان . و لعل ذلك ما كان يقصده القس " زويمر* شيطان المنصرين الأكبر حينما قال (: لتكن لكم نعومة الأفعى في الزحف إلى قلوب المسلمين . إن المسلم لا يغير دينه بسهولة . لذلك كان لا بد من تخديره . قبل فتح بطنه كما يفعل الجراحون)[٥]

و لكن الجرَّاحين يستخرجون من المريض أسباب المرض . و يَمُدُّون إليه أيدى الملائكية . التى تستنقذه من أيدى الشقاء . و يعطونه تعيمة الحياة السعيدة الناعمة بأسباب الصحة .

بيد أن المبشرين يستخرجون من الناس أسباب الخير و الطمأنينة . ليودعوا في أنفسهم " فيروس " الألم والشقاء . و يمدون للجوعى يدا بالطعام و يدا بالإنجيل . فإما أن يقبلوا الإنجيل و إلا فلا طعام . يمدون إليهم يدا بالعلاج و يدا بالإنجيل . فإما أن يقبلوا الإنجيل . و إلا فالمرض و سوء المصير .

---

[١] الشيخ الإمام محمد أبو بكر بن عبد القادر الرازى – مختار الصحاح صـ٦٢٢ . ، بدون ت ،طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

[٢] إبراهيم مصطفى و آخرون – المعجم الوسيط جـ٢ صـ٩٢٥ . طبعة دار الدعوة ، الطبعة الثانية – بدون تاريخ طبع استانبول تركيا .

[٣] مختار الصحاح صـ ٥٣ .

[٤] المعجم الوسيط جـ١ صـ٥٨ .

* صمويل زويمر ١٨٦٧ : ١٩٥٢م = ١٢٨٤ : ١٣٦٢هـ ، رئيس المبشرين في الشرق الأوسط ، تولى تحرير مجلة العالم الإسلامى ، التى أنشأها مع ماكدونالد ، و له مصنفات في العلاقات بين الإسلام و المسيحية ، أفقدها بتعصبه و اعتسافه و تضليله قيمتها العلمية . العقيقى جـ٣ صـ١٣٨ .

[٥] د/ عبد الودود شلبى . الزحف إلى مكة صـ٢٩ .. الطبعة الأولى . ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة .

فأى شبه بين ملائكة الرحمة و شياطين العذاب . لقد كان ينبغى أن يبحث عن وصف آخر غير وصف الجراحين . كان ينبغى أن يبحث عن وصف لا تعرفه الإنسانية الراشدة في قواميسها .

ثانيا : التبشير و التنصير اصطلاحا :-

يقول الدكتور أحمد سعد الدين البسطى : (إذا نظرنا إلى حقيقة التبشير المسيحى . نجد أنه عبارة عن التنصير . أى تحويل الناس من دياناتهم ... إلى الديانة النصرانية[1]) .

ويقول المستشار " الطهطاوى : (التبشير .. هو هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في البلاد التى يتوجه إليها المبشرون المسيحيون للتبشير فيها خصوصا الإسلام[2]) .

و يقول الأستاذ الميدانى : (التبشير : تعبير أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التى يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية . لا سيما المسلمون . ثم تحول هدف التبشير داخل الشعوب المسلمة إلى غاية التكفير و إخراج المسلمين عن دينهم . ولو إلى الإلحاد و الكفر بكل دين . والمبشرون هم الذين يجندون أنفسهم للقيام بمهمات التبشير ... عن طريق الدعوة إلى النصرانية صراحة . أو عن طريق التعليم المنهجى . أو التثقيفى العام . أو الخدمات الصحية أو الاجتماعية أو غيرها . و دس الأفكار التبشيرية فيها[3]) .

غاية التنصير

فالتبشير و التنصير ، اسمان لمسمى واحد . هو إخراج الناس عامة . و المسلمين خاصة عن دياناتهم إلى النصرانية . و لما عزَّ عليهم تنصير المسلمين . عملوا على إخراجهم من الإسلام التزاما . و إن لم يعتنقوا المسيحية . لإنشاء جيل مذبذب مضطرب لا هُوية له . و القس " زويمر " يؤكد هذه الحقيقة بقوله مخاطبا حملة الصليب : (و لكن مهمة التنصير التى ندبتكم دول الصليبية للقيام بها في البلاد المحمدية . ليست إدخال المسلمين في الصليبية . فإن هذه هداية لهم . وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله تعالى . و بالتالى فلا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم في حياتها[4] .

---

[1] د/ أحمد سعدالدين البسطى ، التبشير و أثره في البلاد العربية صـ٣١ بتصرف . بدون ت ، بدون ط ، مكتبة الإيمان ، القاهرة .

[2] المستشار / محمد عزت الطهطاوى – التبشير و الاستشراق أحقاد و حملات صـ١٧ .الطبعة الأولى ١٤١١هـ =١٩٩١م . الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة

[3] الأستاذ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى – أجنحة المكر الثلاثة صـ٥٠ بتصرف ، الطبعة السادسة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م ، دار القلم ، دمشق ، بيروت .

[4] د/ عبد الله سمك – الاستشراق بين الجحود و الإنصاف صـ٨٦ ، بدون ط ، ١٩٩٢م =١٤١٢هـ ، بدون دار نشر .

إن المرء ليحار : أى عقول تلك التى تعمل على طمس هوية الآخرين . و إبعادهم عن مصادر الدين والأخلاق . وأى عقلية شيطانية خبيثة . تلك التى تنضح الشر وتتعمد الإفساد فى كلامها . و إن موازين الإنسانية الرشيدة – و لا أقول الدين أىَّ دين – لتربأ عن هذا المستنقع الآسن الذى يسبح فيه هؤلاء

يقول الأستاذ الشيخ محمد الغزالى رحمه الله تعالى فى كتابه "صيحة تحذير من دعاة التنصير" : (بين يدىَّ كتاب من ٩٠٠ صفحة مطبوعة بحروف صغيرة . فلو أن الكتاب طبع بالحروف المعتادة لبلغ ثلاثة مجلدات كبيرة . إنه سِجلٌ للدراسات و المحاورات و المقترحات والآراء و النتائج التى انتهى إليها آخر المؤتمرات التبشيرية فى الولايات المتحدة . وقد تخصص هذا المؤتمر فى بحث قضية واحدة . هى أمثل الطرق لتنصير المسلمين . و القضاء على دينهم . وقد جُمع لهذه الغاية ألف مليون دولار . لعلها الخطوة الأولى فى مشوار طويل . الحق أنى شعرت بالكآبة و الأسف و تساءلت : ماذا يطلب هؤلاء الكهنة المجتمعون على أخس غرض ... إنكم يا رجال الكنائس المجتمعون فى مؤتمركم هذا صادقتم يهود . و بسطتم أيديكم إليهم بالود و النصرة . ولم يخفَّ ضِغْنُكم ذرة على الإسلام و نبيه ! و تذكرت كلمة " برناردشو * " : لقد طبع رجال الكنيسة فى القرون الوسطى دين الإسلام بطابع أسود حالك . إما جهلا و إما تعصبا . إنهم فى الحقيقة كانوا مسوقين بإحساس واحد وهو بغض محمد ودينه . و هم يقولون : إن محمدا عدو المسيح . ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب . و فى رأيى أنه بعيد جدا عن أن يكون عدوا للمسيح . و إنما ينبغى أن يدعى منقذ الإنسانية .

إن الحضارة الحديثة صنعها رجال من طراز " برناردشو " أما رجال الكنائس المؤتمرون فى الولايات المتحدة . فهم إخوة و أبناء للذين ذبحوا العلماء و قيدوا الدنية و كرهوا الفكر و الحرية .... إنهم الآن يعودون فى ظل مدنية قتلوا رجالها الأوائل . حاملين لواء الكره للإسلام وحده ... إن هذه القطعان من الكهنة . تستأنف غرائز التعصب القديم ـ حين تستأنف الحرب و تشن غارة جديدة على الإسلام)[1] .

---

* جورج برنارد شو " ١٨٥٦-١٩٥٠م =١٢٧٣ : ١٣٧٠هـ ، كاتب مسرحى إنجليزى ، إيرلندى المولد ، تزخر آثاره بالظرف و السخرية . المورد٧٩ .

[1] الشيخ / محمد الغزالى . صيحة تحذير من دعاة التنصير صـ١٣، ١٤ بتصرف . دار الصحوة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١م القاهرة .

نعم إن هؤلاء الكهنة تكالبوا على هذا الدين . كما فعل أسلافهم من قبل . فحاربوه بالتشويه و التشويش على حقائقه من خلال الاستشراق . و بتحويل سموم الاستشراق إلى حجج . لصد الناس عن هذا الدين ولتشكيك المسلمين في دينهم عن طريق التنصير . إن الاستشراق و التنصير صنوان يتغذيان من جذر الغزوالفكرى ـ ضارب جذور الكره و الإغماط لدين الإسلام . بل هما مرحلتان متكاملتان في طريق الحملة الصليبية الفكرية على دين الإسلام .

و مما سبق يتضح لنا أن (الدافع الأساسي لنشأة الدراسات الاستشراقية . إنما هو أساس ديني محض . ومن هنا لم يكن بد للتبشير من أن يرتبط بالاستشراق . حيث إن المبشرين يحتاجون في تبشيرهم إلى ما توصل و ما يتوصل إليه ... المستشرقون مما يُسهّل لهم مهمة التعامل مع المسلمين و غير المسلمين .... فالاستشراق و التبشير إذا عملة واحدة ذات وجهين . و لهما هدف واحد يتعاونان على تحقيقه مهما كلفهما الأمر[1]) .

[1] د/ محمد عبده يماني . الشعرة التى بين الاستشراق و التنصير . مجلة المنهل عدد ٤٧١ السنة٥٥ مجلد ٥٠ رمضان وشوال ١٤٠٩هـ أبريل و مايو ١٩٨٩م ص٢٦٦ بتصرف .

المطلب الثاني

الفرق بين الاستشراق و التنصير

لئن كان الاستشراق و التنصير يتكاملان في أداء مهمتهما . فإن لكل منهما ميدانه الذي اختص به ووسائله التي ينفرد بها (فكانت وسائل الاستشراق علمية أكثر منها عملية . كتأليف الكتب و نشر الأبحاث . التي يعتبرونها علمية . و عقد المؤتمرات . التي يوجهونها لبلوغ غايتهم . و العمل في الجامعات كمحاضرين يبثون سمومهم في طلبتها .

أما التبشير فيجمع بين الطابع العلمي و العملي معا . فهو يلجأ إلى إنشاء المراحل التعليمية المختلفة بدءا من الأطفال . بل بدءا من دور الحضانة و انتهاء بالثانويات . حيث يتعهد النشئ منذ نعومة أظفارهم ويصوغهم في القالب الفكري أو العقدي الذي يريده ...

و يعمد التبشير في الجانب العملي بإنشاء المؤسسات الخيرية . التي ظاهرها الرحمة و باطنها من قبلها العذاب . كإعداد المستشفيات و تشييد دور للقطاء و المعوزين من الأطفال . و إنشاء ملاجئ للعجزة و المساكين . منتهزا فرصة الكوارث الطبيعية التي تتيح لهم تبني الأطفال أو شرائهم بالآلاف المؤلفة . ليعدوهم منذ نعومة أظفارهم الإعداد اللازم ليعودوا إلى بلادهم كأفتك أدوات الهدم . و أغنى وسائل للتخريب العقدي لصالح المسيحية .

و ربما رضوا بالتفريق بين المسلمين . و تشكيكهم في الدين . و تعبيد الطريق لهم إلى اعتناق اللادينية أو الإلحاد . سُئل رئيس مدرسة تبشيرية في فلسطين كم نصَّرت من أبناء المسلمين ؟

فأجاب : لا تسألوني كم مسلما نصَّرت . ولكن اسألوني . كم معولا صنعته من هؤلاء لهدم الإسلام نفسه

... إذا لا فرق بين الاستشراق و التبشير إلا في الوسائل مع اعتماد التبشير على الاستشراق في الطابع الأكاديمي) [1] .

و كما يقولون " لا تعطني سمكة و لكن علمني كيف أصطاد " إن هؤلاء المبشرين و المستشرقين يعملون بهذا المنطق ؛ فهم بجانب جهودهم الذاتية في التنصير ؛ يصنعون الكوادر التي تقوم بهذا العمل من

---

(1) المرجع السابق صـ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، بتصرف .

أبناء المسلمين . و بالطبع لا يقوم المذربون من المسلمين بأعمال التنصير مباشرة . و لكنهم يمثلون معاول الهدم التي تهدم حصن الإسلام من داخله . إنهم الشبيبة الذين تمناهم " زويمر " مسلمون و ليسوا مسلمين .لقد استمرئ القوم هذه الهجمة الشرسة التي تفترى على الإسلام الكذب . و تصمه بما ليس فيه من سئ الأفكار و المعتقدات ؟

لقد جاء على المسيحية حين من الدهر (كان همها الحفاظ على الكيان العقائدى بين المسيحيين أنفسهم . حتى لا يكتسحهم الإسلام في هجمته الفكرية الهادية . التي لا تبقى و لا تذر . فإذا لجأ الاستشراق والتبشير إلى الحيدة و الموضوعية و نزاهة الحكم . لم يبق عاقل واحد من المسيحيين إلا و انضوى مع المسلمين تحت راية الإسلام الفضفاضة الشماء . فلا بد من اقتناص فرصة الجهل بين المسيحيين ليتقولوا ما لا يقول به مجرد عاقل . لينفروا أهل ملتهم من الانجراف إليه . و الانخراط في سلكه ...

يقول المسيو " كيمون " في كتابه " باثولوجيا* الإسلام " :

إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس . و أخذ يفتك بهم فتكا ذريعا . بل هي مرض مروع .. وشلل عام و جنون ذهولي . يبعث الإنسان على الخمول و الكسل . لا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء . و يدمن معاقرة الخمور . و يجمح في القبائح و ما قبر محمد في مكة " كذا " إلا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين و يلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الهستريا " الصرع " و الذهول العقلي"[1])

لقد تردى هذا الإنسان أسفل سافلين . ولقد بلغ به الجهل أن لا يعرف قبر النبي صلى الله عليه وسلم : أفي مكة أم في المدينة ؟ و بالله كيف يتصور الإنسان علما يحترم من أمثال هذا ؟

هل الإسلام دين خمول و كسل ؟ الإسلام الذى يقول رسوله صلى الله عليه وسلم :" إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " رواه البيهقي .

و يقول ﷺ " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده و إن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده " رواه البخاري .

---

* باثولوجي : مرضي ، الباثولوجي : الأخصائي في علم الأمراض ، و بخاصة من يجرى الفحوص بعد الوفاة أو من يشخص التغيرات المرضية في الأنسجة المتأصلة بالجراحة ، و الباثولوجيا : علم الأمراض أسبابها و أعراضها . قاموس المورد الكبير لمنير البعلبكي صـ٦٦٤ .الطبعة ٢٨ ١٩٩٤م ، دار العلم للملايين

[1] المرجع السابق صـ٢٦٧ . بتصرف .

و يقول صلى الله عليه و سلم : " إذا قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها "

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال قال النبي ﷺ (الساعي على الأرملة و المسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار .

و عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير و يحبس لأهله قوت سنتهم ")[1]

و لم يرض أبدا للمسلم أن يسأل الناس أو يقبل من أحد طالما قدر على أن يعول نفسه . فعند البخاري في إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين و الأنصار قال (لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن و سعد بن الربيع . قال لعبد الرحمن إني أكثر الأنصار مالا فأقسم مالي نصفين و لي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها قال : بارك الله لك في أهلك و مالك . أين سوقكم فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا و معه فضل من أقط و سمن ثم تابع الغدو ثم جاء يوما و به أثر صفرة . فقال النبي ﷺ مهيم . قال : تزوجت . قال كم سقت إليها قال : نواة من ذهب أو وزن نواة من)[2] .

و هل انتشر الإسلام بحد السيف ؟ ما هي إلا فرى نطقت بها نفس محمومة من بغضها على الإسلام . و بلغ بها الجهل كل مبلغ حتى لا يعلم هل قبر النبي ﷺ في مكة أم في المدينة !!!

و الإسلام الذي حرم الخمر ببيان إلهي يتلى إلى يوم القيامة هو في نظر المتوهمين يدعو إلى شرب الخمر و معاقرة النساء ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوا لعلكم تفلحون ﴾ المائدة ٩٠ .

وكيف نتصور الحيدة والموضوعية من شخص يتفنن في الافتراء والتدليس وتلبيس الباطل على الحق ؟! والأمثلة على تلك الافتراءات والأوهام كثيرة و أكتفي في هذا المقام بما أوردت .

فكانت هذه الهجمة من أجل حماية النصارى من المد الإسلامي . ثم لصناعة مجتمعات لادينية من أهل الإسلام . يحملون هوية الإسلام . و لا يصطبغون بصبغة الله التي ارتضاها لمن رضي بهذا الإسلام دينا .

---

(1) صحيح البخاري مجلد ٢ جـ٣ صـ ٢٨٧ ، بدون ط بدون ت ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

(2) المرجع السابق مجلد ١ جـ٢ صـ٣٠٩ ، ٣١٠ .

ومن خلال ما سبق تتضح الصلة الوثيقة بين التنصير والاستشراق فهما وجهان لعملة واحدة . وهما مرحلتان متكاملتان فى العمل ضد الإسلام والمسلمين ، الأمر الذى يؤكد لنا وبقوة أن الدافع الدينى للاستشراق من الدوافع الأساسية التى انطلقت بها حركة الاستشراق .

و إذا كان العمل الميدانى يظهر لنا و بصورة أوضح تلاحم دوائر السوء هذه فى عملها ضد الإسلام . و تبدو لنا كقنوات متصلة . و ليست ميادين يختلف بعضها عن بعض . أقول : إذا كان ذلك كذلك فإن الحديث عن مؤتمرات التنصير . و التعليم باعتباره أجدى وسائل التنصير وباعتباره الميدان الذى نرى فيه بوضوح المستشرقين و المبشرين جنبا إلى جنب . هذا الحديث حينئذ من الضرورة بمكان .

المطلب الثالث

مؤتمرات التنصير

عقدت حركة التنصير في خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية عددا من المؤتمرات الكبرى ... من أهم هذه المؤتمرات :

١- مؤتمر ١٩٠٦م في القاهرة عقد في منزل أحمد عرابي في باب اللوق .

٢- مؤتمر ١٩١٠ في أدنبرج بإنجلترا

٣- مؤتمر ١٩١٣م في لكنو بالهند ٤- مؤتمر ١٩١١م في بيروت .

٥- مؤتمرات ١٩٢٤م في القدس . و برمانا بلبنان . و قسطنطينية في الجزائر . و حلوان في مصر .

٦- مؤتمر ١٩٢٨ م في القدس ٧- مؤتمر ١٩٣١م في تونس

٨- مؤتمر ١٩٢٥م في القدس)[١]

و لنقف على خطورة هذه المؤتمرات يلزمنا الوقوف على بعض مقررات بعض هذه المؤتمرات و على سبيل المثال مؤتمر القاهرة التبشيري ١٩٠٦م و الذي بحث المسائل الآتية :-

(١- ملخص إحصائي عدد المسلمين في العالم

٢- الإسلام في القارة الأفريقية ٣- الإسلام في تركيا إبان الخلافة العثمانية .

٤- الإسلام في الهند ٥- الإسلام في إيران . ٦- الإسلام في الملايو ٧- الإسلام في الصين

٨- النشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين العوام و المسلمين المتنورين .

٩- التنصير و الارتداد ١٠- وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين ١١- شئون النساء المسلمات

١٢- موضوعات تتعلق بتربية المبشرين و العلاقات بينهم . ١٣- كيفية التعليم في الإسلام .

و هذه الموضوعات طبعت في كتابا كبير اسمه " وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين)[٢]

و لنتصور ضخامة الأمكانيات المرصودة لهذا المؤتمر و أمثاله . و جسامة المجهود الذي يبذله هؤلاء الكهنة من أجل الوقوف على دقائق العالم الإسلامي للبحث عن أمثل السبل لتنصير المسلمين . و لنقرأ قول الحق سبحانه و تعالى :" و لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا " البقرة .

---

[١] أ/ أنور الجندي ، مقدمة العلوم و المناهج مجلد ٥ صـ٣١ بتصرف ، بدون ط ، بدون ت ، دار الأنصار ، القاهرة .

[٢] المستشار محمد عزت الطهطاوي ، التبشير و الاستشراق أحقاد و حملات صـ١٣٣ ، ١٣٤ الطبعة الأولى ١٤١١هـ=١٩٩١م الزهراء للإعلام العربي ، مدينة نصر ، القاهرة .

و من أخطر المؤتمرات التنصيرية التي ظهر فيها تلاحم التنصير و الاستشراق (مؤتمر أمريكا سنة ١٩٤٢م . و الذي عقد في مدينة بلتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية بمعرفة نفر من زعماء اليهود للنظر في وضع قواعد خطة الحرب التاريخية الدعائية على العرب والإسلام ... و لقد ظهرت آثار هذا المؤتمر الخطير في الآتي :

١- تعميم إعلامي في الصحف و الكتب لنظريات تمجيد القرامطة و الحشاشين و ما شابههم تحت حماية العقلة و الصمت . و كل ذلك بهدف قلب حقائق و أحداث التاريخ الإسلامي رأسا على عقب

٢- و أخطر من ذلك تدريس مثل هذه النظريات على مستوى المدارس الثانوية أو الجامعات .

٣- و يتضافر مع اليهود و الصهيونية عناصر من المستشرقين الأوربيين و الأمريكيين تبدو بريئة المظهر و بعيدة عن أن يجمعها خيط سياسي أو مذهبي واحد . لكنها تتفق على الزعم بأنها تعيد النظر إلى التاريخ الإسلامي . و تعمل على تصحيح تفسيره . من خلال ما اصطلحوا على تسميته بالمنهج العصري و حيويته تحت شعار البحث العلمي .

٤- و العجب أن هؤلاء المختلفين في انتمائهم المذهبي و الاجتماعي بين الصهيونيين و الماركسيين أو بين اليمين و اليسار قد اتفقوا جميعا على هدف واحد هو : قلب حقائق التاريخ الإسلامي . و تمزيق ترابطه واتساقه و طمس صورته و تأويل وقائعه)[١] .

(و قد وصلت هذه المؤتمرات إلى خطط محددة أهمها : أن التعليم هو أنجح الخطط في تحقيق الأهداف . و ذلك بوضع الشباب المسلم العربي تحت تأثير التعليم الغربي المسيحي . و أن يشمل هذا التأثير أولئك الذين سيصبحون يوما قادة في دولهم كما أولت هذه المؤتمرات اهتمامها بالتوصيات التي كانت ترد إليها من وزارات الاستعمار ، كما تضمنت التوصيات إلى الدول المستعمرة و من أهم هذه الرغبات ما طلبته إحدى المؤتمرات من إغلاق البلاد الأفريقية أمام التاجر المسلم و العالم المسلم المتنقل في البلاد أو أداء الصلاة الإسلامية أمام الوثنيين .

كما اهتمت بدراسة المطبوعات اللازمة للتبشير و ترجمات التوراة و توزيعها بين المسلمين . و إنشاء المعاهد اللازمة لتخريج المبشرين و الإضافات اللازمة للمناهج التي تدرس في المعاهد و الجامعات التابعة للإرساليات التبشيرية ووضع الخطط للقضاء على كل مقاومة أو مناعة في مواجهة حركتهم .

كما عمدت هذه المؤتمرات إلى دعم المخططات الأخرى الفرعية و في مقدمتها :-

---

[١] المرجع السابق صـ١٧٥ : ١٧٧ بتصرف .

١- دعوات الفرعونية في مصر و البربرية في المغرب و البحر المتوسط في سوريا . و الفينيقية في لبنان .

٢- تنشيط دعوات القاديانية و البهائية .

٣- الانتفاع بنشاط المحافل الماسونية

٤- الانتفاع بالصحف و الأندية و الجمعيات) [١] .

و هكذا تتلاقي أطراف الغزو الفكرى أو بتعبير أدق تتلاقى أذرع الأخطبوط الغربى الذى يريد أن يعتصر العالم الإسلامي . تتلاقي جميعا في نقطة واحدة كما انطلقت من قبل من خلفية مشتركة بينها جميعا . خلفية البغض للإسلام و المسلمين .

التنصير بين الشباب

إن شاب اليوم هو مستقبل الغد و رافع رايته و مشعل جذوة حضارته . و من ثم توجهت اهتمامات المبشرين إلى هؤلاء الشبيبة الذين هم أمل الأمة الإسلامية و مستقبلها .

من أجل هذا أسست (عام ١٨٥٥م جمعية الشبان المسيحيين الإنجليز و الأمريكان . ووظيفتها إدخال ملكوت المسيح بين الشبان .

و عقد تلاميذ المدارس النصرانية في " نورثفيلد "مؤتمرا اجتمع فيه مندوبون عن ثمانين مدرسة تكلفت بتقديم مائة شاب للتطوع في نشر الدين المسيحي و من هؤلاء تألفت " جمعية الشبان المتطوعين للتبشير في البلاد الأجنبية . و قد صرح أدوين بلس المبشر البروتستانتي أن هذه الجمعية لعبت دورا مهما في تبشير المسلمين على الخصوص . لأن شعارها كان نشر الإنجيل بين أبناء الجيل الحاضر ...

و في سنة ١٨٩٥م تأسست جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم و هي تهتم بدرس أحوال التلاميذ في كل الأقطار و بث روح المحبة بينهم . فالتحق بها ١٠٠.٠٠٠ طالب و أستاذ ... و في سنة ١٩٠٢م تأسست جمعية تبشير الشباب . و من وظائف هذه الجمعيات استمالة النساء و البنات و الشباب و الطلبة إلى استماع صوت المبشرين) [٢] .

---

(١) نور الجندي ، موسوعة مقدمات العلوم و المناهج مجلد ٥ صـ٣٢ ، ٣٣ بتصرف . مرجع سابق .

(٢) ا.ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي صـ١٤ بتصرف ، تعريب ا/ محب الدين الخطيب و مساعد اليافي بدون ط بدون ت مكتبة أسامة بن زيد بيروت لبنان .

التنصير بين أطفال المسلمين

لقد كان المبشرون في الهند (يلتقطون الأطفال الذين يعضهم ناب الفاقة و الفقر فيحسنون إليهم ويستجلبونهم نحوهم)[١] .

و هذه الحرب على أشدها تنتهز كل فرصة لاختطاف أبناء المسلمين و تربيتهم على أخلاق النصارى و دينهم و من تلك الصور المؤسفة ما قام به أحد المبشرين حيث (أخذ أبناء الشهداء في لبنان و أفريقية لكي يتبنونهم و يربوهم على المسيحية . بل إن الاتحاد السوفيتي السابق قد أخذ حوالي عشرة آلاف طفل من أبناء أفغانستان لتربيتهم منذ نعومة أظفارهم على الإلحاد و الكفر ليكونوا قاعدة للنظام الشيوعي في بلادهم في المستقبل .

ولنتذكر الموقف المخزي بين يدى الله عز و جل . لمن سمحوا للفتيات المسلمات أن يتربين في أحضان المسيحية لينكحهن في النهاية مشرك أو كافر .

و لقد تبنى قسيس بلجيكي ثلاثة آلاف طفل صومالي كلهم من أبناء المسلمين .

ماذا سيكون مصيرهم ؟ و ماذا يقول المسلمون أصحاب الثروات لله عز و جل حينما يسألهم يوم القيامة عن هذه الواقعة التي وقفوا منها موقف المتفرج ؟؟)[٢] .

لقد ذكر الدكتور عبد الجليل شلبي في كتابه " عرب و مسلمون للبيع " مخازى عن شيوخ الخليج الذين كانوا ينفقون آلافا مؤلفة بل ملايين لا حصر لها فيما لا يعود عليهم إلا بغضب الله . و لا يعود على الأمة إلا بالخزى و العار . هذا في الوقت الذى يتنصلون أو لا يأبهون بهؤلاء المساكين الذين يؤخذون ليعودوا أداة هدم للإسلام حضارته .

التنصير بين النساء

إن الدور الأساسي الذى تلعبه المرأة في نجاح البيت و حسن سيره . و التربية المستقيمة لأبناء هذا البيت أمر لا يشك فيه عاقل . و إذا كان الرجل يخرج ليعمل و يكدح . فإن المرأة هي التي تشرف مباشرة على سلوك الأبناء . و هي التي تراقب نموهم الجسمي و الخلقي والعقلي . و من ثم فبيدها أزمة التربية و من خلالها تستقيم الأسرة و تصبح لبنة سليمة في المجتمع . أو تصبح أسرة متفككة و تصبح عامل هدم في كيان المجتمع يفرخ مجرمين و مدمنين و غير ذلك .

---

[١] المرجع السابق صـ١٧ .

[٢] د/ جمال عبد الهادى د/وفاء محمد رفعت ، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ أفريقيا يراد لها أن تموت صـ١٧٠ بتصرف الطبعة الثالثة ١٤١١هـ=١٩٩١م ، دار الوفاء ، المنصورة .

و من ثم (يهتم المنصرون بكيفية الوصول إلى المرأة المسلمة لأن وصولهم إلى المرأة المسلمة يعنى وصولهم إلى الأسرة المسلمة . و لهذا اتبع المبشرون الآتى :-

أولا : جلب النساء الأجنبيات اللاتى يعملن بالتبشير ليتصلن بالنساء المسلمات .

ثانيا : إنشاء جمعيات الشابات المسيحيات بفروعها حتى تلجها النساء و الفتيات المسلمات .

ثالثا : إنشاء معاهد التبشير الخاصة بالفتيات أو الدور لإقامتهن .

رابعا : يرى المنصرون أن الأثر الذى تحدثه الأم فى أطفالها ذكورا أو إناثا حتى السنة العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية . و بما أن النساء هن العنصر المحافظ فى الدفاع عن العقيدة فإنهم يعتقدون أن الهيئات التنصيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة فى التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية .

خامسا : و قد وضعت المبشرات فى مؤتمر القاهرة التنصيرى الذى عقد سنة ١٩٠٦م النداء الآتى :-

" لا سبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح . إن عدد النساء المسلمات عظيم جدا لا يقل عن ١٠٠ مليون . فكل نشاط للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن . نحن لا نقترح إيجاد منظمات جديدة . و لكن نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائى على العمل و اضعة نصب عينيها هدفا جديدا هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن فى هذا الجيل "

سادسا : تشجيع الشباب المسلمين بالزواج بالفتيات الأجنبيات المسيحيات ... و المعلوم عادة أن زواج المسلم بالأجنبية الكتابية يسلب البيت الإسلامى جوه الروحانى المسلم . ويضفى على البيئة الطابع الأجنبى . خصوصا فى اللغة الأجنبية التى تتكلمها الأم فيتكلمها الأطفال منذ صغرهم دون اهتمام ما باللغة العربية التى هى لغة القرآن والدين و الصلاة)[1] .

لقد قال "جسب " إن مدرسة البنات فى بيروت هى بؤبؤ عينى . لقد شعرت دائما أن مستقبل سوريا إنما هو بتعليم بناتها و نسائها . لقد بدأت مدرستنا للبنات و لكن ليس لها بعد بناء خاص بها . و ها هى قد أثارت اهتماما شديدا فى أوساط الجمعيات التبشيرية "

إن المبشرين لم يتأخروا فى فتح مدارس للبنات . و أول مدرسة افتتحها المبشرون إبان الامبراطورية العثمانية كانت فى بيروت سنة ١٨٣٠ م و لقد فتح المبشرون مدارس كثيرة للبنات فى مصر و السودان و سورية كلها و فى الهند و الأفغان "

---

(١) المستشار محمد عزت الطهطاوى ، التبشير و الاستشراق أحقاد و حملات ص٣٦ : ٣٨ بتصرف مرجع سابق .

و كان اهتمام المبشرين بالمدارس الداخلية للبنات أشد . قالوا : إن التبشير يكون أتم حبكا فى مدارس البنات الداخلية لما يكون فيها من الأحوال المؤاتية و الفرص السانحة .... تقول المبشرة " أنا ميلغيان " فى صفوف كلية البنات فى القاهرة بنات آباؤهن باشاوات و بكوات . و ليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى . و ليس ثمت طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة)"[1] .

التنصير فى الخليج

و للتنصير فى هذه المنطقة من العالم الإسلامى دورها المتميز . و للاستشراق كذلك . و لست أدرى لماذا أتخيل دائما دول الخليج بالقياس إلى مصر و كأنه الأخ الأصغر الذى ورث تركة ضخمة . مع قلة العيال و الجهد . فأخذ يبددها . و يضن على أخيه الأكبر . و لا يرى له فيها نصيب . علما بأن هذا الأخ الأكبر هو السبب فى هذا الثراء الفاحش الذى يحيا فيه .

و إلى جانب هذه الفوضى التى يعيش فيها الأخ الأصغر . فإن هناك أفاعى تسعى إلى الفتك به . و هو مخدوع بملمسها الناعم و التفافها البرئ .

لقد كانت منطقة الخليج هى النافذة الآمنة التى استطاع الغرب من خلالها أن يتسلل إلى حمانا . و أن يجنى ثمار هذا التعب الطويل و الكيد المتواصل و التخطيط الخبيث .

و للتنصير فى دول الخليج طريق طويل أختصره فيما يلى :-

(بنهاية القرن التاسع عشر ظل الشرق الأوسط بأكمله و بخاصة الجزيرة العربية الميدان المتبقى الأخير فى خريطة العالم للجهود التنصيرية .

و ليس من المستغرب إذن أن يجتمع نفر قليل من المنصرين الأمريكان فى " نيوجرسى " فى المعهد الاهوتى بمدينة " نيويرونزويك " ليؤسسوا البعثة العربية و يكون هدفها حسب التصريح التالى :

" إن هدف البعثة بناء على خطتها الأصلية هو الدعوة إلى النصرانية فى البلاد العربية و يجب أن نبذل جهودنا مباشرة بين المسلمين ... ستكون طريقتنا الرئيسية الدعوة و توزيع الأناجيل و القيام بالجولات التنصيرية و العمل التعليمى . إن هدفنا هو احتلال وسط الجزيرة متخذين الساحل قاعدة ... و كانت بداية عمل هذه البعثة على يد " صموئيل زويمر " و " جيمس كانتن " و ذلك بافتتاح مقر للبعثة فى مدينة البصرة فى العراق سنة ١٨٩١م و فى نفس العام أنشأ الدكتور " شارلز إى رقز "

---

[1] عمر فروخ و مصطفى خالدى ، التبشير و الاستعمار فى البلاد العربية صـ٨٧ ، بدون ط ، ١٣٧٢هـ=١٩٥٣م ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت .

مستوصفا في البصرة . وفي هذه الأثناء قام المنصرون بتوزيع مطبوعات دينية . و فتحوا مكتبة بالقرب من الميناء لبيع الأناجيل باللغة الإنجليزية و العربية) [١] .

و لم تلق الدعوة الى الإنجيل مباشرة أدنى إقبال لدى أهل البصرة . بل تعرضوا للطرد و الضرب من قبل السلطات المحلية التركية في ذلك الوقت (و ذلك بعد أن قامت السلطات المحلية بضرب أحد مساعدي البعثة من المواطنين . و لكن كان هناك أمل واحد و هوالتجاوب مع العمل الطبي و التعليم غير الديني حيث جاء المرضى إلى مستوصف الدكتور " رقز " أفواجا . بينما لم يقبل أحد على النصرانية . و كانت مبيعات الإنجيل إلى أدنى حد ...

و كان قيام جمعية الكنيسة التنصيرية بتأسيس مقر لها في بغداد عام ١٨٨٣م حيث أنشأت مستشفى و مدرستين للأولاد في بغداد و الموصل . كان ذلك مشجعا لزويمر على اتخاذ قرار بالتحول من التركيز على التنصير في البصرة . إلى العمل التنصيري الطبي و التعليمي و كتب زويمر حول قوة هذه الطريقة و نجاحها في إبطال التعصب و إيقاظ التعاطف في البلاد الإسلامية . و قد سافر زويمر إلى البحرين عام ١٨٩٢م ووزع هناك أربعة و أربعين نسخة من الإنجيل إلا أنه وجد نفسه مقبولا بصفته الطبية التنصيرية أكثر من أي صفة أو مظهر آخر ...

و بحلول عام ١٨٩٨م استطاعت البعثة أن تفتتح مستوصفا يعمل وقتا كاملا في البحرين ... و بعد ثلاثة أعوام افتتحت البعثة أول مستشفى في البحرين . و كان الأول في الخليج ... و في عام ١٩١٠م أرسل أمير الكويت إلى الدكتور آرثر بنت للحضور إلى الكويت ليؤسس فيها مستشفى . كذلك وجدت مدارس البعثة جمهورا متفتحا . و بخاصة للغة الإنجليزية و العلوم فبدأت مدرسة في البصرة و في مسقط أنشأ بيتر زويمر مدرسة صغيرة في مسقط لتعليم الأيتام الذين أنقذهم من سفينة للعبيد استولى عليها البريطانيون و قد استمرت هذه المدرسة في النو و كان الحضور في هذه المدارس كبيرا و منتظما حتى إن جمهورا كبيرا يضم وزير الشيخ حضر حفل التخرج في البحرين عام ١٩٠٧م كانت دروس اللغة الإنجليزية مرغوبة جدا و ما إن حل عام ١٩٠٨م حتى كان خمسة من أعضاء الأسرة المالكة يدرسون في مدارس البعثة ") [٢] .

---

(١) د . كونوى زيقلر ، أصول التنصير في الخليج العربي دراسة ميدانية وثائقية صـ٣٣ ، ٣٤ بتصرف ، ترجمة مازن صلاح مطبقاني ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م دار عكاظ للطباعة والنشر ، جدة ، السعودية .

(٢) المرجع السابق صـ٣٩ : ٤٤ بتصرف .

إن استقصاء عمل البعثات التنصيرية فى دول الخليج أمر يحتاج إلى رسائل علمية فلقد كانت دول الخليج دائما مفتحة الأبواب للإرساليات التنصيرية . و لئن كان العمل التنصيرى يحتاج إلى دعم مادى . فقد كان الأمر على الخلاف فى الخليج حيث كانت المرتبات الباهظة التى يتلقاها المنصرون المتنكرون فى صورة أساتذة جامعات و غيرهم أكبر عون على تنصير المسلمين أو على الأقل سلخ المسلم من دينه و إن لم يدخل فى النصرانية .

و لا تزال الأعمال التنصيرية فى دول الخليج على أشدها . و لكنها تتخذ صورا شتى منها ما يلى :-

(١- الإذاعة .

..و هناك مؤسسة نصرانية كبرى تهتم بهذا الجانب هى " الاتحاد العالمى للاتصالات المسحية .

٢- السفينة لوغوس :

و هى سفينة ضخمة ترسو على الموانئ العربية الإسلامية . و قبيل رسوها يُعلن عن معرض للكتاب . و إذ بذلك المعرض يزخر بكتب التنصير التى توزع مجانا بأسعار مخفضة كما يقوم المنصرون المصاحبون للسفينة بالحوار مع زوار المعرض . و الحصول على عناوينهم و مراسلاتهم بعد ذلك .

٣- صانعو الخيام :

و يقصد بهم غير المتخصصين فى التنصير الذين يفدون إلى الخليج أساتذة جامعات أو مهندسين أو خبراء و هم فى الحقيقة يعملون لحساب التنصير و يعملون على تكوين خلايا تنصيرية فى كل مكان يحلون .

٤- المربيات والعمال :

و هؤلاء من أخطر الوسائل حيث يتصلون مباشرة بالأطفال ويقضون معهم وقتا طويلا [1] .

لقد عشت فى إحدى دول الخليج - السعودية - فترة من الزمن . فلم أجد للالتزام الظاهرى فى تلك البلاد أدنى أثر على سلوكيات الناس و أخلاقهم . بل العكس . فإن شباب تلك البلاد يأتى من الفواحش و الآثام ما لا يأتيه شباب أكثر الدول انفتاحا .

و ليس ذلك عيب الالتزام . و لكنه نتيجة للهجمة الشرسة على تلك البلاد الوادعة . من خلال وسائل الإعلام التى تتسلل على المسلمين الآمنين فى بيوتهم فتحدث فيها من التخريب ما لا يحدثه الشيطان الرجيم .

---

[1] المرجع السابق ص١٧٧ ، ١٨١ بتصرف .

و إن التنصير و الإذاعات التنصيرية على أشدها في تلك البلاد التي كانت تفيض بحق عسلا ولبنا حتى صارت تلك البلاد تئن من أثقال التواجد العسكرى الغربى الـذى كـان طليعته الأولى المنصـرون و المستشرقون

قضية التعليم

إن التعليم هو القالب الذى يصاغ فيه عقل الأمة و يشكل حسب هذا القالب و يتخذ اتجاها معينا تبعا لذلك .

و التعليم في الإسلام له فلسفته الخاصة و التى تباين فلسفة التعليم عند الغرب مباينة تامة (لأن النظام الإسلامى الذى تشتق منه التربية و التعليم يعتمد على ما نزل به الوحى الشريف الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه .

أما الفلسفات الأخرى فتعتمد على العقل وحده و العقل بحكم فطرتـه يخطئ و يصيب و من الفروق التفصيلية بين نظرة الإسلام للتعليم و نظرة غيره من النظم الأخرى ما يأتي :-

١- نظرة الإسلام إلى الخالق جل شأنه و نظرة الآخرين إليه .

٢- نظرة الإسلام إلى الكون و الحياة و نظرة الآخرين إليه .

٣- نظرة الإسلام إلى الإنسان و نظرة الآخرين إليه)[1] .

إن هذا التباين الواضح بين الإسلام و غيره من النظم في قضية التعليم يحتم علينا أن تكون لنا ذاتيتنا في وسائلنا و مناهجنا التعليمية . وفي كل الجوانب التى تخدم العملية التعليمية . و لسنا نعنى بذلك أن ننطوى على أنفسنا و لا نقتبس النافع المفيد . لا سيما المعليات التى تضن بها علينا الحضارة الغربية و تزعجنا بفلسفات و علوم أغنانا الله تعالى عنها بكتابه و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم .

و من ثم يجب علينا أن نتخير لأنفسنا ما ينفعنـا من زخم هذه الحضارة الحديثة . و أن لا نأخذ الحضارة بحلوها و مرها ما يُحب منها و ما يُكره . و ما يُمدح و ما يُعاب . كما عبر عن ذلك عميد الأدب العربى

ورد في البروتوكول السادس عشر من بروتوكولات حكماء صهيون (و لقد وضعنا من قبل نظام إخضاع عقول الناس بما يسمى نظام التربية البرهانية الذى فرض فيه أن يجعل الأميين غير قادرين على

---

[1] د/ جمال عبد الهادى ، أ/ على لبن ، الحل الإسلامى لقضية التعليم ، الداء ، ص٧ بتصرف ، دار الوفاء المنصورة .

التفكير باستقلال و بذلك ينتظرون كالحيوانات الطيعة برهانا على كل فكرة قبل أن يتمسكوا بها....

و المراد بالتربية البرهانية : تعليم الناس عن طريق البراهين النظرية و المناقشات الفكرية و المضاربات الذهنية التعليم عن طريق الملاحظة و التجربة ... و من شأن هذا أن يفقد الإنسان ملكة الملاحظة الصادقة و الاستقلال في فهم الحقائق[1]

(و هذا بالفعل ما وصل إليه حال التعليم في بلادنا بشهادة كتاب " مبارك و التعليم " ١٩٩٢م صـ٨٥ حيث ذكر أن دور المدرسة قد اقتصر على تزويد الطلاب بقدر من المعلومات بينما لا يستطيعون أن يفيدوا منها في حياتهم العملية . و كان الواجب أن تكون كل مرحلة تعليمية مرحلة منتهية تسلح الأطفال بالخبرات التي تمكنهم من الذهاب مباشرة إلى سوق العمل . و الإسهام في زيادة الإنتاج كما يجب الربط بين التعليم الفني و سوق العمل)[2] .

و الآن و قد أصبح التعليم هدفا للمنظمات الصهيونية و الصليبية فلا بد من البحث عن هذه المنظمات التي تعمل في الخفاء أو في العلن لتسلب الأمة الإسلامية هويتها و مستقبلها .

منظمة الإسلام و الغرب و دورها في إفساد مناهج التاريخ و التربية الإسلامية

هي منظمة عالمية مشبوهة من منظمات العمل المتسترة التي تعمل على إفساد المناهج الدراسية بالبلاد الإسلامية . و بخاصة مناهج التاريخ و الدين ... هذه المنظمة يرأسها " اللورد كارادون " الممثل السابق لبريطانيا في الأمم المتحدة . و تتكون من خمسة و ثلاثين عضوا . منهم عشرة أعضاء من المسلمين و خمسة و عشرون عضوا من الغرب و الصهاينة . و هم من أعلى المستويات التعليمية و السياسية مثل " هاريسون براون " و هو أمريكي ، و من أبرز علماء الذرة في العالم . و كان رئيسا لأكاديمية العلوم الأمريكية و " هارولد بيلي " سفيرا لبريطانيا في القاهرة و أيضا ممثلان للفاتيكان و من أعضائها أيضا الدكتور / فتحي سرور وزير التربية و التعليم سابقا و رئيس مجلس الشعب المصري حاليا .

و قد نشأت هذه المنظمة في البداية تحت رعاية اليونسكو ١٩٧٧م كما صدر دستورها في ٣ / ١٠ / ١٩٧٩م و عنوانه " مراجعة كتب تدريس التاريخ و الدين بوصفها السبيل إلى تفاهم أفضل بين الإسلام و الغرب "

---

[1] محمد خليفة التونسي ، بروتوكولات حكماء صهيون صـ٢٥١ ، ٢٥٢ بتصرف ، الطبعة الثانية ١٩٧٦م دار التراث ، القاهرة .
[2] أ/ حسن جودة و آخرون ، المؤامرة على التعليم و المعلم صـ١٢٣ بتصرف ، دار الوفاء المنصورة .

و قد جاء في صفحة ٧ من هذا الدستور أن مؤلفي الكتب المدرسية لا ينبغي لهم أن يصدروا أحكاما على القيم سواء صراحة أو ضمنا . كما لا يصح أن يقدموا الدين على أنه معيار أو هدف . و عليهم أن يجتنبوا الخوض فيما يتعلق من الماضي و الحاضر أو القيم الشخصية التي تتسم بالمفارقات التاريخية .

و لا ينبغي لمدرسي التاريخ خاصة أن يقدم إحدى الممارسات الدينية على أنها تفوق سائر الممارسات . و لا يصح أن يضفي أفضلية عليها . و ايضا من المرغوب فيه أن الأديان يجب عرضها ليفهم منها التلميذ ليس خصائصها الأساسية فقط . و لكن أيضا ما تشترك فيه مع غيرها من الأديان .

و جاء في صفحة ٨ ما هو أخطر و نصه (يلزم فحص الكتب الدراسية التي قامت بتقديم الظاهرة الدينية على أن يقوم بذلك علماء من مختلف التخصصات و كذلك أعضاء من أصحاب العقائد الأخرى و كذلك اللادينيين)[1] .

إنه تدمير و ليس تطويرا . يريد هؤلاء الصهاينة و الصليبيين أن لا يكون الدين معيارا . و ألا يخوضوا في حياة الشخصيات التي تمثل مفارقات تاريخية . و أن يكون الدين كأى ممارسات عادية لا قداسة له و لا هيبة . و أن يعرض الدين في صورة قريبة من الأديان الأخرى حتى يتم التفاهم المزعوم بين أصحاب الديانات المحرفة و بين أبناء القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه . و يقولون إنه تطوير . و ما هو إلا تدمير . و سحق لهوية الأمة و كيانها الثقافي و ترابطها الاجتماعي .

فهل يستقيم في عقل الحر الغيور على دينه أن يشرف على وضع المناهج الدرسية لأبناء المسلمين هؤلاء الصليبيون و الصهيونيون . و أن يضع هذه المناهج اللادينيون ؟

و في الوقت الذى يضيق فيه الخناق على الأزهر و الأزهريين من خلال وسائل الإعلام التي تجعل الأزهري وسيلة للسخرية من خلال الأفلام والمسلسلات و المسرحيات . هذا فضلا عن أسلوب التعتيم على الأزهر

و مراحله التعليمية المختلفة في الوقت الذى تأخذ مراحل الدراسة في وزارة التربية و التعليم حظها من الاهتمام و الرعاية . و كأنه لا تعليم في مصر إلا من خلال وزارة التربية و التعليم و التعليم العالي

أقول: يضاف إلى ذلك محاربة المدارس الخاصة الإسلامية . ووضع العراقيل أمامها حتى لا تخرج إلى الوجود . و تؤدى رسالتها القدسية في صناعة جيل مسلم . و من تلك العراقيل :-

---

[1] د/ جمال عبد الهادى و آخرون ، دعوة لإنقاذ التعليم صـ٥٢ ، ٥٣ بتصرف ، دار الوفاء بالمنصورة ، و دار التوزيع و النشر الإسلامية بالقاهرة .

(١- تعويق حصول المدارس الإسلامية على تراخيص إنشاء أو توسعات . فمثلا مدارس حراء الإسلامية بأسيوط عجزت لمدة سنوات عن الحصول على تراخيص بفتح فصل دراسي للمرحلة الثانوية . رغم حصول المدارس التبشيرية الخاصة بنفس المدينة على هذه التراخيص و بمجرد أن طلبته)[١] .

هذا في الوقت الذى تيسر فيه السبل لإنشاء المدارس الخاصة الأجنبية و التى تغاير أنظمتها و مناهجها ووسائلها التعليمية نظام الإسلام تماما .

(يقول المبشر " تكلى " يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربى العلمانى . لأن كثيرا من المسلمين زعزع اعتقادهم بالإسلام و القرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية و تعلموا اللغات الأجنبية

و يقول " جسب " لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية و أخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا . حتى انحصرت في طقوس محددة . و قد تم معظم التطور تدريجيا عن غير وعى و انتباه . و قد مضى هذا التطور الآ. إلى مدى بعيد و لم يعد من الممكن الرجوع فيه . و لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة و الزعماء في العالم الإسلامى و على الشباب منهم خاصة . كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمى و الثقافى العلمانى)[٢] .

إن واقع الشباب المسلم اليوم واقع مر مؤلم . و ما هذا الواقع إلا نتيجة هذه المخططات الخبيثة التى استطاعت بفضل اجتهادهم و ابتعادنا عن منهج الله أن تثمر طلعها الخبيث فى مجتمعنا المسلم متمثلا فى ظواهر كثيرة . لعل أقربها و أدلها " عبدة الشيطان " الذين أعطونا صورة واضحة لنتائج الغزو الفكرى المدمر الذى نجح فى مؤامراته ضد العالم الإسلامى .

جامعة سانجور و أهدافها التغريبية

فى الوقت الذى يضيق فيه الخناق على المدارس الخاصة الإسلامية . و تصبح تحت المراقبة . و ينظر إليها على أنها بؤر لتفريخ الإرهاب . نجد انسيابية و سهولة فى التصريح ليس للمدارس التبشيرية فقط بل و الجامعات كذلك (فقد صدر قرار جمهورى رقم ٢٧٢ لعام ١٩٨٩ م بالموافقة على بروتوكول إنشاء جامعة باسم " سانجور " و كان ذلك القرار قد عرض على مجلس الشعب المصرى يوم ٥ يونيه ١٩٨٩م و بعد ثلاثة أيام فقط أى فى يوم ٨ يونيه ١٩٨٩م صدر القرار الجمهورى بالموافقة كما ذكرت

---

[١] د/ جمال عبد الهادى ، أ/على لبن ، التطوير بين الحقيقة و التضليل صـ٥٨ بتصرف ، دار الوفاء ، المنصورة .

[٢] المرجع السابق صـ٤٨ .

جريدة الشعب في عددها ١ / ٥ /١٩٩٠م و في يوم ١٩ / ١٠ /١٩٨٩م . و في يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٨٩م نشر القرار في الجرائد الرسمية .

فما سر هذه السرعة في إصدار هذا القرار .... هل لأن " سانجور معناها " القديس جورج " و هو أحد أبناء المسلمين الذين تلقفتهم مدارس التبشير بالسنغال و هو طفل صغير و اغتالت عقيدته و نصرته ثم مكنت له بعد ذلك حتى أصبح رئيسا لجمهورية السنغال . و اليوم تنشئ باسمه جامعة في بلادنا تمجيدا و تشجيعا على الردة و التغريب .... يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله .... ثم لماذا لا تخضع جامعة سانجور هذه في مناهجها و إدارتها لإشراف وزارة التربية و التعليم و المجلس الأعلى للجامعات حتى لا تصبح دولة داخل دولة ؟

و لماذا منحت حق الإعفاء من الجمارك و حق الحصانة و غيرها .... و لماذ يؤذن لجهات غامضة بإنشاء جامعة فرنسية في حين أن هذا دعما للتغريب في بلادنا ؟؟)[1] .

هل هذه إلا حملة على الإسلام . بأيدينا و على أعيننا ؟

إن هذه الأحوال المقلوبة غصة في حلوق الغيورين . و هي واقع التعليم في بلادنا . و إن ما يسمونه تطويرا ما هو في الأصل إلا تدمير و تحقيق للسياسة اللادينية التي أرادتها أمريكا لنا و التي تمولنا بأموالها الطائلة من أجل تحقيق هذه السياسات التي تهد قوى المسلمين . و تدفن بأيدينا شبابنا في قاع اللادينية و الرذيلة .

نماذج من التطوير المزعوم

أولا في الصف الأول الابتدائي :-

من **كتاب القراءة للصف الأول** : حذف حديث رسول الله ﷺ " خيركم من تعلم القرآن و علمه " .

الصف الثاني الابتدائي : في موضوع " أهلا وسهلا " حذفت عبارة " السلام عليكم " و في الأصل كانت العبارة " إذا مررت بجماعة أقول لهم : السلام عليكم " فحل محلها " إذا مررت بجماعة ألقي عليهم التحية "

في الصف الثالث الابتدائي : في موضوع " النظافة من الإيمان " حذف منه أحاديث الرسول و هي " النظافة من الإيمان " و " تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب " " بركة الطعام الوضوء قبله و بعده .

---

(١) السابق ص٤٩ ، ٥٠ بتصرف .

و فى الصف الرابع الابتدائى . من موضوع شجاعة مصرية حذف من التدريبات " العدو المحتل كان اليهود " و " احتلال الأراضى المصرية لا أرضى به "

و من موضوع " وطنى العربى " حذفت عبارة " و يرتبط العرب بالتاريخ و اللغة و الدين "

و بالنسبة لمادة الأناشيد

حذف من الصف الثانى نشيد " الله ربى " و من أبياته :

إن سألتم عن إلهى فهو رحمن رحيم — أو سألتم عن نبيبى فهو إنسان عظيم

أو سألتم عن كتابى فهو قرآن كريم — أو سألتم عن عدوى فهو شيطان رجيم

و من الصف الثالث حذف نشيد الصلاة

بنى توضأ و قم للصلاة — وصل لربك تكسب رضاه

إذا رضى الله عن مسلم — نال السعادة طول الحياة

بنى توضأ و قم للفلاح — ففى طاعة الله سر النجاح .

... ومن موضوعات القراءة المحذوفة :

فى الصف الثانى : موضوع البطل الصغير و هو يحث على الجهاد دفاعا عن الإسلام .

و موضوع فاعل الخير و هو يحث على إماطة الأذى عن الطريق .

و موضوع الولد الشجاع و هو يحكى قصة ثبات و شجاعة عبد الله بن الزبير عندما فر أقرانه لما رأوا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . و لم يفر هو .

و من موضوعات الصف الثانى الابتدائى المحذوفة :-

موضوع الكعبة المشرفة و العفو عند المقدرة .

و من موضوعات الصف الرابع موضوع حياة التلميذ فى البيت و هو يحث التلاميذ على الاستيقاظ المبكر و إقامة الصلاة وتنظيم البيت و طاعة الوالدين

و موضوع الساعة و هو يتحدث عن صناعة المسلمين للساعة منذ الف سنة فى عهد هارون الرشيد .

أما الموضوعات التى حلت محل الموضوعات المحذوفة :

للصف الخامس الابتدائى موضوع التاجر و العفريت . و هو من قصص ألف ليلة و ليلة . ولا يتناسب أبدا مع هذه السن التى تكثر فيها المخاوف ، و قد كلف المؤلف الطلاب بقراءة كتاب ألف ليلة و ليلة من مكتبة المدرسة ، و لا يخفى ما يضمه هذا الكتاب من فاحش الألفاظ و العبارات التى يعافها الذوق السليم .

موضوع " نجيب محفوظ و جائزة نوبل " للصف الأول الإعدادى

و موضوع لنجيب محفوظ بعنوان " أنا ابن حضارتين " يذكر فيه أن أخناتون كان نبيا و أنه أول من هدى المصريين إلى الله .

قصة لنجيب محفوظ بعنوان الأرض العجوز

قصيدة لنزار قبانى بعنوان عند الجدار للصف الأول الإعدادى و فيه

ليلتنا عدت إلى فراشى　　　　فطار منى و استحال نومى

و احترقت مخدتى بنارى　　　　و أقبلت على الدموع أمى

تقول يا شقى كيف تغشى　　　　زاوية الجدار دون علمى

و هى عبارات غرامية تحكى غرام و عشق بين طفل و طفلة)[1] .

و لقد قام الأزهر بتقديم تقرير مكون من ٢٦ صفحة ووقع عليه شيخ الأزهر فى ٨ / ٣ / ١٩٩٢م حيث ذكر حسنات التطوير فى ثلاث صفحات ، و مخازيه فى ثلاث و عشرين صفحة . و طالب بتعديلات لم يؤبه بها و لم ينظر لها)[2] .

و لا يملك المسلم الغيور حيال هذه الهجمة الشرسة إلا أن يسأل الله تعالى أن يعزم لهذه الأمة أمر رشد يعز به أولياءه ويخزى به أعداءه و يؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر .

(الأدلة على وجود أصابع أمريكية و صهيونية وراء تخريب مناهج التربية الإسلامية

من هذه الأدلة و الشواهد ما يأتى :-

أولا : قيام الدكتورة كوثر كوجك مدير مركز التطوير باستبعاد الدكتور / محمود الدسوقى و الأستاذ على شعبان من لجنة تطوير التربية الدينية بعد وقوع خلاف بينهما و بين الدكتورة / ليندا لامبرت " الأمريكية و التى اعترضت على موضوعات تحريم الخمور و الربا و ادعت أنها تصور الغرب فى عقليات الطلاب بصورة سيئة .

ثانيا : نشرت جريدة صوت الشعب فى ٢٩ / ٩ / ١٩٩١ م ما رواه الأستاذ / على إسماعيل الباحث بمركز التطوير من استبعاده إثر مناقشته للدكتورة / ليندا لامبرت " و التى اعترضت على آيات

---

(١) أ/محمد عبد الرحمن طبل ، المؤامرة على مناهج اللغة العربية و التربية الإسلامية صـ٥ : ١٤ بتصرف ، دار الوفاء المنصورة .

(٢) د/ جمال عبد الهادى و آخرون ، تطوير أم تضليل فى مناهج التربية الإسلامية صـ٤١ بتصرف ، دار الوفاء بالمنصورة و دار التوزيع والنشر الإسلامية ، بالقاهرة .

و أحاديث الخمر وو قائع الحروب الصليبية و قالت : إن هناك نظاما دوليا جديدا يقول على الحرية و احترام حقوق الإنسان و لا داعى لأن تملأ عقول الأطفال بالحروب الصليبيـة و بمثل تحريم الخمور . و فى نهاية الجلسة قررت د/ كوثر كوجك مديرة مركز تطوير المناهج باستبعاده من أجل ذلك

ثالثا : شهادة الأستاذ / محمد طبل الخبير بوزارة التربية يقول : أرسلت لى د/ كوثر كوجك تطلب منى حضور لجنة تطوير مادة التربية الدينية و بعد أن ذهبت فوجئت بأن المركز يعطينى دليل منهج الدين للتعليم الأساسى ويحدد فيه الموضوعات التى ينبغى الحديث فيها ... و عندما فتحت الدليل وجدته مليئا بموضوعات و دروس تم الانتهاء منها فى المركز و مطلوب منى أن أباركها و أؤيدها لا أن أؤلف و أقترح .

و عندما تصفحت الموضوعات موضوعا موضوعا . وجدت أنها لا توضح حقيقة الإسلام . كما وجدتها قد حذفت منها كل الآيات و الوقائع التاريخية عن اليهود و الغرب . و عندما تأكد لى أن للأمريكيين اليد الطولى فى المركز و عندما أحسست بأن الهدف هو توقيعى على المناهج آثرت الانسحاب تاركا لهم دولاراتهم . و مؤكدا لهم أنهم يقومون بتخريب التعليم)[1] .

إن هذه النقول التى أسلفت ليست إلا قليل من كثير . غيض من فيض الأدلة و البراهين الدامغة على أن التدهور فى التعليم و المستوى الأخلاقى المنحدر بنسبة كبيرة بين الطلبة و الطالبات ما هو إلا نتيجة طبيعية لتلك المخططات الصهيونية الصليبية التى يلمح خيوطها كل باحث مدقق . تلك المخططات التى اجتمعت فيها الأوجه القبيحة للاستشراق الذى يقدم الطرح الفكرى الخبيث عن طريق إشاعة الأفكار الخاطئة عن الإسلام و أنه دين عدوانى . انتشر بحد السيف . و فى المقابل إشاعة أنه ليس نظاما للحياة و لكنه طقوس و شعائر روحية لا صلة بها و لا هيمنة على واقع الحياة . و أنه دين استنفد أغراضه . و لم يعد قادرا على مسايرة ركب الحياة . و غير ذلك مما سطره المستشرقون كذبا و افتراء على الإسلام .

وكان دور التبشير ترويج هذه الأفكار الخبيثة داخل المدارس التبشيرية بين الصفوة من أبناء المسلمين حتى يفقدوا ثقتهم فى دينهم و قدرته على سياسة الحياة . و حتى يوقنوا بأن المناهج الغربية فى التعليم و السياسة و الاقتصاد و فى الأمور العسكرية . و غير ذلك هى مدراج الصعود فى سلم الحضارة

---

[1] المرجع السابق صـ٣٧ : ٤٠ ، بتصرف .

و كان دور ساسة الاستعمار تلميع الشخصيات الفارغة عن أى مضمون حتى تنتصب لترويج شبهات الاستشراق و التبشير على مستوى الجماهير الإسلامية . و يظهرونها و كأنها بنات أفكارهم . و تفتح لها الصحف و المجلات و الإذاعة والتلفزيون أبوابها على مصراعيها . لتكون لهم المصداقية فى نفوس الجماهير المسلمة التى لا ترى إلا هؤلاء . فيصبحون هم قنوات التثقيف و الفكر دون غيرهم لماذ يرمينا هؤلاء الغربيون بأدوائهم و لسنا مصابين بها ؟ و لماذا يرغموننا على أن نعالج من أمراض ليست فينا . و ليس لدينا أسباب الإصابة بها ؟

و إذا كان من حق الأوربى أن يخرج على دين الكنيسة . ذلك الدين الذى حبس الفكر الأوربى زمنا طويلا . و أراه نجوم الهجير و شمس المساء . فأحرق العلماء و سجنهم و كبل أفكارهم . حتى إذا شب هذا الفكر عن الطوق حبس دين الكنيسة بين جدرانها . و لم يسمح له بأن يتدخل فى حركة الحياة متمثلا فى صورة العلمانية المتطرفة و هى اللادينية و التى تمثلت فى الاتحاد السوفيتى السابق و العلمانية المعتدلة و التى تمثلت فى دول أوربا التى اعترفت بالدين طقوسا و شعائر مخصوصة بزمان و مكان معينين .

ما ذنب الإسلام فى تلك المعركة ؟ و هو الدين الذى عظم شأن العلم و العلماء ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون ﴾ الزمر ٩ ﴿ يرفع ا لله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات ﴾ المجادلة ١١ ﴿إنما يخشى ا لله من عباده العلماء ﴾ فاطر ٢٩ .

و غير ذلك من الآيات القرآنية التى تدعو إلى النظر فى الكون و استكناه مجاهيله و سبر أغواره ﴿ و فى الأرض آيات للموقنين و فى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ الذاريات ٢٠ . ٢١ ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ فصلت ٥٣ .

إنها اللادينية التى انتهجها الغرب سلوكا فى الحياة و يريد أن يبسط سلطانه بها على العالم . إلا أننا على يقين من نداء الحق سبحانه ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل ا لله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون و الذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾ الأنفال ٣٦ .

﴿ و مكروا و مكر ا لله و ا لله خير الماكرين ﴾ آل عمران ٥٤ .

و من الهيئات التى تتكامل فى عملها مع الاستشراق و التبشير المنظمات اليهودية السرية و المعلنة و التى تكمل إحكام القبضة على العالم الإسلامى ، و دورها هو القيام بإعداد الصنائع الذين يتولون هدم حصون المسلمين من داخلها ، و من هذه المنظمات " الروتارى ".

منظمة الروتاري

و (الروتاري منظمة ماسونية تسيطر عليها اليهودية العالمية . و قد جاء هذا الاسم من الكلمة الإنجليزية Rotaion بمعنى التناوب تلك العبارة التي صاحبت الاجتماعات الأولى لأعضاء النادي الذين كانوا يعقدونها في مكاتبهم بشكل متناوب .

أسس هذه المنظمة عام ١٩٠٥م المحامي بول هاريس في مدينة شيكاغو بأمريكا . و بعد ثلاث سنوات انضم إليه رجل يدعى " شيرلي برى " ويرجع إليه الفضل في توسيع نطاق هذه المنظمة بسرعة هائلة تأسس نادي الروتاري في فلسطين سنة ١٩٢١م عندما كانت دولة إسرائيل حلما صهيونيا .

و في الثلاثينات تأسست أفرع للروتاري في تونس و المغرب برعاية الاستعمار الفرنسي .

الأفكار و المعتقدات

تتمثل فيما يلي :-

١- عدم اعتبار الدين مسألة ذات قيمة لا في اختيار العضو و لا في العلاقة بين الأعضاء . و لا يوجد أي اعتبار لمسألة الوطن .

٢- تؤمن بأن تحقيق السعادة يتم بالاستجابة لمطالب الغرائز البشرية و تسهيل العلاقات الاجتماعية و السياسية بين جميع البشر .

٣- إسقاط اعتبار الدين يوفر الحماية لليهود و يسهل تغلغلهم في الأنشطة الحياتية كافة .

٤- عمل الخير يجب أن يتم دون انتظار أي جزاء مادي أو معنوي . و هذا مصادم للتصور الديني الذي يربط العمل التطوعي بالجزاء المضاعف عند الله .

الجذور الفكرية و العقائدية

١- التشابه كبير بين الماسونية و الروتاري في مسألة الدين و الوطن و في اعتمادهم على مبدأ الاختيار فالعضو لا يمكنه أن يتقدم بنفسه للانتساب و لكن ينتظر حتى ترسل إليه بطاقة دعوة للعضوية .

٢- القيم و الروح التي يصبغ بها الفرد واحدة في الماسونية و الروتاري مثل فكرة المساواة و الإخاء و الروح الإنسانية و التعاون العالمي . و هذه روح خطيرة تهدف إلى إذابة الفوارق بين الأمم . و تفتيت جميع أنواع الولاءات حتى يصبح الناس أفرادا تائهين ، و لا تبقى قوة متماسكة إلا اليهود الذين يحاولون السيطرة على العالم .

٣- تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين الصلات بين مختلف الطوائف و تتظاهر بأنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية و الثقافية و تحقق أهدافها عن طريق الحفلات الدورية و المحاضرات و الندوات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان و إلغاء الخلافات الدينية .

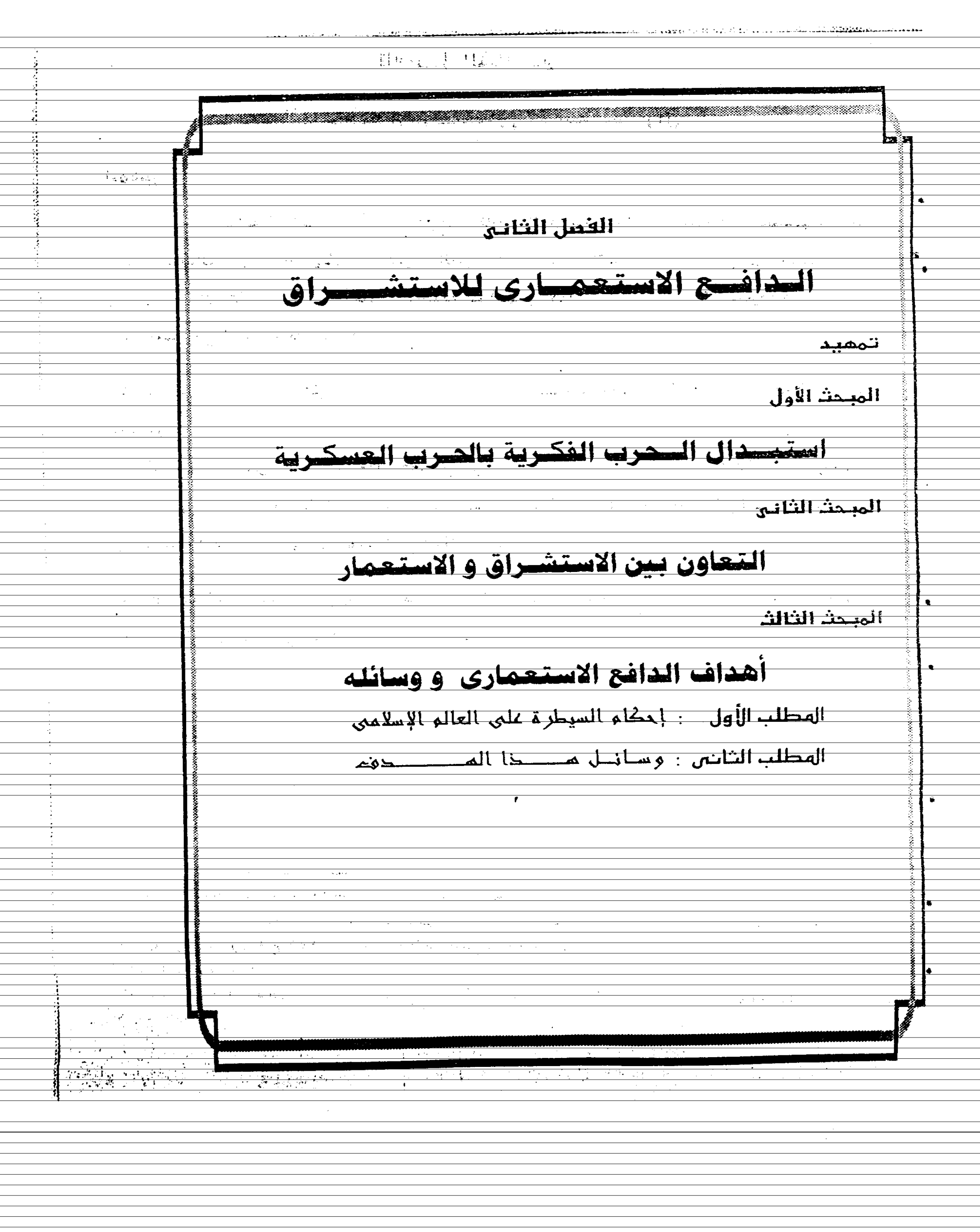
الانتشار و مواقع النفوذ

بدأت أندية الروتاري في أمريكا ١٩٠٥م و انتقلت بعدها إلى بريطانيا و إلى عدد من الدول الأوربية . و من ثم صار لها فروع في معظم دول العالم .

كما أن لهذه المنظمة فرعا في إسرائيل . و لها نواد في عدد من الدول العربية كمصر و الأردن و تونس و الجزائر و ليبيا و المغرب و لبنان . و تعد بيروت مركز جمعيات الشرق الأوسط)[1] .

و هكذا تتضح لنا خيوط المؤامرة التي تكالبت فيها قوى الصهيونية و الصليبية ضد الإسلام . و التي لا يزيدها مرور الأيام إلا ضراوة .

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة ص٢٤٣ : ٢٤٦ بتصرف .الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض السعودية



الفصل الثانى

الدافع الاستعمارى للاستشراق

تمهيد

المبحث الأول

استبدال الحرب الفكرية بالحرب العسكرية

المبحث الثانى

التعاون بين الاستشراق و الاستعمار

المبحث الثالث

أهداف الدافع الاستعمارى و وسائله

المطلب الأول : إحكام السيطرة على العالم الإسلامى

المطلب الثانى : وسائل هذا الهدف

الفصل الثاني

الدافع الاستعماري للاستشراق

تمهيد:.

لقد كانت هذه الكلمة " الاستعمار"* من خداع الألفاظ . الذى يظهر الأشياء بعيدا عن حقيقتها . إذ تأتي هذه الكلمة من : عَمَرَ يقال : (عَمَرتُ الخراب . من باب كتب . فهو عامر أى معمور ... ومكان عمير أى عامر.....وقوله تعالى ﴿ واستعمركم فيها ﴾ هود ٦١ . أى جعلكم عمارها)[1] . (واستعمره في المكان جعله يعمره)[2] .

والألف والسين والتاء تدل على الطلب . وعليه فكلمة الاستعمار معناها إذا : طلب الإعمار للبلاد المستعمرة .

والسؤال هنا هو : هل كان الاستعمار حقاً إعماراً للبلاد التي استعمرها . أم أن الاستعمار بمعناه الاصطلاحي . كان استنزافاً لثروات الشعوب ونهباً لخيراتها ؟ . وكان جرثومة الألم المَمض الذى لم تزل دائه المزمنة في كثير من الدول التي اصطلت بناره ؟

نعم كان الاستعمار إعماراً لجيوب المستعمرين . كما كان كابوسا كئيبا . جثم على صدر البلاد والعباد فأحيا أجيالا من الأمم فيَ هَمِّ الاستبداد وذل الاستبعاد .

* استعمار : Colonisation(F)– Colonization(E) نزعة بعض الشعوب القوية إلى أن تمد سلطانها و تبسط نفوذها على شعوب أخرى ، فهي وسيلة من وسائل الإمبريالية ، و تدفع إليها أسباب سياسية و اقتصادية و تخضع المستعمرات خضوعا تاما لسلطان المستعمر و مصلحته ، و ما يحاوله فيها من نهوض أو إصلاح لا يمكن أن يتعارض مع ذلك معجم العلوم الاجتماعية صـ ٣٥ .

(١) مختار الصحاح صـ ٤٥٤

(٢) الأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح ـ القاموس القويم للقرآن الكريم جـ٢ صـ ٣٦ . بدون ط ، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٣م ، مجمع البحوث الإسلامية القاهرة .

المبحث الأول

استبدال الحرب الفكرية بالحرب العسكرية

(لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين . وهي في ظاهرها حروب دينية . وفي حقيقتها حروب استعمارية . لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب . فبلاد الإسلام . فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها . من عقيدة وعادات . وأخلاق وثروات . ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها . وإلى مواطن الضعف فيغتنموها [(١)] .

وعلى الرغم من هذا . فإننا لانستطيع أن نجرد الحروب الصليبية من دوافعها الدينية . بل إن الدوافع الدينية كانت قوية جداً . إلى الحد الذى دفعت معه الآلاف المؤلفة من النصارى إلى الخروج في ركابها .

ولعل النداء الذى أطلقه البابا "أوربان الثانى"[*] يدل على ما أسلفته . حيث قال في الخطاب الذى وجهه في مجمع "كليرمونت" في فرنسا . في يوم ٢٧ تشرين الثانى "نوفمبر" ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥م :-

(أيها الاخوة الأحباء . إنه في ظل الظروف الملحة . قدمت أنا أوربان . المتوَّج بمشيئة الرب بتاج التثليث . الحبر الأعظم للعالم أجمع . إليكم يا عباد الرب بمثابة رسول لأنبئكم بالأوامر الربانية . . .

عليكم وبكل سرعة أن تأخذوا المساعدات إلى إخوانكم في المشرق . التي طالما وعدتموهم بها . إنهم بحاجة ملحة إليها . إن العرب والتركمان قد حاربوهم . وتوغلوا في الأراضى الرومانية البيزنطية[**] عميقاً حتى البوسفور . وهم يتوغلون الآن أعمق من ذى قبل في أراضى هؤلاء المسيحيين . لقد أبادوهم سبع مرات في المعركة - أنزلوا بهم الهزيمة في معارك عديدة - فقتلوا منهم من قتلوا . وأخذوا عدداً كبيراً من الأسرى . ودمروا الكنائس . واجتاحوا أراضى المملكة . وإذا لم تتصدوا لهم الآن . فإنهم سيمدون سلطانهم أعمق . وسينشرونه فوق العبيد المخلصين للرب .

---

(١) الدكتور مصطفى السباعي - الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم صـ ١٧ ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م . المكتب الإسلامي . بيروت دمشق .

* أوربان الثانى " أوربانوس الثانى " ١٠٣٥-١٠٩٩ م بابا روما " ١٠٨٨-١٠٩٩م دعا المسيحيين إلى القيام بالحملة الصليبية الأولى . تراجم أعلام قاموس المورد صـ٨٥ .

** بيزنطة : أسسها ملاحون من ميجادا عام ٦٥٧ق.م في الطرف الأقصى لأوربا ، حيث ينفتح مضيق البوسفور على بحر " مرمره " . الحضارة البيزنطية لـ ستيفن رنسيمان ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، ١٩٦١م ، النهضة المصرية ، القاهرة .

لهذا السبب أتوجه إليكم بالرجاء والتحريض . وإنه ليس أنا الذى أتوجه إلى الفقير منكم والغنى . وأسألكم أن تتسارعوا نحو طرد أبناء الشر هؤلاء من المناطق المقطونة من قبل إخواننا . وأن تتقدموا للمساعدة فى وقتها المناسب إلى عباد المسيح . إننى أخاطب جميع هؤلاء الحضور . وأعلن نفس الشيء إلى جميع الغيّاب . لكن اعلموا أن المسيح هو الذى يخاطبكم ويصدر الأوامر ....

إن جميع الذين يذهبون إلى هناك . ويفقدون حياتهم فى البر أو فى البحر . أثناء الرحلة أو خلال المعركة ضد الكفار . سيتم غفران ذنوبهم فى الحال . وإننى أمنح هذا من خلال السلطة الممنوحة على من قبل الرب)[1]

والنص لايحتاج إلى تعليق . فها هو الحبر الأعظم - بزعمه - والمتحدث باسم الرب يستنفر النصارى الأوربيين لإنقاذ إخوانهم من قبضة مسلمي الشرق . وأوعدهم أن الأمر سيزداد سوءاً إن لم يهبوا لنجدتهم . ووعدهم غفران الخطايا والذنوب . بموجب السلطة المخولة له من قبل المسيح .

ولو أننا عايشنا الجو الذى ألقى فيه هذا الخطاب . لاتضح الأمر أكثر من ذلك .

(ففى ذلك اليوم غصّت كاتدرائية المدينة - مدينة كليرمونت - على رحبها بالحضور المنقطع النظير للأساقفة والنبلاء والمؤمنين - بزعمهم - فقد أمّها حوالى مائتين وخمسين أسقفاً . وثلاثة عشر من رؤساء الأساقفة . وعدد غفير من الأمراء . والنبلاء . والألوف من المؤمنين الأتقياء . ومع أنه كان يوماً بارداً من أيام تشرين الثانى" نوفمبر" إلا أن هذا الجمع الغفير احتشد . وانتقل إلى ساحة كبرى خارج البوابة الشرقية للمدينة حيث تجمعوا كُتلاً كُتلاً . للوقاية من زمهرير الشتاء القارص . وعندما حانت الساعة المحددة . اعتلى البابا "أوربان الثانى" المنصة وألقى خطابه الرهيب)[2]

وفى نفس الوقت . لانستطيع أن نجرد هذه الحملات من دوافعها الاستعمارية تجاه هذه البلاد التى تفيض عسلاً ولبناً . ولو على الأقل من قِبَل الأمراء والملوك . الذين أرادوا توسعة نفوذهم وبسط سلطاتهم . فـ (الحروب الصليبية هى ملحمة عسكرية . وصراع سياسى وعقائدى واقتصادى لم يشهد له التاريخ مثيلاً أبداً)[3] .

يقول الدكتور"فيليب حتى" :(وجدير بالذكر أنه ليس كل من اشترك فى هذه الحملات كان مدفوعاً

---

(١) الدكتور سهيل زكار - الحروب الصليبية جـ١ صـ٥٥ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، دار حسان ، دمشق .

(٢) المصدر السابق - جـ١ صـ٧

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والنقل .

بالعاطفة الدينية . فعدة من الزعماء ومنهم "بوهيمند"* إنما كان هدفهم الرئيسي افتتاح أراض جديدة يرفعون عليها أعلامهم . أما تجار "بيزا والبندقية وجنوى"** فكان رائدهم مصالح تجارية .

فعوامل هذه الحروب كثيرة . تشمل مطامح المغامرين وأهل الشقاوة وشذاذ الآفاق . مع آمال الأتقياء "هكذا" وحنين المجرمين إلى التكفير عن معاصيهم . والواقع أن اندفاع الجماهير في فرنسا واللورين وإيطاليا وصقلية إلى امتشاق الحسام . لم يكن كله تضحية . بل تفريجاً للأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعانيها تلك البلدان)[1]

والحروب الصليبية على اختلاف دوافعها حلقة من حلقات الصراع بين الإسلام والمسيحية . وكان هدفها القضاء على الإسلام واحتلال أرضه .

يقول الدكتور سفر الحوالي :(والحروب الصليبية الاستعمارية . كانت خطتها تقوم على هدف القضاء على الإسلام . ولكن بواسطة احتلال أراضيه احتلالاً مباشراً .

يقول الدكتور أحمد "سمايلوفتش***" عن الدوافع الاستعمارية للاستشراق :(وهي بلا شك تمثل النقطة الخطيرة في العلاقات بين الشرق والغرب . ومحاولة الأخير السيطرة على الأول . وسحق قواته واحتلال أرضه . واستغلال مقدراته .

ولهذه الدوافع جذور عميقة زرعت ونبتت قبل الميلاد ونمت بعده . وازدادت عمقاً وشمولاً مع اندفاع العرب و سيطرة الإسلام على الامبراطوريات السابقة . ووصوله إلى أوربا و استقراره في بعض أراضيها

* بوهيمند بن جيسكار ، و هو و أبوه من قواد النورمانديين ، الذين استطاعوا أن يفتحوا جنوب إيطاليا و الاستيلاء على بعض مدنه . مثل " بالرمو " و "ميسينا" و " مازر " و قطانيا " و استولوا على صقلية من العرب المسلمين " ١٠٦٠م =٤٥٢هـ " و استطاعوا تأسيس دولة النورمانديين في إيطاليا و صقلية ، و تحول " بوهيمند " فيما بعد إلى بطل من أبطال الحملة الصليبية الأولى . و قد كاد " بوهيمند " أن يستولي على الامبراطورية البيزنطية لولا استنجاد الامبراطور البيزنطي ب ـ "سليمان بن قتلمش " أمير سلاجقة الروم ، و تمكن بذلك من إلحاق الهزيمة ببوهيمند في تساليا سنة ١٠٨٣م=٤٧٦هـ . الصراع بين العرب و أوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية صـ٢٣٩، ٢٤١ . د/ عبد العظيم رمضان ١٩٨٣م =١٤٠٤هـ .

** جنوى ، ميناء إيطالية تقع على الخليج المسمى باسمها ، تعتبر الميناء الملاحية الأولى بالنسبة لشمال إيطاليا ... يربطها بالإسكندرية خط ملاحي . القاموس السياسي أحمد عطية الله صـ٤١٣ .

[1] فيليب حتي ، العرب تاريخ موجز صـ٢١٩ ، بدون ط ، ١٩٤٦م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

*** أستاذ العقيدة و الفلسفة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية سراييفو – يوغسلافيا ، و رئيس المشيخة الإسلامية لجمهوريات البوسنة و الهرسك و كرواتيا و سلوفينيا . نقلا عن أطروحته للدكتوراه "فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب المعاصر".

. عندما رأى الغرب هذا . شرع يعد قوته لخوض معركة فاصلة معه و السيطرة عليه . فأخذ يتعلم لغته وآدابه و حضارته و تاريخه لكى يتفوق عليه)[1].

(وقد كانت البداية تلك الحروب الصليبية التى أخذت من الدين ستارا لأعمالها الهدامة . و عندما خرجت قواها المتكتلة مقهورة . قامت متأثرة بما رأت فى الشرق الإسلامي . و أخذت عنه مقومات النهضة العلمية الحديثة . و شرعت تستعد لهجمات جديدة . أبعد خطرا و أشد ضررا من حرب الحديد والنار . إنها حرب شعارها : مدرسة أو مستشفى أو ملجأ أو كتاب أو مقال أو ما إلى ذلك من خداع الألفاظ التى يقطر باطنها بالسم الناقع)[2].

لقد كانت الحروب الصليبية محاولة للإجهاز على الخصم بالضربة القاضية . غير أن الخصم كان من القوة بحيث ردهم خائبين . ولكن المعركة لم تنته عند هذا الحد .

(كان هناك تفكير ذكى . اتعظ* بالهزائم العسكرية المتلاحقة التى مُني بها الغرب . ونقب عن السر لصلابة المسلمين . وانتفاضاتهم المفاجئة . ووجد السر فعلاً . إنه الإسلام ولاشىء سواه . ووضع خطته الخبيثة بناء على هذه النتيجة . خطة لاتقوم على إبادة المسلمين . ولاعلى احتلال أراضيهم . وإنما تقوم على إبادة الإسلام نفسه . واقتلاعه من نفوس أبنائه وضمائرهم . أو تقليص دائرته . وعزله عن واقع الحياة .

وإذ تحول الصراع من حرب المسلمين . إلى حرب العقيدة الإسلامية ذاتها . فقد تغيرت ملامح وجوانب المعركة . و لم يعد ميدانها الرئيسى الأرض . ولكنه الأدمغة . ولم تعد وسيلتها الوحيدة السيف بل الفكر . ولم تعد جيوشها الأساطيل والفِرَق . ولكنها المؤسسات والمناهج بالدرجة الأولى . وأكبر احتياطات هذه المعركة التكتم الشديد عن ذكر الإسلام . أو التصريح بعداوة المسلمين . ولتتخذ المعركة ما شاءت من أسماء وشعارات بعد ذلك .

لتوصف بأنها معركة بين الشرق والغرب . أو بين اليمين واليسار أو بين المصالح القومية . ولتنعت بأى شيء عدا وصفها بأنها "دينية " . لأن هذا الوصف . جدير باستثارة الحمية الجهادية

---

(1) د/ أحمد سمايلوفتش ، فلسفة الاستشراق و أثرها فى الأدب المعاصر صـ٥٠ ، رسالة دكتوراه ،سنة ١٩٧٤م كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، بالقاهرة .

(2) المرجع السابق صـ١١٩ .

* وعظه : وعظا : نصحه ، و ذكَّره بالعواقب ... و اتعظ : قبل الموعظة و ائتمر و كف نفسه ، يقال : وعظه فاتعظ . المعجم الوسيط جـ٢صـ١٠٤٣

واستثارتها تعني فشل الخطة برمتها وتكرار مأساة حطين* من جديد)[١]

(واستعداداً لذلك كان لابد من أن تجول طلائع الغرب في البلاد التي يجب قهرها واحتلالها . وأن تكون هذه الطلائع من الذين تعلموا اللغة العربية وغيرها من لغات الشرق . لكي يستطيعوا التحدث إلى الشعوب والبحث في الآثار . والتعرف على الأفكار . والقيام بالدعايات . وإثارة المنازعات . وإشعال الخلافات . حتى تقع البلاد فريسة بين مخالب الاستعمار .

ولتحقيق هذا الهدف . أكثروا من هذه الطلائع . ليمارسوا التجسس على البلاد . والتعرف على أحوالها وكتابة التقارير عنها . وكان لابد للجاسوس أن يلبس ثوب العالم بلغة البلاد . وأن يصطنع البحث العلمي . وأن يسعى لخلق صلة بين الأهالي وجيوش الاستعمار إذا دخلتها . والتاريخ يحدثنا أن هؤلاء جميعا من المستشرقين [٢]

إذاً لقد كان الاستشراق هو الخطة البديلة عن الحرب العسكرية . كما أنه كان قبلها الحرب الفكرية التي عبأت الشعور العام الغربي ضد المسلمين . و كانت الشرارة التي تفجرت عنها الحملات الصليبية

لويس التاسع و الحرب الجديدة

كانت الخسائر الفادحة التي تكبدها الصليبيون في حربهم للإسلام دافعاً قوياً إلى التفكير في سياسة جديدة غير سياسة الحديد والنار . وكان أول من فكر في استبدال الحرب الفكرية بالحرب العسكرية هو "لويس التاسع" .الذى أتاحت له خلوته في المنصورة بعد هزيمته وأسره أن يفكر في الخطة البديلة .

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله :(ومن عدة قرون وبعد فشل الحملات الصليبية . برغم التعبئة الهائلة ...وبرغم بقائها مشتعلة الأوار . رأى قادة الغرب أن يجددوا وسائلهم في محاربة العالم الإسلامي . وأن يمزجوا العنف بالحيلة والمواجهة بالالتفاف . فاقتحموا الشرق في أزياء جديدة . ساترين مخالبهم بقفازات من حديد . وقرروا أن يكيدوا للإسلام في حذر و تؤدة....

---

* معركة حطين بين المسلمين بقيادة صلاح الدين و بين الصليبيين ، و انتصر المسلمون فيها في ١١٨٧م=٥٨٣هـ .دائرة المعارف جـ٧ صـ٤٦٩

[١] د/سفر بن عبدالرحمن الحوالي ـ العلمانية صـ ٥٣٥ .

[٢] الدكتور أحمد سمايلوفيتش ـ فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب المعاصر صـ ١٢٠ نقلاً عن الدكتور حسين الهراوي ، المستشرقون و الإسلام .

يقول مؤرخو الغرب وعلى رأسهم المؤرخ "جوانفيل" الذى رافق " لويس التاسع " : إن خلوته فى معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة . ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء العرب والمسلمين....

و هكذا انساق " لويس " بقوة الأحداث . فرسم التخطيط المبدئي للسياسة التى رأى أنها تمكنه من مواجهة الإسلام . و النيل من قوته ... فوضح معالم سياسته الجديدة و اتجاهاتها . و أسسها على النحو التالي :-

أولا : تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف ذات الغرض لا فرق بين الحملتين . إلا من حيث نوع السلاح الذى يستخدم في المعركة . و كان سلاح الحملات الجديدة هو الدس بين العرب بعضهم و بعض . و إثارة الخلافات في الأوساط الإسلامية . و العمل على بقاء نارها مستعرة بين الأمراء المسلمين . ثم الإمعان في تأييد بعضهم ضد البعض ... و استغلال ما يكون بين العرب و المسلمين من منافسات و خلافات استغلالا يمكن الغرب من التمتع بامتيازات سياسية و اقتصادية كما يهيئ لها السبيل إلى تفتيت الكتلة الإسلامية . و إشاعة التفكك في وحدة المسلمين . فينهار الإسلام من تلقاء نفسه)[1] .

و اضطلع المستشرقون بهذا الجزء من الخطة الآثمة . فقاموا يشوهون صورة الإسلام و يلصقون به التهم . ليفقدوه مصداقيته في نفوس أبنائه . و كان ذلك في صورة البحث العلمي النزيه - بزعمهم -

نعم (لقد ظل الاستشراق و الاستعمار واحدا لفترة طويلة من الزمن . و إذا كان الأول - الاستشراق- يسبق الثاني ليكوّن طلائع جيشه ، و أعين أمته . يصيب أهدافه . و يحقق آماله . فما عليه إلا أن يبدأ بالتشكيك في قيم الشعوب المغلوبة . و السخرية منها و من دينها و شخصية نبيها عليه الصلاة و السلام و هدم الإسلام فكريا و حضاريا . و على الثاني أن يقوم بتنفيذ ذلك الحكم و اقعيا و عمليا)[2] .

ثانيا : تجنيد المبشرين الغربيين فى معركة سلمية . لمحاربة تعاليم الإسلام . ووقف انتشاره . ثم القضاء عليه معنويا . و اعتبار هؤلاء المبشرين فى تلك المعارك جنودا للغرب .

ثالثا : العمل على استخدام مسيحيى الشرق فى تنفيذ سياسة الغرب .

---

(١) الأستاذ الشيخ / محمد الغزالي - معركة المصحف صـ١٥١ ، ١٥٤ بتصرف ، بدون ط سنة ١٩٩٦ م ، نهضة مصر ، القاهرة .

(٢) د/ أحمد سمايلوفتش ، فلسفة الاستشراق و أثرها فى الأدب المعاصر-صـ١٢٠ ، مرجع السابق .

رابعا : العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق العربـي . يتخذهـا الغـرب نقطـة ارتكـاز لقواته الحربية . ولدعوته السياسية و الدينية . و منها يمكن حصـار الإسلام . و الوثوب عليه . كلما أتيحت الفرصة لمباجمته)[1]

لقد قام المستشرقون بدورهم . فغرَّبوا الإسلام على أهله . وكتبوا تراثا مسموما فـي أغلبـه . شـكَّل و لايزال عقليات مسلمة . و من ثمَّ تنهج منهجه في حرب الإسلام . سواء عن قصد أو عن غير قصـد . و عاد الإسلام غريبا بكيد أعدائه و جهل أبنائه . الذين لا يعرف الكثير منهـم عـن دينهـم حتـى مـا تصح به عباداتهم . فضلا عن أن يغني في الدفاع عـن الإسـلام ضـد هـذه الهجمـة الشرسـة . التـي أجمعت أمرها لحرب الإسلام .

يتضح لنا إذا أن الاستشراق كان القائم بدور التهيئة الإعلاميـة لشـن الهجمـات البربريـة – الحـروب الصليبية– على العالم الإسلامية . و ذلك بتصويرها البلاد التي تفيض عسلا و لبنا . و بتصوير أهلهـا الوثنيين الذين يهرقون الدماء . و يقهرون الناس على الدخول في دينهم . و وضع الأناشيد الحماسـية التي تلهب الجموع الهمجية . التي خرجت وراء شهوات البطن و الانتقـام . مثـل " أنشـودة رولان* التي سيرد الحديث عنها .

ثم كان الاستشراق هو القائم بالأمر كله بعد استبعاد الحرب العسكرية من ميـدان التخطيـط ضـد العـالم الإسلامي .

---

(1) الأستاذ الشيخ / محمد الغزالي – معركة المصحف صـ١٥٤ . مرجع سابق .

* رولان Roland من كبار فرسان الملك شارلمان ، و هو يحارب " العرب " و هو موضوع " ملحمة رولان " الفرنسية و قد ظهر فيها رولان بمظهر بطل العالم المسيحي الكبير . المنجد في اللغة و الأعلام صـ٣١٣ ، الطبعة ٢٦ ، دار المشرق ، بيروت .

المبحث الثاني

التعاون بين الاستشراق و الاستعمار

و لا عجب . فالاستشراق امتداد للصراع العسكرى بين الإسلام و النصارى . و اليهود كذلك . كما أنه كان طليعة الاستعمار الحديث . و عينه التي عاين بها العالم الإسلامى . وما فيه من نقاط الضعف . فقوّى ضعفه . و طمس ما فيه من محاسن و شوهها .

و من بين الأمثلة العديدة لارتباط الاستشراق بالاستعمار . نذكر المستشرق " كارل هينريش بيكر * Karl Heinrich Beeker " ت ١٩٣٣ م . مؤسس " مجلة الإسلام " الألمانية . الذى قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية فى أفريقيا . فقد حصل الرايخ الألمانى** فى عام ١٨٨٥- ١٨٨٦م = ١٣٠٣-١٣٠٤هـ على مستعمرات فى أفريقيا . تضم مناطق بعض سكانها من المسلمين . وظلت تلك المناطق تحت السيادة الألمانية حتى عام ١٩١٨م = ١٣٣٦هـ .

و قد أدى ذلك إلى تأسيس معهد اللغات الشرقية فى برلين عام ١٨٨٧م = ١٣٠٥هـ . و هو معهد كانت تتلخص مهمته . فى الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية الحالية . و بلدان الشرق الأقصى و عن شعوب هذه البلدان و ثقافتها .

و فى هذا يقول المستشرق الألمانى " أوليريش هارمان*** Ulrich Harmann : كانت الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامى قبل عام ١٩١٩ م = ١٣٣٨هـ أقل براءة و صفاء نية . فقد كان " كارل هينريش بيكر " و هو من كبار مستشرقينا – منغمسا فى النشاطات السياسية . حتى إنه أصبح فى

---

* كارل هنريش بيكر "١٨٦٧ : ١٩٣٣م =١٢٨٤ : ١٣٥٢هـ . ألمانى ، ولد فى أمستردام ، و عين أستاذا للغات الشرقية فى همبورج و فى بون ١٩١٣م ، و اشتهر بتضلعه من التاريخ الإسلامى ، كما عنى بتاريخ مصر الإسلامى ، وأنشأ مجلة الإسلام ، و عين وزيرا للمعارف فى ١٩٢١م . و من آثاره : نشر مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ، و دراسة بعنوان " عمر الثانى " . العقيقى جـ٢ صـ٤١٨ .

** الرايخ ، اسم يطلق على ألمانيا إبان الحكم النازى "١٩٣٣-١٩٤٥م بزعامة هتلر ، و الرايخ أو الرايش : كلمة ألمانية تعنى : امبراطورية والمقصود بذلك أن هذه الفترة تمثل العصر الذهبى الثالث على أساس تقسيم التاريخ الألمانى إلى ثلاثة عهود : عصر الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، و الثانى : الفترة ما بين ١٨٧١-١٩١٨م ، و قيام الإمبراطورية الألمانية المتحدة تحت حكم أسرة " هوهنسلون ، و الثالث هو العهد الذى قام بعد كبوة الحرب العالمية الأولى .

*** أوليرش " أوليريخ " هارمان ولد فى ألمانيا ١٩٤٢م و تلقى تعليمه فيها و فى الولايات المتحدة حصل على الليسانس فى الدراسات الشرقية من جامعة برنستون ١٩٦٥ م و على الدكتوراه من جامعة فريبورج ١٩٦٩م قام بالتدريس كأستاذ زائر فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩١٧م و فى جامعة القاهرة بكلية الآداب قسم التاريخ و كان موضوع المحاضرات " الحروب الصليبية و تاريخ المماليك ١٩٧٧م ، من آثاره فقه اللغة و النحو فى الإسلام . العقيقى جـ٢ صـ٤٨٢ ، ٤٨٣ .

عام ١٩١٤م = ١٣٣٣هـ شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام فى أفريقيا و الهند كـدرع سياسـة فى وجه البريطانيين .

أما عالم الإسلاميات الهولندى الشـهير " سنوك هورجرونيـه * " ت ١٩٣٦م . فإنه فـى سـبيل استعداده للعمل فى خدمة الاستعمار . توجه إلى مكة فى عام ١٨٨٥م = ١٣٠٣هـ بعد أن انتحل اسما إسلاميا هو " عبد الغفار " و أقام هناك ما يقرب من نصف عام . وقد ساعده على ذلك أن كان يجيـد العربية كأحد أبنائها . و قد لعب هذا المستشرق دورا هاما فى تشكيل السياسة الثقافية و الاستعمارية فى المناطق الهولندية فى الهند الشرقية . وشغل مناصب قيادية فى السلطة الاستعمارية الهولندية فـى أندونيسيا .

وفى فرنسا كان هناك عدد من المستشرقين يعملون مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسـية فـى شئون شمال أفريقيا . و علـى سـبيل المثال كـان المستشـرق الكبير " دى ساسى "** اعتبـارا مـن ١٨٠٥م = ١٢٢٠هـ يشـغل منصب المستشرق المقيـم فـى وزارة الخارجيـة الفرنسـية . و عندما غـزا الفرنسيون الجزائر عـام ١٨٣٠م = ١٢٤٦هـ . كـان " دى ساسـى " هـو الـذى ترجـم البيـان الموجـه للجزائريين . و كان يستشار بانتظام فى جميع المسائل المتعلقة بالشرق . من قبـل وزيـر الخارجيـة . وفى حالات معينة من قبل وزير الحربية أيضا و إلى عهد قريـب كـان " ماسينيون*** " مستشـارا للإدارة الاستعمارية الفرنسية فى الشؤون الإسلامية)[1] .

---

* سنوك هورجرونيه ، هولندى ولد عام ١٨٥٧م=١٢٧٤هـ ، تعلم على " تيودور نولدكه " و عين مدرسا للعلوم الإسلامية فى معهد لتكويـن الموظفين فى الهند الشرقية " أندونيسيا " و فى عام ١٨٨٤م =١٣٠٢هـ ، قام برحلة إلى الجزيرة العربيـة . و تسـمى باسـم " عبدالغفـار " و أقـام فيها ستة أشهر . توفى فى ١٩٣٦م = ١٣٥٥هـ ، فى لندن .

** دى ساسى ، أنتونى إسحاق سلفستر ، شيخ المستشرقين الفرنسيين ولد فى باريس ١٧٥٨م عين أستاذا لكرسي اللغة الفارسية فى الكوليج دى فرانس ، و بعد سقوط نابليون و عودة الملكية عين فى أكتوبر ١٨١٤م رقيبا ملكيا و عين مديرا لجامعة فرنسا ١٨١٥م اقترح تأسيس المجلة الأسيوية و التى هى من أهم المجلات الاستشراقية . العقيقى جـ١ صـ١٦٢

*** لويس ماسينيون " مستشرق فرنسى بارز ، و لد فى يونيو ١٨٨٣م =١٣٠١هـ ، التحق بالمدرسة الوطنية للغـات الشـرقية الحية ، و هـى التى تخرج منها أجيال من المستشـرقين ، و حصـل على البكالوريا فـى ١٩٠٠م=١٣١٨هـ قسـم الآداب و الفلسـفة و على البكالوريا قسم الرياضيات فى أكتوبر ١٩٠١م=١٣١٩هـ . و حصل على ليسـانس الآداب ١٩٠٢م= ١٣٢٠هـ ... و من آثاره ألقى ٤٠ محاضرة باللغة العربية على طلاب الجامعة المصرية القديمة ، و كان منهم د/طه حسين . توفى سنة ١٩٦٢م=١٣٨٢هـ . العقيقى جـ١ صـ٢٦٣ .

(١) د/ محمود حمدى زقزوق – الاستشـراق و الخلفيـة الفكرية للصـراع الحضـارى صـ٤٤ ، ٤٦ الطبعـة الثانيـة ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م مؤسسـة الرسالة بيروت .

(ليفي بروفنسال * " فرنسي . و لكنه ولد في الجزائر سنة ١٨٩٤م و تلقى تعليمه بها فتخرج من كلية الآداب . و عين ضابطا في الشئون الإسلامية بمراكش . و في عام ١٩١٩م كلفه المارشال " ليوتي ** " بمهمة في معهد الدراسات العليا المراكشية في الرباط . وعين أستاذا فيه سنة ١٩٢٠ م . وكان مديرا للمطبعة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية حتى عام ١٩٣٩م . ثم انتدبته حكومته في الجمهورية الفرنسية في الفترة من ١٩٤٣-١٩٤٤م في مهام خطيرة . طار فيها بين لندن و القاهرة والقدس و دمشق . و قد كوفئ على بلائه في الحرب . وعلى جهوده في الاستشراق بأوسمة رفيعة منها وسام "جوقة الشرف "

البروفسور " أندرسون " رئيس قسم الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الإسلامي . ذلك القسم الذى أنشأته جامعة لندن بمعهد الدراسات الشرقية التابع لها . و قد تخرج من كلية اللاهوت في جامعة " كمبريدج " و كان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية . وهو لم يدرس من العربية إلا العامية . التي اكتسبها بفضل المخالطة للمصريين . ثم كان يأخذ درسا في الأسبوع مدته ساعة لمدة عام . أى أنه قضى في تعلم الفصحى ٥٠ ساعة فقط . إلى جانب الاستماع لعدة محاضرات من الدكتور " طه حسين " و أحمد أمين " و الشيخ أحمد إبراهيم " و هذه هي كل مؤهلاته التى أقعدته مقعد الأستاذية لأبناء المسلمين الوافدين إلى إنجلترا .

و الاستشراق بهذه الصورة التي يعمل في إطارها عسكريون و مجندون تحت ألوية الحروب المشبوبة على بلاد الشرق و الإسلام . لا يمكن أن يقال عنه إلا إنه سلاح من أسلحة الحرب الصليبية الاستعمارية)[1]

و إذا كان الذى يدل على هذا التيار الاستشراقي المغرض طائفة من المستشرقين . فإن الإنصاف يقتضينا أن نقول : إن من المستشرقين مَن لا يزال يحترم العلم لأجل العلم بعيدا عن الأغراض الأخرى و لعمري ذلك هو الشرف الذى ينبغي أن يحرص عليه كل باحث عن الحق . متجرد عن الأهواء

---

* ليفي بروفنسال ، إفاريست "١٨٩٤م-١٩٥٦م =١٣١٢ -١٣٧٦هـ ، مستشرق فرنسي ، اشتهر بأبحاثه في تاريخ المسلمين في أسبانيا ، و لد في الجزائر من أسرة يهودية ، حصل على الدكتوراه عام ١٩٢٢م =١٣٤١هـ ، زار مصر ، و عين أستاذا للتاريخ الإسلامي في كلية الآداب جامعة الجزائر ، أسس مجلة Arabica و هي أهم مجلة فرنسية متخصصة في الآداب و العلوم الإسلامية ، و من أهم أعماله : تاريخ أسبانيا الإسلامية ،

د/ صالح عبد الحميد حمدان ،طبقات المستشرقين ١٨٧ .

** ليوتي ، لويس " ١٨٥٤م -١٩٤٣م ، مارشال فرنسي ، شغل منصب المقيم الفرنسي العام في مراكش ١٩١٢- ١٩٢٥م . المورد صـ٥٦ .

(1) د/ عبد المتعال الجبرى ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى صـ١٤٤،١٤٧ بتصرف ، مرجع سابق .

اعتراف المستشرقين بنزعتهم الاستعمارية

إن الإنصاف و تحري الحق يقتضي أن أقول : إن من المستشرقين من التزم الحيدة و الموضوعية . بل إننا سنرى كيف أن بعضهم رد افتراءات البعض الآخر . و انتصب للحق . و أن منهم من عاب المسلك الجائر الذى سلكه كثير من المستشرقين . و من هؤلاء المستشرق الألماني " استيفان فيلد " و الذى جاء عنه في مجلة " الفكر الإسلامي " تحت عنوان " على هامش ما يقال عن الإسلام " قوله :

(فالمستشرقون مهما بلغت دقتهم العلمية غرباء عن هذه الأمة . في دينها و حياتها و مواطن اعتزازها . وفي أعماقهم من رواسب العداوة بين الإسلام و الاستعمار قديمه و حديثه ما يؤدى بهم إلى الكثير من الشطط . و البعد عن مقتضى الحقيقة النزيهة ...

فلنعترف أولا أن الكثيرين من المستشرقين أخطأوا في الكثير مما كتبوا . بعضهم أخطأ لغويا في تفسير القرآن الكريم . و شرح الحديث النبوى الشريف . ونجد في كتاباتهم أخطاء تاريخية و فقهية إلى آخره كل هذا صحيح .

و على المستشرقين الاعتراف بذلك قبل غيرهم . و الأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم " مستشرقين " سخروا معلوماتهم عن الإسلام و تاريخه . في سبيل مكافحة الإسلام و المسلمين . و هذا واقع مؤلم . لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة)[1] .

هذه كلمة تستحق الوقوف و التدبر . فهي توقفنا على طبيعة التيار الاستشراقي معظمه . في تناوله للدراسات الإسلامية ، و هي أخطاء تتنافى مع المنهج الذى ينبغي أن يتبعه الباحث في أى نوع من أنواع الثقافات و التيارات . فالغربة عن واقع الشعوب الإسلامية . و الانطلاق من خلفيات فكرية قديمة . واتباع الهوى . و تعمد الجور . و خدمة الأغراض المختلفة . كلها واقع الدراسات الغربية – في معظمها للإسلام .

و لسنا نحن المسلمين الذين نقرر هذا بل يقره واحد من بني جلدتهم و يعمل في مؤسستهم الاستشراقية .

---

[1] أ.د / محمود حمدى زقزوق – الإسلام في مرآة الفكر الغربي صـ٦٢، ٦٣ بتصرف ، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، دار الفكر العربي – القاهرة .

الحملة الفرنسية و الدور الاستشراقى فيها

لقد اتعظ الغرب من تجربة الحروب الصليبية الفاشلة . و ذلك إبان عصر القوة الإسلامية التى قهرته و أرته أنه لازال فى المهد صبيا و أن أمامه الكثير . ليصل إلى بيضة هذه الإمبراطورية الإسلامية . و أن نجاحاته الطارئة . لم تكن لقوته . و لكن لغفلة هذه القوى عنه .

أما و قد وصل الغرب إلى درجة التفوق العسكرى . و صارت تلك الإمبراطورية الإسلامية . الرجل الأوربى المريض - على اعتبار أن موطن الزعامة فى تركيا - فقد بدأ الغرب هجمته الجديدة . وفى هذه الحملة الصليبية الجديدة . كان لا بد للاستعمار أن يلتفت إلى تاريخ صراعه مع الشرق . و بالتالى كان لا بد و أن يتلاشى أخطاءه . فالنزعة الاستعمارية البربرية غير صالحة . بل لا بد من الأخذ بأساليب التقدم الفكرى فى أمر تتحكم فيه القوى و العضلات . و من ثم كانت صحبة المستشرقين للحملة الفرنسية . فهم أعلم بشعاب العالم الإسلامى (و تقدم لنا الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت ١٧٩٨-١٨٠١م مثالا جيدا على ذلك . فقد استعان بأفكار المستشرقين و معلوماتهم . و اصطحب معه كثيرا من الخبراء و المختصين بشئون الشرق)[١] .

و هكذا . كما رأينا الاستشراق من قبل . يمهد لحركة الحروب الصليبية . و يتولى زمام المواجهة ضد الإسلام . كطور من أطوار المواجهة النصرانية للإسلام .
ها هو الآن يسير فى ركاب الاستعمار الحديث . و يمثل الدليل العالم بشعاب و أودية العالم العربى والإسلامى . و يمثل الرأس المفكر للهجمة الصليبية الجديدة .

---

[١] د/ محمد حسينى أبو سعدة - الاستشراق و الفلسفة الإسلامية صـ٨٦ . الطبعة الأولى ١٩٩٥م . كلية الآداب . جامعة حلوان . القاهرة .

المبحث الثالث

أهداف الدافع الاستعماري للاستشراق ووسائله

مما سبق يتضح لنا الترابط الوثيق بين الاستعمار و الاستشراق . فقد كان الاستشراق إحدى وسائل الاستعمار لتدعيم بقائه و تعزيزه في العالم الإسلامي . ولقد بلغ الاستعمار عن طريق هذا الغزو الفكري ما لم يبلغه عن طريق الغزو العسكري .

لقد كان الاستعمار العسكري يخلق عداء طبيعيا في نفوس الشعوب المستعمرة . و يستجيش فيهم مشاعر العداء و الكره للمستعمر الغازي . وإبّان ذلك . لم يعش الاستعمار في هذه البلاد إلا و السلاح ضجيعه . وتوقع الانتفاضة و الثورة عليه قائم.

و لكن الغزو الفكري – و الاستشراق مستودعه الكبير . و غرفة عملياته – سقى شعوب العالم الإسلامي الويلات تلو الويلات . و النكبات تلو النكبات بيديه . ويلات الانحراف و الفساد . فساد الأخلاق والعادات . وصنع الغزو الفكري شعوبا ممسوخة و أجيالا لا تعرف عن دينها إلا اسمه . و لكنها في أخلاقها و عقائدها لا تمت إليه بصلة .

و أستطيع أن ألخص أهداف الدافع الاستعماري للاستشراق فيما يلي :-

المطلب الأول : إحكام السيطرة على العالم الإسلامي

لقد تم للاستعمار بمساعدة جناحيه الاستشراق والتبشير في القرن التاسع عشر . والنصف الأول من القرن العشرين السيطرة التامة على مراكز الإسلام الكبرى في العالم العربي الإسلامي .

(ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية ، كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا . وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا . وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث . وما عندنا من قيم إنسانية . فنفقد الثقة بأنفسنا . ونرتمي في أحضان الغرب . نستجدي منه المقاييس الأخلاقية . والمبادىء العقائدية . وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة)[1]

إذاً . لم ينته الدور الاستشراقي بل كان مُمَهِّداً للاستعمار . كما أنه كان بديلاً عن المواجهة العسكرية إبان الحروب الصليبية ، وواكب الاستعمار ، الذي وطد و دعم وجوده وأغدق عليه . وهو لايزال إلى اليوم أحبولة من أحابيل الغزو الفكري ، وصورة من صور العداء الغربي للإسلام .

---

[1] الدكتور / مصطفى السباعي ، الاستشراق و المستشرقون ، صـ ١٧ ، مرجع السابق .

المطلب الثاني : وسائل الدافع الإستعماري

أولا :- الزعم بأن الإسلام قد استنفد أغراضه و أصبح غير صالح لسايرة الحياة الحديثة .

(والغرض من ذلك أن يُفقدوا المسلمين ثقتهم بأنفسهم . ويرتموا في أحضان الغرب . يستجدون منه المقاييس الأخلاقية . والمبادىء والعقائد . والحلول لمشاكلهم الحياتية . والعادات والتقاليد وأنواع السلوك)[1].

ولقد حاولوا أن يبثوا في روع المسلمين . أن الصحيح في دينهم ليس ثابتا . وأن الثابت ليس صحيحا (و لقد قام " ولفرد كانتويل سميث * " مدير معهد الدراسات الإسلامية . وأستاذ الدين المقارن في جامعة ماكجيل بكندا . وهو تلميذ المستشرق "هـ .ا .ر. جب ** " . قام بتأليف كتاب " الإسلام في العصر الحديث "حاول فيه تغريب المسلمين عن دينهم . فادعى أن نظم الإسلام تتعارض مع نظم الحياة العصرية المقتبسة من الغرب ....

و الكتاب موجه لخدمة هدف خاص . هو تفتيت الإسلام نفسه عن طريق تطويره بأسلوب يحقق غرضين :-

أولهما : قطع التفكير و التشريع الإسلامي في الحال . و في المستقبل بمصدر الوحي

ثانيهما : هو تفكيك الوحدة الإسلامية . فيتشكل كل مجتمع إسلامي في تطوره بعوامل محلية يسيطر عليها الاستعمار الغربي ..

هذا هو الأسلوب الحديث لدول الاستعمار . التي استغنت في حراسة مصالحها عن الجيوش . و حل محلها ترويض الشعوب . و محو خصائصها . و كسب صداقاتها . أما تحطيم الأشكال الوحدة الدينية والحضارية ، التي يلتقي عندها المسلمون . فهو واضح فيما زعمه " سميث " و ردده في مواضع مختلفة في كتابه . من أن الإسلام الذى مارسه المسلمون الأولون . ليس إلا المظهر التاريخي

---

[1] الأستاذ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، صـ١٢٧ .

* ولفرد كانتويل سميث " ولد عام ١٩١٦م -١٣٣٥هـ ، أمريكي ، تخرج باللغات الشرقية من جامعة برنستون ، حصل على الماجستير ١٩٤٧م و الدكتوراه ١٩٤٨م ، عمل أستاذا و رئيسا لقسم الدين بجامعة دالهوس ١٩٧٤م و من آثاره : الإسلام الحديث في الهند تحليل اجتماعي . العقيقي جـ٢صـ١٨٢ ، ١٨٣ .

** هـ .ا.ر. جب ، هاملتون السكندر "١٨٩٥-١٩٧١= ١٣١٣- ١٣٩١ هـ. مستشرق إنجليزى ولد في مدينة الإسكندرية ، و توفي في ٢٢أكتوبر ١٩٧١م في أكسفورد و تعلم في اسكتلاندا ، في المدرسة الثانوية الملكية في أدنبرا ، و دخل جامعة أدنبرا عام ١٩١٢م = ١٣٣١هـ . في عام١٨٢٧- ١٩٢٦م = ١٢٤٣- ١٣٤٥ هـ زار الشرق زيارة طويلة . عمل أستاذا لكرسي اللغة العربية في جامعة لندن سنة ١٩٣٠م=١٣٤٩هـ و عمل محررا لدائرة المعارف الإسلامية . طبقات المستشرقين صـ١١١ .

للإسلام . أو المظهر التطبيقي لحقيقته المثالية . بقدر ما استطاعه هؤلاء الأولون . وبقدر ما أتاحت لهم ظروف البيئة و الزمان من إمكان . و يصف تمجيد المسلمين للفترة الأولى من الإسلام تحت حكم الخلفاء الراشدين بأنه وهم ...

و يحاول التقليل من شأن هذه الفترة بقوله :" إن ثلاثة من الخلفاء الراشدين قد انتهت حياتهم بالقتل . ثم قطعت الحرب الأهلية نظامهم . و أنهت هذه الفترة التي لم تدم أكثر من ثلاثين سنة ...

و " سميث " يبدأ و يعيد عازفا على وتر واحد . هو كيف يتحول الإسلام إلى علمانية " لادينية " على نسق ما حدث في تركيا . و يورد قول أحد العلمانيين الأتراك :" نريد أن نبني إسلاما تركيا . يصبح ملكا لنا . و جزءا من مجتمعنا الجديد . على نحو الكنيسة الإنجليكانية . التي هي مسيحية على نمط إنجليزي . فالإنجليكانية ليست إيطالية و لا روسية . و لكن أحدا لا يستطيع أن يتهمها بأنها ليست مسيحية . فلماذا لا يكون لنا إسلامنا الخاص بنا "[1] .

و هكذا يريد هذا المؤلف أن يطمس لنا جمال الفترة الأولى من تاريخ الإسلام . ويريد أن يفقدنا مصداقيتنا في هذا الفترة . و إحساسنا بسمو الإسلام . و قدرته على سياسة الحياة الإنسانية أحسن ما تكون السياسة . موازنة بين القوى المادية و المعنوية في الإنسان . و يريد أن يستحدث حسب خياله المريض إسلاما خاصا بكل قطر عربي أو مسلم . و يستدل لذلك من أقوال المسلمين . بما ورد على لسان أحد زعماء العلمانية في تركيا . و لا شك أن الدليل في غير موضعه . و مصدر الدليل مصدر لا قيمة له عندنا فهو دليل صدر عن مبغض للإسلام . لا يقل في بغضه للإسلام عن المستر " سميث " .

إنها خطة تطمح إلى أن تشكك في أصالة الإسلام و مرونته . التي تجعله صالحا لكل زمان و مكان . ويتبرع حضرة المؤلف باقتراح إسلام جديد . يخترعه كل قطر . حسب ما يتراءى له . و حسب اعتبارات الزمان و المكان . طالما و أن الإسلام لا يصلح كنظام عام . ينضوي المسلمون جميعا تحت لوائه ! !

إنه (يشكك في أن الإسلام هو نمط سلوكي و اجتماعي ثابت محدد . منزل من عند الله .

---

[1] د/ محمد محمد حسين – الإسلام و الحضارة الغربية صـ١٤٧ ، ١٥٨ بتصرف ، بدون ط ، بدون ت ، موسسة الرسالة ، بيروت .

و يقول : إن الإسلام كما بدأ في التاريخ من صنع المسلمين . أما الإسلام المنزل من عند الله . فليس هو ممارسة تلك الأعمال و العقائد التي يسميها المسلمون إسلاما . و لكنه نداء شخصي حي موجه إلى الأفراد . يدعوهم إلى أن يعيشوا الحياة التي تهيئها لهم ظروفهم ...

ومن هنا كان تشجيع المؤلف للصوفية و ثناؤه عليها في مواضع مختلفة في كتابه . بزعم أن التصوف في جوهره . هو الدين مجردا من النظم و الأنماط . و أنه بذلك يلتقي مع المسيحية في ترك تنظيم الشؤون الدنيوية لمن بيدهم مقاليد السياسة و السلطان . و هو بذلك يحاول أن يزين كل انسلاخ عن الشريعة الإسلامية و نظمها و أنماطها بنسبته إلى التصوف)[1] .

إن الفيلسوف الإنجليزى " برناردشو " يقول عن الإسلام :" إنه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية الغير و ملائمة الأزمنة . و هو حرى لأن يكون دين الجميع في كل دور و طور)[2] .

لقد درج كثير من المستشرقين على إلصاق الاتهامات و الشائعات بالإسلام . و النظر إلى الآراء الدخيلة على دين الإسلام باعتبارها الإسلام نفسه . ويطلقون أحكامهم جزافا بناء على هذا الافتئات[*] .

ومن ذلك ما حدث في نظرتهم إلى الصوفية . واعتبارهم أنها تعني التزام الزوايا و المساجد و البعد عن معترك الحياة . و الزهد السلبى فى الدنيا طلبا للسمو و الكشف و الكرامة .

و أقوال أعلام التصوف ترد هذه الادعاءات . يقول " سهل التسترى " :" أصول طرقنا سبعة : التمسك بالكتاب . و الاقتداء بالسنة . و أكل الحلال . وكف الأذى . و تجنب المعاصي . و لزوم التوبة . و أداء الحقوق "

و يقول " أبو الحسن الشاذلى " :" إذا تعارض كشفك مع الكتاب و السنة . فتمسك بالكتاب و السنة و دع الكشف "

و يقول أبو يزيد البسطامي :" لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات . حتى يرتقي في الهواء . فلا تغتروا به حتى تنظروا . كيف تجدونه عند الأمر و النهى . و حفظ الحدود . و أداء الشريعة "

---

(١) المرجع السابق صـ١٥٨، ١٥٩ .

(٢) أ/ محمد محمد الدهان – قوى الشر المتحالفة صـ١٧٦ . بتصرف ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، دار الوفاء ، المنصورة .

(*) افتات في الأمر : استبد به ، و لم يستشر من له الرأى فيه ، و يقال : افتات عليه فيه ، وفلان لا يفتات عليه : لا يفعل الأمر دون مشورته ، وافتات الكلام :اختلقه ، و يقال : افتات عليه القول : أى افتراه عليه . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٧٠٥ .

و يقول الإمام أبو حامد الغزالي : " لو رأيت إنسانا يطير في الهواء . و يمشي على الماء . و هو يتعاطى أمرا يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان " [١] .

أما غير ذلك فليس من التصوف في شئ . و إنما هو من ضلالات أدعياء التصوف . كابن عربي و الحلاج و غيرهم ممن أولعوا بتشويه كل جميل في دين الإسلام .

ثانيا: من وسائل إحكام السيطرة على العالم الإسلامي : صناعة عقلية موالية للغرب .

و هذا هو التغريب . الذي أريد به صناعة الأجيال التي تحمل الراية بعد المستشرقين و المبشرين . ولكنهم في هذا الطور . ليسوا غربيين . بل من أبناء المسلمين الذين رُبُّوا على أيدي أسيادهم من المستشرقين .

و (إن مفهوم مصطلح التغريب في عشرات من تعاريفه . إنما يعني : خلق عقلية جديدة . تعتمد على تصورات الفكر الغربي و مقاييسه . لتحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها . بهدف سيادة الحضارة الغربية . و تسييدها على حضارات الأمم . و لا سيما الحضارة الإسلامية . و لقد ذكر المبشرون و المستشرقون أن هدفهم . هو خلق أجيال تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية . بل الشرقية . و إبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه . و لقد عملت حركة التغريب في موالاة عجيبة . و دأب بالغ على تدمير الشخصيات العربية الإسلامية الباهرة . و في مقدمتها : الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – . و صحابته . و أبطال الإسلام . و مفكروه . كما ركزت على إحياء النماذج الشاذة و الإذاعة بها أمثال الحلاج و السهروردي و بشار بن برد و ابن الراوندي) [٢] .

و كانت الصحف مع غيرها من وسائل الإعلام و الألقاب الضخمة . من أهم الوسائل التي صُنعت من خلالها الشخصيات المشبوهة . التي أريد لها أن تتسلق مواطن التوجيه لأمتنا .

---

[١] الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة صـ٣٤٤،٣٤٥ بتصرف الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض-. السعودية .

[٢] أ/ أنور الجندي – معلمة الإسلام – جـ٢ صـ٩٧ بدون ط ، ١٤١١هـ- ١٩٩١م ، دار الصحوة ، القاهرة .

تـاريـخ التغـريب "صناعة الكوادر العلمانية"

نستطيع أن نورخ للتغريب ببداية البعثات إلى الدول الأوربية . و التى كان الهدف منها اكتساب الخبرات الفنية لإقامة النهضة الحديثة . و لكن لم يقتصر الأمر على اكتساب الخبرات الفنية . بل تعداه إلى التأثر بالأفكار و العادات و التقاليد . بل نستطيع أن نقول : إن تأثير الأفكار كان أقوى و أبقى فيما بعد من أكتساب الخبرات الفنية .

و من الجيل الأول لهذه البعثات كان الشيخ " رفاعة الطهطاوى " و الذى (أقام فى باريس خمس سنوات من " ١٨٢٦-١٨٣١م " و لننظر إليه و هو يدافع عن مراقصة الرجال للنساء حيث يقول : إن الرقص عندهم فن من الفنون . و قد أشار إليه المسعودى فى تاريخه المسمى " مروج الذهب " فهو نظير المصارعة فى موازنة الأعضاء . و دفع قوى بعضها إلى بعض . فليس كل قوى يعرف المصارعة . بل قد يغلبه ضعيف البنية . بواسطة الحيل المقررة عندهم . و ما كل راقص يقدر على دقائق حركات الأعضاء . وظهر أن الرقص و المصارعة مرجعهما شئ واحد يعرف بالتأمل . و يتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء . بخلاف الرقص فى أرض مصر . فإنه من خصوصيات النساء . لأنه تهييج الشهوات . أما فى باريس . فإنه نطّ* مخصوص . لا يشم منه رائحة العهر أبدا . و كل إنسان يعزم امرأة يرقص معها . فإذا فرغ الرقص . حزمها آخر للرقصة الثانية . و هكذا و سواء كان يعرفها أو لا " .

و بالمقارنة بين الطبعة الأولى من كتابه " تخليص الإبريز " . و التى صدرت بمصر بعد عودته من باريس بست سنوات . و بين ما بقى من أصول المخطوطة الباريسية للكتاب التى تركها عند المسيو برسفال"** نلحظ أنه قام بالتعديلات التالية :-

١- أنه حذف فقرة يثنى فيها على الحاج حسن أفندى الإسكندرانى . أحد أعضاء البعثة . ويصور صلاحه وتقواه . و شدة تمسكه بالإسلام . و تتبعه للحرب بين تركيا و الروس . و ما أرشده إليه من قراءة سورة يس قبل النوم . و رؤياه فى هذه الليلة . التى أولها الإسكندرانى بانتصار المسلمين فى حربهم مع الروس .

---

* نطَّ نطًّا و نطيطا : وثب ، و نطَّ فى الأرض : ذهب فيها ، و نطَّ فى منطقه : هذر ، فهو نطَّاط ، نطَّ الشئ نطًّا : مدّه أو شدّه . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٩٣٠ .

** كوسين دى برسفال ، جان جاك "١٧٥٩-١٨٣٥م" تخرج بالعربية من معهد فرنسا و عين أستاذا لها فيه ١٧٨٤م ، و من آثاره ترجمة سورة الفاتحة ١٨٢٠م ، و نشر معلقة امرئ القيس للزوزنى . العقيقى جـ١ صـ١٦٥،١٦٦ .

٢- و حذف فقرة أخرى عبر فيها عن حزنه . لأنه لم يتيسر له زيارة ضريح سيدى إبراهيم الدسوقى . فى أثناء سفره من القاهرة إلى الإسكندرية . فى طريقه إلى باريس .

٣- وحذف كلمة " كفرة " فى كل موضع استعملها فيه . مرادفة لكلمة " النصارى " و أثبت مكانها الكلمة الثانية .

و ليس المهم هو أن يكون الصواب فى الرأى المتروك أو الجديد . و لكن المهم هو أن هذا التعديل يصور تطورا فكريا . و أن هذا التطور الفكرى . لم يحدث تحت تأثير ظروف إسلامية . و لكنه حدث تحت تأثير إقامته فى باريس . و انغماسه بعد عودته فى الثقافات الغربية . و انشغاله بترجمة آثارها التى تؤمن بالمحسوس الملموس و المدرك المعقول . و تكفر بما وراء ذلك من الغيب و تستخف به)[1]

و لقد كانت هذه أول خطوة فى طريق الألف ميل ، ذلك الطريق المظلم الذى عششت فيه خفافيش الظلام . و أريد لأمتنا و لشبابنا أن يسلكوا هذا الطريق - الذى مهده أساطين المستشرقين - و لا يزالون - على غير هدى من الله .

و مما يفت فى عضد المسلم الغيور لدينه ، أن يرى أبناء جلدته - أبناء الوطن و الدين و اللغة - تلامذة نجباء لأسيادهم من المستشرقين . و أبواقا ذائعة الصيت لضلالات أعداء الله . يروجون و ينشرون . بل يخترعون أيضا . بل إن منهم من فاق ألد المستشرقين خصومة و عداء للإسلام و صدق الشاعر :

و كنت امرءا من جند إبليس فارتقى   بى الدهر حتى صار إبليس من جندى

فلو مات قبلى كنت أحسن بعده   طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

و إن من الأمثلة الصارخة على هذه الحفنة التى اتبعت خطوات المجحفين من المستشرقين . " سلامة موسى " صاحب كتاب " اليوم و الغد " و فيما يلى أعرض لطائفة من أقواله و أفكاره من خلال هذا الكتاب :

١- يقول : (يجب علينا أن نخرج من آسيا . و أن نلتحق بأوربا . فإنى كلما زادت معرفتى بالشرق زادت كراهيتى له . و شعورى بأنه غريب عنى . و كلما زادت معرفتى بأوربا زاد حبى لها . و تعلقى بها . و زاد شعورى بأنها منى و أنا منها . هذا هو مذهبى الذى أعمل له طول حياتى سرا و جهرا ، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب "

---

[1] د/ محمد محمد حسين - الإسلام و الحضارة الغربية صـ١٨،٣٦،٣٩ بتصرف . مرجع سابق .

و السؤال هنا هل كانت مصر تابعة جغرافيا لآسيا ؟ اللهم إلا إن كان الكاتب يقصد التبعة الدينية . عن طريق تبعية مصر لآسيا التي ظهرت فيها دعوة الإسلام .

٢- يريد للتعليم أن يكون تعليما أوروبيا . لا سلطان للدين عليه . و لا دخول له فيه . و هو يريد من الحكومة أن تكون ديموقراطية برلمانية . كما هي في أوربا . و أن يعاقب كل من يحاول أن يجعلها مثل حكومة " هارون الرشيد " أو المأمون أو " ثيوقراطية .

٣- يريد أن يبطل شريعة الإسلام في تعدد الزوجات . و في الطلاق . بحيث يعاقب بالسجن كل من يتزوج أكثر من امرأة . و يمنع الطلاق . إلا بحكم محكمة .

٤- و يقول : " و ها نحن نجد أنفسنا الآن مترددين بين الشرق و الغرب . لنا حكومة منظمة على الأساليب الأوربية . و لكن في وسط الحكومة أجسام شرقية مثل وزارة الأوقاف و المحاكم الشرعية . تؤخر تقدم البلاد . و لنا جامعة تبعث بيننا ثقافة العالم المتمدين . و لكن كليه جامعة الأزهر تقف إلى جانبها تبث ثقافة القرون المظلمة . و لنا أفندية . قد تفرنجوا . لهم بيوت نظيفة . ويقرءون كتبا سليمة و لكن إلى جانبهم شيوخ لا يزالون يلبسون الجبب و القفاطين . و لا يتورعون من التوضؤ على قوارع الطرق في الأرياف . و لا يزالون يسمون الأقباط و اليهود " كفارا " كما كان يسميهم " عمر بن الخطاب قبل ١٣٠٠ سنة ")[1]

إن هذه اللادينية الصارخة . ترسل بأبصارنا إلى المورد الآسن الذي ورده هؤلاء فصدروا عنه أذنابا للشيطان . و إن قوارع الألفاظ لا تشفي غليل المسلم من هذا الذنب الاستشراقي . و لكن حسبنا أنه أفضى إلى ما قدم .

إن البيوت النظيفة في نظره من سمات الحضارة الغربية . و يعلم الله و الراسخون في دراسة التاريخ الإنساني أن أوربا لم تعرف النظافة إلا من الإسلام . و أنه ما من ديانة اهتمت بنظافة الإنسانية الحسية والمعنوية كما اهتمت شريعة الإسلام .

و إن وضوء المشايخ على قوارع الطريق . و الوضوء بصفة عامة ليس من مظاهر الحضارة كما يعتقدها هذا المأفون . و لا عجب فقد حكى الله تعالى عن قوم سابقين قولهم ﴿ **أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** ﴾ النمل ٥٦ .

---

[1] د/ محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر جـ٢ صـ٢٢٢ ، ٢٢٧ بتصرف الطبعة التاسعة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م ، دار الرسالة مكة السعودية .

فالطهارة في عرف هؤلاء عيب ما ينبغي أن يقارفه بنو آدم !!

و هذا هو الدكتور " لويس عوض " في كتابه " مقدمة في اللغة العربية " يقرر : (أن العدد ٣ العربية مأخوذ من جذر هندى أوربي . و هو في المصرية القديمة من جذر غير هندى . و أن "ثلاثة" المصرية القديمة . هي " خمت " ... و إذا كان الأمر كذلك . كان معنى الصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الانبثاق . ورفض مساواة المسيح لله في الجوهر . و يقرر أنها كلمة جامدة ... و هكذا حكم الدكتور على كلمة : صمد " بأنها تساوى كلمة " خمت " المصرية التي تعني ٣ . ثم يتساءل كيف يصف القرآن بها الله . في حين أنها تعني ثلاثة . أو ثالوثا . و هذا تمحل حيث لا يوجد بين الكلمتين أي تشابه .

و هي وسيلة من وسائل المستشرقين في الاستنتاج . تخالف الأسس العلمية من أجل الأهواء و الأحقاد و الطعن في القرآن . كما هو طعن في وحدانية الله تعالى)[1]

و كلمة " صمد " ليست جامدة . كما ادعى . فنحن إذا يممنا شطر لسان العرب . نجد فيه (صَمَد يَصْمُدُهُ صمدا . و صمد إليه . كلاهما : قصده و تصمَّد له بالعصا : قصد . و صمد رأسه تصميدا : لف رأسه . و الصمد : السيد المطاع الذى لا يقضى دونه أمر .

ألا بكَّر الناعى بخير بني أسد بعمرو بن مسعود و بالسيد الصمد

و الصمد من صفاته تعالى و تقدس . لأنه أُصمدت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره)[2].

و عميد الأدب العربي – بزعمهم – الدكتور طه حسين (الذى تشهد كتبه أنه لم يكن إلا بوقا من أبواق الغرب . وواحداً من عملائه يروج لثقافاته و يعظمها . طه حسين الذى لم يملَّ من الكلام عن جامعة البحر الأبيض المتوسط . التي دعت إليها فرنسا بالأمس . و التي تدعو إليها أمريكا اليوم . طه حسين الذى يزعم لمصر أنها جزء من البحر الأبيض المتوسط . في مقومات شخصيتها . و ليست جزءا من عرب نجد و اليمن و البحرين و العراق و السودان . طه حسين الذى لم يَبْدُ العرب في وهمه أمة . لأن قوام الدول في زعمه . هو المنافع المادية و لأن تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية . ولا قواما لتكوين الدول "

---

[1]: أ/ أنور الجندى – أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب و العلمانية و التنوير الغربي قضايا الأدب و الثقافة و الفن صـ٦٦-٦٨ بتصرف بدون ط بدون ت دار الفضيلة – القاهرة .

[2] العلامة ابن منظور ، لسان العرب جـ٢ صـ٤٧٣ ، بدون ط ، بدون ت ، بيروت لبنان .

طه حسين الذى يزعم للعرب . أن السبيل إلى نهضتهم ليس هو ترجمة العلوم . و لكن السبيل إلى نهضتهم أن يذوبوا فى الغرب)[1] .

يقول الدكتور طه حسين :" و يتحدث عن الطريق إلى النهضة و أنها (واضحة بينة مستقيمة . ليس فيها عوج و لا التواء . و هى أن نسير سيرة الأوربيين . و نسلك طريقهم . لنكون لهم أندادا . و لنكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها و شرها . حلوها و مرها . و ما يُحب منها و ما يُكره . و ما يحمد منها و ما يعاب)[2] .

طه حسين تلميذ المستشرق " دور كايم " والمردد الأمين والبوق الذائع الصيت لأكاذيب المستشرقين . ولقد أتى بعض العلماء (بنصوص من آرائه ونصوص من أقوال المستشرق "مرجليوث "فكان كلام طه حسين ترجمة حرفية لأقوال " مرجليوث* ")[3]

(إن طه حسين يمثل تلامذة الغرب والمستشرقين أكمل تمثيل . فهو ربيب أفكارهم ومناهجهم ...فنحن نراهم يهاجمون رجال الدين فى بلادهم . فيهاجم هو رجال الأزهر هنا بقوة .

والمستشرق الإنجليزى " هنرى جب "يجنح فى كتابه " المذهب المحمدى " إلى سلسلة من الخيال الفكرى تؤدى إلى نتيجة خاطئة . هى أن القرآن بشرى المصدر . فهو نضح البيئة العربية المكية . وتعبير عن مطامحها الإصلاحية . فهو بهذا ليس دينا عالميا . و لا وحيا إلهيا . و يقرر أن القرآن أخذ من الوثنية و المسيحية و اليهودية مضمونة ...

و " طه حسين " يقول : القرآن رد على المسيحية و اليهودية و الوثنية بعد أن حكى مفاهيمها جميعا . وحكاية هذه المفاهيم إنما هى انطباع بالبيئة . و الرد انطباع آخر . و النتيجة التى يسلم إليها هذا القول أن القرآن بشرى)[4] .

﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ الكهف ٥ .

---

[1] د/ محمد محمد حسين – حصوننا مهددة من داخلها صـ١٤١ بتصرف الطبعة الثالثة عشرة – ١٤١٣هـ–١٩٩٣م دار الرسالة . مكة – السعودية

[2] د/ محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية جـ١ ، صـ٢٢٩ مرجع سابق .

*مرجليوث .د.س "١٨٥٥–١٩٤٠م " ولد و توفى فى لندن و تخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد ، عمل أستاذا للعربية فى جامعة أكسفورد ١٨٨٩م ، انتخب عضوا فى المجمع العلمى فى دمشق و المجمع اللغوى البريطانى و الجمعية الشرقية الألمانية . العقيقى جـ٢ صـ٧٧

[3] د/ جمال عبد الهادى وزملاءه . المؤامرة على الإسلام فيما كتبه د /طه حسين ، بدون ط ، ١٩٩١م دار الوفاء ، المنصورة .

[4] د/ عبدالمتعال الجبرى ، السيرة النبوية و أوهام المستشرقين ، صـ٩١ ، بتصرف ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ، ١٩٨٨م ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

و لنستمع إلى هذا الهذيان المكشوف . الذى يطرحه علينا أحد أساتذة الجامعة . المنوطة بهم عقول شباب الأمة مستقبلهم . إنه الدكتور " عبد العزيز القوصى " و الذى كان مستشارا فنيا لوزارة التربية و التعليم و الذى يقول :-

إن خروج الفتيات فى صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية . التى لا يستطيع معظم الآباء تقبلها فى الوقت المناسب على أية حال . باعتباره جانبا من جوانب النمو الجنسي للمراهق . وفى كل علاقة تقوم بين فتى و فتاة . و يشعر كل منهما فى بعض الأحيان بدافع يحفزه على التعبير عن حبه و تقديره للآخر بلمسة أو ضغطة على اليد أو قُبلة . و الرغبة فى الكشف عن المشاعر بهذه الطريقة و الاستجابة لها أمر طبيعى)[١]

و الدكتور عبد المنعم ماجد فى كتابه " التاريخ السياسى للدولة العربية " و الذى (اعتمد فيه على المبشرين و المستشرقين المتعصبين . فيسرد آراءهم دون مراجعة أو تمحيص . و ينقلها كأنها حقائق ثابتة و يلقنها تلاميذه . و يلزمهم بها . كأنها أحكام صحيحة . لا تحتمل البحث أو الجدال .

و فيما يلى عرض لبعض أفكار هذا الكتاب :-

أولا : فى صـ١٩٨ من جـ١ يقول : " و فجأة فى سن الأربعين يملك محمد موهبة النبوة " و هل النبوة موهبة و اكتساب ؟ أم أنها اصطفاء إلهى ؟

ثانيا : يسرد عبارات تصف القرآن بأنه من صياغة محمد صلى الله عليه و سلم . مثل قوله فى صـ٩٩ من جـ١ : " و مع ذلك فلم يرد على لسان النبى فى القرآن"

و فى صـ١٢٥ " و قد أناب فيه أبابكر صديقه ليقرأ عليهم سورة براءة . التى يتبرأ فيها محمد ممن يحج من المشركين "

ثالثا : فى صـ٢٥٠ " يقرر أن الوحي كان يتم فى المنام . و كأنه أضغاث أحلام . فيقول عن الوحي :" إنه كان ينزل عليه و هو نائم "

رابعا : فى صـ٢٥ يدعى أن النبى صلى الله عليه و سلم " كان ينسخ بعض الآيات و يأتى بأخرى محلها وكأنه هوالذى ألف القرآن "

---

[١] د/ علىعلى صبح ، الاستشراق و حركات التغريب صـ٧٨ ، ٧٩ ، بحث نشر فى كتاب المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية جـ٢ ، بدون ط ١٤٠٨هـ =١٩٨٨م ، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة .

خامسا: في صـ١٢٧ ، صـ١٢٨ من جـ١ :" و هو و إن كان أرسل إلى العرب وحدهـم .و لكنـه تجاوز حده و اعتبر نفسه رسولا إلى كافة الناس "

سادسا: في صـ١٢٧ يذكر أن رسالة المسيحية عامة متجاهلا قول الله على لسان عيسـى :﴿ و رسولا إلى بني إسرائيل ﴾ آلعمران ٤٩ . و ما جاء في إنجيل متى :" لَمْ أرسل إلا إلى خـراف بيـت إسـرائيل الضالة" إصحاح ١٥ : ٢٤ . فالمؤلف ينقل آراء المستشرقين و المبشرين معتقدا صحتها . فضـلا عـن أن ينقدها .

سابعا:في صـ١٣٤ ينفي أن " الدين الإسلامي عالج نظم الحياة بنصوص صريحة .

ثامنا :في صـ١٦٣ . يقول :" لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم : إن العرب كانوا مدفوعـين نحـو الفتوح بالحماس الديني ... و لكن من غير المعقول . أن يخرج البدوى . و هو الـذى لا يهتـم بـالدين لنشر الإسلام .

و السؤال الطبيعي الآن :هل هذا الـ عبد المنعم . ذو هوية إسلامية أم أنه على غير ملتنا ؟

تاسعا : في صـ١٨٠ يقول :" كان لانتصار المسلمين في " أجنادين " وقع عظيم بحيث اعتقد المسلمون أن هذا النصر من عند الله ")[1] .

و هي عبارة تصدم العقيدة في نفوس أصحابها . و من أين كان هذا النصر إن لم يكن مـن عنـد الله . القائل :﴿ و ما النصر إلا من عند الله ﴾ الأنفال ١٠ ؟

و القائل :﴿ إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم ﴾ محمد ٧ .

إن هذا الكتاب كان يدرّس على طلاب الجامعة – عين شمس – . و لسـت أدرى أى عقليـة سـتخرج للمجتمع . تلك التي تربت على هذا الفكر اللقيط . إن هؤلاء الذين سموا بأسماء المسلمين . طه حسين . عبدالعزيز القوصي . عبد المنعم ... وغيرهم كثير . كانوا و لا يزالون . هم الذين سلمت إليهم أزمّـة التوجيه في بلادنا . فكان منهم من سعى في هدم الأخلاق في نفوس أبناء المسلمين . و منهم من هدم العقيدة أو سعى في خرابها . و منهم من أظهر الإسلام في صورة جزئية . لا علاقة لها بواقع الحياة و لا تنظيم السياسات و الاجتماعيات فيمجتمعات المسلمين .

---

[1] الأستاذ الشيخ محمد الغزالي ، قذائف الحق صـ٧٨: ٨٢ ، بتصرف بدون ط ، بدون ت ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

و إذا كان من هؤلاء أساتذة جامعات و كتاب و صحفيون ووزراء . فهل ننتظر إلا عبدة الشيطان ؟ و هل تفرز هذه الثقافات اللادينية إلا الإلحاد و عبادة غير الله ؟ وهل هذا إلا ما أراده الاستعمار " خلق عقلية كافرة بالشرق . مؤمنة بالغرب ؟

و من ثم أرسل رهبانه و كهنته من المستشرقين . و الذين قاموا بصناعة هؤلاء اللقطاء على أعينهم . وسنمتهم المناصب الفخمة و الألقاب الضخمة في بلادنا ؟

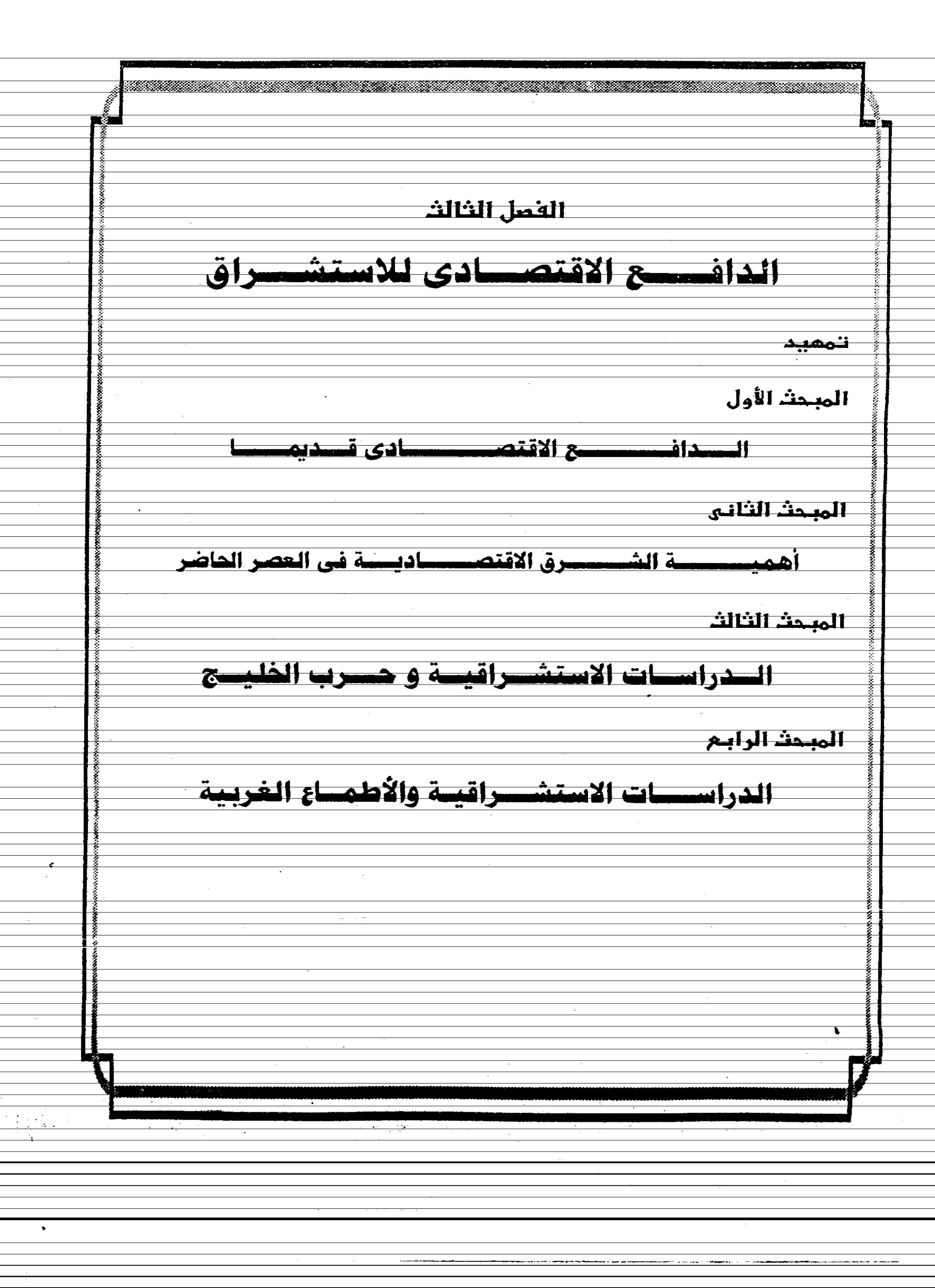
لقد أثخن هؤلاء اللقطاء الجراح في دين الله . و التحفوا الإسلام . و استبطنوا اللادينية . فأصابوا مجتمعاتنا الإسلامية بهزات عنيفة . لما تزل آثارها الواضحة إلى أيامنه هذه .

و ليس إلا الاستعمار العسكري أو السياسي و الفكري . هو الذى مكن لهؤلاء في بلادنا . رغم أنف الشعوب . وإلا فأين " طه حسين من الأديب ا لمسلم " مصطفى صادق الرافعي* " كيف يذيع صيت الأول و تسطر له الأساطير و تبهرج له وسائل الإعلام من خلال المسلسلات والأفلام . و ينسى الرافعي . و تخيم عليه ستائر الإهمال و التناسي . فلا يكاد يعرفه إلا كل متخصص في مجال الآداب . أو مسلم غيور على دينه.

إنه الاستعمار الذى نفث فينا سمومه بأيدى عملائه المستشرقين . الذين أرضعوا هؤلاء اللقطاء لبان الذل واللادينية و الاستخذاء .

---

* الرافعي : أديب مصرى و هو مصطفى صادق الرافعي بن عبدالرازق بن سعيد بن عبدالقادر الرافعي ولد عام١٢٩٧هـ=١٨٧٩م . كتب الشعر ، كما أن له مجموعة من الكتب أهمها " إعجاز القرآن " و تاريخ آداب العرب " توفى عام ١٣٥٦هـ =١٩٣٧م ، و قد تحدى الأديب الأستاذ / مصطفى صادق الرافعي في غير موضع من كتبه عميدَ الأدب العربي ، أن يأتي بمثل بعض أعماله ، كما تحداه أن يقوم له في علوم البلاغة ، و قد ورد ذلك عنه في كتابه " تحت راية القرآن . دائرة المعارف للناشئين بتصرف . صـ١٨٦ .الناشر القاهرة للترجمة و الصحافة و النشر .



الفصل الثالث

الدافع الاقتصادى للاستشراق

تمهيد

المبحث الأول

الدافع الاقتصادى قديما

المبحث الثانى

أهمية الشرق الاقتصادية فى العصر الحاضر

المبحث الثالث

الدراسات الاستشراقية و حرب الخليج

المبحث الرابع

الدراسات الاستشراقية والأطماع الغربية

الفصل الثالث

الدافع الاقتصادي

تمهيد

- **تعريف الاقتصاد لغة :**

يقال : (قصد في الأمر : توسط . لم يُفْرِطْ و لم يفرِّطْ . و قصد في الحكم : عدل و لم يَمِلْ ناحية . وقصد في النفقة : لم يسرف . و لم يَقْتُر . و قصد في مشيه : اعتدل فيه)[١] (و القصد : بين الإسراف و التقتير . يقال : فلان مقتصد في النفقة ... و القصد : العدل)[٢] .

(و اقتصد في أمره : توسط فلم يُفْرِطْ و لم يُفَرِّط . و اقتصد في النفقة : لم يسرف و لم يَقْتُر ... و الاقتصاد : علم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج و التوزيع)[٣] (و عرَّفه العز بن عبد السلام بأنه : رتبة بين رتبتين ،و منزلة بين منزلتين . الأولى هي التفريط = التقصير . الثانية هي الإفراط = الإسراف)[٤]

- **تعريف الاقتصاد اصطلاحا :**

(إن أساس كلمة اقتصاد تعني الطريقة الحكيمة . التي يسلكها الإنسان . لكي يحقق أفضل استخدام لدخله .

من هنا يمكننا القول بأن كلمة اقتصاد ، تعني السلوك الرشيد لاستخدامات الدخل المحدود . بحيث يحقق الاستخدام الأمثل لهذا الدخل ، من وجهة نظر الشخص والمجتمع)[٥] .

---

[١] المعجم الوسيط جـ٢ صـ٧٣٨ .

[٢] مختار الصحاح صـ٥٣٦ .

[٣] المعجم الوسيط جـ٢ صـ٧٣٨ .

[٤] د/ رفيق يونس المصري – أصول الاقتصاد الإسلامي صـ١١ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت .لبنان .

[٥] د/ حسن كمال أسعد – أصول الاقتصاد صـ٦ . بتصرف ، مكتبة عين شمس – القاهرة .

و يقول الدكتور " كليفورد .ل.جيمس" :(الاقتصاد علم اجتماعي . و مجموعة مقننة . من المحيطات الأساسية . في نطاق مجهودات الإنسان الساعي إلى كسب معيشته)[١]

ويعرفه الدكتور/ "حسين عمر " بأنه (ذلك الفرع من العلوم الاجتماعية . الذى يتوافر على دراسة السلوك الاقتصادى للفرد والجماعة ...فيما يرتبط بإنتاج السلع المادية . وتوزيعها واستبدال بعضها بالبعض الآخر)[٢]

و (يعرف الاقتصاد فى أبسط معانيه بأنه :" العلم الذى يبحث فى التوزيع الأنسب للموارد المحدودة على الاستعمالات البديلة المختلفة . بحيث يحقق أكثر إشباع ممكن للفرد والجماعات)[٣] .

و نعنى بالدافع الاقتصادى للاستشراق . الهيئات و الحكومات التى يخدمها الاستشراق عن طريق الأبحاث الأكاديمية . التى يجوس عن طريقها خلال ديار الإسلام و المسلمين . أو أى أمة من الأمم التى يراد نهب ثرواتها و السطو على ممتلكاتها المادية ، تحت أى ستار من الأستار المجهزة . و التى تغطى وجه الاستعمار القبيح . و هو يمارس أعماله الإجرامية ضد شعوب العالم . فى صورة الغزو العسكرى المباشر ، أو عن طريق ما يسمى بالسياسة الشرعية التى تخول له أن يغدو و يروح فى بلاد العالم الإسلامى تحت سمع العالم و بصره . و لا يمكن لهذه البلاد حتى مجرد الاستياء و الامتعاض . و إن فعلت ، فماذا يغنى عنها استياؤها . ؟!.

---

[١] د/ كليفورد .ل. جيمس – أصول علم الاقتصاد . صـ٥ ترجمة الشيخ : نسيب وهيبة الخازن ، دار الثقافة – بيروت .

[٢] د/حسين عمر /مقدمة علم الاقتصاد ..صـ١٨ ،١٩٦٨م ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨م دار لمارف ، القاهرة .

[٣] د/ حسين كمال أسعد ـ ،صـ٥ ، مرجع سابق

المبحث الأول

الدافع الاقتصادي قديما

لقد (عرفت بلاد الإسلام بغناها بالمعادن . فالأندلس مثلا – قديما – اشتهرت بمناجم الفضة و الحديد و الزئبق في نواحي قرطبة° و بلنسية°° و بعض البلاد الواقعة شمال طليطلة°°° . فكانت الأندلس الإسلامية . من أغنى بلاد المسلمين من هذه الناحية . و قد عرفت بصناعات معدنية ممتازة . من الحديد و النحاس . و كانت لأهل الأندلس مهارة في شئون التعدين . و هو استخراج المعادن من مناجمها تحت الأرض . ثم صهرها و تشكيلها . في صور مصنوعات معدنية . ذات أشكال مختلفة وخاصة الأواني و الأسلحة ... و كانت تصدرها إلى بلاد العالم و بخاصة بلاد أوربا)[1]

و لقد كان من أسباب اتصال الغرب بالشرق . الاستفادة الاقتصادية . والتحصيل المادى واقتضت التجارة مع الشرق . تعلم اللغة العربية . حيث (احتاج الإيطاليون وغيرهم . من المشتغلين بالاتجار مع شرق البحر المتوسط ، أن يتعلموا لغة العرب وآدابهم ، وأن يتعرفوا على عاداتهم وتقاليدهم . حتى يمكنهم أن يحسنوا معاملتهم ، ويعقدوا معهم المعاهدات بلغتهم . ففي عام ١٢٦٥م . كتبت باللغة العربية المعاهدات التجارية ، التي أبرمت بين تونس و بيزا – مدينة إيطالية – ومنذ الحملة الصليبية الرابعة . انفردت إيطاليا في أعمالها عن بقية الصليبيين . واهتمت بتحسين علاقاتها التجارية مع الشرق الإسلامي

فكانت " البندقية " همزة الوصل بين الشرق و الغرب ، و تكلم أهلها العربية حتى سقوط القسطنطينية في قبضة " محمد الثاني " ، سنة ١٤٣٥هـ . فأضافوا التحدث بالتركية مع العربية .

° قرطبة كلمة رومية ، ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من ألقَرْطبة و هو العدو الشديد ... و قال الأصمعي : طعنه فقرطبه إذا صرعه ... و هي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها و كانت سريرا لملكها ، و بها كانت ملوك بني أمية ... و بينها و بين البحر خمسة أيام .. و ينسب إليها جماعة من أهل العلم منهم أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدى القرطبي ... و أحمد بن محمد بن عبد البر أو عبد الملك ت ٣٣٨ . و غيرهم .بتصرف عن معجم البلدان .

°° بلنسية ، ثالثة مدائن الأندلس في الترتيب بحسب عدد السكان ، و موقعها في شرق شبه جزيرة أسبانيا على مسافة أربعة كيلو مترات من ساحل البحر المتوسط ، و تعرف بمدينة التراب . بتصرف من دائرة المعارف الإسلامية جـ٤ صـ١١٧ .

°°° طُلَيْطُلَة و ينطلقها المغاربة طُلَيْطَلَة .. مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس ... كانت قاعدة ملوك القرطبيين و موضع قرارهم على شاطئ نهر تاجه ...و ذكر قوم أنها مدينة " دقيانوس " صاحب أهل الكهف ، قالوا و يقرب منها موضع يقال له : جنان الورد فيه أجساد أصحاب الكهف ... و من خاصيتها أن الغلال تبقى في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير ،و ينسب إليها جماعة من العلماء ، منهم أبو عبد الله الطليطلي ت ٤٥٨ هـ . بتصرف من معجم البلدان لياقوت الحموى .

[1] د/ حسين مؤنس . أطلس تاريخ الإسلام صـ٣٩٤ بدون ط ، بدون ت ، بتصرف .

وتأثرت فرنسا بتجارة الشرق . واتصلت بلبنان بمرفأ مرسيليا - ميناء فرنسي على البحر المتوسط التجاري . وكانت فرنسا تستورد منه الحرير والنبيذ والأخشاب . وبلغ قيمة ما تشتريه من حرير لبنان (٤٠٠٠٠) فلس° في السنة .

وهذه التجارة الواسعة اقتضت إقامة قنصلية لفرنسا في لبنان . فانتدبت لها " أبانوفل الخازن°° " وتوسع الفرنسيون في تجارتهم الشرقية فأقام " ريشليو°°° " ثم "هنري الرابع°°°° " شركة ملاحة شرقية . فما كان القرن السابع عشر . وفي عهد "لويس الخامس عشر"°°°°° إلا وأندية فرنسا مؤثثة بتحف الشرق النادرة ورياشها الفاخرة ، وطاب للفرنسيين أن يستخرجوا كنوز الشرق فألفوا بعثة برياسة "شارينتييه" سنة ١٦٦٥م . وكان جُلُّ أعضائها . من المجمع العلمي .لجوب الشرق ودراسته . واستخراج غناه . حتى توصلوا إلى بسط حمايتهم على الهند سنة ١٧٤٠ م . ثم لحق بهم الإنجليز ...

و قد أنشأت ألمانيا مدرسة اللغات الشرقية ١٨٨٧م . لتعليم هذه اللغات للتجار و السفراء . و قد أنفقت شركة هندية على "جالان°°°°°° "١٦٤٦- ١٧١٥م في رحلته إلى الشرق ؛ لتبني سياستها الاقتصادية على أساس المعلومات التي يقدمها لها ولخبرائها [1] .

° الفلس : عملة يتعامل بها مضروبة من غير الذهب و الفضة ، كانت تقدر بسدس الدرهم ، و هي تساوي اليوم جزءا من ألف من الدينار في العراق و غيره . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٧٠٠ .

°° لم أعثر على ترجمته .

°°° ريشليو ، أرمنجان دوبليسس ، "١٥٨٥-١٦٤٢م ، كاردينال وسياسي فرنسي ، كبير وزراء لويس الثالث عشر ، و الحاكم الفعلي لفرنسا ١٦٢٤-١٦٤٢م . المورد صـ٧٤ .

°°°° هنري الرابع " ١٠٥٠-١١٠٦م ، رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة ١٠٥٦-١١٠٦م ، و هنري الرابع ١٣٦٧-١٤١٣م ملك إنجلترا ١٣٩٩-١٤١٣ م ، و هنري الرابع ١٥٥٣-١٦١٠م ملك فرنسا ١٥٨٦-١٦١٠م أول ملوك آل بوربون ، و هو المراد هنا . المورد صـ٤٣ .

°°°°° لويس الخامس عشر ١٧١٠-١٧٧٤م ملك فرنسا ١٧١٥-١٧٧٤ م ، خسر الفرنسيون في عهده معظم ممتلكاتهم وراء البحار . المورد صـ٥٦ .

°°°°°° جالان ، أنطوان " ١٦٤٦-١٧١٥م ، مستشرق فرنسي ، حضر دروس اللغات الشرقية في الكوليج دي فرانس ، و سافر إلى استانبول للعمل بالسفارة و هناك أتقن معارفه عن الشرق ، و عاد بمجموعة من النقود القديمة ، و في عام ١٦٧٩م أرسله " كولبير " وزير مالية لويس الرابع عشر إلى الشرق للشراء مخطوطات و تحف قديمة ؛ عين في ١٧٠٩م أستاذا للعربية في الكوليج دي فرانس ، ترجم ألف ليلة وليلة و له ترجمة للقرآن . طبقات المستشرقين صـ٢٢ .

[1] الاستشراق وجه للاستعمار الفكري صـ٧٦،٧٧ بتصرف . مرجع سابق .

(و ضمن هذا الدافع . وجهت المؤسسات الاقتصادية الغربية من يهتمون بالدراسات الاستشراقية . ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشاريهم . والمترجمين لهم في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية ...

فاتجه فريق من الغربيين لهذه الدراسات . طمعاً بأن يجدوا أعمالاً لهم لدى المؤسسات الاقتصادية)[١]

(ومن خلال هذه الدراسات . أدرك الغرب أنه إذا أراد أن يسامي الشرق ويتفوق عليه . فليس له من سبيل إلا تعلم لغته . وما يتعلق بها من حضارة وعلوم ...

وأدرك أنه لكي يتسرب إلى مصادر القوة في الشرق ويمزقها . يجب عليه أن يتسلح بالقوة الاقتصادية ....فطلب التجارة الرابحة ، وهو أقوى المشجعات البشريه على النشاط والعمل . كان له أثره الطبيعي في ميول الأمة ومجهوداتها الفكرية)[٢] .

ولم تكن تلك الجهود الاستشراقية قاصرة على خدمة المؤسسات الاقتصادية . والشركات الكبرى بل كان (الملوك كذلك يدفعون المال الوفير للباحثين ، من أجل معرفة البلاد الإسلامية ، و كتابة تقارير عنها وقد كان ذلك جليا في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين)[٣] .

تحقيق النفع الفردي

(ظهر أيضاً فريق من الباحثين العلميين . اهتم بالدراسات الاستشراقية . ليقوم بنشر كتب التراث الإسلامي ، و الاستفادة من نشرها في تحصيل الثروات التي يحصل عليها الناشرون عادة)[٤] .

(وكثيرون ممن لم يجدوا في أنفسهم القدرة على منافسة أقرانهم ، في أبحاث الطبيعة والعلوم الكونية وأمثالها . وجدوا أن أنسب مجال يبرزون فيه . هو المجال البكر . الذي لايقوم على اقتحامه إلا القليل وهو مجال دراسة المشرقيات)[٥] .

---

[١] أ/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ـ صـ١٢٨ ، مرجع سابق .

[٢] د/أحمد سمايلوفتش ـ فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر ، صـ٤٥،٤٦ بتصرف . مرجع سابق

[٣] الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة ، صـ٣٧ ، مرجع سابق .

[٤] أ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، صـ١٢٨ .

[٥] د/ عبد المتعال الجبري ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ـ صـ٧٧ ، مرجع سابق .

كانت التجارة والكسب المادى الذى هدفت إليه المؤسسات الاقتصادية والشركات الكبرى . من الدوافع القوية لتعلم اللغة العربية ، والتعرف على عادات وتقاليد تلك الشعوب . التى تغص أرضها بالخيرات . وبالتالى دراسة الدين الذى يتحكم فى أخلاقيات ومعاملات هؤلاء الشعوب . ومن ثم قامت الدراسات الاقتصادية والبحوث والتقريرات . التى تكشف عن كنوز الشرق وخيراته . والتى تبنتها الدول ذات الأطماع الاستعمارية . وكانت هذه الدراسات الخريطة التى تبنتها الدول ذات الأطماع الاستعمارية . وتقصى الغرب أثرها فى نهبه لثروات العالم الإسلامى . و الشرق بصفة عامة . و هكذا نرى هذه الأنشطة الاستشراقية . من تعلم اللغة العربية و إنشاء المدارس لها . و الاطلاع على الثقافات التى تعين فى العمليات التجارية . من التعرف على عادات الشعوب و تقاليدها . و دراسة الدين الذى يمثل المصدر لهذه العادات . و يمكن أن نقول إن اللغة العربية كانت رجال الأعمال فى هذه العصور السابقة .

و كان من يريد أن يعقد صفقات تجارية ناجحة مع العالم الإسلامى . الذى كان صاحب الكلمة السياسية و الاقتصادية و العسكرية فى العالم كله . لا بد له و أن يتكلم اللغة العربية التى هى لغة التجارة العالمية فى ذلك الحين ، كما يتسابق رجال الأعمال الآن على تعلم اللغة الإنجليزية باعتبارها اللغة العالمية . التى يحسنها كثير من شعوب العالم .

كما كان من ضمن التوجهات الاستشراقية ما كان يهدف إلى التكسب من عمليات الإخراج و النشر للتراث الإسلامى .

المبحث الثانى

أهمية الشرق الاقتصادية فى العصر الحاضر

لقد حبا الله تعالى الشرق بصفه عامة . و منطقة التواجد الإسلامى فى العالم بصفة خاصة ثروات طبيعية هائلة . جعلت بلاد الإسلام مناطق تدافع شرس بين القوى الاستعمارية . بحثا عن المواد الخام اللازمة للنهضة الحديثة .

و كان المستشرقون قبل الاستعمار و أثناءه الدليل الخِرِّيت* . الذى لا يغادر مكانا لمعدن من المعادن . أو ثروة من الثروات . إلا دل عليه بالأبحاث الدقيقة . و الدراسات العميقة . فكانوا أعين الاستعمار فى البحث عن ثروات الشرق القابع فى ظلمات التيه . التى تغشت حياته . حينما عشى هو عن منهج الله تعالى .

و لئن كنت أطلقت و عممت القول عن المستشرقين . فإننى أعنى طائفة معينة . كانت الدليل للاستعمار فى البحث عن الثروات المعدنية فى الشرق . . و ليس أحد يعيب البحث عن الثروات و استخراجها . عن طريق التبادل التجارى بين الفكر و التكنولوجيا الحديثة . و بين الثروات الطبيعية . التى حبا الله بها بعض مناطق معينة . و كما يقولون عن بعض أنواع المشاركات الاستثمارية " المجهود و رأس المال . ولكن الممارسات اللاإنسانية هى نهب هذه الثروات تحت مطرقة الاستعمار . أو تحت ستار ما كان يسمى قديما بالانتداب . أو فى صورة من الصور المفتعلة . و التى يقصد منها فقط استنزاف ثروات الشعوب .

و كان من أهم الثروات التى نصب الغرب شباكه للوصول إلى حماها و التحكم فيها . البترول . حيث أعدت التقريرات و الأبحاث و اتخذت السياسات و التدابير التى من شأنها أن تُحكم قبضة الغرب على هذه الثروة الهائلة التى حبا الله بها العالم الإسلامى . لا سيما دول الخليج .

* الخريت : الدليل الحاذق بالدلالة ، و يقال : هو فى هذا الأمر خِرِّيت ، و هو خريت هذا الأمر : حاذق ماهر فيه . المعجم الوسيط جـ١ صـ٢٢٤ .

أولا : البترول

البترول هو المصباح السحرى للنهضة الحديثة . ومهما جهد العالم فى البحث عن بديل له . فإن هذه البدائل أثبتت مؤخرا فشلها فى ملاحقة الخطوات المذهلة للصناعات الحديثة .

و قديما (قال ويلسون ٭ : إن قوة أية أمة تعتمد على احتياطها من البترول...

و فى سنة ١٩١٨ م أبرق " كليمنصو ٭٭ " إلى واشنطن : قطرة البترول تساوى قطرة من الدم ...

و بترول الشرق العربى . يتميز بموقع جغرافى ممتاز . فالمنطقة همزة وصل بين قارات العالم القديم . فهى قريبة إلى سوق استهلاك البترول و مشتقاته . أى قريبة إلى أوربا الغربيـة – السوق الثانى فى العالم للبترول –

و لهذا ... أهميته الاقتصادية بالنسبة للنقل و تكاليف الإنتاج . كما أن له أهمية سياسية و عسكرية واستراتيجية ٭٭٭ ، أدت إلى تنافس الدول الكبرى فى السيطرة على المنطقة . و اكتساب مناطق النفوذ فيها .... و تتميز حقول بترول الشرق بتركيب جيولوجى عظيم . فقد عثر فى باطن الأرض على كميات هائلة من المواد "الإيدروكاربونية " موزعة على عدد بسيط من الحقول . و ذلك للظروف الجيولوجية الخاصة التى أدت إلى انتقال البترول و الغاز ... و تركزهما فى منطقة واسعة ...

كما تتميز حقول البترول فى الشرق العربى بقدرتها على إنتاج ألف طن . بل و أكثر من ألفى طن يوميا . و هذا يرجع إلى أن الصخور التى تحتوى على البترول مهشمة . تسمح بتدفق البترول بسرعة فائقة نحو قاع البئر ، كما أن طبيعة باطن الأرض ، تسمح باستخدام الوسائل العلمية الحديثة المستعملة فى أعمال البحث و التنقيب . مما أدى إلى اكتشاف عدد كبير من الحقول تنتج كميات هائلة ...

٭ ويلسون ـ هارولد "١٩١٦م =١٣٣٥هـ " سياسى بريطانى ، زعيم حزب العمال . و رئيس الوزراء "١٩٦٤-١٩٧- = ١٣٨٤-١٣٩٠ هـ . و "١٩٧٤-١٩٧٦م .= ١٣٩٤-١٣٩٦هـ .

ويلسون ، وودرو " ١٨٥٦-١٩٢٤م ، : سياسى أمريكى ، زعيم الحزب الديمقراطى ، الرئيس الثامن و العشرون للولايات المتحدة الأمريكية " ١٩١٣-١٩٢١م " فى عهده دخل الأمريكيون الحرب العالمية الأولى . المورد صـ٨٩ ، و أظنه المقصود هنا .

٭٭ جورج كليمنصو "١٨٤١-١٩٢٩م " سياسى فرنسى ، رئيس الوزراء " ١٩٠٦-١٩٠٩م" " ١٩١٧-١٩٢٠م " قاد فرنسا إلى النصر فى الحرب العالمية الأولى . تراجم أعلام المورد صـ١٩ .

٭٭٭ الاستراتيجية كلمة يونانية الأصل تعنى فى الاصطلاح : فن أو علم القيادة العامة فى الحرب أى جميع التدابير اللازمة لتحقيق النصر.

أما تكاليف الإنتاج . فيقدر بعض الخبراء تكاليف البرميل بنحو ٢٣٪من سعر بيعه . أى أن ٧٧٪ يذهب إلى الشركات المنتجة . و الحكومة المضيفة . و يرجع ذلك إلى انخفاض أجور العمال و الموظفين . بالقياس على الأجور العالمية ... و تخزن منطقة الشرق الأوسط ثلثى احتياطى العالم من البترول . و هذه النسبة دائمة التغير بسبب أعمال البحث و التنقيب)[1]

و حسب إحصائية سنة ١٩٨٨م . فإن إنتاج البترول فى العالم الإسلامى -٢٤ دولة مسلمة - بلغ ٣٢٪ من الإنتاج العالمى . و بلغ احتياطى البترول فى الأربعة و العشرين دولة فى هذا الإحصاء ٦٨٪ من احتياطى البترول فى العالم)[2] .

و الغرب ليس بمعزل عن هذه الإمكانات البترولية المتميزة و الهائلة . بل إنه يدرس هذه الإمكانيات ومستقبلها . و مدى تأثيرها فى اقتصاد دول الشرق .

فقد ورد تقرير هيئة الأمم المتحدة . و التطور الاقتصادى فى الشرق الأوسط لسنة ١٩٥٥ :١٢٥٦م (إن التقديرات الأخيرة لاحتياط البترول فى الشرق الأوسط . و هى التى نشرت فى أوائل ١٩٥٦م . تضع مجموعة ما يمكن استخراجه بالوسائل المستعملة فى الظروف الاقتصادية الحالية بين ١٢٦-٢٣٠ مليار برميل أى بين ١٧.٣١ مليار طن " ...

وورد فى نفس التقرير لسنة ٥٤ - ١٩٥٥ م "من المقدر أن العائدات و نفقات شركات البترول كانت تكون ١٠٪ من الدخل الأهلى الإيرانى و السورى فى سنة ١٩٥٥م . و الثلث فى العراق و من ٤٥: ٦٠٪ فى البحرين و السعودية . و أكثر من ٩٠٪ فى الكويت و قطر)[3] .

و ما يهمنا هذه التقريرات التى يعدها متخصصون فى شئون الدول الإسلامية . و يرصدون عن كثب المتغيرات فى حياة العرب و ما يمكن أن تعود به من نفع أو ضرر على المصالح الغربية .

و ما قيل عن البترول . يقال عن الثروات الأخرى التى تزخر بها بلاد المسلمين مثل الحديد و الغاز الطبيعى و الذهب و الماس و الكوبالت والمنجنيز و الفوسفات و غيرها من الثروات التى لا مجال لتفصيل الحديث عنها هنا ؛ إلا أنها كانت دائما موضع دراسات الغرب و تقريراته التى يهدف من

---

[1] د/ عبد الرءوف عبدالرحمن رافع - الاقتصاد صـ١٩ ،٢٣ بتصرف ، التعاون العربى فى شئون البترول -صدر الكتاب عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية - بدون ط ، بدون ت - القاهرة .

[2] د/ محمود أبو العلا -جغرافية العالم الإسلامى و اقتصادياته صـ٣٧٨ . مرجع سابق .

[3] د/ عبدالرءوف عبدالرحمن رافع - الاقتصاد صـ٢٢٤،٢٢٦ بتصرف ، مرجع سابق .

وراءها إلقاء الضوء على العالم الإسلامى و ثرواته . و وضع الخطط حتى تسنح الفرصة للانقضاض
على هذه الثروات عن طريق التدخل فى شئون المسلمين لأى من الأسباب التافهة التى يصنعها الغرب
على عينه و يزكيها و يشعل أوراها حتى ينهب ثروات المسلمين على حين غفلة أو جهل منهم .
و ما حرب الخليج عنا ببعيد و ما حدث للعراق من تدمير و تشريد لشعبه البائس . و فى نفس الوقت
استنزاف ثروات دول الخليج التى تعلن اقتصادياتها كل يوم عجزا و تدهورا .

هذه الكنوز التى يزخر بها العالم الإسلامى . تفسر تكالب أمم الغرب عليه بحدها وحديدها . بداية
من المستشرق المنظر . والمبشر المنصر . والمستعمر المسيطر . هذا الثالوث الذى يمثل طوق العبودية
لعالمنا الذى ضربت عليه المسكنة لبعده عن منهج الله تعالى .

إن قوات حلف الناتو التى عجزت بعد مضى أكثر من شهر فى أن تمنع التهجير و المذابح الجماعية
لمسلمى كوسوفا . هذه القوات صنو قوات التحالف التى دكت العراق فى بضعة أيام و حولت عامره
خرابا ﴿ .... فهل من مدكر ﴾ القمر ١٧ .

المبحث الثالث

الدراسات الاستشراقية و حرب الخليج

لم يكن إدراك الغرب لإمكانيات العالم الإسلامى البترولية إدراكا سلبيا . بل بدأت الدراسات و الأبحاث و التقريرات التى يراد بها الوصول إلى هذه الثروات الهائلة التى حبا الله بها منطقة التواجد الإسلامى (أوضح تقرير لجنة الطاقة و الموارد الطبيعية بالكونجرس الأمريكى . و المُعَدُّ فى نهاية ١٩٨٠م ما فحواه . أن الولايات المتحدة الأمريكية فى حاجة ماسة إلى استيراد كميات ضخمة من النفط لإصلاح الخلل بين العرض و الطلب المحلى . على الأقل حتى عام ١٩٩٠م . وربما لفترة أطول من ذلك للعلاقة الوثيقة بين النفط و الأمن القومى . و انقطاع الإمدادات النفطية . يمثل مصدرا للتهديد الاستراتيجى ...

و مع تكتل دول أوربا تحت مظلة أوربا الموحدة ... و هروب رأس المال من الولايات المتحدة الأمريكية . واتجاه معظم الاستثمارات العالمية ، و خاصة دول الخليج العربى إلى اليابان . و قيام الأوبك بتخفيض حصص إنتاج الدول الأعضاء فى المنظمة . مع ارتفاع الأسعار المستمر. و أثره المباشر فى ارتفاع معدلات التضخم العالمى . و انخفاض الدولار الأمريكى بشكل مستمر . تبعا للاستمرار فى زيادة أسعار النفط ، وقيام الدول النفطية الخليجية باتباع سياسة " المحافظة على الطاقة النفطية للأجيال القادمة " ، والعمل على تنويع مصادر الدخل . بتنمية القطاعات الاقتصادية التقليدية . مما يهدد أمريكا بارتفاع أسعار النفط أو انقطاع الإمدادات النفطية عنها . مما يهدد رفاهيتها الاقتصادية . خاصة فى الوقت الذى لا تستطيع الاكتفاء بالطاقة من إنتاجها المحلى)[١] .

أمام هذه التحديات قامت دراسات للبحث عن بدائل للطاقة خلاف البترول . و بالفعل بدأ الاتجاه نحو الطاقة النووية كبديل عن المحطات الحرارية . التى تعتمد على الفحم أو البترول (فقد أظهرت التقارير الواردة عن وكالة الطاقة النووية "NEA" التابعة لمنظمة "OECD" أن نسبة مساهمة الكهرباء النووية فى إجمالى الكهرباء المتولدة بدول المنظمة قد وصلت إلى ٣٠٪ عام ١٩٩٣م)[٢] .

---

[١] د/ سمير سعود- الاقتصاد الخليجى و قبضة الغرب صـ١٦ ، ١٧ بتصرف . بدون ط ، بدون ت ، بنت الحكمة للإعلام و النشر و التوزيع - القاهرة .

[٢] مهندس / محمد الدياسطى - الطاقة النووية و آفاق المستقبل صـ٤٩ عن مجلة الاقتصاد الإسلامى عدد ١٦٣ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ . نوفمبر ، ديسمبر ١٩٩٤م .

و بجانب البحث عن بديل للنفط . قامت الدول الصناعية المتقدمة بزعامة أمريكا (بدراسة الأحوال الأمنية و النزاعات المحتملة للدول المحيطة بالمملكة العربية السعودية . باعتبارها أكبر دول الخليج إنتاجا للنفط ... وقد أسفرت الدراسة عن أنه من المتوقع أن تصبح العراق عدوا للسعودية لقلقها الواضح من مطالبته ببعض المناطق الحدودية للكويت " جزيرتي وربة و بوبيان " ... و توقعت الدراسة قيام العراق بعمل عسكرى لضم الكويت ... وقد كان لأمريكا دور هام فى تحريك الخلافات العربية . و استغلال أطماع الرئيس العراقي فى منطقة الخليج)[1] .

(أما عن دور الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك . فيتلخص فى أنها كانت وراء إشعال فتيل الأزمة ففي الوقت الذى أطلعت فيه صدام حسين على صور الأقمار الصناعية . التى التقطت لآبار البترول فى حقل "الرميلة " و كيفية استغلال الكويتين لها . راحت فى نفس الوقت تحرض الحكومة الكويتية علي الاستجابة لمطالب الرئيس العراقى "صدام حسين" ٭ حتى لا يتحول الأمر إلى نوع من الابتزاز مستقبلا . ثم سارعت إلى طمأنة الكويت لكى تستمر فى التشدد و التحدى . فأصدرت تصريحا على لسان وزير خارجيتها الذى قال : إن أمريكا لن تتخلى عن أصدقائها . و لكى تؤكد مصداقية تصريحها هذا أصدرت الأوامر إلى إحدى حاملات الطائرات بالتوجه صوب الخليج)[2] .

و من ثم كانت حرب الخليج استدراجا غربيا للأقدام العربية التائهة فى ظلمات البعد عن منهج الله تعالى. و استنامو لما يراد بهم . و إذا بنا جميعا نقع فى هوة سحيقة . وقف على رأسها الغرب المسيحى كله . يقذفوننا بأيديهم و بأيدينا . يدَّعون أنهم ينقذوننا من بعضنا . و فى أثناء ذلك يسرقوننا . ويختلسوننا . لقد كانت الطلقات الطائشة تحسب علىنفقات شيوخ الخليج . يدفعونها نفطا خاما . هو مراد أمريكا و من حولها من هذه الطاحونة التى أداروها بنا .

لم تكن حرب الخليج مساعدة للكويت . بل كانت إستنزافا للطاقات النفطية الهائلة . التى حبا الله بها هذه المنطقة . لينظر كيف يعملون .

---

[1] سمير سعود- الاقتصاد الخليجى و قبضة الغرب صـ١٤، ١٥، ١٦ بتصرف . مرجع سابق .

٭ خرج الرئيس صدام حسين من حرب الخليج بجيش يقارب المليون جندى يطمحون إلى حياة تعوضهم سنين المرار أثناء الحرب ، و شعب يتطلع إلى عهد من الراحة و الأمان بعد سنى الحروب التى أرقت مضاجعهم وفزعتهم ، و فى الوقت نفسه كان العراق ينوء بأعباء ما يزيد على الستين مليار دولار نصفها تقريبا للسعودية و الكويت ، و كان يحتم عليه أن يوازن بين هذه المطالب جميعا ، فبدأ يطالب السعودية و الكويت بالتخلى عن هذه الديون و منحه ثلاثين مليار دولارا أخرى على أساس أن الخطر الذى صده العراق كان يتهدد السعودية و الكويت كما يتهدد العراق . يمكن الرجوع للتوسع فى ذلك إلى كتاب الإعلام و الدعاية فى حرب الخليج للدكتور / كرم شلبى .

[2] د/ كرم شلبىالإعلام و الدعاية فى حرب الخليج وثائق فى غرفة العمليات صـ٣٨ الطبعة الأولى ١٩٩٢م مكتبة التراث الإسلامى القاهرة .

و لم تكن حرب الخليج كفكفة لشر العراق . بل كانت تدميرا للقوة الأولى فى الشرق الأوسط .
و التى يمكن أن تقف حجر عثرة فى طريق النفوذ الإسرائيلى فى منطقة الشرق الأوسط .
كانت حرب الخليج تحقيقا للأطماع الاقتصادية الغربية . و سحبا للورقة الرابحة من أيدى المسلمين .
وتجريبا للأسلحة الغربية المتراكمة على حساب شيوخ و شعوب الخليج . و أخيرا كانت حرب الخليج غرسا للقواعد العسكرية الأجنبية فى قلب العالم الإسلامى . و تحقيقا واسعا لما لم يكن يحلم به الغرب من سيطرة كاملة على أغنى مناطق النفط فى العالم .

لقد كانت الدراسات الاستشراقية قبل كل خطوة خطاها الغرب الآثم فى منطقة الخليج . فى صورة بحث أو تقرير عن هيئة أو عن أشخاص . قيَّمت الموقف برمته . حيث أظهرت أولا الإمكانات البترولية الهائلة فى أراضى المسلمين العرب . ثم أظهرت العجز فى الإنتاج الغربى للنفط عن مسايرة الخطوات اللاهثة للصناعات الحديثة .

ثم أظهرت تلك الدراسات المطامع الشخصية للرئيس العراقى . ونقلت إليه تعنت الكويت عن الخضوع لمطالبه . وفى نفس الوقت . كانت الوسائل الإعلامية تنقل للعراق " النكات " التى شاعت فى الكويت فى هذه الآونة . و كلها استهزاء و سخرية بالعراق شعبا و رئيسا .
و استُغِلَّت هذه الجهود إلى أقصى درجة لتحقيق مطامعها الاقتصادية .

المبحث الرابع

الدراسات الاستشراقية والأطماع الغربية

(منذ الثلث الأول من القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام البريطاني الجدى بالعراق . منذ فكرت شركة الهند الشرقية البريطانية فى استخدام العراق . كطريق للمواصلات بين الشرق والغرب . يكون مكملاً لطريق رأس الرجاء الصالح الطويل . خصوصاً و أن السفن التى بدأت تسير بالبخار فى ذلك الوقت . كانت صغيرة وأصلح للمواصلات النهرية والساحلية . وليس للرحلات الطويلة . ومن ثم اتجه التفكير إلى استخدام طريق الفرات والخليج . إلى جانب طريق مصر البرى .

ولذلك قام الضابط "تشيزنى" chisney بدراسة وادى الفرات . وخرج " تشيزنى" من دراسته بإمكانية استخدام نهر الفرات فى تسيير السفن البخارية بين البحر المتوسط والخليج العربى .... وكانت بريطانيا تقدر أهمية بلاد الرافدين فى الدفاع عن الامبراطورية البريطانية ومواصلاتها ... ومن ثم كان البريطانيون يحبذون السيطرة على هذه البلاد لصد الخطر الروسى . وأعدوا العدة لذلك بالاهتمام بدراسة اللغة العربية والتعرف على أهل العراق . وهذه الدراسات ولو أنها علمية . إلا أنها كانت وثيقة الصلة بالمصالح البريطاننية . وإلى جانب ذلك . كان من أوجه نشاط البريطانيين . المتصل بالعراق الاهتمام بالآثار والحفر و التنقيب عنها ...

و إلى جانب ذلك اهتم البريطانيون بإمكانيات العراق المستقبلية من الناحية الاقتصادية . فهذا الضابط البريطانى " مونسيل Mounsel ينشر بحثا فى المجلة الجغرافية سنة ١٨٩٧ م . حدد فيه المناطق التي يحتمل ظهور النفط فيها في العراق . مدعمة بالخرائط لما تحويه الأرض من معادن . و ما عليها من مواصلات نهرية . و كان يدعو للحصول على امتيازات لاستثمار هذه الثروة المعدنية)[١] .

إن الدراسات الاستشراقية إذا من " تشيزنى " و " مونسيل " و تعلم البريطانيين للغة العربية . كان الهدف منه تحقيق المصالح الاقتصادية البريطانية . و هو أمر لا يحتاج إلى دليل . فإن بريطانيا وغيرها من دول الاستعمار ، ما جاءوا إلى الشرق ليكسبوه الحضارة الحديثة ، و لا ليرفعوا عنه إصر وأغلال التخلف ، بل اعتبروه مستودع الثروات ، و المواد الخام اللازمة للصناعة الحديثة ، و كل ما

---

(١) د/ محمود حسن صالح منسى – تاريخ الشرق العربى الحديث صـ٢٩٣، ٢٩٥ بتصرف .بدون ط ، بدون ت .

يصدر من دراسات عن الشرق . إنما هي خريطة المصالح الغربية في الشرق المسكين .

(و إلى جانب ذلك اهتم البريطانيون بإمكانيات العراق الإنتاجية في مجال آخر . هو مجال الزراعة والتوسع الزراعي . لأنه إذا ما سيطرت بريطانيا على العراق . سوف تستغل خيراته . إلى جانب أن التوسع الزراعي سيساعد على استيعاب أعداد كبيرة من الهنود من مستعمرة الهند البريطانية .

و لذلك فإنه في سنة ١٩٠٣م أصدر السير " وليم ويلكوكس " Wilcocks البريطاني و هو حجة في شئون الري . بحثا عن إعادة مشاريع الري القديمة على نهر دجلة . و في سنة ١٩٠٨م ألقى في الجمعية الجغرافية الملكية بحثا عن العراق في الماضي و الحاضر و المستقبل . و نشر البحث بعد ذلك في المجلة الجغرافية .

و مما جاء فيه أنه يمكن ري ثلاثة ملايين فدان جديدة . يصل إنتاجها إلى مليون طن من القمح . ومليوني قنطار من القطن . إلى جانب ملايين الأغنام و الماشية . التي ستعيش على أرض الدلتا . التي ينتظر تكونها في جنوب العراق . بعد التحكم في فيضان دجلة و الفرات)[1] .

و لم تكن بريطانيا بدعا من الدول الغربية . فلقد كانت فرنسا كذلك . حيث مهدت من قبل لتواجدها في بلاد الشام خاصة . عن طريق الإرساليات التبشيرية . و نشر التعليم العلماني . و لقد كانت الأطماع الاقتصادية . من أهم المرغوبات الفرنسية من وراء هذه الجهود . و لم يكن الدين و نشره الهدف من وراء ذلك .

و الدليل على ذلك (أن اليسوعيين المطرودين من فرنسا . و الذين كانوا خصومها داخل فرنسا . كانوا أصدقاءها الحميمين في مستعمراتها)[2]

و من ثم لم يكن عجبا أن نرى فرنسا (في الفترة بين عامي ١٨٩٠ : ١٩١٤ م . أكبر مستثمر في الإمبرطورية✿ العثمانية . فعشية الحرب العالمية الأولى . كانت استثماراتها أكثر من ضعف استثمارات منافستها ألمانيا . و كانت استثمارات بريطانيا تأتي في المركز الثالث . حيث كان للرأسماليين

---

[1] المرجع السابق صـ٢٩٥، ٢٩٦ .

[2] د/ مصطفى خالدى و د/ عمر فروخ – التبشير و الاستعمار ٢-٣٤ بتصرف – الطبعة الثالثة ١٣٧٢هـ – المكتبة العصرية – صيدا بيروت – لبنان .

✿ امبراطورية " Empire " الإمبراطورية : دولة كبيرة المساحة كثيرة السكان ، عظيمة القوة ، تشتمل على أمم و شعوب من أجناس و ثقافات مختلفة و تتكون عادة بالغزو و الفتح ، و على رأسها إمبراطور ، هو مصدر السلطات جميعا .معجم العلوم الاجتماعية صـ٦٣ .

الفرنسيين ٦٣٪ من الدين العثماني العام . كما كانوا مع البريطانيين يملكون و يديرون البنك العثماني الامبراطوري . الذى كان يسيطر على احتكار الطباق و الخطوط الحديدية و النشاط الصناعى . و غيره من الأنشطة . و كان البنك العثماني الإمبراطوري . الذى يصدر النقد العثماني . يعمل لحساب وزارة الخارجية الفرنسية ... كما كان فرع بنك " الكريدى ليونيه " حلقة اتصال رئيسية بين صناعة الحرير في جبل لبنان . و مصانع الحرير فى " ليون " ...

كما كانت معظم الاستثمارات الأوربية فى الصناعات السورية . استثمارات فرنسية . و قد اهتم رجال المال أساسا بتزويد صناعاتهم فى فرنسا بالمواد الخام . كما أن ازدياد طلب مصانع الحرير في ليون و مرسيليا على غزل الحرير . بعد منتصف القرن التاسع عشر . شجع البنوك . و أصحاب رؤوس الأموال الفرنسيين على تمويل منشآت للحرير الخام . و بناء مصانع الحرير .

و فى أوائل القرن العشرين . كانت معظم المصانع اللبنانية . يمولها رأسمال فرنسى . و فى سنة ١٨٨٣م حلت شركة فرنسية محل الحكومة العثمانية فى إنتاج الطباق فى الإمبراطورية ...

وفي سنة ١٩١٤م . كانت الشركات الفرنسية تمتلك شبكة الخطوط الحديدية . التى تخترق سوريا باستثناد خط سكة حديد الحجاز ... و كانت استثمارات فرنسا المالية ... مركزة فى بيروت و جبل لبنان حيث تتوفر لها أقوى الروابط الأدبية و السياسية مع المسيحيين ...
و حيث يسمح لمسيحيى بيروت ... بأن يحصلوا على نصيب الأسد من المزايا الاقتصادية و السياسية التى نشأت نتيجة التدخل الفرنسى فى سوريا)[١] .

و فى مصر (تأتى سنة ١٩١٤م لتمثل قمة زيادة رأس المال الأجنبى المستثمر . فقد بلغت جملة رءوس الأموال المحلية و الأجنبية المستثمرة فى الشركات بمصر "١٥٢.٠٠٠.١٠٠ "ج.م .
و كان نصيب رءوس الأموال الأجنبية الخالصة من هذا المبلغ " ٩٢.٠٣٦.٠٠٠ . أى أن نصيب رءوس الأموال الأجنبية المستثمرة فى هذه الشركات يوازى ٩١٪ من رءوس أموالها .
هذا عدا الاستثمارات الأجنبية فى قناة السويس "١٦,٢١٨,٠٠٠ " ج.م. . و عدا المتلكات الخاصة للأجانب)[٢] .

---

[١] د/ محمود حسن صالح منسى ، تاريخ الشرق العربى الحديث ، صـ٢٠٠ : ٢٠٢ بتصرف .مرجع سابق .
[٢] د/ نبيل عبدالحميد سيد أحمد – النشاط للأجانب و أثره فى المجتمع المصرى من ١٩٢٢ :١٩٥٢م صـ٢٩ بتصرف بدون ط ١٩٨٢م – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

و الآن أرانى أنظر إلى ساحات الشرق إبان القرنين التاسع عشر . و أوائل القرن العشرين . و قد غصت بأسراب المستشرقين السياسيين فى السفارات و الملاحق الثقافية . و المستشرقين الاستعماريين الذين ساروا فى ركاب الاستعمار . و قد مهدوا له .

ثم أنظر إلى الأطماع الاقتصادية اللامحدودة . فى نفس الزمان و المكان .

فأرى أنه من الخطأ . أن نظن أن بعضها منفصل عن بعض . إنها تركيبة واحدة . جسم واحد . وعقل واحد . فالعقل الذى يرسل الإشارة ليُنَظِّر . و يضع الدراسات . هو العقل الذى يرسل إشارة إلى المُنَصِّر ليخايل للجائعين المحرومين بالإنجيل . و من وراء لقمة الخبز و نقطة الدواء .

و هو العقل الذى يرسل الإشارة إلى الأسلحة و المدرعات و المجنزرات و الطائرات . و غيرها من عتاد الحرب لتقصف و تدمر . كما أنه هو هو الذى يمد يده ليحصد خيرات الأرض . و ينقل المواد الخام إلى حيث مصانعه و آلاته . حيث تصنع لتعود سلعا و بضائع تباع لأبناء الشرق بأغلى الأثمان .

الفصل الرابع

الدافـــع السيـاســى للاستشــــراق

تمهيد

المبحث الأول

الاستشراق و علاقته بأجهزة الاستخبار الغربية

المطلب الأول أجهزة الاستخبار الغربية

المطلب الثانى : علاقة الاستشراق بأجهزة الاستخبار الغربية

المطلب الثالث : جدوى الدراسات الاستشراقية سياسيا

المبحث الثانى

السفــــارات الأجنبيــــــة

تمهيد

المطلب الأول : السفارات و التيارات الدينية فى مصر

المطلب الثانى : السفــارات و المشــروع الأمريكى

المطلب الثالث : وسائل تسرب المعلومات إلى الغرب

المطلب الرابع : منـــظمــــة اليـونسكـــو وكر للعمل الاستشراقى

المطلب الخامس : المراكز الثقافية أوكار للعمل الاستشراقى

المبحث الثالث

المستشــــرقون السيــاسيــــون

المبحث الرابع

أهـــداف الدافــــع السياســى للاستشــــراق

الفصل الرابع

الدافع السياسى للاستشراق

تمهيد :

كلمة السياسة من (ساس الرعية يسوسها بالكسر)[١] (و السُّوس : الرياسة . و ساس الأمور سياسة : قام بها ... و أنشد ثعلب :

سادة قادة لكن جميع   ساسة للرجال يوم القتال

و فى الحديث : " كانت بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم " أى تتولى أمورهم . كما يفعل الأمراء و الولاة بالرعية . و السياسة : القيام على الشئ بما يصلحه . و السُّوس : الأصل . و السُّوس : الطبع و الخُلق و السجية ... و السياسة : فعل السائس)[٢] (و ا لسائس : رائض الدواب و مدربها)[٣] . و (السياسة : تدبير أمور الدولة)[٤] .

فالسياسة إذا فى اللغة تعطى عدة معانٍ منها :-

۞ – القيام على الشئ بما يصلحه .

۞ – الترويض و الطبع و الخلق و السجية .

و الحق الصراح الذى لا مرية فيه ، هو أن الدافع السياسى للاستشراق . لم يكن المقصود منه أبدا . القيام على الشئ بما يصلحه ، حتى و إن كان من جهود بعض المستشرقين . ما حفظ لنا كثيرا من تراثنا الإسلامى . متمثلا فى إخراج العلوم الإسلامية ، و تنقيتها و تصفيتها و طبعها . فيما عرف بحركة البعث والإحياء للتراث العربى الإسلامىُ .

أقول : إن هذه الجهودُ المشكورة . تذوب و تصبح عديمة الجدوى . حينما نضع فى الحسبان . السموم التى كان كثير من المستشرقين . يصدرون بها أعمالهم عن الإسلام . أثناء عمليات التحقيق و

---

[١] مختار الصحاح صـ٣٢١ : مرجع سابق .

[٢] العلامة ابن منظور ، لسان العرب جـ٢ صـ٢٣٩ . بدون ط ، بدون ت ، دار لسان العرب ، بيروت .

[٣] المعجم الوسيط ، جـ١ صـ٤٦٢ . مرجع سابق .

[٤] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، صـ٣٢٨ ، طبعة خاصة بوزارة التربية و التعليم ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م ، القاهرة .

الطباعة والنشر . أو ما كانوا يدسونه فى ثنايا الكلام . فى تصنيفاتهم و أطروحتهم الموسومة بالعلمية . و هم بذلك يرمون إلى أهداف تشوه هذه العلمية المدّعاة .

تلك الأهداف التى لم يقصد بها إلا ترويض العقول و تسجيتها . و طبعها بطابع الفكر الغربى المادى . الذى يقف على النقيض من الفكر الإسلامى و مواده .

الدافعية السياسية للاستشراق

إن الدافعية السياسية للاستشراق . تعنى أن يكون الاستشراق . هو القبضة الحديدية المعنوية . و الأغلال اللامرئية . التى تقيد و تَغُلّ أيدى و أعناق المجتمعات الإسلامية . و تقوم بدور الاستعمار فى أشد صوره ضررا . و أعمقها تأثيرا و خطرا .

فالاستعمار مهما طال أمده ، هو فيروس . تستطيع الشعوب أن تتغلب عليه بالمناعة الطبيعية . التى منحها الله إياها .

أما الاستشراق : فهو إيدز العقول ، ذلك الفيروس ، الفاتك الذى يسرى فى تراث الشعوب .و عقول أبنائها . فيشوه الحقائق ، و يطمس المعالم ، و يُخَلِّف عقول الأرغام خرابا يبابا .

إننى أعنى بالدافع السياسى . المطامع السياسية التى يبتغيها المستشرقون . و مَن وراءهم من الدراسات الاستشراقية المغرضة . كما أنها تلفت انتباهنا إلىتلك الأحابيل و المسارب . التى يتلمسها المستشرقون وغيرهم تحت سمع الشعوب و بصرها . متذرعين بالشرعية السياسية . من أجل تحقيق و إحكام السيطرة على العالم الإسلامى .

(إن سيوف " ريتشارد قلب الأسد " قد استبدلت الآن بخيوط حريرية ملساء . تستطيع أن تلتف حول الأعناق فى هدوء و خفاء ، لتحقق الغاية التى تريدها السيوف و لكن من غير إظهار البقع الدموية الحمراء)[1] .

(ويربط بعض الباحثين العرب : بين حركة الاستعمار الحديث . و نشاط الاستشراق ربطا منطقيا . فيذكرون أن أوربا و الغرب عموما ، عندما بدأ يتطلع إلى استعمار الشرق . أدى الاستشراق دورا حيويا فى ذلك الصدد ، و عندما أرادت الدول الغربية ، عقد صلات سياسية و اقتصادية بدول الغرب ، استعانت بالمستشرقين ، و أحسن ملوك أوربا إليهم ،و ضموهم إلى بلاطهم ، كأمناء أسرار و

---

(١) أ/جمال سلطان ، قضية سلمان رشدى صـ٧ ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، دار الرسالة للنشر و التوزيع – الزقازيق .

مترجمين . و انتدبوهم للعمل فى الجيوش و البعثات القنصلية إلى بلدان الشرق)[٢] .

إن كلمات : السفارة . القنصلية . الملحق الثقافى . كلمات جديلة . ترتاح لهـا النفس . و لا تشى أبدا بأى نوع من أنواع التوتر و القلق .

فهى دلائل الصداقة بين الدول .و دلائل التمثيل السياسى المتكامل . و هى قنوات الاتصال الشرعية المفتوحة . التى يتم من خلالها التبادلات المشتركة فى المصالح بين الدول فى شتى المجالات .

إلا أنه من خدع الأمانى . أن يظن ظان أن السفارات و القنصليات و الملاحق الثقافية . حمائم السلام بين الدول و فقط . إنه و للأسف الشديد . كانت ولا زالت تلك الأمـاكن . جيوبـا لدولهـا . و نوافذ آمنة . تنطلق من خلالها – فى أمان – الأيدى الآثمة . و الأفكار المسمومة . التى تعمل فـى صمت على هدم كيان الأمم الإسلامية .

فكثير من عمليات الإفساد – عـن طريـق الجنـس و المخـدرات – ، أو عـن طريـق التجسـس و ضـرب المصالح الاقتصادية للدول الإسلامية ، كان الممثلون لأدوار الشر فى عمليات الإفساد هـذه ينطلقـون مـن السفارات . و إذا حدث و افتضح أمرهم كان مرجعهم إليهم . و احتماؤهم بها .

---

(٢) د/ محمد سيد محمد ، الغزو الثقافى و المجتمع العربى المعاصر صـ١٥٩ ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م ، دار الفكر العربى ، القاهرة.

المبحث الأول

الاستشراق و علاقته بأجهزة الاستخبار الغربية

المطلب الأول

أجهزة الاستخبار الغربية

يقول الأستاذ " فتحي يكن " لعبت المخابرات المركزية الأمريكية أدوارا بالغة الخطورة . في الكيد و التآمر على العالم الإسلامي . في خلال القرن الرابع عشر الهجري .

تأسست المخابرات الأمريكية في أعقاب الحرب العالمية الثانية . و كان نواتها المخابرات العسكرية المسماة "S.S.O" و كان المدعو " كرمت روزفلت " هو المسئول عن العمليات الخاصة بالشرق الأوسط و العالم الإسلامي في تلك الفترة .. و كانت المخابرات وراء أكثر الحوادث و الانقلابات و الاغتيالات . التي شهدها العالم الإسلامي على مدار نصف قرن من الزمان . و بعد " روزفلت " استلم المديرية العامة "C.I.A" "ألن والس " بين عام –١٩٥٣–١٩٦١م ، حيث خلفه في المسئولية " ريتشارد رد هيلمز " ولقد تضخم عدد عملاء " C.I.A" في عام ١٩٦٤ م حتى وصل إلى مائتي ألف شخص . أما ميزانية الوكالة في ذلك العام . فكانت أربعة ملايين دولار أمريكي .

أما العملاء السريون للوكالة ، فقد كانوا مندسين في أجهزة الدولة الرسمية . كالسفارات و مكاتب التنمية الدولية ، و مكاتب الإعلام ، و عندما كشف الموضوع عام ١٩٦٨م . أصبح هؤلاء السريون يعملون تحت ستار خبراء شركات خاصة ، أو تحت ستار التبشير و بين صفوف المبشرين . و في المعاهد الأجنبية وغيرها) [(١)] .

نعم كانت السفارات أوكارا لجأ إليها العملاء السريون للمخابرات الأمريكية ، و انطلقوا من خلالها للقيام بعمليات التجسس بل و القرصنة كذلك . و لا عجب فالسفارات هي محطات الرصد . و السفراء هم الأعين الساهرة ، التي تحدد و عن قرب أنجح الوسائل للوصول إلى الغايات و قديما (اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية : على أن معاهد التعليم الثانوية

---

(١) أ/ فتحي يكن ، العالم الإسلامي و المكايد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري صـ١٢٧،١٢٨ ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م مؤسسة الرسالة ، بيروت .

التى أسسها الأمريكيون كان لها تأثير على حَل المسألة الشرقية . يرجع على تأثير العمل المشترك . الذى قامت به دول أوربا كلها)[١] .

فلقد كان السفراء هم المراقبون للخطط الموضوعة ، لقصم ظهر الدولة العثمانية . و هم كذلك الذين يقدرون مدى فعالية كل خطة فى تحقيق ، الهدف المرجو .

المطلب الثانى

علاقة الاستشراق بأجهزة الاستخبار

إن دوائر الغزو الفكرى متصلة ، و ليست منفصلة . و متلاحمة و ليست متقاطعة . فالاستشراق و التبشير و الاستعمار ، كلها أصابع فى يد واحدة . و مصدرها الأعلى واحد . و مصبها فى النهاية كذلك واحد .

و من ثَمّ يتضح دور الاستشراق فى عملية الغزو الفكرى . و هو التنظير . و جمع المعلومات . عن طريق الدراسات الأكاديمية ، التى تستنفد جهدا ووقتا فوق العادة . و الناظر يلحظ تطور الدراسات الاستشراقية تطورا مطردا ، حسب المصالح الغربية فى عالمنا العربى و الإسلامى .

يقول الأستاذ : أحمد غراب فى كتابه " رؤية إسلامية للاستشراق " : (تطورت الدراسات الاستشراقية . و بخاصة دراسات الشرق الأوسط . فأصبحت أهم الدراسات التى تتم تحت عمليات الرصد و جمع المعلومات . فقد زاد عدد المتفرغين لهذه الدراسات فى جامعات أمريكا وكندا . فقد قفز عددهم من ٣٦٣ سنة ١٩٦٩م =١٣٧٦هـ إلى ٦٧٠ عام ١٩٨٦م =١٤٠٧هـ .

و قفز عدد أعضاء رابطة دراسات الشرق الأوسط فى أمريكا من ٨٢٣ عام ١٩٧٧م = ١٣٩٨هـ إلى ١٥٨٢ عام ١٩٨٦م= ١٤٠٧هـ . موزعين فى مجالات عديدة . كالتاريخ و السياسة و الاقتصاد و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، بالإضافة إلى الدين ، ووصلت قائمة العناوين للموضوعات المنشورة فى الدوريات عن الشرق الأوسط فى نشرة أوائل ١٩٨٧م =١٤٠٨هـ إلى نحو ٧١ ألف " ٧١,٠٠٠ " مادة)[٢]

---

(١) ا.ل.شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامى ، لخصها و نقلها إلى العربية أ/ محب الدين الخطيب ، مساعد اليافى صـ٤٥ ، بدون ط ، بدون ت ، مكتبة أسامة بن زيد ، بيروت .

(٢) أ/ أحمد غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق صـ١٤٤ ، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ ، المنتدى الإسلامى ، لندن .

و هذه الجهود ليست ترفا عقليا ، و لا من باب الحب الزائد للشرق . و لكننا موضع الاهتمام الغربي الذي لا تنفد مصالحه في بلادنا .

لقد مثّل هؤلاء العقلية . التي يتحرك بها الزعماء الغربيون . و التي يحددون من خلالها مواقفهم من الشرق الإسلامي . فكما كانوا كهنة الحروب الصليبية . وخريطة الغزو العسكرى . فهم كذلك طلائع التمثيل الدبلوماسي الشرعي – المزعوم – (عندما أرادت الدول الغربية . عقد صلات سياسية و اقتصادية بدول الغرب . استعانت بالمستشرقين . و أحسن ملوك أوربا إلى ا لمستشرقين . و ضموهم إلى بلاطهم كأمناء أسرار ومترجمين . و انتدبوهم للعمل فى الجيوش و البعثات القنصلية . إلى بلدان الشرق)[1] .

و فى (تموز " يوليو" ١٨٩٨م تسلم غليوم الثانى " إمبراطور ألمانيا " تقريرا ضافيا من المستشرق والدبلوماسى و رجل المخابرات " ماتس أوبتهايم" الذى كان يعمل مستشارا فى القنصلية العامة الألمانية فى القاهرة .

قام "أوبتهايم " بتكليف من الدوائر الدبلوماسية الألمانية برحلات عديدة إلى البلدان الإسلامية فى الشرقين الأدنى و الأوسط و شمال أفريقيا . و فى عام ١٨٩٦م ترأس " أوبتهايم " البعثة الخاصة التى أرسلتها " برلين " فى منطقة تشاد فى محاولة التحضير لضم هذه المنطقة إلى ممتلكات ألمانيا . و لقد وصفته الدبلوماسية البريطانية ، بأنه " جاسوس" الإمبراطور ")[2] .

و بذلك نعلم أن " ماتس أوبتهايم " مستشرق و دبلوماسى و رجل مخابرات . و هذه الوظائف الثلاث . لا بد و أن تعطى النتيجة الطبيعية . التى توصلت إليها الدبلوماسية البريطانية . و هى أن " أوبتهايم " كان جاسوسا للإمبراطور الألمانى " .

و جدير بالذكر أن التقرير الذى أعده " أوبتهايم " كان موضع الرعاية من الإمبراطور الذى اتخذه دليلا يرسم من خلاله و على ضوئه السياسة . التى انتهجها فيما بعد مع الدولة العثمانية .

إنها معركة واحدة وإن اختلفت و تعددت جبهات القتال (القوى الصليبية فى صورة مبشرين ومستشرقين فى مدارس و مستشفيات ثقافية و مؤتمرات و بحوث ، و القوى الاستعمارية بخلفيتها

---

[1] د/ محمد سيد أحمد ، الغزو الثقافي و المجتمع العربي المعاصر ص١٥٩ . مرجع سابق .

[2] اد/ محمد إبراهيم الفيومي ، الاستشراق رسالة استعمار ص١١٧،١١٨ ، بتصرف ، بدون ط ١٤١٣هـ –١٩٩٣م ، دار الفكر العربي، القاهرة

المقبورة و ميراثها الحاقد و هويتها الصليبية . فى صورة الجيوش و الأساطين و الحروب و المعاهدات و الجواسيس والعملاء فى السفارات و المراكز صانعة القرار)[١]

لقد (كشفت الوثائق أخيرا . أن المستشرق اليهودى الأمريكى " نادان سفران " مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد . و يعد من أخطر المراكز فى العالم الغربى كله . و كان مديره الأسبق المستشرق البريطانى " هاملتون جب " قد تلقى مبلغ ٤٥.٠٠٠ دولار من المخابرات المركزية الأمريكية CIA . لعقد مؤتمر دولى عن الأصولية " و هو المصطلح الذى يطلقونه فى الغرب على الصحوة الإسلامية " و كان سيقال عنه – كالعادة – إنه مؤتمر للبحث العلمى النزيه .

كما كشفت الوثائق أن بعض أساتذة الجامعات الأمريكية المشهورين هم خبراء فى المخابرات الأمريكية . و من هؤلاء المستشرق " ريتشاد ميتشل " الذى كتب رسالة للدكتوراه بجامعة " برنستون " عن جماعة الإخوان المسلمين " و نشرت هذه الرسالة فى كتاب ترجم إلى اللغة العربية مرتين . و ساعدت فى إعداده و نشره مؤسسة " روكفلر* " اليهودى الأمريكى . ومؤسستا " فورد و فولبرايت " اللتان تقدما الدعم للبحوث المتعلقة بالعالم الإسلامى و بالصحوة الإسلامية)[٢]

المطلب الثالث

جدوى الدراسات الاستشراقية سياسيا

إن الاستشراق أحد أصابع القبضة الغربية .التى تعمل على إحكام السيطرة على الشرق العربى و الإسلامى . و دور الاستشراق يتمثل فى الإحاطة الشاملة بأهداف العرب الاجتماعية . وغاياتهم السياسية و إداراكاتهم المنفعية ، واستراتيجيتهم القومية ، و استقلالهم الاقتصادى . و تصوراتهم النظامية و غيرها من المعضلات)[٣]

و كل ذلك يفيد فى تحقيق الأهداف السياسية (و إذا كان للساسة الغربيين فضل فى التنظير للوصول إلى الأهداف السياسية ... فإن الاستشراق قد اضطلع بمهمة أساسية فى هذا المجال . من حيث قدم

---

[١] أ/ محمود ثابت الشاذلى – المسألة الشرقية صـ١٢١ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م– مكتبة وهبة – القاهرة .

* جون روكفلر "١٨٣٩–١٩٣٧م " رجل أعمال أمريكى أسس شركة " ستاندرد أويل " و خصص قسما من ثروته لمؤسسات العلم و الفن . المنجد فى اللغة و الأعلام صـ١٦٣ ، الطبعة ٢٦ ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان .

[٢] أ/ أحمد غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق صـ١٤٤ـ ١٤٥ ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ =١٩٩٠م . المنتدى الإسلامى ، لندن .

[٣] د/ أحمد سمايلوفتش – صـ٢١٢ . مرجع سابق .

المستشرقون إلى هؤلاء الساسة الدراسات و البحوث الشرقية فى مجال التاريخ و النظم السياسية والاقتصاديات الشرقية والاجتماع . و اللغة والدين و العلم و الفن و الأدب . مما اعتبر مادة أساسية صالحة لأن يقوم عليها هذا التنظير . و فى ضوئها وضعت الخطط . و تحددت الوسائل الملائمة والإمكانات المطلوبة . و عُبِّئ الشعور القومى الغربى . لتقبل ما يدبر للشرق ... و إذا كانت الأهداف السياسية للغرب . لم تتحقق بصورة واضحة . و بطريقة تكاد تكون شمولية .. إلا منذ القرن الثامن عشر و خلال القرنين التاسع عشر و العشرين فإن هذه الأهداف كانت مركوزة فى نفسية الغرب و عقله

وكان للاستشراق دور بارز فعال فى توجيه نظر الغرب إلى هذه الأهداف و إحيائها بصفة مستمرة فى ذاكرته . و الدعوة إليها من جانب المستشرقين . و إقناع الساسة بأن تحقيق هذه الأهداف يقع فى دائرة الإمكان لا المستحيل)[١] .

و سيظل هذا التواصل بل التكامل بين السياسة العمياء ، و الاستشراق الأعرج . ما داموا جميعا غير مسلمين . ينظرون إلى الإسلام من خلال الخلفية النفسية المقهورة .. على أنه عدوهم اللدود و خصمهم العنيد . العداوة التى يتوارثونها فكريا و نفسيا . مما كتب بأيدى المستشرقين أسلافهم الأقدمين .
لقد تعجبت كثيرا و أنا أقرأ الحقد المسطور ، الذى نقل إلينا عن كثير من الشخصيات الغربية على اختلاف مشاربهم و اتجاهاتهم فيما يتصل بالإسلام ، فالنصرانى و اليهودى و الشيوعى أهل نِحَل شتى ، و لكن تجمعهم عداوة الإسلام ، و السياسىُّ و الكهنوتىُّ و أصحاب النزعات الوظيفية المختلفة . يجمعهم الخوف من الإسلام ، الأمر الذى دفعنى إلى القول : الطريق واحدة و إن اختلفت الأدوار .

فالمستشرق يبحث و يُنَظِّر ، و الكهنوتى يشوش و يُنَصِّر ، و السياسى يخطط ليستعمر . بعض القوم يرصد الموقع . و البعض يجمع النبال ، و بعضهم الآخر ينبلون . و منهم من ينبل بكلمة . و منهم من ينبل بطلقة أو قذيفة (إن " دان كويل " نائب الرئيس الأمريكى السابق " جورج بوش " يقول : إن أخطر ثلاث حركات فى القرن العشرين هى النازية و الشيوعية و الحركة الإسلامية .

و قد نشر " عاموس بيرلماتر " الكاتب الصحفى الأمريكى فى صحيفة الواشنطن بوست " يقول : " إنه لا يمكن حدوث مصالحة بين العالم المتمدن و الإسلام ، لأنه دين ثورى و عداونى ، و عنيف و متشدد أما " بيتر رومان " الكاتب الأمريكى " بمجلة " ذى ناشيونال ريفيو " إنه بنهاية الحرب الباردة فقد

---

[١] د/ محمد حسينى أبو سعدة صـ٨١،٨٢ بتصرف . مرجع سابق .

انتصر الغرب . و لكن الآن نحن أمام تَحَدٍ من قوى إسلامية تقودها الكراهية للأفكار السياسية والغربية بما يعيد إلى الأذهان ما تعرضت له المسيحية فى زمن سابق . و يواصل " رومان " حديثه قائلا " نحن لا نظلم الإسلام . عندما نعتبره عدونا الجديد . الذى يحل محل الشيوعية " الاتحاد السوفيتى " ولايمكن الحكم على الإسلام بالمقاييس التقليدية للسياسة الخارجية .

أما " ريتشارد شيفتر " مساعد وزير الخارجية الأمريكى السابق فيقول : إن الإسلام يمثل تهديدا كبيرا للاستقرار العالمى .

و" إسحاق شامير " رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق . يقول : بعد ذهاب الاتحاد السوفيتى . فإن الأسس الجديدة للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية أهمها معارضة الصحوة الإسلامية ...

و الرئيس الأمريكى الأسبق " رتشارد نيكسون " يقول : إن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليكية " متطرفة و أنه مع التزايد السكانى و الإمكانيات المتاحة . سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة . وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع " موسكو " ليواجه الخطر العداونى للعالم الإسلامى . و مما يرجح هذا الأمر أن الإسلام و الغرب متضادان . و على الغرب أن يتحد ليواجه الخطر الإسلامى الداهم " .

و السيدة الحديدية " مارجريت تاتشر " تقول :" يجب المحافظة على حلف الأطلنطى . لمواجهة الخطر الإسلامى "

ووزير خارجية إيطاليا يقول :" ما تزال مهمة حلف الأطلنطى قائمة ، بل ضرورية فإذا كان الخطر الشيوعى قد انتهى ، و إذا كان حلف " وارسو " قد ذهب فإن الخطر الإسلامى باق و لم يذهب)[1] .

هذه طائفة من أقوال بعض السياسيين الغربيين . تصور ما يعتمل فى صدور القوم نحو الإسلام . و يشهد الله تعالى و الراسخون فى دراسة التاريخ أن الإسلام لم يكن ثوريا و لا عنيفا و لا عدوانيا أبدا .

إن العدوانيين هم الذين كادوا للإسلام فى كل موطن . و الذين استجلبوا التتار لخراب الحضارة الإسلامية ، و الذين أشعلوا الحروب الصليبية بغيا و عدوانا . و الذين تكالبوا على عالم الإسلام الآمن ، فأحالوا عامره خرابا ، وأمنه اضطرابا و إرهابا ، فاستعمروه و نهبوا خيراته ، و سفكوا دماء أبنائه

---

[1] د/ محمد مورو – المواجهة بين الإسلام و الغرب ص١٨، ٢١ ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ، الدار المصرية للنشر و التوزيع ، القاهرة .

من العدوانيون إلا الذين حشروا جسما غريبا خبيثا فى قلب العالم الإسلامى . سرطانا يسرى ليمزق أوصال عالم الإسلام ؟ سلُ دماء المسلمين فى الأندلس قديما . و فى سراييفو و فلسطين و الشيشان و الفلبين حديثا . هل سفكها إلا الذين يتهمون الإسلام بالعدوانية و العنف ؟

إنه المنطق الفرعونى القديم الذى حكاه عنه رب العزة جل و علا ﴿ و قال فرعون ذورنى أقتل موسى و ليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد ﴾ غافر ٢٦ .

ومن ثمَّ فمن الطبيعى جدا أن يكون وراء الاستشراق تلك الروح الصليبية . و من الطبيعى جدا أن تكون السياسة ردءا للاستشراق تدعمه و تموله . و الأمر يتضح جيدا عندما نعلم (أن البابا يوحنا بولس الثانى بعد انهيار الشيوعية . حمل عصاه و جاء إلى أفريقيا و آسيا . لإقامة الصلوات و التبشير فى بلاد لا يسكنها مسيحى واحد ، و كان البابا " يوحنا بولس الثانى ٥ " قد أرسل منشورا إلى جميع القساوسة الكاثوليك ، يأمرهم فيه بانتهاز الفرصة التى سنحت لسيطرة الغرب و أمريكا على العالم . و نشر المسيحية فى كل بقاع العالم . و خاصة البلاد الإسلامية . نشر البابا هذا المنشور فى جريدة " النيوزويك تايمز " الأمريكية فى عدد ١٩٩١/١/٢٣م)[1]

و إذا كانت السيطرة الغربية و الأمريكية ستمهد لعمليات التنصر . فإن كلا منهما سيسير فى ضوء الاستشراق . و يمهد له فى نفس الوقت .

هذه الصورة القاتمة الحالكة . التى يحملها الغربيون عن الإسلام و المسلمين . أنَّى لهم هذا التصور عن الإسلام و أهله ؟

هل هى من وحى الخيال ؟ هل هى مخاض احتكاك و تعايش ؟ هل قرأوا عن الإسلام من منابعه الصافية؟ أو قرأوا عنه ما كتبه أهله و المؤمنون به ؟

تلك الافتراضات بعيدة عن الصواب . لقد قرأ القوم عن الإسلام ما كتبوه هم بأيديهم . و صدَّقوا ما تخيلوا و قرأت العامة ما كتبه المغرضون من المستشرقين . الذين صورونا همجا شرسين . نهتم لبطوننا وشهواتنا أكثر مما نهتم بتحصيل قيمة فى الحياة . و صوروا تراثنا . على أنه أساطير الأولين اكتتبها رسولنا صلى الله عليه وسلم من عنده . و قال : هى من عند الله و ما هى – بزعمهم من عند الله – حاشا لله ولرسوله و للمسلمين ما ادعاه كل دِعِيٍ على العلم و الموضوعية .

---

٥ يوحنا بولس الثانى ولد عام ١٩٢٠م فى " فادوفيعس " قرب كراكوفيا فى بولونيا ، و عمل رئيسا لأساقفة كراكوفيا ١٩٦٤ – ١٩٧٨ . المنجد للغة و الأعلام صـ٧٥٣ .

[1] المرجع السابق – صـ٢٢ بتصرف .

المبحث الثاني
السفارات الأجنبية

تمهيد

لقد سلف أن السفارات أحد الأوكار السياسية . التي يأوى إليها المستشرقون .و غيرهم ممن يقومون بأدوار تخدم مصلحة بلادهم و سياستهم فى العالم الإسلامى

(ففى كل سفارة من سفارات الدول الغربية سكرتير . أو ملحق ثقافى يحسن اللغة العربية . ليتمكن من الاتصال برجال الفكر و الصحافة و السياسة . فيتعرف إلى أفكارهم . و يبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته . و كثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير فى الماضى . حين كان السفراء الغربيون .. و لايزالون فى بعض البلاد العربية و الإسلامية . يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض . و بين الدول العربية و الدول الإسلامية . بحجة توجيه النصح . وإسداء المعونة بعد أن درسوا – تماما – نفسية كثيرين من المسئولين فى تلك البلاد . و عرفوا نواحى الضعف فى سياستهم العامة ، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم و استعمارهم)[١]

و يقول الأستاذ عبدالرحمن حبنكة الميدانى فى هذا الصدد :(قبل الاستعمار و بعد تحرر البلاد الإسلامية منه رأت الدوائر الاستعمارية . أن حاجتها السياسية . تقضى بأن يكون لها فى قنصلياتها و سفاراتها ومندوبيها فى الأمم المتحدة و سائر المؤسسات الدولية . مَن لديهم زاد جيد من الدراسات الاستشراقية . ليقوم لهم هؤلاء بمهمات سياسية متعددة مرتبطة بالشعوب الإسلامية . وبلدان العالم الإسلامى . و منها مايلى :–

١– الاتصال بالسياسيين و التفاوض معهم لمعرفة آرائهم و اتجاهاتهم .

٢– الاتصال برجال الفكر و الصحافة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم .

٣– بث الاتجاهات السياسية التى تريدها دولهم فيمن يريدون بثها فيهم و إقناعهم بها .

٤– الاتصال بعملائهم و أُجَرَائِهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل شعوب الأمة الإسلامية)[٢]

و من الخطأ أن نظن أن السفارات الأجنبية بمعزل عن النشاطات الدينية و السياسية ؛ بل إن من أهم نشاطاتها الاتصال بالسياسيين و المفكرين و التعرف على أفكارهم .

---

[١] د/ مصطفى السباعى – الاستشراق و المستشرقون ما لهم و ما عليهم صـ١٨،١٩ . مرجع سابق .

[٢] أ/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى – أجنحة المكر الثلاثة – صـ١٢٨،١٢٩ . مرجع سابق .

المطلب الأول

السفارات و التيارات الدينية في مصر

و من هذه النشاطات ما تم (بناء على طلب من السفارة الأمريكية بالقاهرة . حيث استقبل الأستاذ مصطفى مشهور . نائب المرشد العام للإخوان المسلمين فى ذلك الوقت و المرشد العام للإخوان المسلمين حاليا – استقبل السكرتير الثاني للسفارة الأمريكية بالقاهرة . و قد شمل اللقاء عددا من الأسئلة الخاصة بقضايا السلام و العنف . و موقف الإخوان منها . و دار الحوار حول النقاط التى وجهها السكرتير الثاني للسفارة الأمريكية و هى :–

١– سؤال حول الرأى العام فى اتفاق غزة أريحا .

٢– أنتم تنكرون وجود إسرائيل ككيان سياسى ؟

٣– موقفكم من التطبيع مع إسرائيل و هل يؤيدكم الشعب المصرى ؟

٤– أعتقد أن السياسة الأمريكية لا تقف موقف العداء من الإسلام و المسلمين . و قد أوضح هذا مسئول كبير للشئو ن الدولية فى البيت الأبيض . عندما ألقى محاضرة عن موقفنا من الإسلام و المسلمين و الدول العربية ؟

٥– الحكومة الأمريكية تسعى إلى الحوار مع القوى السياسية . و لكن هناك جماعات تستخدم العنف فلا نحاورها ؟

٦– الإرهاب يشوه صورة الإسلام و الغرب لا يفهم الحقيقة)[1] .

و بصرف النظر عن إجابات هذه الأسئلة ، فإن اتصال السفارة الأمريكية بالإخوان كجماعة دينية . لها دلالات قوية على نشاط السفارة فى استطلاع آراء المجتمعات الإسلامية . و استكناه توجهاتها السياسية و حرارة مشاعرها الدينية . و ما يترتب على ذلك من اتخاذ مواقف معينة من الشعوب الإسلامية . كما أنه محاولة لمعرفة اتجاهات هذه الجماعات و موقفها من الدول الكبرى .

(ولقد قرر دكتور " ريتشارد ميتشل " الذى عمل قائما بالأعمال فى السفارة الأمريكية باليمن الشمالى خلال السنوات التى سبقت ثورة ١٩٦٢ م ، و شغل نفس المنصب فى الكويت فى أطروحته لنيل

---

[1] مجلة المختار الإسلامى – ماذا قال مصطفى مشهور لسكرتير السفارة الأمريكية – صـ١٨،٢٢ بتصرف العدد ١٣٣ رجب ١٤١٤هـ ديسمبر ١٩٩٣م.

الدكتوراة و التى كانت باسم " الإخوان المسلمين " قرر أن الاهتمام بالتاريخ العربى و الإسلامى . هو جزء من السياسة الأمريكية العليا . و التى كان من ملامحها قرار الكونجرس الأمريكى . و اهتمام الحكومة الفيدرالية بتلك الدراسات و تشجيع الدارسين على إنجازها ...

و من الطبيعى أن الهدف النهائى للتشجيع الرسمى على إعداد تلك الدراسات عن أمتنا العربية هو التوصل إلى حقائق يمكن على أساسها لمن يتخذون القرار السياسى أن يبنوه على أسس واقعية ... كما أنه ليس من النادر أن يكون إعداد تلك الدراسات ستارا للتجسس)[١] . (فإن الولايات المتحدة إيمانا منها بأهمية الدراسات الاستشراقية فى تحقيق أهدافها المختلفة . سارعت إلى تبنى هذا التوجه و إنشاء و دعم المراكز فى المعاهد و الجامعات و المؤسسات العلمية و الكنسية . و المراكز المتخصصة التابعة لوزارة الدفاع و أجهزة المخابرات فى أمريكا)[٢] .

(ويصرح الباحثون الغربيون بوضوح " و على المكشوف" أن المحرك الأساسى وراء تطوير هذه الدراسات فى أمريكا خاصة هو سياسى .وينْصَبُّ على خلق النفوذ و الوسائل الكفيلة بمواجهة القوى المعادية للسيطرة الغربية فى أقطار المنطقة)[٣]

و الأمر يزداد وضوحا حينما نعلم أن كثيرا من السفراء ، الذين مثلوا بلادهم فى عالمنا الإسلامى . كانوا من المستشرقين .

إنه صراع تعددت جبهاته ، و هذا الصراع تتفاوت ضرواته من جبهة إلى أخرى . فتزداد ضراوة الجبهة الفكرية أحيانا ، و العسكرية أو السياسية ، و لكنها جميعا تعمل دائما . و فى اتجاه واحد و فى ترابط و اتساق ، و صدق الله العظيم ﴿ و لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ البقرة ٢١٧

(يقول الباحث الأمريكى " برايس وود Bryce wood " : إن الدراسات الإقليمية التى تنشط فى الولايات المتحدة الأمريكية منبثقة و مستندة على " اعرف عدوك " Know your enemy basis)[٤]

---

[١] د/ ريتشارد ميتشل- الإخوان المسلمون - ترجمة أ/ عبد السلام رضوان - تقديم / صلاح عيسى صـ٧ بتصرف الطبعة الأولى ١٩٧٧م مكتبة مدبولى القاهرة .

[٢] د/ محمد حسينى أبو سعدة -الاستشراق و الفلسفة الإسلامية صـ٨٨ بتصرف .مرجع سابق .

[٣] أ/ فؤاد أحمد فرسونى- المسافة بين الدراسات الإقليمية و الدراسات الاستشراقية - مجلة المنهل صـ١١٤ مرجع سابق .

[٤] المرجع السابق صـ١١٢ .

و الدراسات العربية و الإسلامية من أهم الدرسات التى نشطت أثناء و بعد الحرب العالمية الثانية فى أمريكا و غيرها من الدول الأوربية .

و لنستمع إلى هذا النداء :(ليكن دعاؤكم ضد الروح الإسلامي ... إن الأرواح الشريرة فى الإسلام مسئولة عن العبودية الروحية فى العالم العربى . وعن كثير من العداء للسامية فى أنحاء العالم . و عن موقف العداء الشديد لإسرائيل فى جميع أمم الشرق الأوسط ، و أمم أخرى فى العالم أغلبيتها من المسلمين . ومسئولة عن فكرة الابتزاز النفطى ضد أمم العالم التى تساند إسرائيل . و الإسلام مسئول عن السخرية الكبيرة من الله !!! إذ إن هناك مسجدا إسلاميا فى أقدس بقعة فى جبل "موريا " ... و هذا وصمة عار للموقع المقدس للهيكل "إن هذا الافتراء و الهذيان هو ما فاجأتنا به السفارة المسيحية التى أنشأها الإنجيليون فى سبتمبر ١٩٨٠م فى القدس)[1] .

و كان هذا أول ما خرجت به علينا هذه السفارة التى وسعتها أرض الإسلام و المسلمين .

و الاستشراق كان عضوا فاعلا فى السفارات . و هذه الروح البغيضة : روح العداء البغيض . الذى يقطر من أول بيان لهذا السفارة الناشئة . ما هى إلا نفحات الاستشراق المغرض على أرض الإسلام .

و هذه الصورة يتضح فيها بجلاء تساند الاستشراق مع السياسة و التبشير .

---

(١) أ/ عبد العزيز حلمى – قبل أن يهدم الأقصى صـ١٩٥ بتصرف – بدون ط ، بدون ت ، دار التوزيع و النشر الإسلامية – القاهرة .

المطلب الثانى

السفارات و المشروع الأمريكى لاختراق المجتمع المصرى "تغيير الاتجاهات"

من الطبيعى أن تكون السفارة مخبئا للدولة التى تريد أن تنفذ خطة مستقبلية . و كذلك طبيعى جدا أن يكون الاستشراق هو المنظر لهذه الخطة ، و أن يكون هو الراعى لها فى هذه السفارات . ليبين سيرتها . و مدى فعاليتها أو غير ذلك .

منذ عدة أسابيع أبرزت جريدة الأسبوع المصرية مقالا على صفحاتها بعنوان " أخطر برنامج أمريكى لاختراق المجتمع المصرى تحت ستار حقوق الإنسان و الأبحاث المشبوهة " " **السفير الأمريكى يتولى التمويل المباشر بمعاونة أنصار التطبيع و المشبوهين فى مراكز الدراسات الرسمية** " و أذكره هنا على سبيل الاستئناس .

(بعد أن نجحت واشنطن فى غرس عدد من الموالين لسياستها فى بعض مراكز الأبحاث الرسمية وراحت تنفق عليهم بسخاء تحت زعم تمويل الأبحاث المشبوهة . التى تتلصص عبرها على كل ما يعتمل فى أحشاء المجتمع المصرى .. و توظفها عبر طابور حلف التطبيع لخدمة الأهداف الإسرائيلية فى مصر و المنطقة .. شرعت الأجهزة الأمريكية فى العمل على إرساء أسس جديدة تربط بمقتضاها فئات شعبية واسعة و مستهدفة بمجمل السياسات الأمريكية بشكل مباشر . على أن يكون السفير الأمريكى فى مصر هو المهيمن و الموجه لتلك السياسات ...

و حسب هذا التوجه فإن الإدارة الأمريكية تسعى إلى توجيه المساعدات المالية التى تقدمها لبعض منظمات المجتمع المدنى و الجمعيات و مراكز الدراسات و البحوث و المنظمات الخاصة بحقوق الإنسان و بعض الأحزاب التى تقبل بالتمويل .. لا من خلال برنامج المعونة الأمريكية أو البرامج التى يتم عرضها بشكل تفصيلى على لجان الكونجرس الأمريكى . بل سيتم تقديم التمويل لتلك المؤسسات بشكل مباشر .

هذا التوجه الجديد و إن كان ينطبق على مصر بشكل أساسى ، إلا أنه موجه كذلك إلى العديد من البلدان الأخرى ، خاصة تلك التى تم تصنيفها فى إطار الاستراتيجية الأمريكية ، بأنها من الدول ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للمصالح الأمريكية فى الخارج .

و اعترفت الاستراتيجية الأمريكية فى توجهها الجديد ... بأن هدفها يرتبط بأمرين أساسيين أولهما : حقوق الإنسان . و ثانيهما : معرفة القوى الفاعلة . التى يمكن أن تؤثر على صنع القرار السياسى و الاقتصادى و الاجتماعى و الثقافى . و أن هذه القوى تخضع لدراسة طويلة نسبيا . حتى لا تفاجأ الإدارة الأمريكية بتوقعات غير محسوبة فى هيكل النظم السياسية فى الدول ذات الأهمية الاستراتيجية .

... و حسب ما هو مقرر . فإن السفارة الأمريكية سوف تسعى من خلال هذا البرنامج لتخير الوسائل المناسبة للتوغل داخل المجتمع المصرى .

...و حسب هذا البرنامج فإن التحديد الدقيق للمناطق العشوائية المستهدفة فى المرحلة القادمة لن يتم فقط من خلال المنظمات التى تم اختيارها لمعاونة السفير الأمريكى فى أداء هذا البرنامج . بل ستلعب الجامعة الأمريكية فى القاهرة دورا مباشرا فى هذا المجال .

و فى إطار البرنامج ذاته و خاصة ما يتعلق بمصر . فإن هناك فكرة خبيثة تم إقرارها . و تتعلق بإقامة المؤتمرات و الندوات حول العديد من الموضوعات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و التى تركز على قضايا محددة يمكن أن تؤثر على مستقبل التطور السياسى و الاقتصادى و الاجتماعى لمصر . و التى سيتم تنظيمها عبر بعض منظمات حقوق الإنسان فى شقها السياسى و مراكز الدراسات و البحوث فى شقها الاقتصادى ، و بعض المؤسسات العلمية فى شقها الاجتماعى . على أن تعقد هذه المؤتمرات بشكل دورى و نصف سنوى .. و التى تناقش فى معظمها مستقبل الاستقرار السياسى فى مصر . و دعائمه

و إشكالية العلاقة بين الدولة و رجال الأعمال ... و دعم المرأة و دورها فى الحياة السياسية و الاقتصادية المصرية .... و مستقبل الأحزاب السياسية ، و إمكان تداول السلطة بين هذه الأحزاب السياسية على الساحة المصرية .

و يسعى البرنامج إلى نشر ثقافة جديدة بين المواطنين المصريين . يطلق عليها ثقافة السلام و التعايش بين الشعوب)[١] .

---

(١) جريدة الأسبوع المصرية ، السنة الثالثة ، العدد ١٠٨ ، ص١٩ ، عدد يوم ٢٠ من ذى القعدة ١٤١٩هـ = ٨ مارس ١٩٩٩م .

و هكذا تؤدى السفارة الأمريكية دورها – فى مصر و غيرها من الدول ذات الأهمية الاستراتيجية حسب المفهوم الأمريكى – لاختراق الجماهير المسلمة . و تغيير الاتجاهات . و نشر الثقافات حسب ما يتوافق مع السياسة الأمريكية . و كما ورد فى التقرير . فإنه يمكن أن تتحالف و تحول أى قوة سياسية تحفظ لها مكانتها و سيطرتها . وهيمنتها السياسية . و تصنع لها قوة إيديولوجية فى ظل التحالف الأوربى الذى من الراجح أن يشكل قوة سياسية يتلاشى معها الوجود الأمريكى من المنطقة شيئا فشيئا .

المطلب الثالث

وسائل تسرب الأخبار إلى الغرب

يقول الأستاذ إبراهيم خليل أحمد :(إن من أقوى وسائل تسرب الأخبار للدول الغربية الحقيبة الدبلوماسية . و لعل أقوى مَثَلٍ لهذا أحد سفراء الولايات المتحدة بمصر " جون بادو" و مَن هو ؟ إنه الأستاذ بالجامعة الأمريكية ، ثم كان مديرا للجامعة الأمريكية بالقاهرة . و له عدد كثير من أصدقائه من خريجى الجامعة ، و من هؤلاء من يتبوءون مراكز أدبية حساسة . و كانت لهذا السفير اجتماعات حول موائد الشاى تارة . و فى عيد الاستقلال الأمريكى طورا آخر . و فى عيد الشكر . يجتمعون و يتسامرون ثم يعقدون اجتماعات خاصة ، ثم تكون المعلومات . ثم تُعَدُّ الحقيبة الدبلوماسية . لتطير إلى الولايات المتحدة ؛ و مصداقا لهذا ما ثبت من قضية الجاسوسية . التى استطاع الرائد " أديب حنا* " وضع يده عليها ، فإنها تؤكد أن الأخبار كانت تتسرب إلى الخارج عن طريق الحقيبة الدبلوماسية)[1] .

و إذا علمنا أن من أساتذة الجامعة الأمريكية من كان من المستشرقين . اتضحت لنا خيوط المؤامرة المتشابكة لخنق العالم الإسلامى ؛ و إهدار قيمه الدينية و الحضارية .

---

* و لا شك أن مشاركة الرائد " أديب حنا " الذى ورد ذكره فى النص فى كشف هذا المخطط ، يدل على أنه لا يزال هناك شرفاء ، يحترمون الواجب الوطنى ، ويوفون لبلادهم ، التى وسعتهم ، مسلمين و غير مسلمين ، و لم ينجرفوا مع تيار العداء للإسلام . الباحث .

[1] أ/ إبراهيم خليل أحمد – الاستشراق و التبشير و صلتهما بالامبريالية العالمية صـ٧٩ بتصرف . بدون ط ، بدون ت مكتبة الوعى العربى . القاهرة .

ماذا عساها أن تتضمن تلك الحقائب الدبلوماسية التي تتمتع بالحصانة و عدم التعرض ؟ ماذا تخبئ إلا ما يلتقطه هؤلاء المستشرقون – مما لا يصلح كأبحاث علمية – من أفواهنا . شئنا أم أبينا . مما نحسبه هينا و هو عند هؤلاء القوم عظيم ؟

المطلب الرابع

منظمة اليونسكو* وكر للعمل الاستشراقي

و المؤسسات التي هي في ظاهرها الوديع حمائم السلام و الربط الفكري بين دول العالم . ما هي في حقيقة الأمر إلا بوق من أبواق الاستشراق . و العاملون فيها . أو المنتدبون للعمل فيها . ماهم إلا أحد أجنحة المكر التي تتكامل في جهودها .

منظمة اليونسكو: هي إحدى المنظمات التابعة لأمم المتحدة و تسمى (منظمة الأمم المتحدة للتعليم و الثقافة و العلوم United nations educational scientific and cultural organization (UNESCO)[1]

و هي (تشرف على موسوعة تاريخ الجنس البشري و تقدمه الثقافي و العلمي . و المجلد الثالث من هذه الموسوعة " الحضارات الكبرى في العصر الوسيط " . الذي ترجم عن الفرنسية إلى الإنجليزية كتب فصوله " جاستون فييت " و " فاديم الييف " و " فييت وولف " ثم " جان نادر " .

و الفصل العاشر من هذا المجلد خاص بالعرب ، و قد سُوِّدت صفحات هذا الفصل . بمداد هو مزيج من التشويه لتاريخ الإسلام ، والافتراء على سيرة نبي الإسلام و خلفائه الراشدين ... و المتتبع للنشاط الفكري للمستشرقين المتعصبين لا يخالجه أدنى ريب في أن كاتب هذا الفصل هو المستشرق الفرنسي " جاستون فييت ** ")[2]

---

* يونسكو : اسم اختصاري يطلق على منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة و هي إحدى الوكالات المتخصصة التابعة لهيئة الأمم المتحدة جاء إنشائها ثمرة المؤتمر الذي عقد في لندن في المدة ما بين ١ : ١: ١٦ نوفمبر ١٩٤٥م . بتصرف من القاموس السياسي أحمد عطية عبدالله صـ١٤٣٩ .

[1] د/ جعفر عبد السلام – الأمم الدولية صـ١٢٤ . الطبعة السابعة – بدون ت ، دار المنار – القاهرة .

** جاستون فييت " ١٨٨٧م– ١٩٧١م " فرنسي تخرج بالعربية من مدرسة اللغات الشرقية و درس الحقوق و أجيز بها ثم قصد مصر ...و لما كانت الحرب العالمية الأولى اشترك فيها ضابطا ثم مترجما ، و ألحق بعد الحرب بالمفوضية الفرنسية في سوريا ... له أعمال و آثار ضخمة و منها : أوراق صغيرة لقنصلية فرنسا في القاهرة . المستشرقون جـ١ صـ٢٧٦ ، ٢٧٩ بتصرف .

[2] أ/ محمد عبدالله السمان – مفتريات اليونسكو على الإسلام – صـ٧ بتصرف – الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ ١٩٧٦م المختار الإسلامي – القاهرة .

لقد كان الهدف من إنشاء الأمم المتحدة و منظماتها أن تجنب الأمم ويلات الحروب . و إشاعة السلام في العالم . و حفظ حقوق الإنسان . ونشر العلوم و الثقافات بين الشعوب . و لكن الأمر الذى يؤسف له أن هذه المنظمة تتحول إلى أداة فاعلة في طمس الحقائق . و إشاعة الافتراءات التى كان منها (أن الإسلام تركيب ملفق من المذاهب اليهودية و المسيحية . مضافا إليها التقاليد القومية الوثنية و العربية . و أن الشريعة الإسلامية معقدة . و أن الإسلام يكره التجديد . و أن فى القرآن تناقضا ...

لقد صدرت هذه الافتراءات بأكثر من لغة أجنبية . من منظمة عالمية . لها أثرها و تأثيرها فى العالم إن الذى كتب عن الإسلام و نبى الإسلام فى موسوعة " اليونسكو " و فيه كثير من الافتراء إما أن يكون قد كتب عن جهل فالسؤال الذى يلقى التبعة على هذه الهيئة : **لم اختارت الجهلاء للكتابة عن تاريخ الإسلام ؟**

و إما عن عمد . فالسؤال : **لم اختارت من ليسوا على أدنى مستوى من الأمانة و التجرد من الهوى ؟** وهى فى كلتا الحالتين يجب أن تدرك أنها بسلوكها هذا .لن يكون من حقها على الشعوب العربية الإسلامية إلا الازدراء و إسقاطها من الحساب)[1] .

إن منظمة اليونسكو مِلْكٌ للدول الأعضاء فى الأمم المتحدة . و بالتالى كان من حق المسلمين أن تسند إليهم مهمة الكتابة عن تاريخهم و دينهم و نبيهم . أوليس فى العالم الإسلامى من يستطيع أن يكتب عن دينه عقيدة و عبادة . معاملات و أخلاقا ؟

أم أنه لا بد و أن يكتب عن هذا الدين مَن يملأ صدورهم الحقد عليه . و مَن لا يضمرون له و لأهله إلا كل سوء ؟

ولسنا هنا فى مقام الرد على افتراءات "اليونسكو " فإن لذالك مقام آخر . ولكن الشاهد هنا أن المنظمات السياسية الدولية تقف . كأوكار . يأوى إليها الاستشراق المغرض . كما أنها تقوم بدور الناقل الأمين لسموم المستشرقين المجحفين . و تنشرها بعديد من اللغات الحية فى شتى أنحاء العالم ، و جدير بالذكر أن من إصدارات منظمة اليونسكو مجلات تصدر بسبع و عشرين لغة . و عندئذ **سنرى بوضوح مساحة الجبهة العريضة ، التى يُحارب على صعيدها دين الله تعالى .**

---

(1) أ/ محمد عبد الله السمان ، ص١١، ١٣، ١٤ بتصرف . مرجع سابق .

لقد أصبح من أبرز نشاط هذه المنظمة (العمل على إغراء الشعوب بمفاسد الدوريـات و السينما و المسرح . و الإذاعة . و إبراز الراقصين و الفنانين و الرياضيين . و الشيوعيين و الوجوديين في الكتب المدرسية على أنهم عظماء ؟؟ و لا عجب إذا علمنا أن الذين تحكموا بها عند إنشائها هم :

ألف سوبر فيلد	رئيس لجنة التبادل الخارجي	و هو يهودي
جي . ايزنهارد	رئيس لجنة تنظيم الثقافة العالمية	و هو يهودي
ام . لافين	رئيس شعبة الثقافة العالمية	و هو يهودي
ج . كابلن	رئيس قسم الاستعلامات العام	و هو يهودي
س.ا.ج	رئيس قسم الميزانية و الإدارة	و هو يهودي .[1]

و الشئ الذي لا يمل المرء تكراره . أنها دوائر متصلة للعمـل ضد الإسـلام . و كـل منهـا يـؤدي دورا معينا في هذه الخطة التي تمثل أحد أدوار الصراع بين الأديان و دين الإسلام .

[1] فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي ، النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية و المؤسسات الدولية ، صـ١٠٨،١٠٩ ، دار اليقين ، المنصورة ، مصر .

المطلب الخامس

المراكز الثقافية الرسمية أوكار العمل الاستشراقي

إذا كان الاستشراق و التبشير قد انطلقا إلى جنوب شرق آسيا – حيث إندونيسيا التي تمثل أكبر دولة إسلامية في العالم . و أخذت معاول الهدم التبشيري و الاستشراقي . تعمل في هدم هذا الكيان الإسلامي الضخم . و نجحوا بإمكانياتهم الهائلة . و في غياب الوعي الإسلامي . في تنصير الآلاف من المسلمين– فإنهم انطلقوا كذلك إلى قلب القارة الإفريقية . و اختاروا أكبر الدول الإفريقية من حيث عدد السكان المسلمين و هي دولة " نيجيريا " و أخذ الاستشراق و التبشير يعملان متساندين من خلال الإمكانيات المادية الهائلة المتاحة من قبل الدول النصرانية الراعية للاستشراق ، و من خلال المراكز الرسمية و غير الرسمية .

و ليس الأمر قاصرا على نيجيريا . بل إنه في كل دولة من دول الإسلام مراكز ثقافية رسمية . يعمل فيها مستشرقون . و باحثون في شتى مناحي الحياة في الدول الإسلامية و العربية .

(و تتمثل المراكز الرسمية في السفارات و القنصليات و الهيئات الثقافية الأجنبية و من هذه المراكز:–

١– المركز البريطاني في نيجيريا : و يحاول هذا المركز من خلال إعطائه دورات في اللغة الإنجليزية أن ينشر مفاهيم المستشرقين و المنصرين و غيرهم حول الإسلام . و في تقرير قدمه المدير العام للمركز البريطاني " سير جون بورج " Sirjhon Burgh بمناسبة مرور خمسين عاما على إنشاء المركز . أوضح فيه أن المركز يهدف إلى تغريب الطلاب الأجانب . و لهذا المركز فروع متعددة في بعض مدن نيجيريا مثل " كانو" و " كادونا ، و اينوغو "

٢– المركز الإعلامي الأمريكي :

و يأتي هذا المركز في الدرجة الثانية من حيث النشاط الاستشراقي في نيجيريا . و له فروع متعددة . و لكل منها نشاطه و أعماله . و تضم مكتبة هذا المركز كتبا في مختلف الفنون و العلوم ، كما يوجد بالمركز قاعة للمحاضرات تعرض فيها الأفلام المختلفة في نهاية كل أسبوع ، بما في ذلك البث الإعلامي الشائق إلى الحياة الأمريكية)[1] .

---

[1] الأستاذ / علي بن محفوظ – الفكر الاستشراقي في نيجيريا صـ٣٦٥ ، ٣٦٦ . مجلة المنهل . مرجع سابق .

٣ – المركز الأكاديمى الإسرائيلى للبحوث

أنشئ هذا المركز بالقاهرة فى مايو ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م تطبيقا لإحدى مواد اتفاقية كامب ديفيد " التى عقدت بين الرئيس السادات و إسرائيل . فى واشنطن ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م تؤكد المصادر العارفة بالمركز و نوعية نشاطه أنه جهاز مقيم فى قلب القاهرة لاستطلاع أوضاع المجتمع المصرى . و دراسته من كافة الجوانب ، و بخاصة دراسة الاتجاهات الإسلامية فيه . ونشاطات الصحوة الإسلامية بين أفراده . و محاولة التأثير عليه . و التغلغل فيه . عن طريق الغزو الفكرى و نشر الثقافة اليهودية و المذاهب و أنماط الحياة المعادية للإسلام ...

و هو أداة متقدمة للاستخبارات الخارجية الإسرائيلة (الموساد) للتغلغل فى كافة مجالات البحث العلمى و تشرف عليه الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم و الآداب بالاشتراك مع الجمعية الشرقية الإسرائيلية للدراسات الاستشراقية .

كان أول مدير لهذا المركز " شمعون شامير " الذى أصبح سفيرا لإسرائيل فى القاهرة . و قد درس الاستشراق فى الجامعة العبرية فى القدس ، ونال درجة الدكتوراه من جامعة " برنستون " الأمريكية و التى كان " برنار لويس "٥ من أشهر المشرفين على الدراسات الاستشراقية بها – و من إنجازات "شمعون شامير" أنه مؤسس مركز " شيلوح" لدراسات الشرق الأوسط و أفريقيا فى الستينات بناء على اقتراح المخابرات الإسرائيلية . و خلال زياراته العديدة لمصر . قام باستطلاع شامل لمعظم محافظات مصر و كان له صلة وثيقة بالرئيس الراحل السادات .

و تولى رئاسة المركز بعده " جبرائيل واربورج " خبير المخابرات الإسرائيلية . و قد نال درجة الدكتوراة فى الدراسات الاستشراقية من جامعة لندن ، و ساهم فى تأسيس مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة " حيفا " بناء على توصية الجنرال " أهارون ياريف " رئيس الاستخبارات العسكرية الأسبق)[١]

٥لويس، برنارد إنجليزى ولد فى لندن ١٩١٦م= ١٣٣٥هـ و حصل على الليسانس مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة لندن ١٩٣٦م=١٣٥٥هـ و دبلوم الدراسات السامية من جامعة باريس ١٩٣٧م = ١٣٥٦هـ و الدكتوراه من جامعة لندن سنة ١٩٣٨م =١٣٥٧هـ و هو أستاذ الدراسات الخاصة بالشرق الأدنى فى جامعة " برنستون " ... عين مساعدمحاضر فى التاريخ الإسلامى فى مدرسة الدراسات الشرقية و الإفريقية بجامعة لندن ١٩٣٨م=١٣٥٧هـ و محاضرا فى قسم الدراسات الشرقية و الإفريقية بجامعة لندن ١٩٤٠م=١٣٥٩هـ .من آثاره : أصول الإسماعيلية "كامبردج ١٩٤٠م=١٣٥٩هـ و قد نقل إلى العربية . تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ١٩٤١م=١٣٦٠هـ و له آثار كثيرة متنوعة . العقيقى جـ٢صـ١٤٣، ١٤٤ .

(١)/ أحمد غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق صـ١٤٧،١٥٠ ، ١٥١ بتصرف ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ =١٩٩٠م . المنتدى الإسلامى ، لندن

المبحث الثالث

المستشرقون السياسيون

فيما يلى ترجمة لعدد من السياسيين من المستشرقين . الذين جمعوا بين الاستشراق و العمل السياسى و يحسن بنا أن نقول : الذين أهلهم نشاطهم الاستشراقى للعمل فى المراكز السياسية الحساسة :-

١- كيفر (١٧٦٧م-١٨٣٢ م) Kieffer

فرنسى ولد فى استراسبورج . بدأ بدراسة اللاهوت ... ثم عين فى وزارة الخارجية (١٧٩٤م) فعُهد إليه بعد سنتى اختبارٍ بوظيفة مترجم و أمين سر لوزيرها .

٢- دى كورا (١٧٧٥م-١٨٣٥م) Courroy,du

فرنسى . لما أسست فرنسا مدرستها فى القسطنطينية . عين مديرا لها . ثم عين ترجمانا للملك لدى السفارة الفرنسية فى القسطنطينية .

٣-مارسل .ج.ج (١٧٧٦م-١٨٥٤م) Morcel , j.j

فرنسى . حفيد " غليوم مارسل " المؤرخ الفرنسى الشهير . قنصل فرنسا فى مصر ... وُلّى مصنع البارود أثناء ثورة فرنسا . و بعدها زاول الصحافة . فلما قامت حملة نابليون . كان فى ركابه مترجما ثم عين مديرا للمطبعة التى لحقت بالجيش إلى مصر ... و هو أول من ترجم خطاب نابليون فى المصريين .

٤- ديلابورت (١٧٧٧م-١٨٦١م) Delaporte

ولد فى باريس . و تخرج من مدرسة اللغات الشرقية . فلما كانت حملة نابليون . كان فى صفوفها . و قد آثر البقاء فى المشرق . فقصد طرابلس حيث وظف فى قنصليتها .

٥- روسو .ل.ج (١٧٨٦م-١٨٣١م) Rousseau,l.j.

من قناصل فرنسا فى المشرق .

٦- كاردن .أ Cardin,A.

عين مترجما و مستشاراللقنصلية الفرنسية فى الإسكندرية .

٧- ميلله .ر (المولود ١٨٤٩م) Millet.R

سفير فرنسا .

٨- هيار ، كليمان (١٨٥٤م-١٩٢٧م) Huar, cl

ولد في باريس . و تخرج من مدرسة اللغات الشرقية . و مدرسة الدراسات العليا . و عين مترجما مبتدئا في قنصلية فرنسا بدمشق (١٨٧٥م) فثالثا في سفارة الأستانة (١٨٧٨م) فثانيا (١٨٨٥م) فقنصلا (١٨٩٧م) و في سنة ١٨٩٨م . استدعى إلى باريس أمين سر و مترجما في وزارة الخارجية ... ثم عين قنصلا عاما (١٩١٢م)

٩- بارتيملي .أدريان (١٨٥٩م-١٩٤٩م) Barthelemy, A

قنصل فرنسا في المشرق .

١٠- فيتو . أنريكو (١٨٤٤م-١٩٠٤م) Vitto, Enrico

قنصل إيطاليا في بيروت .

١١- بانسيرا ،كوستانتينو Pansera,costantino

إيطالي تعلم العربية . والتحق بوزارة الخارجية . و عين في سفارتها بالقاهرة .

١٢- رنس .جورج (المولود علم ١٩١٢م)Renta,G,S

تعلم في المدرسة العليا المركزية بواشنطن . و تخرج من جامعة الفلبين بمانيلا . و جامعة كاليفورنيا عين في السفارة الأمريكية بمصر)[1]

(١٣- فاردنبرغ: الراعي الطيب .

هو أستاذ الدراسات الإسلامية في كلية اللاهوت بجامعة " أوترخت " و هو أكبر متخصص هولندي في شئون الإسلام و المسلمين ، و إن كان يعمل كمستشار لحكومته لشئون المسلمين في هولندا .... نشر " فاردنبرغ" أول أعماله في بداية الستينات باللغة الفرنسية بعنوان " الإسلام في مرآة الغرب "

و فيها يعرض لأعمال خمسة علماء غربيين أو مستشرقين . هم : المجري " جولدزيهر* . و الألماني ببيك . و الفرنسي : ماسينيون ، و الهولندي سنوك ، و البريطاني : ماكدونالد .. و يعيب هذه الدراسة أن " فاردنبرغ " لا يعرف العربية . و بالتالي كان عمله تمجيدا للمستشرقين . ولم يقم بنقد . كما لم يذكر آراء المسلمين فيهم ، و قد قامت وزارة الخارجية الفرنسية بتمويل الدراسة ، وهذا

---

[1] أ/ نجيب العقيقي المستشرقون جـ١ صـ١٦٧،١٦٨،١٧٠،١٧٢،١٧٣،٢١٠،٢١٢،٢٢٢،٤٢٣،٤٥٩، و جـ٢ صـ١٧٧ . بتصرف .

* أجناس جولد زيهر " ١٨٥٠-١٩٢١م " تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودابشت و ليبزيج و برلين و ليدن و لما نبه ذكره عين أستاذا محاضرا في كلية العلوم بجامعة بودابشت ١٨٧٣م ، كانت له مكتبة أربت على ٤٠ ألف مجلد في العلوم و الفقه و الفلسفة و الفنون و اللغة و الأدب . من آثاره الإسلام ، العقيدة و الشريعة في الإسلام . و غير ذلك من الآثار . العقيقي جـ٣ صـ٤٠،٤١ .

شئ ذو دلالة لا تغيب على أحد)[١]

لا شك أن أعداد المستشرقين السياسيين و الذين شغلوا مناصب سياسية لبلادهم أضعاف أضعاف ما ذكرت . و لكن أكتفي بما ذكرت كشواهد على الدافعية السياسية للاستشراق .

و يبدو مما سبق هذا الترابط و التلاحم بين السياسة و الاستشراق . و هذا أمر لا غرابة فيها . فكلها وحدات متكاملة في أعمالها . تحكمها أيديولوجية واحدة . و إن تعددت أدوار العمل . إلا أن الجميع ينفذ جانبا من الخطة المنوطة به . و التي كلف بها .

و من ثم فلا عجب أن يحدث انتداب لأساتذة الاستشراق في مجالات السياسة . أو عندما يستنفر الغرب قواه المختلفة – فكرية و سياسية و عسكرية – إذا أزمع شن حرب صليبية جديدة .

و جدير بالذكر أن كل عمل عسكري . يقصد به قوقعة القوى الإسلامية . ما هو إلا حرب صليبية . و إن تسمّت بغير ذلك من الأسماء .

و قد سبق معنا من أقوال السياسيين الغربيين و الصحفيين ، و رجال العلم . ما يؤكد لنا حقيقة النظرة التي يرى الغرب من خلالها الإسلام و عالم الإسلام .

و من ثم فلا سبيل إلا الخداع . و قد كشفوا عن وجوه البغض و الكيد . و لا سبيل إلى الخداع و قد حسم الله تعالى القضية : ﴿ و لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ البقرة ٢١٧ .

---

[١] إيهاب محمد مهدلي – أزمة الاستشراق الهولندي صـ٤٤٨،٤٤٩ ، مجلة الأزهر عدد ٤ ربيع الثاني ١٤٠٨هـ ، ديسمبر ١٩٨٧م .

المبحث الرابع

أهداف الدافع السياسى للاستشراق

للدافع السياسى أهداف منها :-

١- التشكيك في الحضارة الإسلامية . وأنها شتات الثقافات اليونانية و الرومانية . و ليس للعرب فيها من نصيب . فقد ورد في مقال المستشرق الفرنسى " هانوتو " و الذى كان يعمل مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية . جاء في مقالته :" أن ما لدى المسلمين من معرفة و ثقافة هى بعض بقايا تمدن البيزنطيين " يونان الشرق " و ليست ثقافة ابتدعوها)[١]

و بالتالى إذا لم يكن للإنسان حضارة قائمة على ثقافته الأصيلة ، فليس له قيمة ذاتية . فهو متطفل على موائد أصحاب الثقافات و الحضارات .

و هل أقوى و أبعد في الأثر من إفقاد الإنسان هويته . و إشعاره بأنه ليس له في تاريخ الحضارات الإنسانية من نصيب . إن الله تعالى يخاطب المسلمين في القرآن الكريم :

حيث يقول سبحانه﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم و الذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم و مما تعبدون من دون ا لله كفرنا بكم و بدا بيننا و بينكم العداوة و البغضاء أبدا حتى تؤمنوا با لله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك و ما أملك لك من ا لله من شئ ربنا عليك توكلنا و إليك أنبنا و إليك المصير ﴾ الممتحنة ٤ .

(و ينظر المسلم فإذا له نسب عريق ، و ماض طويل ، و أسوة ممتدة على آماد الزمان . و إذا هو راجع إلى إبراهيم – بل آدم عليه السلام – فيشعر أن له رصيدا من التجارب أكبر من رصيده الشخصى و أكبر من رصيد جيله الذى يعيش فيه ... فهو فرع من شجرة ضخمة باسقة عميقة الجذور . كثيرة الفروع وارفة الظلال)[٢] .

يريد ا لله تعالى أن يشعرنا بعراقتنا ، و يمد جذورنا فى أعماق التاريخ . حتى نصل إلى أبى الحنيفية الخليل إبراهيم عليه السلام ، و يريد هؤلاء أن يقطعونا عن كل مراقى الشرف التى جعل ا لله لنا بها ذكرا

---

(١) د/ جلال محمد عبد الباقى – مناقشة آراء جولد زيهر فى تفسير القرآن الكريم . جـ١ صـ٤١ . بدون ط ١٣٩٨ -١٩٧٨ م .

(٢) أ/ سيد قطب ، فى ظلال القرآن جـ٦ صـ٣٥٤٢ . مرجع سابق .

و لا ريب أنها محاولة خبيثة لإضعاف ثقة المسلمين بأنفسهم . كما أنها محاولة لتحويل الأمة إلى دركة الغثائية التي حذرنا منها نبينا صلى الله عليه و سلم .

٢- (إضعاف روح الإخاء بين المسلمين في مختلف أقطارهم . عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام . و إثارة الخلافات بين شعوبهم . و كذلك يفعلون في البلاد العربية . يجهدون لمنع اجتماع شملها . ووحدة كلمتها . بكل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق . و تصيد الحوادث الفردية في التاريخ . ليصنعوا منها تاريخا جديدا . يدعو إلى ما يريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية و التفاهم على الحق و الخير بين جماهيرها)[1] .

٣- دوام السيطرة على العالم الإسلامي . و ذلك من خلال . خلق روح التخاذل بين أبنائه . بتشكيكهم في دينهم . و قدرته على سياسة دنياهم . و صلاحيته لكل زمان و مكان . و ذلك من خلال طرح الأفكار الآتية :-

١-(فكرة إبعاد الإسلام عن مجال العلاقات الاجتماعية .

٢- فكرة أن الظروف الدولية تفرض على المسلم الولاء لغير المسلم .

٣- فكرة أن الإسلام يتجدد و يخضع لعامل الزمن في تطوره .

٤- فكرة تعدد الإسلام بتعدد شعوبه و أجناسه .

٥- فكرة أن الدين الإسلامي دين فردي . و لا ينبغي أن يكون دينا للدولة .

٦- فكرة تأسيس مبدأ عدم زواج المسلمة من غير المسلم على أساس عنصري .

٧- فكرة قوامة الرجل على المرأة على أساس التفوق الجنسي)[2] .

إن هذه الأفكار قد صنعت في معامل الاستشراق . وردده المستشرقون في كتبهم . ثم تولى كبرها من أبناء المسلمين . من رضوا لأنفسهم أن يكونوا أبواقا للمستشرقين . يهرفون بما لا يعرفون . اعتمادا على صولة الهيمنة السياسية التي تحمي هؤلاء الناعقين . و تبهرج لهم في كل محفل . حتى يصبحوا أساتذة الأجيال و عمداء الآداب العربية . و غير ذلك من الألقاب الفخمة الضخمة . التي تستهوي عقول المهزومين .

هذا و إن أهم وسائل تحقيق الدافع السياسي ، تفشي روح الانهزامية بين أبنائه . وذلك عن طريق

---

[1] د/ مصطفى السباعي – الاستشراق و المستشرقون مالهم و ما عليهم ، صـ٢٤ . مرجع سابق .

[2] د/ جلال محمد عبد الباقي – مناقشة آراء جولدزيهر في تفسير القرآن – صـ٤٢ . مرجع سابق .

(تدريس تاريخ الشرق ... وفق منهج الغرب الذى عمل على تصوير تاريخنا الإسلامى . على النحو الذى بث فى روعنا أن بلادنا بطبيعة تاريخها غير أهل لما بلغته أوربا . فواجب علينا أن نذعن لوصاية أوربا . وتذعن لتعليمها . حتى يتم إعدادها للحرية و للحكم . و تحت قيادة النخبة المثقفة بثقافة الغرب تأكدت المفاهيم الآتية :-

- أن الشرق كله فى حاجة إلى حضارة الغرب . إذا أراد أن يختار و أن يعرف للحرية طعما.
- الدعوة إلى رفض اللغة العربية . لعجزها عن مسايرة التقدم العلمى . أو إحلال الحروف اللاتينية محلها
- بث التاريخ المشوه للشرق فى نفوس أبنائه .
- بث فكرة أن الشرق بحكم دينه و بحكم تاريخه . لا سبيل إلى تقدمه ما لم ينزع عنه ثوب الدين . و ما لم يفصل بينه و بين ماضيه بسياج متين .
- جعل التعليم أداة لتخريج موظفين يدينون بالطاعة .
- الإذعان للغرب صاحب السبق و التقدم أو صاحب النفوذ السياسى فى البلاد)[1] .

و عند إمعان النظر . سنرى أن هذه البنود تعمل جميعها على خلق تخاذل روحى . و انهزامية نفسية و إحساس بالدُنية . وكل ذلك من شأنه . أن يصنع جيلا من الذيول التى يُراد لها و لا تريد . و تُقاد و لا تقود . و لا ينظر إلا تحت قدميه . و يرضى من الغنيمة بالإياب . و هل هذا إلا التهميش الذى يريده لنا الغرب ؟ و العزلة التى يراد لنا من خلالها أن نبتعد عن معركة الحياة . أو يكون لنا فى توجيه دفتها نصيب ؟

العزلة النفسية التى تلقى فى روعنا أننا مجتمعات الشرور و الآثام . حيث الرشوة والمحسوبية و غير ذلك من أنواع الشرور . و أن قضاء الشهوات منتهى آمالنا . و كثيرا ما نسمع من يقول : السعوديون فيهم من ذميم الصفات كذا ، و المصريون فيهم كذا و كذا و الكويتيون .و هلم جرا .

و هل هذا إلا ما ردده أعداؤنا من قبل . و سمعناه و صدقناه . حتى أصبح موارثا . و صار الإيحاء الذاتى لهذه الافتراءات يسوّغ لكثير من الهمجية التى نراها فى مجتمعاتنا . استنادا إلى خلفية الشر التى ننطلق من خلالها .

---

(١) د/ محمد إبراهيم الفيومى – الاستشراق رسالة استعمار ص٩٩، ١٠٠ . بتصرف . مرجع سابق .

أما الغربيون . فهم أصحاب العقول المفكرة . و الجهود العملاقة . و الابتكارات النافعة . و هم أهل الصدق . أصحاب الوعود الموقوته . و المواعيد المضبوطة . لقد نجح هؤلاء القوم في خداعنا . ولم يأت ذلك عفويا . بل درسوا المسلمين كأشخاص . و درسوا حياتنا مناهج و سلوكا . فوجدوا أن الإسلام عماد نهضتنا وسر قوتنا . و صبغة حياتنا . فدرسوه من كل جانب . و أتي عليهم حين من الدهر . هيمنوا على مقاليد الحكم في العالم سياسيا و عسكريا و ثقافيا . فنفخوا في أبواق الشر أن هذا الإسلام من أساطير الأرض . و ليس من وحي الله . و أن الذين حملوه . سفاكو دماء و لصوص الحضارات . و ما ينبغي لهم أن يتسنموا مقاليد التوجيه في العالم مرة أخرى . و ليسوا أمناء على مستقبل البشرية . فهم المتعصبون الذين إن مُكّنوا في الأرض أحالوا عامرها خرابا . و حولوا الناس إلى طائفة من أصحاب العاهات بتطبيق أحكام دينهم عليهم . و ما ينبغي لأحد الملتزمين بهذا الدين أن يتولى توجيها . أو بكانا حساسا وما ينبغي لشخص يظهر ولاءه لهذا الدين أن يتسنم زمام حكم أو قيادة .

هذا هو واقعنا . و من لا يراه فهو متعام عن واقع يحياه مع أنفاسه زفيرا و شهيقا .

لقد رددوا هذه الادعاءات و لقنوها من بعدهم من المنافقين . ليحيا المسلم منفصلا عن دينه . وليصبح التدين رجعية . وردة حضارية . ينبغي أن يتنزه عنها كل آخذ بسبيل الحضارات ! ! !

و الهدف الثاني من هذه الصياغة إحكام السيطرة على عالمنا الإسلامي ليدور في فلك الغرب حيث دار



الفصل الخامس

الدافع العلمي للاستشراق

تمهيد

المبحث الأول
أهمية العالم الإسلامي

المبحث الثاني
هيمنة الحضارة الإسلامية

المبحث الثالث
مراكز الثقافة الإسلامية

المطلب الأول : مراكز الثقافة الإسلامية

المطلب الثاني : سفر الأوربيين إلى الأندلس طلبا للعلم

المبحث الرابع
الروح العلمية في كتابات المستشرقين

المطلب الأول : اعتراف المستشرقين بتقدم على حضارة الإسلام

المطلب الثاني : الاعتراف بعظمة القرآن الكريم

المطلب الثالث : اعتدال المستشرقين في موقفهم من النبي ﷺ

المطلب الرابع : تقدير علماء الحضارة الإسلامية

المطلب الخامس : الاعتراف بتسامح المسلمين

المطلب السادس : مستشرقون أسلموا

المبحث الخامس : جهود المستشرقين العلمية

المبحث السادس أهداف الدافع العلمي

الفصل الخامس

الـــدافع العلمـــي للاستـــشـــراق

تمهيد

إذا كانت الموضوعية ضالتنا المنشودة فى الدراسات الاستشراقية . و لئن كان افتقاد الموضوعية من وراء تحبير هذه الرسالة فى هذا الموضوع . فإن الموضوعية كذلك . تقتضينا أن نكون منصفين . و تقتضينا أن نقول : إن من جهود المستشرقين ما كان علميا خالصا . ابتغاء ثمرات البحث العلمي النزيه . و الوصول إلى الحق أيما كان أهله .

و من ثم . وجدنا من المستشرقين من أنصف الإسلام كرسالة سماوية . و أنصف الحضارة الإسلامية كواقع ملموس و سلوك علمي لهذه الرسالة السماوية ، بل كان من المستشرقين من أدَّاه البحث النزية و النظرة الموضوعية إلى أن أعلن إسلامه و اعتنق هذا الدين .

هذا من ناحية . و من ناحية أخرى فإن حب الاستطلاع . و استكناه المجهول من الدوافع الفطرية لبنى آدم . و فى النفس الإنسانية ميول . و الميل (استعداد وجدانى انفعالى مكتسب يحمل الفرد على أن يقوم أو يهتم بنشاط أو عمل معين .

و من هذه الميول : الميل العلمي : و يعنى رغبة الفرد فى الاشتغال بالأعمال العلمية كالبحث و التجريب و الإحصاء) [1]

لا سيما إذا وجدت منطقة الجذب الشديد و الاستدعاء المُلِح لهذه الدوافع و الميول الإنسانية .
و الشرق ذلك الساحر العجوز . الذى جمع فى أجْرِبَتِهِ كل طريف من العلوم و الفنون و الصناعات و الفلسفات . كما أنه يمثل الجزء الأكبر و الأفعل من منطقة التواجد البشرى على ظهر هذه الحياة .
و إن صح التعبير فهو بِكْر الوجود الإنسانى على هذه الأرض ، و هو مهبط الديانات السماوية جميعا .
بل و معظم النِحَل التى ظهرت كاتجاهات عقدية للإنسان .
و من ثم كان حقيقا أن يطلب لذاته دون أى دوافع أخرى .
و لا بد من إلقاء الضوء على ذلك الشرق الذى كان منطقة الجذب الشديد لآلاف العقول البشرية . التى

---

[1] دكتورة / نجيبة الخضرى , علم النفس الاجتماعى صـ١٤٣ ، ١٤٨ . الطبعة الأولى ١٩٧٢م مكتبة عين شمس . القاهرة .

طرقت أبوابه باحثة عن غير واحد من الأمر : عن علومه . عن دياناته . عن ثرواته . عن كنوزه و غير ذلك من الدوافع الأخرى .

و كلمة الشرق بمفهومها الحضارى . تنتظم تلك المنطقة الهائلة من العالم . بما فى ذلك قارة آسيا والذى أراه أن كلمة الشرق لها دلالة خاصة فى نظر المستشرقين . ذلك ما يدل عليه قول "رودى بارت": كذلك تعرضت لفظة الشرق فى أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية ...تعرضت لاتساع فى نطاق مدلولها) فهى تعنى المنطقة التى انتظمها عقد الإسلام بصفة خاصة .

وبناء عليه يمكننى القول : إن الشرق بهذا المفهوم الحضارى الخاص . كان موضع اهتمام علماء الغرب الذين بهرهم سموق الحضارة الإسلامية . التى انتظمت هذا الكم الهائل من الأجناس البشرية فكانت حقيقة بالاهتمام .

المبحث الأول

أهميـة العـالم الإسـلامـى كمجال للبحث

أولاً: من حيث المساحة وعدد السكان :ـ

يشمل العالم الإسلامى (عدة مجموعات من الدول . تقف على سطح الأرض . جنباً إلى جنب ممتدة من المحيط الأطلسى غرباً حتى المحيط الهادى شرقاً . وكثيرا من الجزر المبعثرة فيه . تشغل هذه الدول مساحة تزيد على ٣١ مليون كم٢ . أى أكثر من ضعف مساحة القارة الأوربية ...

تكوّن مساحة العالم الإسلامى ٢٣٪ من مساحة اليابس ... و يكون المسلمون ٢٤.٣ ٪ من مجموع سكان العالم أى ١٠٤٤ مليون نسمة وفقا لإحصاء ١٩٨٨ م .

ثانيا : من الناحية الإثنولوجية"* العرقية

ينتظم عقد الإسلام مجموعات عرقية مختلفة تجمعها وحدة العقيدة و هى :ـ

١- المجموعة الآرية الهندية التركية :ـ

و تتركز فى باكستان و أفغانستان و إيران و الهند و كشمير و نيبال و سريلانكا و برما و بوتان و يبلغ عدد المسلمين فى هذه الدول ٢٧٦ مليون نفس . أى ٢٦٪من مجموع المسلمين فى العالم .

٢- المجموعة العربية :ـ

و تنتشر فى ٢٢ دولة : تِسْعُ دول فى أفريقيا . و ثلاث عشرة دولة فى آسيا . و يبلغ عدد السكان المسلمين ١٩٥ مليون نفس أى ١٩٪ من مجموع المسلمين .

٣- المجموعة المغولية التركية :ـ

. و تنتشر فى مساحة و اسعة : تمتد من شبه جزيرة البلقان غربا . حتى سيبيريا فى الشرق و الشمال . و تتكلم الغالبية العظمى فى هذه المجموعة اللغة التركية . و تضمهم دولة ألبانيا . و بعض دول شبه جزيرة البلقان و تركيا و الاتحاد السوفيتى ووسط آسيا فى إقليم سينكيانج و منغوليا و يبلغ عدد المسلمين فى هذه الدول ١٧٤ مليون نفس أى ١٧٪ من مجموع المسلمين .

---

* اثنولوجيا : Ethnology (e) Ethnologie (f) اللفظ مكون من مقطعين هما :ethnos بمعنى جنس أو شعب ، logos بمعنى علم ، و قد شاعت ترجمته بعلم الأجناس ، و السلالات البشرية فى نشأتها و خصائصها المميزة لها ... معجم العلوم الاجتماعية صـ١١ .

٤- المجموعة الملايوية : ينتشر أفراد هذه المجموعة في جنوب شرق آسيا من ماليزيا غربا حتى جزر " بولونيزيا " في المحيط الهادى شرقا . في كل من شبه جزيرة الملايو و سنغافورا و أندونيسيا و الفلبين و بعض جزر المحيط الهادى . و يضاف إليها جزيرة " مدغشقر" . و يبلغ عدد المسلمين في هذه الدول و الجزر ١٦٦ مليون نفس . و يكونون ١٦٪ من مجموع المسلمين .

٥- المجموعة الأفريقية :-

جنوب الصحراء الكبرى . يبلغ عدد السكان المسلمين سواء في الدول الإسلامية . أو في الدول غير الإسلامية - كأقليات صغيرة أو كبيرة - ١٣٣ مليون نفس أى ١٣٪ من مجموع المسلمين .

٦- المجموعة الدرافيدية المغولية :-

تتركز في دولة بنجلادش و يبلغ عدد السكان المسلمين ٩١ مليون نفس أى ٩٪ من مجموع المسلمين[1]

إن هذا الامتداد الضخم للعالم الإسلامي . في طول الأرض و عرضها . يعززه و يقويه امتداد العالم الإسلامي عمقا في التاريخ الحضاري على الأرض .

و لئن كان هذا العالم يعاني من الغثائية في الوقت الحاضر - أقولها و غصص في الحلق تذيب القلب كمدا - فإنه أتى عليه حين من الدهر تسلّم قياد البشرية . فانتظم في صفوفه من البشر مختلفي الألسنة و الألوان و الأجناس . و صهرهم في بوتقة الإسلام . و شاد بهم حضارة . عميقة الجذور باسقة الفروع . طيبة الثمار . أسبغ بها على الإنسانية من نعم الله ظاهرة و باطنة . ولم يكن عجبا أن يعنو لمجده ولسلطانه . كل طالب قيمة لنفسه في الحياة . و لم يكن عجبا أن تحج إلى كعبة العلم فيه كل العقول على اختلاف مشاربها . كما حجت إلى كعبة الإسلام فيه . على اختلاف أجناسها و ألوانها .

---

[1] د/ محمود أبو العلا - جغرافية العالم الإسلامي و اقتصادياته ص١٣-١٥ بتصرف ، الطبعة الخامسة ١٤١١ هـ ١٩٩١م ، مكتبة الفلاح ، الكويت .

المبحث الثانى

هيمنة الحضارة الإسلامية

(لم تمض على وفاة النبى محمد – ﷺ – مائة سنة . حتى أصبح العرب أسياد دولة أعظم من دولة الرومان فى أوج عزها . دولة امتدت أرجاؤها من بحر الظلمات غربا إلى حدود الصين شرقا . ومن جبال أورال شمالا . إلى حدود السودان جنوبا . وردد المؤمنون فى كلمتى الشهادة اسم الجلالة و الرسول – ﷺ – من رؤوس المآذن فى جنوبى أوربا و شمالى أفريقيا و أواسط آسيا . فرجّعت جبال الأندلس و سهول الهند و الصين و مجاهل الصحراء الكبرى أصداءها . و دخل فى دين العرب و فى لسانهم و دمهم . من الشعوب و اللغات و الأجناس . مالم يعهده التاريخ من قبل . حتى فى أخبار اليونان و الرومان)[1]

و (صارت اللغة العربية اللغة العالمية لغة الدين و لغة الآداب و الفنون . ولغة الديبلوماسية و العلم . لا فى العالم الإسلامى فقط ، و لكن أيضا فى البلاد الغربية . التى أصبحت العربية عندها الأداة الضرورية للتعرف إلى الثقافة)[2]

و كان شعار تلك الحضارة الزاهرة فى تلك المنطقة الشاسعة من العالم . أن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها ، فلم يفرق المسلمون بين مسلم أو غير مسلم طالبا للعلم أو أستاذا . مفيدا للعلم أو مستفيدا . الأمر الذى يمكننى أن أسميه " **إنسانية الحضارة الإسلامية** "

يقول :(المستر " درابر " أحد المؤرخين و كبار الفلاسفة من الأمريكان : " إن المسلمين الأولين فى زمن الخلفاء . لم يقتصروا فى معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين . و من اليهود على مجرد الاحترام . بل فوضوا إليهم كثيرا من الأعمال الجسام . و رقّوهم إلى المناصب فى الدولة . حتى أن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة " حنا مسنيه " و هو "يوحنا ابن مسويه"* الشهير .

---

[1] – فيليب حتى – العرب تاريخ موجز صـ٧ مرجع سابق .

[2] د/ أحمد عروة – الإسلام فى مفترق الطرق ترجمة عثمان أمين صـ١٠٥ . بدون ط . ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م . دار الشروق . القاهرة

* يوحنا بن ماسويه ، هو المعروف بأبى زكريا أو ابن ماسويه ، من علماء الطب ، سريانى الأصل . عربى المنشأ . كان أبوه صيدلانيا . من جنديسابور ثم فى بغداد ، و خدم الخليفة هارون الرشيد ، نشأ ابنه يوحنا و تعلم أصول الطب منه . و عهد إليه هارون الرشيد و المأمون و المتوكل ، و كان ملتزما بمعالجتهم من مرضهم ، حتى كانوا لا يتناولون طعاما إلا بعد مشورته . كما أنه صاحب مجلس يحضره العلماء على اختلاف اهتماماتهم مثل الأطباء و الفلاسفة و الأدباء ، ولابن ماسويه أربعون كتابا ، منها البرهان فى ٣٠ جزءا ... توفى سامراء عام ٢٤٣هـ =٨٥٧م . دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ٤٩٩ .

وقال في موضع آخر : " كانت إدارة المدارس مفوضة مع نيل الرأى و سعة الفكر من الخلفاء إلى النسطوريين تارة . و إلى اليهود تارة أخرى . لم يكن يُنظر إلى البلد الذى عاش فيه العالم . ولا إلى الدين الذى ولد عليه . بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم و المعرفة .

قال الخليفة العباسي الأكبر المأمون : " الحكماء هم صفوة الله من خلقه . و نخبته من عباده لأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة . و ارتفعوا بقواهم عن دنس الطبيعة . هم ضياء العالم . وهم واضعو قوانينه و لولاهم لسقط العالم فى الجهل و البربرية)[١] .

و ممن حظى عند المنصور " الخليفة العباسى " " نوبخت " المنجم . وولده " أبو سهل " و كانا فارسيين على مذهب الفرس . ثم كانت ذرية مسلمة لأبى سهل . و كانوا جميعا منجمين . لهم شهرة فى علوم الكواكب فائقة .

و ممن حظى بالمكانة عند الخليفة المهدى " تيوفيل " بن توما النصرانى " ... وله كتب فى التاريخ جليلة و نقل كتاب " أميروس" إلى السريانية ، بأفصح عبارة .

و ممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة " بختيشوع " الطبيب و جبريل ولده . و يوحنا بن ماسويه ولاه الرشيد ترجمة الكتب القديمة طبية و غيرها . و خدم الرشيد و من بعده المتوكل . .

و ممن علا قدره فى زمن المأمون " يوحنا البطريق " ... أقامه المأمون أمينا على ترجمة الكتب . من كل علم من علوم الطب و الفلسفة ....

و فى أيام المتوكل اشتهر "حنين بن إسحاق النصرانى" و هو من أشهر المترجمين لكتب " أرسطو"* و غيره)[٢] .

و لا عجب أن تستوعب الحضارة الإسلامية تلك العقول ، من أهل الديانات الأخرى . فالإسلام هو الدين الذى فك رقاب المشركين بعد بدر الكبرى مقابل أن يُعَلِّم الواحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة و الكتابة .

---

[١] الأستاذ الشيخ / محمد عبده - الاسلام و النصرانية صـ١٠، ١١ . مرجع سابق .

* أرسطو ٣٨٤-٣٢٢ق.م ولد و نشأ فى مدينة ستاجيرا المقدونية غرب أثينا اليونانية ، كان أبوه طبيبا فى بلاط أمينتاس ملك مقدونية و جد الإسكندر . أعلام الفكر الأوربى جـ١ صـ٣٠ .

[٢] المرجع السابق صـ١٢ : ١٤ بتصرف .

و من أروع الأمثلة التي توشّح صدر الإسلام و حضارته : ما ورد عن (رجل مسيحي من اليعقوبيين* اسمه " يوحنا النحوي" كان في بدء أمره ملاّحا . و كان يميل إلى العلم .... فترك الملاحة و اشتغل بالعلم و هو ابن أربعين سنة . فبلغ فيه ما لم يبلغه الناشئون فيه ...

يقول كثير من مؤرخي الغربيين : إن عمرو بن العاص سمع به فاستدعاه بنبه و أكرمه لعلمه ووقعت بينهما محبة ظهر أمرها و اشتهر . حتى قال أحد فلاسفة الغربيين :(إن المحبة التي نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر . و يوحنا النحوي . ترينا مبلغ ما يسمو إليه العقل العربي . من الأفكار الحرة . و الرأي العالي بمجرد ما أعتق من الوثنية الجاهلية . و دخل في التوحيد المحمدي . أصبح على غاية من الاستعداد للجولان في ميادين العلوم الفلسفية و الأدبية من كل نوع)[1]

بيد أن كلمة " التوحيد المحمدي " لا ترتاح إليها نفس المسلم و قد كان أولى بهذا المنصف أن يتم عبارته المنصفة في صفاء بعيدا عن دَخَن النفس المحمومة على الإسلام . و كان أولى به أن يقول : التوحيد الإلهي بدلا من تلك الكلمة التي تشي بما يعتقده كثير من الغربيين من أن الإسلام من اختراع محمد صلى الله عليه وسلم . و حاشاه أن يتقول على الله .

تأثير الحضارة الإسلامية في الغرب

(لم يكن اللقاء بين المسلمين و الأمم اللاتينية في أول أمره في القرون الوسطى – و ما قبلها – لقاء صداقة و تعاون . إنما بدأ هذا اللقاء بالمعارك و الحروب ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلا . إذ ما لبثت أن حدث الاختلاط . و هو اختلاط حضارة أعظم و ثقافة و فكر أنضج . إلى حضارة دانية . و فكر جامد مهلهل و نتج عن هذا الاتصال الذي سلكه الفكر الإسلامي . في طريقه إلى الغرب . أن غذى عقول العالم اللاتيني و أثرى فكرهم . فاندمجوا فيه و تأثروا به . و ساهموا في خيره و خبراته . كانت عملية التقاء المسلمين بالأمم الأخرى . هي عملية إخصاب .فكري . إذ بلغ العرب غاية نضجهم . ووصلوا الى منتهى الحكمة والرشاد ....بل سبقوا أزمانهم بقرون عديدة . كانت عملية

---

* اليعقوبية أصحاب يعقوب البرذعاني ، و كان راهبا بالقسطنطينية ، و قد قالوا بالأقانيم الثلاثة ، و لكنهم قالوا : إن انقلبت لحما و دما . فصار الإله هو المسيح ،و هو الظاهر بجسده ، بل هو هو ، و عنهم أخبرنا القرآن الكريم " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم " المائدة ١٧ . الملل و النحل للشهرستاني جـ٢ صـ٢٥٣ .٢٥٤ ,

[1] المرجع السابق صـ٨٥، ٨٦ بتصرف .

الإخصاب الفكرى فى الفكر الأوربى المندحر المتقوقع هو الأمل المنشود لهم . فتلمسوا الطريق عند المسلمين . لينشلوهم من غياباتهم . ليبدأوا من جديد وهم ممسكين بأطواق النجاة . التى قدمها لهم المسلمون بلا تعالٍ أو ازدراء . ولم ينقطع من هذا العمل ثمرة الإخصاب حتى عصرنا هذا . بل أغدق عليهم الخيرات فى مناحى الحياة المختلفة)[١] .

نعم لقد بلغت الحضارة الإسلامية شأوا بعيداً . وتسلمت زمام القيادة . وتسنمت مرتبة الأستاذية للغرب بل للعالم كله .

(يقول "برنتشيو" BEARNSHEW : لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين . فإذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة . لقد بهت الأوربيون أشباه الهمج . عندما رأوا حضارة المسلمين التى رجحت حضارتهم رجحاناً لا تصح معه المقارنة بينهما ..

ويقول الأستاذ " سديو" : تكونت فيما بين القرنين التاسع والخامس عشر . مجموعة من أكبر المعارف فى التاريخ لدى العرب . و ظهرت إختراعات ثمينة . تشهد لهم بالنشاط الذهنى الرائع . وجميع ذلك تأثرت به أوربا . بحيث يمكن القول بأن العرب كانوا أساتذة الأوربيين فى جميع فروع المعرفة . ولقد حاول الأوربيون أن يقللوا من شأن العرب ، ولكن الحقيقة ناصعة . يشع نورها ولامفر من الاعتراف بها......

ويقول "جوزيف كملمث" GOSIPH CAMLMITH : فى اللقاءات بين المسلمين والأوربيين . قدم المسلمين عنصر التأثير والإنتاج ، وتلقى العالم المسيحى الأثر والفكر .

ويقول العالم الفرنسى " فوريين" : إن الإجماع يعزو إلى العرب . كل ما كان يبدو خليقاً بالإعجاب والفنون)[٢] .

إن هذه الحقائق التى يشهد بها غربيون . تدفعنى وبقوة إلى القول : إن الغرب اتجه نحو الشرق الإسلامى غازياً ، ثم ما لبث أن جثا على ركبتيه ، بمحض إرادته . متعلماً فى محراب الحضارة الإسلامية . فى مراكزها الثقافية ، التى كانت منارات ـ حساً ومعنى ـ أهْدت للإنسانية كلها العلم والتمدن ، لقد استشرق الغرب ليصنع لنفسه قيمة ، أيام كان هباء منثوراً .

---

[١] ـ د / حسن محمد الشرقاوى ـ المسلمون علماء وحكماء بدون ط ، صـ٢٤٨بتصرف ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .

[٢] د/ أحمد شلبى ـ الموسوعة الإسلامية ـ الفكر الإسلامى منابعه وآثاره صـ٦٢ ، ٦٤ .مرجع سابق .

المبحث الثالث

مراكز الثقافة الإسلامية

المطلب الأول

مراكز الثقافة الإسلامية

كانت دمشق حاضرة الأمويين ، ومقصد طلاب العلم والتجارة والمال ، ومن بعدها كانت بغداد "دار السلام" حاضرة العباسيين وكعبة العلم ، التي طبقت شهرتها الآفاق ، ثم كان من أثر قيام كثير من الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية ، أن نشطت الحركة الفكرية ، وراجت الثقافة ، وزخر بلاط هذه الدول بالعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم ، ومن ثم نرى صدى هذه النهضة المباركة في بلاط كل من السامانيين° والغزنويين°° والبويهيين°°° والحمدانيين°°°° في الشرق ،وفي بلاط

° السامانية : أسرة فارسية انحدرت من عقب رجل يدعى "سامان خداه" - خدا كلمة فارسية معناها "الله" أو رئيس ، كرئيس الدولة و الأسرة و القرية - و سلسلة نسب هذه الأسرة أول أمرائها المستقلين ، كان سامان خداه أمير قرية سامان من أعمال بلخ ، أسلم ، أنجب أربعة : نوح و أحمد و يحيى و إلياس ، كان لهم شأن في تاريخ الخلافة الإسلامية . بتصرف من دائرة المعارف الإسلامية جـ١١ صـ١٦٦ .

°° الغزنوية : دولة إسلامية قامت في منتصف القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي في شمال الهند ، امتدت رقعتها لتشمل خراسان و طخارستان و سجستان و أجزاء من بلاد ما وراء النهر . مدينة الذهب ، أسسها ألب تكين أحد الموالي الأتراك ممن كانوا في خدمة السامانيين ، تنسب إلى عاصمتها غزنة الواقعة على هضبة عالية من قريب من وادي "كابل" تولى حكمها ١٦ ملكا ، من أشهرهم : سبكتكين بن ألب ، و ولده محمود الغزنوي الذي عرف بلقب الغازي لكثرة فتوحاته ، و من أشهر العلماء البارزين فيها الفيلسوف الرياضي المؤرخ أبو الريحان البيروني ٤٤٠هـ=١٠٤٨م انتهت مدتها سنة ٥٨٢هـ=١١٨٦م . عن معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية صـ٣٢٠، ٣٢١ . أ/ مصطفى عبدالكريم الخطيب . مؤسسة الرسالة .

°°° بنو بويه : قوم من الفرس ينتسبون إلى أبي شجاع بويه ، المنتهي نسبه إلى ملوك الساسانيين ، استوزرهم العباسيون فأقاموا لأنفسهم سلطانا قويا في العراق و فارس ضمن إطار الخلافة العباسية بين منتصف القرنين الرابع و الخامس الهجريين = العاشر و الحادي عشر الميلاديين ، أشهر من عرف منهم : عماد الدولة أبو الحسن علي ، انتهى حكمهم على يد طغرلبك السلجوقي سنة ٤٤٧هـ=١٠٥٥م . معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية صـ٨٨، ٩٨ .

°°°° الحمدانيون : بنو حمدان الذين يمثلون الدولة الحمدانية التي قامت في القرن الرابع الهجري و العاشر الميلادي ، و كانت ذات استقلال داخلي في نطاق الولة العباسية ببغداد ، و تنسب إلى حمدان بن حمدون ، من قبيلة تغلب الذي ولاه العباسيون و لكنه حارب الخليفة العباسي " المعتضد " و بسط نفوذه على الموصل و استقل به ، و أصبحت بذلك دولة مستقلة ، و تولى أبناؤه من بعده عليها ، و انقسمت دولتهم إلى قسمين : الموصل و الثانيه : حلب ، و قد انقرضت الأولى عام ٣٨٠هـ=٩٩١م ، و الثانية عام ٣٩٤هـ=١٠٠٣م ، بعد استيلاء الفاطميين عليها . دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ١٤ .

الطولونيين* والإخشيديين** والفاطميين*** في مصر وفي بلاط الأمويين في الأندلس)[١]

والذى يعنينا هنا : الأندلس .. فردوس المسلمين المفقود . جنـر الأمل والنور . في عصر الظلم والظلمات في أوربا : فلقد (انفردت الأندلس بنشر العلم . والتمكين للإسلام به في أوربا . فكانت تستقدم الكتب من الشرق . وتتعالى مآذنها في المساجد . وتتعدد وتتنوع حلق العلم حول أساطينها . في المساجد أو في المدارس للمسلمين والمسيحيين واليهود . من أهل الأندلس أو أوربا . منذ شيد "عبد الرحمن الداخل" **** مسجد قرطبة . وزاد عمارته ابنه هشام . إذ حكم بعده من سنة ١٧١هـ = ٧٨٧ م . فلما ولى بعد هشام ابنه الحكم من ١٨٠ : ٢٠٦ هـ ازداد اهتماماً بالعلم والعلماء فقربهم إليه)[٢].

يقول العلامة " ابن خلدون " عن " الحكم " : (و كان محبا للعلوم . مكرما لأهلها . جماعة للكتب في أنواعها ما لم يجمعها أحد من الملوك قبله . قال " ابن حزم " : أخبرني "بكية الخصي" و كان خزانة العلوم و كتب بدار مروان : أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة و أربعون فهرسة .

---

* الطولونيون . أسرة تركية مستعربية . أقامت دولة إسلامية سنية في مصر ضمن إطار الخلافة العباسية . في الفترة ما بين ٢٣٦هـ =٨٧٩م و ٢٩٩هـ=٩٠٥م . أول ملوكها : أحمد بن طولون ٢٧٠هـ =٨٨٤م الذى كان واليا للخليفة العباسي على مصر . فاستغل انشغاله بقمع ثورة الزنج و أعلن استقلاله بمصر . ثم بعد ذلك ضم إليها سوريا . دام حكمها حوالى ٣٨ سنة . و من أبرز ملوكها بعد مؤسسها خمارويه بن أحمد بن طولون أبو الجيش ٢٨٢هـ=٨٩٦م والد قطر الندى زوج المعتضد العباسي . انتهت بوفاة أحد ملوكها أبو المناقب شيبان بن أحمد سنة ٢٩٢هـ=٩٠٥م . لتعود مصر و سوريا بعد ذلك إلى تبعيتهما للخلافة العباسية : معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية صـ ٣١٠.٣١١ .

** اخشيد لملوك فرغانة . عرفته مصر حينما كانت إمارتها لأبي بكر محمد بن طغج والى العباسيين عليها . و الذى تمكن فيها بعد من تأسيس دولة الأخشيديين مع بداية القرن الرابع الهجرى . اشتملت رقعتها على بلاد مصر و الشام و الحجاز . ثم ما لبثت أن انهارت بقيام الدولة الفاطمية . و دخول جوهر الصقلي إلى مصر سنة ٣٥٨هـ=٩٦٨م . معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية صـ ٢٠ . ٢١ .

*** فاطمية . دولة إسلامية شيعية . أول ظهورها في تونس عام ٢٩٧هـ=٩٠٩م . على يد خليفتها الأول أبو محمد عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر الصدق الملقب بالمهدى . نسبتها الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم . باعتبار أن خلفائها يعتبرون أنفسهم من أولاد الحسن و الحسين ولدى على منها . اتسع نفوذ الدولة الفاطمية على حساب الدولة العباسية . فاشتملت رقعتها على مصر و الشام و اليمن و الحجاز . و كادت لفترة من الوقت أن تسيطر على العراق . و تدخل بغداد . كانت القاهرة عاصمتها بعد المهدية . بلغ عدد خلفائها ١٤ خليفة . من أشهرهم المعز لدين الله أبو تميم معد . الذى فتحت في أيامه مصر و بنيت القاهرة . و من أشهر قادتها جوهر الصقلي الرومي ٣٨١هـ=٩٩٢ م . انتهت مدتها بوفاة الخليفة العاضد أبو محمد عبد الله سنة ٥٦٧هـ=١١٧١م . معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية صـ ٣٣٥ .

(١) د/ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلامي السياسي و الديني و الثقافي والاجتماعي جـ٣ صـ٢٣٢ .

**** عبد الرحمن الأموى الملقب بالداخل و هو أبو المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . كما يعرف بصقر قريش . استولى على الأندلس عام ١٣٨هـ و أقام بيت الخلافة الأموية . و استمر حكمه ٣٣ عاما ، إلى أن توفي عام ١٧٢هـ=٧٨٨م . دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ٤٢٤ .

(٢) المستشار عبد الحليم الجندى ، القرآن و المنهج العلمي المعاصر صـ١٧٤ ، بدون ط ، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م ، دار المعارف ، القاهرة .

الفصل الثالث

مراكز الثقافة الإسلامية

المطلب الأول

مراكز الثقافة الإسلامية

كانت دمشق حاضرة الأمويين، وقصدها طلاب العلم والشعر والمال [illegible] كانت بغداد [illegible] بغداد حاضرة العباسيين وكعبة العلم التي [illegible] أيام كثير من الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية [illegible] أن نشطت الحركة الفكرية، وازدهرت الثقافة، [illegible] بلاط [illegible] الدول بالعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم، [illegible] هذه النهضة المباركة في بلاط كل من السامانيين * والغزنويين ** والبويهيين *** والحمدانيين **** في الشرق، وفي بلاد

---

* السامانية: أسرة فارسية [illegible] الدولة [illegible] [illegible] الأسرة [illegible] [illegible] الخلافة الإسلامية [illegible]

** الغزنوية: دولة إسلامية قامت في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي في [illegible] مؤسسها [illegible] الذهب [illegible] أحد [illegible] الأتراك ممن كانوا في خدمة السامانيين [illegible] عاصمتها غزنة [illegible] على هضبة عالية من قرب [illegible] أول حكامها [illegible] سبكتكين بن ألب [illegible] محمود الغزنوي الذي عرف بلقب الغازي لكثرة فتوحاته، ومن أشهر العلماء [illegible] الفيلسوف الرياضي المؤرخ أبو الريحان البيروني [illegible] ٤٤٠هـ/١٠٤٨م انتهت [illegible] سنة ٥٨٢هـ=١١٨٦م. عن معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص٣٢-٣٣١، أ/ مصطفى عبدالكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة.

*** بنو بويه: قوم من الفرس ينتسبون إلى أبي شجاع بويه، المنتهي نسبه إلى ملوك الساسانيين، استوزرهم العباسيون فأقاموا لأنفسهم سلطانًا قويًا في العراق وفارس ضمن إطار الخلافة العباسية بين منتصف القرنين الرابع والخامس الهجريين = العاشر والحادي عشر الميلاديين، أشهر من عرف منهم عماد الدولة أبو الحسن علي. انتهى حكمهم على يد طغرلبك السلجوقي سنة ٤٤٧هـ=١٠٥٥م. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص٨٨-٩٨.

**** الحمدانيون: بنو حمدان الذين يمثلون الدولة الحمدانية التي قامت في القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي، وكانت ذات استقلال داخلي في نطاق الدولة العباسية ببغداد، وتنسب إلى حمدان بن حمدون، من قبيلة تغلب الذي ولاه العباسيون ولكنه حارب الخليفة العباسي "المعتضد" وبسط نفوذه على الموصل واستقل به، وأصبحت بذلك دولة مستقلة، وتولى أبناؤه من بعده عليها، وانقسمت دولتهم إلى قسمين: الموصل والثانية: حلب، وقد انقرضت الأولى عام ٣٨٠هـ=٩٩١م، والثانية عام ٣٩٤هـ=١٠٠٣م بعد استيلاء الفاطميين عليها. دائرة المعارف الإسلامية للناشئين ص١٤.

في كل فهرسة عشرون ورقة . و ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير . فأقام للعلم و العلماء سلطانا نفقت فيها بضائعه من كل قطر)[١]

(و سار سيرته ابنه "عبد الرحمن الأوسط* " من ٢٠٦هـ : ١٣٨هـ . و اتجهت إليه أوربا ببعوثها الرسمية)[٢] كما كانت صقلية** طوال حكم العرب لها . معبرا لعلوم من الجنوب إلى قلب أوربا . حتى إذا استردها النورمان*** سنة ٤٦٤ هـ = ١٠٧٦م . ظل ملوكها رسلا للعلوم الإسلامية إلى بلدان أوربا . و بقيت اللغة العربية لغة القصر الملكى . و العلماء يفدون عليهم مدعوين إليهم . و من الملوك الإمبراطور " روجير " - روجار **** - الأول ٤٩٠ هـ كان يجيد اللغة العربية و يكتب على وجه عملته " لا إله إلا الله محمد رسول الله " و على الوجه الثانى اسمه)[٣]

و هكذا كانت الأندلس و حواضرها : قرطبة و أشبيلية***** و طليطلة . كما كانت صقلية مراكز ثقافية و جامعات عالمية . بل أرقى جامعات العالم التى تعلم فيها الأوربيون و درسوا علوم الشرق الإسلامى . ووضعوا بعلومهم العربية الإسلامية بذور الحضارة الحديثة .

---

[١] ابن خلدون . كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر فى أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر جـ٤ صـ١٤٦ .

* عبد الرحمن الثانى الملقب بالأوسط . و كان أول من أرسى قواعد البلاط الأموى بالأندلس . و احاط مراسم الخلافة و مظاهر الفخامة . ووضع نظام الفروسية الذى اقتبسته أوربا بعد ذلك . دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ٣٢٤ .

[٢] المستشار عبد الحليم الجندى . القرآن و المنهج العلمى المعاصر صـ١٧٤ .

** صقلية . جزيرة تقع فى جنوب إيطاليا . تمثل اليوم إحدى الوحدات الإدارية الإيطالية . تبلغ مساحتها ٢٥.٧ ألف كم م . عاصمتها بالرموا . سادس المدن الايطالية . القاموس السياسى صـ٧٢٤ . أحمد عطية الله .

*** اسم أطلقه المؤرخون على أهل الشمال " الفايكنج " أى سكان الخلجان لما عرفت به شبه جزيرة اسكندنياوه من كثرة الخلجان . و عرفوا باسم النورمانديين أى سكان الشمال . و هم الغزاة القادمون من جهة البحار الإسكندنافية . فى القرن الثامن الميلادى . احتلوا شواطئ أوربا . ومارسوا التجارة البحرية . و توسطوا بين البيزنطيين و الغرب . اكتشفوا " أيسلاند " فى القرن التاسع الميلادى . انحرفوا إلى أعمال القرصنة و استقروا فى نورماندى . و منها انطلقوا إلى بريطانيا فاحتلوها . أطلق عليهم عرب الأندلس لقب " الأردمان " معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية صـ٤٢٧ .

**** روجار=روجير . ويطلق عليه أيضا "رودجير " و هو قائد نورماندى . استطاع تأسيس مملكة تتكون من صقلية -التى انتزعها من المسلمين سنة ٤٨٣ هـ - و جنوبى إيطاليا . تاريخ الإسلام جـ٤ صـ٢٤٠،٢٤٩ . بتصرف .

[٣] المرجع السابق صـ١٧٩ بتصرف .

***** إشبيلية بالأسبانية savilla و ينسب إليها فيقال إشبيلي .مدينة كبيرة في الأندلس . ترتفع عن سطح البحر ٤٥ قدما . فتحها المسلمون في ربيع عام٩٤هـ=٧١٢م و استعمل عليها القائد المسلم موسى بن نصير عبد العزيز بن موسى بن نصير . و من أعلامها ابن حمديس و ابن هانئ و ابن قزمان و المحدث ابن العربى و صاحب السير أبو بكر بن خير . سقطت هذه المدينة في يد " فرديناند الثالث فى شعبان عام ٦٤٧هـ=١٢٤٨ م . دائرة المعارف الإسلامية جـ٢ صـ٢٠٣،٢٠٤،٢٠٩ . بتصرف .

المطلب الثاني

سفر الأوربيين إلى الأندلس طلبا للعلم

كانت مركز الثقافة الإسلامية مناطق الجاذبية على الأرض . ولم يكن كمثلها - فيما خصها الله به من العلم - مراكز أخرى على ظهر المعمورة . و من ثم لم يكن عجبا أن يسعى إليها الملوك و الأمراء .

وأحب أن أثبت هنا رسالة . لا تحتاج إلا إلى الوقوف في خشوع . و ذرف الدموع على مجدنا التليد وحضارتنا الزاهرة . إنه (خطاب صادر إلى الخليفة "هشام الثالث"* و قد حكم بين سنة ٤١٨ هـ و سنة ٤٢٢ هـ في القرن الحادى عشر للميلاد . و في نصه غنى عن التفصيل في شأن أوربا و أهلها و شأو الأندلس و علومها هذا نصه :" من جورج الثانى ملك إنجلترا و الغال " فرنسا " و النرويج إلى الخليفة " هشام الثالث " بعد التعظيم و التوقير . سمعنا عن الرقي العظيم . الذى تتمتع بفيضه الصافى . معاهد العلم في بلادكم العامرة . فأردنا لبلادنا اقتباس هذه الفضائل . لنشر أضواء العلم في بلادنا . التي يحيطها الجهل من أركانها الأربعة . و قد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة " دوبانت " على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز " من خادمكم المطيع جورج)[1]

إنها بعثة علمية رسمية، أو هي منح دراسية من أرقى جامعات العالم يومئذ ، أو هو استشراق علمي بحت .

لقد اتخذ إقبال الأوربيين على الاستفادة من الحضارة العربية . شكلا علميا منظما . مما يجعله استشراق على أسس علمية ثابتة واضحة . فقد اهتمت الدول الأوربية بإرسال بعثات علمية إلى بلاد الأندلس العربية لدراسة العلوم و الفنون و الصناعات في معاهدها الكبرى . نتيجة ذيوع شهرة الأندلس و حضارتها الزاهرة في انجلترا و فرنسا و هولندا و توسكانا . وهناك أمثلة كثيرة . توضح أن هذا الاستشراق العلمي المنظم نذكر منها البعثات الثلاث : التي قدمت إلى الأندلس . و أولها : بعثة فرنسية برئاسة الأميرة " إليزابيث .ابنة خالة " لويس السادس " ملك فرنسا .

---

* هشام الثالث بن محمد بن عبد ا لله بن عبد الرحمن الثالث أحد ملوك بنى أمية فى الأندلس . دائرة المعارف الإسلامية جـ٢ صـ٦٩١ .

[1] المرجع السابق صـ١٧٧ ، ١٧٨ .

و البعثة الثانية إنجليزية و على رأسها الأميرة " دوبان " ابنة الأمير "جورج صاحب مقاطعة " ويلز "
أما البعثة الثالثة فكانت أسبانية . و بعضها من مقاطعة "سفوا " و " البافر " و " ساكسونيا " و "
الرين " ٢١٣ هـ = ١٢٩٣م " وقد بلغ عدد أفرادها سبعمائة طالب و طالبة .
كما بعث الملك "فيليب البافارى" إلى الخليفة الأموى بالأندلس " هشام الأول* " يسأله السماح له
بإيفاد هيئة تشرف على حالة بلاد الأندلس . و دراسة أنظمتها وشرائعها . وثقافة مختلف الأوساط
فيها . ليتمكن من اقتباس المثمر المفيد من ذلك لبلاده . ووافق الخليفة على طلبه .
كما بعث الملك "الجرمانى" وفداً برئاسة وزيره الأول "ويلميين" وقد لقبه الأندلسيون "وليم الأمين" لأنه
كان أميناً فى نقل ما رآه من حضارة الأندلس وعظمتها إلى الملك . وحثه على الاستمرار فى إنفاذ
البعثات العلمية لإقتباس معالم الحضارة العربية .

وتوالت البعثات على الأندلس . وأرسل ملك إنجلترا "جورج الثانى" ابنة أخيه الأميرة "دوبانت" على
رأس بعثة من ثمانى عشرة فتاة من بنات الأمراء والأعيان إلى أشبيلية . يرافقهن رئيس موظفى القصر
الملكى النبيل"سفليك" .
وقدمت بعثات أخرى من فرنسا وإيطاليا ...وامتلأت بهم معاهد غرناطة وأشبيلية)[1] .
إن هذه البعثات كما نرى كانت جذوراً للاستشراق العلمى المعتدل . الذى كان يقصد الإستفادة من
معطيات الحضارة الإسلامية ، فتأثروا بالعرب . حتى فى عاداتهم الخاصة . وفى بعض المظاهر
الإسلامية يقول الأستاذ " نجيب العقيقى " : (أما الثقافة العربية فيقول البارو القرطبى فى كتابه "
الدليل المنير" وأقبل أهل "مالقة"** على مصنفات المسلمين فى الأدب والفقه والفلسفة . تثقفا
بثقافتها لا للرد عليها ، وبذلوا أموالاً طائلة فى تأسيس مكتباتها ، وينطبق قوله على المستعربين فى
الأندلس قاطبة ، الذين جروا على عادات المسلمين فى نظام الحريم وختن الأولاد وإتقان العربية ونظم

* هشام الأول = الحكم الأول ، خلف أباه عبد الرحمن الداخل -١٧٢-١٨٠ . كان أبوه عهد إليه بالإمارة من بعده . وولاه ماردة . و أعده للحكم . و كان يأنس فيه الحزم و يثق به .، و قد شبهه المقرى بعمر بن عبد العزيز فى عدله و اهتمامه بشئون المسلمين . حتى إنه قرب الفقهاء الذين تمتعوا فى عهده بنفوذ عظيم ، توفى هشام سنة ١٨٠هـ بعد أن حكم سبع سنين و تسعة أشهر .وصفه المقرى قائلا : من أهل الخير و الصلاح . كثير الغزو والجهاد . تاريخ الإسلام السياسى و الدينى و الثقافى جـ ٢ صـ٢٣٣-٢٣٤ - بتصرف

(1) أ د / على حسن الخربوطلى - المستشرقون والتاريخ الإسلامى صـ٣٣ ، ٣٤ بتصرف .

** مالقة أو مالاكا إحدى الولايات التى يتألف منها اتحاد الملايو ... كانت مالقة أهم موانى الملايو حتى نافستها و كانت تقضى عليها سنغافورة إلا أن أهميتها عادت إليها شيئا ما بعد نجاح زراعة المطاط بها .القاموس السياسى أحمد عطية ا لله صـ١١١٢ .

القصائد بها . واستعمال حروفها لكتابة اللاتينية . ثم على الخاصة من النصارى . وقد أثروا أسماء العرب ولغتهم وثقافتهم)[١]

نعم لقد (كان المسيحيون من رجال الدين . وغير رجال الدين يفدون بكامل حريتهم . وهم آمنون من جميع أنحاء أوربا المسيحية . إلى قرطبة أو طليطلة أو أشبيلية طلاباً للعلم أو زائرين أو مسافرين . وقد شكا أحد المسيحيين ...... بعبارات ـ تذكرنا بشكاية العبرانيين القدماء من اصطباغ اليهود بالصبغة اليونانية ـ فيقول : إن إخوانى المسيحيين يعجبون بقصائد العرب وقصصهم . وهم لايدرسون مؤلفات فقهاء المسلمين وفلاسفتهم . ليردوا عليها ويكذبوها . بل ليتعلموا الأساليب العربية الصحيحة الأنيقة . وا حسرتاه إن الشبان المسيحيين . الذين اشتهروا بمواهبهم العقلية . لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة غير علوم العرب ولغتهم . فهم يقبلون فى نهم على دراسة كتب العرب . ويملئون بها مكتباتهم . وينفقون فى سبيل جمعها أموالاً طائلة . وهم أينما كانوا يتغنون بمدح علوم العرب)[٢] .

إن هذا النص بصفة خاصة يلفت انتباهنا إلى وجود تيار شبابى جارف . تأثر بالحضارة الإسلامية وتتلمذ عليها . واصطبغ بصبغتها بعيداً عن الاضغان . التى انطلق من خلالها رجال الدين المسيحى . فى دراستهم للإسلام وفى اقتباسهم من المعارف الإسلامية .

يقول الأستاذ الدكتور " أحمد شلبى " :(ففى أسبانيا وصقلية التحقوا بالجامعات الإسلامية . فى قرطبة وغيرها . وتلقوا من المسلمين صوراً من الفكر فى مختلف المجالات . وأجاد الكثيرون من الطلاب الأوربيين اللغة العربية . واحتفوا بالفكر الذى تلقوه من أساتذتهم المسلمين)[٣] .

لقد كانت الأندلس كعبة العلم للأوربيين و (مرجع المستفيدين منهم . الذين لهم عناية بالعلم . وقد كانوا فى بادىء الأمر قليلين . ثم تكاثروا فى انتشار المعارف بينهم)[٤] .

(وكان طلاب العلم والأحبار من دول أوربا . يفدون على مدار القرون إلى الأندلس . يتعلمون اللغة العربية ليتلقوا بها أعظم علوم العالم المعروف فى ذلك الحين . فى الرياضة من حساب وجبر وهندسة

---

(١) أ/ نجيب العقيقى مرجع سابق جـ١ صـ٨٩ .

(٢) ول ديورانت ـ قصة الحضارة جـ٢ من المجلد الرابع ترجمة محمد بدران صـ٢٩٧ـ الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية .

(٣) د / أحمد شلبى موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ـ الفكر الإسلامى فى منابعه وآثاره صـ٦١ .

(٤) أمين الخولى ـ صلة الإسلام بالمسيحية صـ٣٧ سلسلة الأعمال الكاملة رقم ٩ الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

. وفى الفلك والطبيعة والكيمياء والطب والفلسفة . من تأليف جابر بن حيان* والكندى** والخوارزمى*** والرازي**** وابن سينا***** والبيرونى****** وغيرهم)[1].

(ولم يكن يظهر أى كتاب فى أوربا . إلا وكانت صفحاته ارتوت بينابيع الثقافة العربية والإسلامية . أو على الأقل استوحت منها . وظهرت بصمات الفكر الإسلامى العربى واضحة جلية . الأمر الذى أثر تأثيرا بالغاً فى الإصلاح الدينى فى أوربا . وعجل بقيام حركة النهضة فى أوربا وازدهار العلم فيها)[2]

(وفى احتفال أقامه الطلاب المسلمون بألمانيا الغربية . بمناسبة المولد النبوى الشريف منذ أكثر من نصف قرن قام الدكتور " غريسيب" مدير جامعة " برلين " و رئيس فرع الطب بها قائلا : " أيها الطلاب المسلمون .. والآن قد انعكس الأمر . فنحن الأوربيين يجب أن نؤدى ما علينا تجاهكم . فما هذه العلوم إلا امتداد لعلوم آبائكم . و شرح لمعارفهم و نظرياتهم . فلا تنسوا ... تاريخكم و عليكم العمل المتواصل لتعيدوا مجدكم الغابر . ما دام كتابكم المقدس عنوان نهضتكم ما يزال موجودا بينكم . و تعاليم نبيكم محفوظ عندكم . فارجعوا إلى الماضى . لتؤسسوا للمستقبل . ففى قرآنكم علم و ثقافة و نور و معرفة

---

* جابر بن حيان : هو أبو موسى جابر ابن حيان الأزدى ، صاحب كيمياء عربى مشهور . عرف عند نصارى القرون الوسطى باسم جبر Geber و نسبته الطوسى أحيانا و الطرطوسى أحيانا . و هناك جابر بن حيان الأزدى الكوفى . دائرة المعارف الإسلامية جـ٦ صـ٢٢٩ . ٢٢٨ . بتصرف .

** الكندى ٧٩٦ هـ فيلسوف عربى . غنى بدراسة الطب و الفلك و الهندسة و الموسيقى أيضا .المورد صـ٦ .

*** الخوارزمى ٧٨٠-٨٥٠ هـ أبو عبد ا لله محمد بن أحمد بن يوسف . أقدم من ألف كتابا موسوعيا هو " مفاتيح العلوم " و غتبر واضع علم الجبر . ترجمت كتبه إلى اللاتينية . دائرة المعارف الإسلامية جـ٩ صـ١٧ ، تراجم أعلام المورد صـ٦ .

**** أبو بكر الرازى ٨٦٥-٩٢٥هـ أعظم أطباء العرب . صاحب كتاب الحاوى و رسالة الجدرى و ا لحصبة . المورد صـ٦ .

***** ابن سينا أبو على الحسين بن عبدا لله الشيخ الرئيس . إمام العلوم كلها . ولد ابن سينا بأفشنة عام ٣٧٠هـ و اتفق مع أسرته إلى بخارى عام ٣٧٥هـ و أتم دراسة اللغة و الأدب و هو فى سن العاشرة . ثم انتقل إلى كركانج عام ٣٩٢هـ و منها إلى جرجان عام ١٤٠٣هـ . و من مؤلفاته دائرة معارفه الفلسفية ، كتاب الشفاء ،و القانون فى الطب و الذى ظل مرجعا فى جامعات أوربا حتى القرن الثامن عشر . دائرة المعارف الإسلامية جـ١ صـ٢٠٣ . ٢٠٥ .

****** البيرونى ، أبو الريحانمحمد بن أحمد مؤلف عربى من أصل فارسى ، ولد فى ذى الحجة عام ٣٦٢هـ سبتمبر عام ٩٧٣ م . درس الرياضيات و الفلك و الطب و التقاويم و التاريخ و كانت بينه و بين ابن سينا مراسلة ، و من أهم كتبه : الآثار الباقية عن القرون الخالية "نشره "إدوارد سخاو ١٨٧٨م و هو بالألمانية ، و له كتاب " تاريخ الهند " نشره فى لندن " إدوارد سخاو ١٨٨٧م . توفى عام ٤٤٨هـ=١٠٤٨م . دائرة المعارف الإسلامية جـ٤ صـ٣٩٧،٣٩٨ .

[1] المستشار عبد الحليم الجندى ، القرآن و المنهج العلمى المعاصر صـ١٧٦ .

[2] د / حسن محمد الشرقاوى ـ المسلمون علماء وحكماء صـ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

و سلام عليكم يا طلابنا – اليوم – و إن كنا بالأمس طلابكم)[١]

إن هذه الروح العلمية الرشيدة . هي التي نفقدها في كتابات المستشرقين المغرضين . و لابد لكل منصف أن يتقدم إلى هذا الأستاذ الدكتور بأسمى آيات التقدير و الاحترام لنزاهته و موضوعيته و اعترافه لأهل الفضل بفضلهم .

(و في عام ١٩٥٣م انعقد بواشطن مؤتمر كان موضوعه " أثر الإسلام الثقافي في المسيحية " و قد ألقى الأستاذ الدكتور " كويلونج " أستاذ العلاقات الأجنبية بجامعة " برنستون " و رئيس قسم اللغات الشرقية بها محاضرة في ذلك المؤتمر جاء فيها :" و بعد فهذا عرض تاريخي موجز . قصد به التذكير بالدين.. الثقافي . الذى ندين به للإسلام منذ أن كنا – نحن المسيحيين – داخل هذه الألف السنة . نسافر إلى العواصم الإسلامية . و إلى المعلمين ندرس عليهم العلوم و الفنون و فلسفة الحياة الإنسانية . و لن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدينا ما علينا بربحه . و لكن سنكون مسيحيين حقا . إذا نحن تناسينا شروط التبادل و أعطينا عن حب و اعتراف بالجميل)[٢]

إن الدكتور " غريسيب " يعترف بقيام الحضارة الحديثة على أسس الحضارة الإسلامية . و يدعونا إلى العمل في ظل القرآن لاستعادة مجدنا الغابر .

و الأستاذ الدكتور " كويلويونج " يعترف كذلك بفضل الإسلام . و علماء الإسلام . و عواصم الإسلام عليهم و يدعو الغرب إلى سداد الدين بربحه . و الإعطاء عن حب و اعتراف بالجميل . و لعمري ما هذا إلا رقي الإنسانية الرشيدة . التي تنطلق إلى الحق و تعترف به . و لا تعبأ بأوهام المبطلين .

و تلك هي الروح التي ينبغي أن تتوافر في كل باحث عن الحقيقية .

---

[١] د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني . أوربا في مواجهة الإسلام الوسائل و الأهداف صـ٣ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م مكتبة وهبة القاهرة .

[٢] المرجع السابق صـ ٣٥ ، ٣٦ .

المبحث الرابع

الروح العلمية فى كتابات المستشرقين

المطلب الأول

اعتراف المستشرقين بتتلمذهم على حضارة الإسلام

ذلك أمر أظهر من الشمس فى كبد السماء . و حقيقة لا تحتاج إلا لصفاء النية . و سلامة الطوية لتكشف عنها فى جلاء ووضوح . إن الشائع بين الناس أن المنهج التجريبى . الذى كان و لا يزال أساس الاكتشافات و الاختراعات الحديثة ينسب إلى " روجر بيكون – باكون– " العالم الإنجليزى . والحق الذى شهد به المنصفون – و شهد به " روجر بيكون " نفسه . أن المنهج التجريبى من الأطروحات الأصيلة لعلماء المسلمين . يقول العالم " بريفانت " : تعلم " روجر بيكون " علوم العرب لذلك لا يحق له أو لأحد سواه أن يدعى أن " بيكون " هو مؤسس المنهج التجريبى . فلم يكن " بيكون " سوى مقلد و داع إلى اكتساب العلوم الإسلامية فى أوربا المسيحية)[1] .

(ويقول "سديو " كان استخراج المجهول من المعلوم و التدقيق فى الحوادث – تدقيقا مؤديا إلى استنباط العلل من المعلولات . و عدم التسليم بشئ إلا بعد التجربة – مبادئ قال بها العرب فى القرن التاسع الميلادى = الثالث الهجرى . دعاة هذا المنهاج المفيد الذى استعان به علماء القرون الحديثة . بعد زمن طويل للوصول إلى أروع الاكتشافات ...

ويتحدث " روبير بريفو " فيقول : إنه لا ينسب إلى " روجر بيكون* " ١٢٩٤ م و لا إلى سميّه " فرنسيس بيكون** " فى الحقيقة أى فضل فى اكتشاف المنهج التجريبى فى أوربا . و لم يكن " روجر بيكون " فى الحقيقة إلا واحدا من رسل العلم الإسلامى إلى أوربا المسيحية . ولم يكُفَّ " روجر بيكون " عن القول بأن معرفة العرب و علمهم ، هما الطريق الوحيد للمعرفة . ولقد انتشر منهج

---

(1) المرجع السابق ٢٧٣.

* روجر بيكون "١٢١٤-١٢٩٢م " إنجليزى تلقى العلم فى أكسفورد ، و باريس ، نال الدكتوراه في اللاهوت ، و درس الطب ، انضم إلى الرهبانية الفرنسيسكانية ١٢٥٥م و لكنه فصل من التدريس لتعرضه للرهبان .دعا بيكون إلى تشجيع تدريس اللغات الشرقية فى جامعات أوربا لأغراض علمية صرف .لقب بدكتور المعجزات ، حيث اخترع المجهر ،و وضع قاعدة لصنع المتفجرات ، و تنبأ بالطيران .المستشرقون جـ١ صـ١٢٠ .

** فرنسيس بيكون " ١٥٦١– ١٦٢٦ " سياسى و فيلسوف إنكليزى ، يُعتبر أحد رواد العلم التجريبى الحديث . تراجم أعلام المورد صـ١٠ .

العرب التجريبي في عصر " بيكون " و تعلمه الناس في أوروبا تحدُوهم إلى هذا . رغبة ملحة . إنه ليس هناك وجهة نظر من وجهات العلم الأوربي لم يكن للثقافة الإسلامية عليها تأثير أساسي . و إن أهم أثر للثقافة الإسلامية هو تأثيرها في العلم الطبيعي و الروح العلمي . و هما القوتان المميزتان للعلم الحديث ....

ويقول " روبير بريفو " إن ما يدين به علمنا للعرب . ليس ما قدموه من اكتشاف نظريات مبتسرة غير ساكنة . إن العلم مدين للثقافة الإسلامية بأكثر من هذا . فقد أبدع اليونان المذاهب . و عمموا الأحكام لكنّ طرق البحث . وجمع المعرفة الوضعية . و تركيزها . و مناهج العلم الدقيقة .
و الملاحظة المفصلة العميقة . و البحث التجريبي . كلها كانت غريبة على المزاج اليوناني . إن ما ندعوه بالعلم ظهر في أوربا نتيجة لروح جديدة في البحث . و لطرق جديدة في الاستقصاء . طريقة التجربة و الملاحظة و القياس . و لتطور الرياضيات بصورة لم يعرفها اليونان . و هذه الروح . و هذه المناهج أدخلها العرب إلى العالم الأوربي)[1] .

(وقال العلامة " كاربنسكي* " : إن الخدمات التي أداها العرب للعلوم . لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين . و إن الأبحاث الحديثة ، قد دلت على عظم دَيْننا للعلماء المسلمين . الذين نشروا العلم بينما كانت أوربا في ظلمات القرون الوسطى ....
وقال العلامة " دريبر " المدرس بجامعة " هارفارد " بأمريكا في كتابه " المنازعة بين العلم و الدين " إن اشتغال المسلمين بالعلم . يتصل بأول عهدهم باحتلال الإسكندرية سنة ٦٣٨م . أي بعد موت محمد " صلى الله عليه وسلم " بست سنوات ، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان . حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية . و قدروها حق قدرها ....

فإنهم قد رقُّوا العلوم تَرْقِيَةً كبيرة جدا . و أوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم ...
ويقول في موطن آخر : إن جامعات المسلمين . كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين . الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم ، و كان ملوك أوربا و أمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها .

---

[1] المستشار / عبد الحليم الجندى – القرآن و المنهج العلمي المعاصر صـ٢٣٣ : ٢٣٦ بتصرف .

* كاربنسكي ، ل . أمريكي ولد عام ١٨٧٨م تخرج من جامعات كورنل ، و ستراسبورج ، و كلية المعلمين بنيويورك و غيرها ، و عين أستاذا للرياضيا في جامعة ميتشجان ، و أستاذا زائرا في عدة جامعات منها : الجامعة الأمريكية في القاهرة . من آثاره : كتاب الجبر و المقابلة للخوارزمي . و جبر أبي الكامل شجاع بن أسلم . العقيقي جـ٣ صـ١٤١ .

و قال العلامة " سديو " في كتابه " تاريخ العرب " : كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم و الفلسفة و الفنون . و قد نشروها أينما حلت أقدامهم . و تسربت عنهم إلى أوربا . فكانوا هم سببا لنهضتها و ارتقائها ...

وقال " دريبر " : أول مدرسة أنشئت للطب في أوربا . هي المدرسة التي أسسها العرب في " بالرم " من إيطاليا . و أول مرصد أقيم فيها . هو ما أقامه المسلمون في " أشبيلية " بأسبانيا)[1] .

أو ليست هذه النقول التي أسلفتُ . أعظم دليل على ذلك التيار الاستشراقي العلمي . الذي يزن الأمور بموضوعية . ليصل من خلال ذلك إلى الحق . أينما كان هذا الحق . و أيما كان أهل هذا الحق ؟ إن هذه الروح العلمية النزيهة التي تعترف بأصالة الحضارة الإسلامية و أستاذيتها للعالم الأوربي لا بد و أن تُحترم فنحن أمة تقول للمحسن : أحسنتَ و تقول للمسئ : أسأتَ .

المطلب الثاني

الاعتراف بعظمة القرآن

لقد وقفت معجبا و متعجبا . أمام كتاب أحد المستشرقين . معجبا بالجهد الخارق لذلك المستشرق . و متعجبا من صبره و دأبه و تدقيقه في إخراج هذا الكتاب . إنه كتاب " تفصيل آيات القرآن الحكيم لمؤلفه الأستاذ " جول لابوم " الفرنسي (عمد فيه إلى وضع جميع الآيات : التي نزلت عن موضوع واحد في فصل على حدته . وقد رد آياته إلى أصلها القرآني الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي . فجاء هذا العمل من خير الأعمال . و أجداها على الكُتّاب و المؤلفين و البحّاثين ...

قال الأستاذ / أحمد يوسف عن هذا الكتاب " فهو كتاب جليل ، لجلالة موضوعه و هو القرآن الكريم و جليل لسمو الفكرة منه وهي : سرعة استنباط أحكام الشريعة و مبادئ الدين و الاجتماع . وجليل للفائدة التي يجتنيها منه الباحثون في الدين الحنيف . و الذين يريدون الاستشهاد بآي الذكر الحكيم على ما هم بسبيله من آراء و أغراض . جليل بما بذل في إعداده من جهود المستشرق . و جهود المعرّب و جهود الطابع و الناشر ، جليل في كل شئ حتى حجمه)[2] .

---

[1] أ/عبد الحفيظ حسين حسن " العلم و الحضارة في الإسلام صـ٦٩ ، ٧١ بتصرف . بلسلة كتب إسلامية العدد ١١٢ . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[2] جون لابوم , تفصيل آيات القرآن الحكيم و يليه المستدرك لإداورد مونتيه صـ٥ بتصرف . بدون ط ، بدون ت ، دار الكتاب العربي . بيروت لبنان .

لم يكن عمل " جون لابوم " في كتابه مجرد تجميع آيات مع آيات . بل تعدى ذلك إلى الفهم الدقيق لمعاني الآيات القرآنية . و الوقوف على مراميها . حتى يتمكن من وضع العنوان المناسب لموضوع كل آية .

و الثناء على المؤلف في هذا العمل . لأنه عمل عملا موضوعيا . لم يدخل في مقدمته ما يشوه هذا العمل من سموم الاستشراق . التي درج على نفثها كثير من المستشرقين في بداية أعمالهم . التي يتعرضون فيها للدراسات الإسلامية . و من أمثلة ذلك المقدمة . التي كتبها المستشرق الفرنسي " سفاري " في بداية ترجمته للقرآن الكريم . و قد حشاها بكل ما لا يوصف إلا بالخروج على الموضوعية . و مقتضيات البحث العلمي النزيه .

و من الجهود العلمية . التي توضع بحق في صدارة الأعمال الاستشراقية الموضوعية . عمل قامت به المستشرقة الروسية "كراتشكوفسكي * " (كتب الأستاذ " أمين الخولي " بعد تمثيله الجمهورية العربية المتحدة . في مؤتمر المستشرقين الدولي الخامس و العشرين : قدمت السيدة " كراتشكوفسكي " بحثا عن نوادر مخطوطات القرآن الكريم في القرن السادس عشر الميلادي . و إني أشك في أن الكثيرين من أئمة المسلمين يعرفون شيئا عن هذه المخطوطات . وأظن أن هذه مسألة لا يمكن التساهل في تقديرها)[1] .

إن للعمل الاستشراقي دلائله و علاماته ، التي تدل عليه . و هو أن يعرض المستشرق المسألة التي يتعرض لها عرضا أمينا . حسب ما كتب فيها أئمة المسلمين . طالما أنه يريد أن يعرض وجهة نظر المسلمين عن دينهم . فهم أولى من يتحدث عن هذا الدين . و أن لا يقدم لعلمه بما يشوهه من سوء القصد أو الافتراءات التي أملتها خلفية فكرية موروثة . ثم نحن بعد ذلك نرحب بالنقد القائم على أصوله العلمية . إن كان ثمة مجال للنقد . و إن كان ذلك يدخل فيما يمكن أن يكون من سوء الفهم . أو تلبيسات الشيطان التي تقع للمسلمين و غيرهم على سواء .

---

* كراتشكوفسكايا ، فيرا ولدت عام ١٨٨٤م زوجه العلامة الروسي كراتشكوفسكي ، حبيرة بالكتابات و النقوش الإسلامية ، و قد أصدرت مجلة الكتابات الشرقية ١٩٤٧م ، من آثارها : شواهد قبور عربية من القرون الأولى للهجرة .... و نوادر مخطوطات القرآن من القرن السادس عشر ، و مخطوطات فريد للقرآن من القرن ١٤ . العقيقي جـ٣ صـ١٩ .

[1] أ/ نجيب العقيقي : المستشرقون . جـ٣ صـ ٥٩٨ .

و هذا كتاب آخر للدكتور " موريس بوكاي* " يقول عنه مترجمه الشيخ "حسن خالد" المفتي السابق للبنان :

(و عندما اطلعنا على الكتاب . الذى تقدمه اليوم إلى قُرَّاء العربية .و هو كتاب " التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم الحديث " ... رأيناها سانحة مباركة . يمكن فيها إبراز اتجاه فكرى مجرد . استُلبت منه أخلاط الهوى النفسي و الانفعال الذاتي . ففي هذا الكتاب دراسة موضوعية مجردة من شخص يدين بالمسيحية . تمثل صورة قيمة لجهد عظيم فى البحث عن هذه الحقيقة . فى أحد مجالاتها و هو مجال الكتب السماوية الثلاثة . و بدى ما ترتكز إليه من الحق . فى ضوء العقل و العلم الحديث . و لقد عمدنا إلى ترجمة هذا الكتاب ...

تقديرا منا لاتجاه الكاتب . الذى تغلب على هوى النفس و نزوعها . و أقدم على الكتابة بموضوعية و تجرد فى موضوع ديني خطير . يمسُّ عقيدته و أصوله الدينية . من خلال قناعات فكرية مرتكزة إلى معطيات علمية حديثة ....

ويقول الدكتور " موريس بوكاي " فى ثنايا الكتاب :" إن لأصالة نص القرآن الكريم مكانة منفردة بين كتب الوحي . لا ينازعه فيها العهد القديم و لا الجديد . فقد سبق و راجعنا فى الجزأين الأولين من هذا الكتاب التعديلات التى طرأت على العهد القديم و الأناجيل . قبل أن تصلنا على ما هى عليه . أما القرآن . فليس الأمر بالنسبة إليه كذلك . لأنه دُوِّن فى عهد الرسول بالذات)[1].

إن هذه الحقيقة التى أثبتها الدكتور " بوكاي " أنكرها كثيرون . ممن جهدوا فى إثبات رد القرآن إلى أصول يهودية و مسيحية ، و آخرون اتخذوا من تدوين القرآن الكريم بابا واسعا للطعن فيه . و إطلاق العنان للأذهان الملتاثة بالبغض للإسلام لتتخيل كيف تشاء . بل و آخرون من أبناء المسلمين الذين تبعوا ساداتهم من المستشرقين المغرضين . فادعوا هم بدورهم أن القرآن ما هو إلا كتاب بلاغة يسرى عليه ما يسرى على كتب الأدب . من إمكان النقد و التعديل و غيره . مما يمكن أن يعترى الأعمال البشرية .

---

* الأستاذ الكاتب الكبير الفرنسي موريس بوكاي ، له مؤلفات قيمة مفيدة ، منها التوراة والإنجيل و القرآن و العلم الحديث . و كتاب ما أصل الإنسان

[1] د/ موريس بوكاي . التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم . ترجمة الشيخ / حسن خالد صـ١٥٧،١٠ . بتصرف الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م المكتب الإسلامي ، بيروت

و لكننا نعود مرة أخرى لنستروح فى ظلال كلمة حق لأحد المنصفين و هو الفيلسوف الفرنسى " ألكسى لوازون " و الذى يقول : " خلف محمد للعالم كتابا . هو آية فى البلاغة . و سجلٌ للأخلاق و كتاب مقدس . و ليس من المسائل العلمية المكتشفة حديثا أو المكتشفات الحديثة . مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية . فالانسجام تام بين تعاليم القرآن و القوانين الطبيعية)" [1] .

و تقول الدكتورة / لورا فيشيا فاغليرى * " : (إن معجزة الإسلام العظمى هى القرآن . الذى تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة من خلاله . أنباء تتصف بيقين مطلق . إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته . إن كلا من تعبيراته شامل جامع . و مع ذلك فهو ذو حجم مناسب . ليس بالطويل أكثر مما ينبغى و ليس بالقصير أكثر مما ينبغى . أما أسلوبه فأصيل فريد . و ليس ثمّة أيما نمط لهذا الأسلوب فى الأدب العربى . الذى تحدّر إلينا من العصور التى سبقته . و الأثر الذى يُحدثه فى النفس البشرية إنما يتم من غير أيما عون عرضى أو إضافى . من خلال سموه السّليقى .

إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة . حتى عندما تعالج موضوعات لا بد أن تؤثر فى نفسها و جرسها . كموضوع الوصايا و النواهى و ما إليها . إنه يكرر قصص الأنبياء . و أوصاف بدء العالم و نهايته و صفات الله و تفسيرها . ولكنه لا يكررها على نحو مثير إلى درجة لا تضعف من أثرها . وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع . من غير أن يفقد قوته . إننا نقع هنا على العمق و العذوبة معا . و هذا صفتان لا تجتمعان عادة . حيث تجد كل صورة بلاغية تطبيقا كاملا . فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد . و هو العربى الأمى . الذى لم ينظم طوال حياته غير بيتين أو ثلاثة أبيات . لا ينمُ أى منهما على أدنى موهبة شعرية)[2]

---

[1] أ/ عبد الحفيظ حسين حسن – العلم و الحضارة فى الإسلام ص٦٩ ، مرجع سابق .

* فيشيا فاغليرى . بحُاثة : انصرفت إلى التاريخ الإسلامى قديما و حديثا ، و إلى فقه العربية و آدابها . و من آثارها : رحلة حاج عبر ليبيا فى القرن السابع عشر . و نبذ عن ابن مسعود ، و تقاليد رمضان فى متعدد البلدان الإسلامية ، و لها كتاب دفاع عن الإسلام . المعقيقى جـ١ صـ٤٦٦ .

[2] لورافيشيا فاغليرى – دفاع عن الإسلام ترجمة منير البعلبكى صـ٥٦ ، ٥٧ الطبعة الأولى ١٩٦٠ م دار العلم للملايين – بيروت .

إن الله يدفع عن هذا الدين . ويقيض لهذا الدفاع جنـودا . مـن حيـث لا يحتسـب المسـلمون . و لا يسع المسلم الغيور على دينه . إلا أن يحنى الرأس إجلالا لهذه الروح العلمية الخالصة . التي تقدمت بها هذا السيدة . التي أنصفت . حيث أجحف أشباه الرجال من أبناء المسلمين .

و لا يقف الإنصاف و التبجيل للقرآن . عند هذا الحد بـل إن الدكتـورة " فاغلـيرى " تصفـه كعـلاج ناجع لعلل المسلمين . و تعتبره شرطا لاستعادة المسلمين مجدهم حيث تقول :

" فإلى الكتاب العزيز الذى لم يحرفه قط . لا أصدقاؤه و لا أعداؤه . لا المثقفون و لا الأميـون . ذلك الكتاب الذى لا يبليه الزمان . و الذى لا يزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله بـه إلى الرسـول الأمـي البسيط آخر الأنبياء حملة الشرائع . إلى هذا المصدر الصافي دون غيره . سوف يرجع المسـلمون حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس . فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب ")[1] .

و نختم بقول المؤرخ الكبير " جوستاف لوبون* " عن القرآن الكريم :(حسْبُ هـذا الكتـاب جـلالا و مجدا أن الأربعة عشر قرنا التي مرت عليه . لم تستطع أن تجفف و لـو بعـض الشـئ مـن أسلوبه . الذى لا يزال غضا كأن عهده و عهد رسالته بالوجود أمس)[2]

إن هذا التيار المعتدل المنصف ، حتى و إن كان من بـين أفـراده . مـن خلطـوا إجحافا بإنصـاف . و اعترافا بجحود . إلا أنه علينا أن نشـجع هـذا التيـار ، الـذى هـو بحـق بغيـة المسـلمين فـى مجـال الدراسات الغربية للإسلام .

---

[1] المرجع السابق صـ١٤ .

* جوستاف لوبون المولود عام ١٨٤١هـ ، فرنسى طبيب و مؤرخ عُنى بالحضارة الشرقية ، من آثاره : الحضارة الإسلام تعريب الأستاذ صادق ريتم و حضارة العرب ١٨٨٤م ، و عرّبه الأستاذ عادل زعيتر . العقيقى جـ١ صـ٤١ .

[2] مهندس /زكريا هاشم – المستشرقون و الإسلام .صـ٢٧١ ، ١٧٣ . مرجع سابق .

المطلب الثالث

اعتدال المستشرقين فى موقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم و دين الإسلام

(لقد بدأ اهتمام المستشرقين بالكتابة عن حياة محمد – ﷺ – اعتبارا من القرن السابع عشر بعد أن كانت الكتابات السابقة فى هذا المجال ، كتابات جدلية كنسية ، تعبر عن اتجـاه الكنيسة المعادى بطبيعة الحال للإسلام ، و لكن هدف المستشرقين الواضح و المعلن حينذاك ، لم يكن أيضا هدفا علميا بل كان محاربة الإسلام و الدفاع عن المسيحية .

و من أجل هذا الغرض وجد المستشرقون ، أن أفضل وسيلة لمحاربة محمد تتمثل فـى معرفتـه ، ومـن هنا كان لا بد من الاطلاع على القرآن ، و محاولة فهمه ، و قد اشتملت المؤلفات فى ذلك الوقت على أكثر الأساطير مدعاة للسخرية ، و أكثر المزاعم و الشتائم وقاحة ، و ذلك جنبا إلى جنب مع ذكر وقائع و حقائق تاريخية ، و كذلك ترجمات من القرآن الكريم ، و لعل " بولانفلييه " كان أول من تجرأ فى وسط هذا الجو القائم ، على وصف محمد صلى الله عليه وسلم بأوصاف إيجابيـة ، إذ قال عنه أنه أداة الله ، التى قضى بها على العبادة الباطلة ، و أحل محلها العبادة الحقة .

أما عصر التنوير فى أوربا ، فقد مجّد "محمداً" ﷺ بصفة عامة ، ففى عصر التنوير الفرنسـى ، احتـل محمد عليـه الصلاة و السلام ، مكان الصدارة فى اهتمامات المثقفين ، و كان موضوع أحاديث الصالونات ، فى ذلك العصر لأن " فولتير " قد وصفه بأنه رجل عظيم ، جمع فى شخصه بين الفاتح و المشرع و الحاكم و الواعظ ، و لعب أعظم الأدوار ، التى يمكن أن يقوم بها إنسان على ظهر الأرض

وقد قال " كارليل * " : بحق : " إن الأكاذيب التى عمل على تراكمهـا ، الحماس المنبعث بحسن نية حول محمد لا تسُبُّ أحدا غيرنا "

و فى القرن التاسع عشر ، بدأ عصر المؤلفات الاستشراقية ، التى توصف بأنها مؤلفات تاريخية نقدية فى السيرة ، و كان " جوستاف فايل " أول من قام بمحاولة فى هذا الصـدد ، و اعتمد على مصادر عربية

* توماس كارليل "١٧٩٥-١٨٨١م " من آثاره : الأبطال ١٨٤٠م ، و قد عقد فيه فصلا رائعا عن النبى ﷺ فنقله إلى العربيه غير واحد من الكتاب و الأدباء ، منهم أ/ مصطفى السباعى ، و أ/على أدهم .المعتيقى جـ٢ صـ٥٣ .

و راح يبحثها بحثا نقديا . وقام بجمع كل المؤلفات الأوربية حول السيرة . و لكن النزعات أو الميول الأساسية الأوربية إزاء محمد ﷺ ظلت قائمة تتخللها مختلف الظلال و الألوان .

و بجانب " شبرنجر * " الذى كان ينتهز كل مناسبة لتصوير أخلاق محمد – صلى الله عليه وسلم– تصويرا سيئا ... كان هناك مستشرقون آخرون معتدلون نسبيا مثل " نولدكه ** " الذى كان يسعى إلى " موضوعية هادئة " و يقول " نولدكه " إن محمدا كان على اقتناع بمهمته لإنقاذ إخوانه فى الإنسانية من العذاب الأبدى بهدايتهم إلى العقيدة الصحيحة . و لكى يجعلهم مشاركين فى السعادة السماوية)[١] .

و هذا النقل الذى أسلفته لا ينفى أبدا الجذور الأولى للاستشراق العلمى . بمعنى التلمذة على أيدى و علوم المسلمين . و لا ينفى ما تمخض عن هذا من اصطباغ هؤلاء بالحضارة الإسلامية و مظاهرها . و إشادتهم بها . و الذى يجب أن نثبته هنا أيضا أن هؤلاء المستشرقين ﴿ خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا ﴾ التوبة ١٠٢ فتجد المستشرق يمدح و يذم فى آن واحد . و ينصف و يجحف . ولست أرى الإنصاف إلا أثرا الدراسة الموضوعية . وليس الإجحاف إلا نتاج الخلفيات الفكرية الموروثة عن الإسلام و نبيه . والحق أن الله سبحانه وتعالى . جعل كثيراً من هؤلاء المستشرقين ستاراً لقدرته . فرسم بأيديهم صورة المثل الأعلى متمثلا فى شخصية النبى صلى الله عليه وسلم .

ففى الوقت الذى يشيد المستشرقون بعبقرية محمد و ينكرون نبوته . نجد مثلا " رودى بارت * " يثبت هذه النبوة قائلا :(لم يكن محمد برسالته واضعا أمام عينيه أهدافا أنانية قَبَلِيَّة كانت أو عائلية . و قد جعل محمد من نفسه داعية إلى معرفة الله معرفة توحيدية صافية . و دعا إلى أخلاق دينية

---

* شبرتجر ـ ألويس "١٨١٨–١٨٩٣م" ولد فى ألتيرول ، و تعلم فى إنسبروك و فيينا و باريس . و رحل إلى لندن . و تجنس بالجنسية البريطانية ١٨٣٨م و نال الدكتوراة فى الطب من ليدن ١٨٤١م ، و من آثاره أصول الطب العربى على عهد الخلفاء و هى رسالته للدكتوراه. العقيقى جـ٢ صـ٢٧٧

** نولدكه ، ث "١٨٣٦–١٩٣٠م" ألمانى ولد فى هامبورج ، التى أطلق اسمه على أحد شوارعها . تعلم اللغة السامية و الفارسية و التركية و السنسكريتية ...نال كتوراه ١٨٥٦م ، من آثاره : أصل و تركيب سور القرآن ، و هو رسالته ١٨٥٦م .العقيقى جـ٢ صـ٣٧٩ . و يلاحظ أن نولدكه هذا له أيضا زلات و سقطات ، و سوف يأتى ذكرها فى موازين البحث عند المستشرقين . الباحث .

(١) د/ محمود حمدى زقزوق – الإسلام فى تصورات الغرب صـ١٣٠ ، ١٣١ بتصرف – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م مكتبة وهبة – القاهرة .

* رودى بارت : مستشرق ألمانى ، من مؤلفاته "الدراسات العربية و الدراسات الإسلامية فى الجامعات الألمانية"

حقيقيه " . و كان لا بد له بالضرورة أن يتجاوز إطار معرفة الكهانة المعتادة . و هكذا كان أبعد كثيرا من أن يكون كواحد من أرباب الفراسة أو العرافين أو السحرة . و لكي نعبر عن هذه الحقيقة في شكل تناقض نقول

: لقد كان محمد قبل أن يعرف شيئا على الإطلاق عن النبوة . قد بدأ من وجهة نظر موضوعية في أن يكون نبيا)[١] .

و قد سأل الشيخ " عبد الوهاب النجار " مؤلف كتاب " قصص الأنبياء " الدكتور " كارل نلينو " المستشرق الإيطالي عن كلمة " بيركليتوس " الواردة في الأناجيل فأجابه بقوله " إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها " المعزى " فقال له : إني أسأل الدكتور " كارلو نلينو " الحاصل على الدكتوراه في آداب اليونانية القديمة ، و لست أسأل قسيسا . فقال " إن معناها : الذي له حمد كثير . فسأله أيضا . هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من " حَمَدَ " ؟ فقال : نعم .)[٢] أي أحمد .و ذلك في قول الله تعالى : ﴿ و مبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ الصف ٦ .

(و يقول الأنبا أثناسيوس " إن لفظ بارقليط . إذا حرف نطقه قليلا يصير بيريكليت . و معناه الحمد أو الشكر . و هو قريب من لفظ أحمد)[٣] .

و هي دراسات منصفة ، و آراء معتدلة موضوعية بصرف النظر عن الخلفية العقدية التي يدين بها الباحث .

و يقول " رودي بارت " عن أهداف تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم :(لقد كان الهدف هو إيقاظ الناس مما كانوا فيه من فراغ فكري ، و اعتداد ساذج بالذات . و هدايتهم إلى اتجاه ديني حقا و جديد تماما .... إن المرء ليتجنى على النبي بادعاء أنه كان وفيا لرسالته الدينية أثناء إقامته بمكة فقط . و أنه قد أصبح في المدينة رجل دولة ورجل سياسة لا يعترف بغير القوة)[٤]

و المستشرق " رودي بارت " يخبرنا بمنهجية الاستشراق المعتدل في دراسته للإسلام ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر فيقول :(فنحن معشر المستشرقين عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم

---

[١] د/ محمود حمدي زقزوق – الإسلام في مرآة الفكر الغربي صـ٩١ ، ٩٢ بتصرف الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م الفكر العربي القاهرة .

[٢] أ/ سعيد حوى ، الرسول ﷺ صـ٤٩٢ . مرجع سابق .

[٣] د/ أحمد حجازي السقا ، الله و صفاته في اليهودية و النصرانية و الإسلام صـ٧٧ .الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ =١٩٧٨م . دار النهضة العربية ، القاهرة .

[٤] المرجع السابق صـ٩١ .

العربية و العلوم الإسلامية . لا نقوم بها قط لكى نبرهن على ضعة العالم الإسلامى . بل على العكس نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم . الذى يمثله الإسلام و مظاهره المختلفة . و الذى عبر عنه الأدب العربى كتابة . و نحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شئ ترويه المصادر على عواهنه . دون أن نعمل فيه النظر بل نقيم وزنا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخى . أو يبدو و كأنه يثبت أمامه . ونحن فى هذا نطبق على الإسلام

و تاريخه و على المؤلفات العربية التى نشتغل بها المعيار النقدى نفسه الذى نطبقه على تاريخ الفكر عندنا و على المصادر المدونة لعالمنا نحن . و إذا كانت إمكانية معرفتنا محدودة – و هل يمكن أن تكون إلا كذلك – فإننا نؤكد بضمير مطمئن أننا فى دراساتنا . لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية . بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة)[1] .

إن هذا التصريح من السيد " بارت " بأنهم لا يدرسون الإسلام لبيان ضعته . و لكنهم يقدرون معطيات الحضارة الإسلامية . و لكن هنا أمر شديد الأهمية ينبغى التنبيه عليه . و هو أن تطبيق الغربيين منهجهم الغربى الذين يستخدمونه فى البحث فى مجال العقائد ليس ميزة تذكر . بل هى من أكبر الأخطاء التى يقع فيها المستشرقون . إذ لا شك أن هناك اختلافا هائلا بين الدين فى نظر الغربيين . و الذى يعتبرونه طقوس مرتبطة بزمان وبمكان معينين . وبين الدين الإسلامى الذى ينتظم شئون الحياة جميعا .

كما أن المنهج الغربى الذى يستخدم المنهج التجريبى فى الدراسات الإنسانية . لا يمكن أبدا أن يتوافق مع الدين الإسلامى . الذى ينظر للإنسان على أنه مادة لها نصيب من الغذاء . وروح لها نصيب كذلك .فالإنسان ليس مادة جامدة . يمكن أن توضع فى المختبر لتعطى استجابات واحدة . كلما خضعت لتأثيرات واحدة .

و أعود فأقول : إن الله رسم بأيدى هؤلاء المنصفين صورة كاملة للنبى – صلى الله عليه وسلم – فـ" رودى بارت " يقرر نبوته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أ/ رودى بارت . الدراسات العربية و الدراسات الإسلامية فى الجامعات الألمانية صـ٩ .

و الكاتب الفرنسي " ألفونسو لا مارتين * " يقول :(إن حياة مثل حياة محمد . وقوة كقوة تأمله و تفكيره و جهاده ووثبته على خرافات أمته . و جاهلية شعبه و بأسه في لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان . و إيمانه بالظفر و إعلاء كلمته و رباطة جأشه . لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية . إن كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعا أو يعيش على باطل . فهو فيلسوف و خطيب ورسول و مشرع . و هادى الإنسان إلى العقل . وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن و اللب . و مؤسس دين لا مرية فيه . ولا صور و لا رقيات . و منشئ عشرين دولة فى الأرض . و فاتح دولة فى السماء من ناحية الروح و الفؤاد . فأى رجل أدرك من العظمة الإنسانية ما أدرك . و أى إنسان بلغ من مراتب الكمال ما بلغ)[1].

إننا لسنا بحاجة إلى " لامارتين " و إخوانه ليشهدوا لرسول الله ﷺ و لكننا نقذف بأيديهم فى وجوه الذين يقفون من النبى صلى الله عليه وسلم موقف الجاحد المعاند ، مع التحفظ على بعض ما ورد فى نصوصهم عن النبى ﷺ مثل وصفه بأنه فيلسوف و هى أوصاف تتنافى مع مقام النبوة الكريم .

و المستشرق الكاتب الإنجليزى " توماس كارليل " يقول :(لقد أصبح من أكبر العار على فرد متمدين من أبناء هذا العصر ، أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب و أن محمدا خدّاع مزور . و آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة . فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدّة اثنى عشر قرنا . لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا . خلقهم الله الذى خلقنا . أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة . التى عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر و الإحصاء أكذوبة و خدعة ؟

أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبدا . و لو أن الكذب و الغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج . ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق و القبول . فما الناس إلا بُلْهٌ و مجانين . و ما الحياة إلا سخف و عبث و أضلولة . كان من الأولى بها أن لا تخلق)[2]

و لست أرى أن مجرد الكثرة دليل على أن هذا الدين صحيح من عند الله . فإن ملايين فائقة الحصر اجتمعت من النصارى على أضاليل ما أنزل الله بها من سلطان ، و لكن صلاحية هذا الشرع لكل

---

* ألفونسو دو لامارتين "١٧٩٠-١٨٦٩" شاعر و سياسي فرنسي ، يُعتبر أحد أكبر شعراء المدرسة الرومانتيكية الفرنسية . المورد صـ٥٣ .

[1] أ/ محمود الشرقاوي – المدينة المنورة صـ٢٠٧ . الشعب . القاهرة .

[2] توماس كارليل – الأبطال – عرّبه الكاتب الكبير محمد السباعي صـ٩٦ – المطبعة الرحمانية – القاهرة .

زمان ومكان وقدرته على صياغة المجتمعات كما ينبغى . وبما يتوائم مع التكريم الإلهى للإنسان . موافقة التطور الحديث و النظريات العلمية . و لما جاء فى بنود هذا الدين . ذلك كله من أكبر الأدلة على أن بشرا مهما كان . لا يمكن أن يخترع مثل هذا الدين من عند نفسه .

(وقد كتبت دائرة المعارف البريطانية : كان محمد أظهر الشخصيات الدينية العظيمة . و أكثرها نجاحا و توفيقا . ظهر النبى فى وقت كان العرب فيه قد هووا إلى الحضيض . فما كانت لهم تعاليم دينية محترمة . و لا مبادئ مدنية أو سياسية أو اجتماعية . و لم يكن لهم ما يفاخرون به من الفن أو العلوم . وما كانوا على اتصال بالعلم الخارجى . وكانوا مفككين لا رابط لهم . كل قبيلة وحدة مستقلة . و كل منها فى قتال مع الأخرى . و حاولت اليهودية أن تهديهم فما استطاعت . و باءت محاولات المسيحية بالخيبة . كما خابت جميع المحاولات السابقة للإصلاح . و لكن ظهر النبى محمد الذى أرسل هدى للعالمين . فاستطاع فى سنوات معدودات . أن يقتلع جميع العادات الفاسدة . فى جزيرة العرب ، وأن يرفعها من الوثنية المنحطة إلى التوحيد . وحوّل أبناء العرب الذين كانوا أنصاف برابرة . إلى طريق الهدى والفرقان)[١] .

و هذه شهادة من دائرة المعارف التى ادعت فى أول حديثها عن رسول الله ﷺ أنه هو مؤسس دين الإسلام . و الذى يعنينا هنا تلك الشهادة التى لم يستطيعوا أن ينكروها . حقيقة مبادئ الإسلام التى صاغ الله بها على يد رسول الله ﷺ العرب خلقا جديدا فتحوا العالم و أسدوا له عصرا ذهبيا من الأمن و الطمأنينة و السلام .

و فيما يلى أعرض لملامح الشخصية النبوية المتفوقة التى جمع الله له شهادات الغربيين فعرضوا صورة ناصعة للإنسانية الكاملة فى شخصه ﷺ .

---

[١] د/ زكريا هاشم – المستشرقون و الإسلام صـ٢٧ .

ملامح الشخصية المحمدية المتفوقة عند المستشرقين المعتدلين .

لقد تضافر المستشرقون جميعا على وضع الصورة الكاملة للنبى ﷺ سواء قصدوا ذلك أم أن الله تعالى سخرهم لهذا - و فيما يلى عرض لملامح هذه الصورة فى كتابات المستشرقين :-

أ- تفوقه ﷺ فى الذكاء و التدين و الرأفة

فقد وصف " بارتلى سانت هيلر " الرسول بأنه " أكثر عرب أهل زمانه ذكاء وأشدهم تدينا وأعظمهم رأفة وأنه نال سلطانه الكبير بفضل تفوقه . وأن دينه الذى دعا إلى اعتقاده . كان جزيل النعم على الشعوب التي اعتنقته)[1] .

ب . تجرده ﷺ من ادعاء العظمة

:- يقول "أرفنج*" :- كان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له و يبالغوا فى الترحيب به . وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة فهى دولة الإسلام ... كان الرسول فى كل تصرفاته منكراً ذاته . رحيماً بعيدا عن التفكير فى الثراء والمصالح المادية . فقد ضحى بالماديات فى سبيل الروحانيات ..

ج . تبرؤه من التبعية المحمدية :.

يقول "أرفنج" أيضا : وكذلك فلا يجيز الرسول أن يسود على حساب نسبة المسلمين إليه . كما فعل ذلك أصحاب الديانات السابقة الذين نسبوا إلى أسماء أنبيائهم ...

ومن الخطأ أن نقول :رجلاً محمدياً أو امرأة محمدية . فما قرر محمد فى يوم من الأيام . أن الدين الذى جاء به من وحى تفكيره . وما انتحل لنفسه أى صفة إلهية . وما عبده أحد من أتباعه . فقد قال إنه كنوح وموسى ..

---

(1) نذير حمدان - الرسول فى كتابات المستشرقين صـ٤٦، ٤٧ بتصريف - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م -دار المنار -جده .

* و اشنطن أرفنج ، أمريكى ، من آثاره : سيرة النبى العربى مزيلة بخاتمة لقواعد الإسلام و مصادرها الدينية . و فتح غرناطة . المقيقى جـ٣ صـ١٣١ .

د - التزامه بالصدق والتواضع :

يقول "دوزى" : لو صح ما قاله القساوسة من أن محمداً نبى منافق كذاب . فكيف نعلل انتصاره ؟ وما بال فتوحات أتباعه تترى وتتلو إحداها الأخرى . وما بال انتصارهم على الشعوب لايقف عند حد وكيف لايدل ذلك على معجزة الرسول ؟

أما " رينان "* فقد هاجم فى كتاباته الأخيرة موقف " فولتير" من الرسول بقوله " دلتنى تجربتى العملية و التاريخية . أنه لا صحة لما أريد إلصاقه بالنبى محمد من كذب و افتراء . مصدره بعض العادات القومية التى أراد بعض المتحاملين كـ" فولتير " أن يتوجهوا بها إلى الناحية . التى تشفى سقام ذهنيتهم الوقحة . و تعصبهم الذميم . كقوله : إنه يميل إلى التسيد و السيطرة . مع أن محمداً - كما أثبتت الوقائع التاريخية . و شهادات أكابر علماء التاريخ . كان على العكس من ذلك . بريئا من روح الكبرياء متواضعا صادقا أمينا . لا يحمل المقت لأحد . وكانت طباعه نبيلة . وقلبه طاهرا . رقيق المشاعر .

هـ - تفوقه فى صفات إنسانية عديدة :

قال " جوستاف لوبون " فى كتابه " حضارة العرب " كان محمد - صلى الله عليه وسلم - شديد الضبط لنفسه . كثير التفكير صموتا حازما سليم الطوية . وكان صبورا . قادرا على احتمال المشاق . بعيد الهمة لين الطبع وديعا . وكان مقاتلا ماهرا .. لا يهرب أمام الأخطار . ولا يلقى بيديه إلى التهلكة)[1]

و يقول " درمنجم "** " (وكان الناظر إلى محمد - صلى الله عليه وسلم يشعر بأنه وهو الموهوب . خلق للقيادة و ليطاع إطاعة عمياء - فوجد فيه الأنصار المولى)[2]

و هكذا يتضافر هؤلاء المستشرقون جميعا على رسم صورة المثل الأعلى الكامل للنبى - صلى الله عليه

---

* أرنست رينان . فرنسى "١٨٢٣ -١٨٩٢م " دخل المدارس اللاهوتية و برز فيها و تضلع من اللغات الشرقية حتى صار من ثقاتها . نزل لبنان حيث صنف كتابه حياة يسوع فى دير الآباء اليسوعيين و من آثاره كتاب ابن رشد و الرشديين . العقيقى جـ١ صـ١٩١ .

(1) المرجع السابق صـ٤٧،٤٩ . بتصرف .

** درمنجم : مدير مكتبة الجزائر . من آثاره : حياة محمد باريس ١٩٢٩م . محمد و السنة الإسلامية باريس ١٩٥٥م . و سيرة الأولياء المسلمين الجزائر ١٩٥٦م . العقيقى جـ١ صـ٣٤٨ .

(2) المرجع السابق صـ٥١ .

وسلم – وسواء قصدوا ذلك أم لم يقصدوا . إلا أن القدْر المشترك الذى يقتبسه المسلم من كتابات المنصفين منهم و المجحفين . و من خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا . الجميع يشهدون . و كفى با لله شهيدا .

و على الرغم من أن كثيرا من هؤلاء . الذين مدحوا أو اعترفوا بالحق . إلا أن كثيرا منهم أيضا ادعى أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – . اختلق القرآن من عنده . أو أنه ألفه من معارفه . التى اقتبسها من اليهود و النصارى . و غير ذلك من المسائل التى سترد فى موضعها إن شاء الله تعالى .

و هذا هو دين الاستشراق . لا تلقى منه وجها . إلا و أعقبك منه ظهرا . و لا ينصف واحدة . إلا و أجحف أخرى . و كثير من المستشرقين هذا ديدنهم .

الرسول ﷺ فى نظر جان بروا

إننا – و للأسف نجد من خفافيش الظلام – تلامذة المجحفين من المستشرقين – مَن يلمزون دين الله تعالى ورسول الله . فيقدحون فى مسألة زواج النبى صلى الله عليه وسلم بضِعْف العدد المباح لكل مسلم . و يزعمون أن النبى كان زعيما روحيا ، ولم يكن – أبدا – قائدا سياسيا و خبيرا عسكريا .

و كل ذلك مما التقطه هؤلاء المرتزقة على موائد المغرضين من المستشرقين .

غير أن الأستاذ " جان بروا " فى كتابه نابليون السماء ، يعرض لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم . عرضا منصفا عادلا ، و زاد الكتاب روعة الترجمة الرائعة الرائقة التى قام بها الأستاذ / محمد صالح البنداق . فى هذا الكتاب يرد " جان بروا على ادعاءات المستشرقين . فى بعض القضايا . منها : مسألة زواج النبى ﷺ . و الزعم بأن الرسول ﷺ زعيم روحى

زواج النبى صلى الله عليه وسلم

يقول " جان بروا " عن زواج النبى من السيدة عائشة :

(و قد يبدو غريبا فى الوسط الأوربى هذا الزواج ، و لكن إذا نظرنا إلى العوامل التى اقتضته . و إلى البيئة العربية و العرف و التقاليد ، لا نجد فيه شيئا من الغرابة ، كما لم يجد الأصحاب المعاصرون لمحمد جميعا و المسلمون قديما و حديثا ، و إنك إذا أنعمت النظر فى المقاصد الأولية . التى كان يريدها النبى من زواجاته ، أدركت عمق أغراضه السياسية ، و طريقة التأثير فى نفوس القبائل و

زعمائها . و جلال الوفاء . الذى كان يغمر نفسه . و يؤثر فى اتجاه أعماله قبل كل شئ "

و يقول فى موضع آخر: " ما أجهل الذين لا يفكرون فى الأسباب الدقيقة . التى من أجلها يتزوج النبى بعد أن تجاوز الخمسين من عمره من كل أولئك النساء . أما ينظرون إلى هذا اليُمن و النصر . و إلى هذا التوفيق . الذى استطاع أن يُكسبه " خالد " – سيف الله المسلول – للمسلمين . أما يُعد إسلام خالد بعد زواج النبى بخالته " ميمونة " من أسْمى المقاصد الشريفة . التى يريدها رسول الله لانتصار كلمة الله . إلا أن محمدا الشاب قد قضى ريعان الفتوة . و عنفوان العمر مكتفيا بزوجته العجوز حتى تخطت به الكهولة و هو ناعم راض لا يرجو إلا بقاءها)[١] .

و هنا تعرض مسألة : لماذا سمى " جان بروا " رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بهذا الاسم " نابليون السماء " ؟

(بيد أننا نطمئن إلى حكمة هذه التسمية . وندرك مغزاها العميق حين نعلم أن "نابليون بونابرت*" قد كُتب عنه فى عالم الغرب حتى اليوم ما يزيد على المئة ألف مؤلف . بينها المجلدات الضخام . و لم ينطو القرن الثانى على وفاته بعد . و أن الرد الذى جاء على السؤال الذى وجهته إحدى المجلات الأميركية الكبرى إلى ألف أستاذ من أساتذة التاريخ فى مختلف جامعات الولايات المتحدة :

= من هو أعظم قائد أنجبه التاريخ ؟ فكانت إجابة الجميع : نابوليون ! نابليون ! .

فلما كانت هذه معرفة الغربيين بعبقرية نابليون الحربية الخارقة للعادة . و لما كان مؤلفنا قد أمعن درسا فى شتى العبقريات التى اختارها الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم . اختيارا حافلا بالأقداس و الأسرار و المعجزات . عبقريات فى البلاغة و القيادة الحربية . و فى التشريع و الاقتصاد و الإدارة و الدبلوماسية . فى تحرير الأمة و تأسيس الدولة . فى المبادئ الإنسانية العالية . والتشريع الدولى . فى النهوض العملى . و تحرير العقل . آثر المؤلف أن يطلق اسم " نابليون " على محمد ليعرفه الغربيون . ونسبه إلى السماء . لأن الأرض لم تعرف بعد . و لن تعرف إنسانا واحدا . يستطيع أن يتفوق و يحرز السبق المعجز فى كل هاتيك العبقريات)[٢] .

---

[١] جان بروا – محمد نابليون السماء – ترجمة محمد صالح البنداق – ص٥١ ، ١٠١ – دار الإنصاف . بيروت – لبنان .

* نابليون بونابرت "١٧٦٩–١٨٢١" امبراطور فرنسا ١٨٠٤–١٨١٥ " دوخ بفتوحاته أوربا ، هُزم هزيمة حاسمة فى واترلو عام ١٨١٥م فنفى إلى جزيرة سانت هيلانة . المورد ٦٣ .

[٢] المرجع السابق ص ج ، د . بتصرف .

و ذلك بلا ريب من أجل الأعمال . التي ينبغي أن تردف بالشكر و التقدير للذين تجردوا للحق و الإنصاف .

جان بروا يرد على الذين يزعمون أن النبي ﷺ زعيم روحي

و هو زعم يراد منه عزل الإسلام عن قضايا الحكم و السياسة . و من ثم فلا سياسة في الدين . و لا دين في السياسة . لقد كانت هذه الشعارات إحدى المراحل المتقدمة في حرب علماء الغرب للكنيسة لمحاولة إقصاءها عن معترك الحياة . و حصرها داخل جدر الكنيسة . حيث مثّلت الكنيسة – في بعض أدوارها التاريخية– كابوسا جثم على صدور علماء الغرب . و أخذ يُحل و يحرم . ويسفك دماء العلماء . فكان طبيعيا أن يقوم العلماء ضد الكنيسة . التي أثبتت فشلها في قيادة حركة الحياة . أما الإسلام الذي رفع شأن العلم و العلماء ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات ﴾ المجادلة ١١ ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فاطر٢٨ .

فمن الخرق أن نأتي بعلاج لمرض عضال . نعالج به صحيحا . لا لشئ إلا التقليد الأعمى . و اتباع سنن الغربيين .

يقول " جان بروا " (و قد كان محمد نبيا . و مشرعا . وسياسيا . و ملكا عظيما . و خطيبا مفوها . وقائدا خطيرا . محنكا ، و إن كان لم يدخل جامعة من جامعات الرومان . و لا مدرسة من مدارس فارس إن محمدا قد كبر اسمه ، و اعتز بربه . حتى عرف باسمه وحده . دون ذكر أسرته ... إن محمدا لنابليون السماء)[١]

عالمية الدعوة الإسلامية في نظر جان بروا

يقول " جان بروا " (لم يكن محمد رسولا لقومه و جزيرة العرب فحسب . و إنما هو رسول عالمي أرسل إلى الإنسانية جميعا ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ الفرقان ١ . فكان لا بد له أن يأتي بكل الأسباب السياسية و الدعاية . لكي يؤدي واجب الرسالة العامة)[٢]

و يقول و هو يصور المسلمين في صلاة الفجر ، يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . أعتقد أن قوما اجتمعوا في ظلام الليل ، يؤدون فريضة الله رجالا و نساء خاشعين مؤمنين ، لن يضيع الإسلام

---

(١) المرجع السابق صـ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) المرجع السابق صـ٩١ .

من بين أيديهم . ولن تقوى عليهم أمم الأرض)[1] .

هذه الروح العلمية التي وردت على لسان المستشرق العظيم " جان بروا " و اللقطات الأخرى من الشهادات المنصفة من بعض المستشرقين . هي الروح العلمية النزيهة . التي هي أعز مطلوب في ميادين الاستشراق .

المطلب الرابع

تقدير علماء الحضارة الإسلامية

في محافظتنا الشرقية . و في قرية " الحلوات " و بالتحديد في " كفر المسلمية " مسقط رأس أحد عنادل الطرب . قامت في العامين ١٩٩٧ . ١٩٩٨ م احتفالات ضخمة . امتدت أكثر من أسبوع شارك فيها فرق فنية من جميع أنحاء الجمهورية . وقامت الإذاعة و التلفزيون . ووسائل الإعلام . بعمل ملحمة إعلامية ضخمة لهذا العندليب " احتفالا بذكرى وفاته .

و كان المرء يعجب من التناول المتكامل لشخصية العندليب . و البحث في آفاق حياته للوصول إلى جديد مما لم يكن معروفا عنه . أو البحث عن الأعمال النادرة التي لم تنشر إذاعيا و لا تلفزيونيا حتى يعطوا صورة متكاملة عن هذا العندليب الذي أثرى حياتنا بتحفه الفنية .

و أعجب من ذلك تلك المقارنات التي تعقد بين " العندليب " و بين غيره من الفنانيين . و أوجه الشبه القدرية بين الفنانين . و أن هذا الفنان " صاحب الذكرى " قد غنى على جميع أحرف الهجاء بخلاف الفنان فلان . الذي لم يغن بحرف الثاء ، و كوكب الشرق التي لم تغن بحرف الضاد . و غيرهما ممن لم يغن بحرف الطاء .

و في نفس الوقت من شهر مارس صادف وفاة الداعية الإسلامي الأستاذ الشيخ / محمد الغزالي . و الذي لم يسمع لذكراه إلا صوت الصمت المسموع . اللهم إلا بعض السطور القليلة ، أظنها على استحياء من الجريدة التي نشرتها .

فأين العلماء في حياتنا ؟ و إذا كان هذا شأن داعية قريب العهد بنا ، فليس هناك رجاء في أن نتذكر أحد أجدادنا . بناة الحضارة الإسلامية منذ مئات الأعوام . إلا أننا إذا عدمنا ذلك في وسائلنا الإعلامية ، فإن المستشرقين لا ينسون أساتذتهم من علماء الحضارة الإسلامية .

---

[1] المرجع السابق صـ١٢١ .

(ففي أواخر سنة ١٩٦٨ م دعت حركة الاستشراق الأسبانية إلى الاحتفال بمرور ثمانمائة و سبعين عاما على وفاة الفيلسوف العربي الكبير " أبو الوليد بن رشد * " فأصدرت الدولة الأسبانية يومئذ طابعا تذكاريا يحمل صورته . و أقيمت المهرجانات . وألقيت المحاضرات . و قدمت الدراسات . وشاركت حركة الاستشراق العالمية . المستشرقين الأسبان في تلك الجهود و الاحتفالات ....

و نحن نعتقد أن حركة الاستشراق الأوربية . عندما احتفلت بالفيلسوف الكبير . إنما كانت إلى جانب خدمة الفكر كفكر . تفي ببعض دين ابن رشد على عصر النهضة الأوربية الحديثة . ففي صورة ابن رشد عرف الأوربيون أرسطو . و هو الذي قادهم في معركتهم التاريخية . ضد الخرافة و الكهانة و التخلف و الجمود)[1]

حسبنا هذه الصورة المظلمة لنا . و التي تعرض لاهتماماتنا الصغيرة . و حسب هؤلاء المستشرقين هذا السموق الفكري . و احترام بناة الحضارة مهما كانت دياناتهم . إننا لن نتقدم طالما أن اهتماماتنا تنحصر في فنان و فنانة . أو لاعب و لاعبة . و هؤلاء للأسف الشديد هم نجوم الحياة في عصرنا الذي نعيش فيه . و إنه لمن الأماني الكاذبات . أن ننتظر نصرا و تمكينا و طلائعنا للعالم هم هؤلاء .

لقد ذكر العلامة الأستاذ/ أبو الأعلى المودودي في محاضرة له تحت عنوان " الصلاح و الفساد** " سنة من سنن الله تعالى في خلقه و هي :-

: أن الله تعالى يعطي السلطة الزمنية للقادرين على تعمير الكون الإلهي . بصرف النظر عن دياناتهم . فحينما مكن الله للتتار قديما ، كان ذلك لأننا لم نكن نستحق النصر و لا التمكين . و لأننا ابتعدنا عن منهج الله تعالى . و حينما مكن الله الإنجليز و الفرنسيين منا . كان ذلك لأننا تسلطت علينا الخرافة . و اتخذنا كتاب الله ظهريا .

---

* ابن رشد ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، عرف عند الغربيين في القرون الوسطى باسم " أفروس " ولد بقرطبة عام ٥٢٠هـ=١١٢٦ م . كان جده و أبوه قاضيان ، درس ابن رشد الفقه و الطب ، عمل قاضيا بأشبيلية عام ٥٦٥هـ ثم قاضيا على قرطبة ٥٦٧ هـ . من مؤلفاته الباقية : تهافت التهافت ، و رسالة في المنطق . توفي في التاسع من صفر ٥٩٥هـ=١١٩٨ م . دائرة المعارف الإسلامية جـ١ صـ١٩٦: ١٩٨ . بتصرف .

(1) شهود العصر صـ٢٩٨ الطبعة الأولى ١٤٠٧ ، ١٩٨٦ مركز الأهرام للترجمة و النشر . القاهرة .

** و هي محاضرة ألقاها في قرية دار الإسلام في الهند عام ١٩٤٧ م ، و قد حضرها عدد كبير من السيخ و المسلمين و الهندوس ،و قد طبعت هذه المحاضرة في لاهور بباكستان .

و حينما مكن اليهود من أرضنا و رقابنا . كان لأننا ضيعنا وظيفتنا التـى حبانـا الله بسببها الخيريـة علي الأمم . و هي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر . و بدلا من أن نكون أهلا للشهادة علـى الأمـم يوم القيامة و التي خصنا الله بها . صرنا نشارك تلك الأمم في كل خبيث من القول و الفعل .

و لا شك أن هذا هو حالنا الذي لا يمكن أن ينكر . و من أراد أن يبحث عن المزيد فإن الصحف و الكتب و غيرها من المطبوعات و المنشورات تئن بما فيها من أخبار مخزيات .

البيروني في عيون المستشرقين السوفيت

(في شهر سبتمبر من علم ١٩٧٣ م . أقام الاتحاد السوفيتي الاحتفالات . و عقد الندوات و المؤتمرات للمستشرقين في كل من موسكو و طشقند . احتفالا بمرور ألف عام على ميلاد المفكر و الفيلسوف و العالم المؤرخ العربي " أبو الريحان محمـد بـن أحمـد البيروني " ٩٧٣ . ١٠٤٨ م " . ذلك الذي خلف لنا أكثر من مائة و عشرين مؤلفا في الفلك و الرياضيات و الآداب و الفلسفة و التاريخ . بل مهدوا قبل ذلك باحتفالات .

عقدوا في سنة ١٩٧١م ندوة في طشقند . حـول " البيروني " و العلـوم الإنسـانية . و أتبعوهـا علم ١٩٧٢ م بندوة ثانية عن " البيروني " و العلوم الطبيعية . و أطلقوا على معهد الدراسات الشرقية بـ " طشقند " اسم معهد أبي الريحان البيروني . و نشروا أعماله المختارة باللغتين الروسية و الأوزبكية .

كان هذا استجابة لقرار أصدرته منظمـة " اليونسكو " و المؤتمـر الـدولي للمستشـرقين . و طـالبوا فيـه بالاحتفال بمرور ألف عام على ميلاد " البيروني " باعتبارها مناسبة ذات أهمية عالية . وفـي الوقـت الذي احتفل السوفيت بالبيروني . وافـق الاتحـاد الفلكـي الـدولي فـي اجتماعـه فـي سـبتمبر ١٩٧٣ م باستراليا على إطلاق اسم البيروني على أحد أحواض الوجه الأخر للقمر . تقديـرا لجهـوده فـي علـوم الفلك)[1] .

فأين جهود المسلمين في تكريم أجدادهم ؟ لقد ذهبت في تكريم الممثلين و نجوم الفن و الكرة . و فـي الوقت الذي يكال للفنانين و الرياضيين . و تصنع لهم وسائل الإعلام من الصنائع . ما يجعلهـم أمـل النفوس . و يجعل ما وصلوا إليه منتهى آمـال الشباب . أمـا علمـاء المسلمين . فـي أي مجـال من

(1) الرجع السابق صـ٢٩٩ بتصرف .

المجالات سواء مجالا معمليا . أم نظريا . أم كان من أهل القرآن . الذين أفنوا أعمارهم خدمة لدين الله تعالى . فما يعلم المسلمون شبابا و شيبا إلا الأسماء . و إن علموها . و من ثم فإن علينا أن نحني الرأس إكبارا للمنصفين المعتدلين من المستشرقين .

استمعت في أحد برامج التلفزيون إلى تكريم الأفلام السينمائية المصرية . وكان ذلك في برنامج في التلفزيون تحت مسمى " عدسة الزووم " أو Zoom in . و سمعت أرقام المبالغ الطائلة . التي تدفع للأفلام الفائزة . و كانت أرقاما ضخمة . لا يوجد أدنى نسب بينها . و بين الأرقام الدنيا . التي يكرم بها العلماء .

إننا لن نتقدم في مثل هذا الجو الخانق الذي يعلي قدر الغانيات و أرباب الاهتمامات التافهة على أهل العلم و صناع الحضارة .

و مما يملأ النفس حسرة ، أن نجد من أبناء المسلمين من يغض من جلال سلفنا الذي أشاد بهم كثير من المستشرقين و اعترفوا لهم بالسبق و الفضل . و من أمثلة ذلك موقف الدكتور طه حسين من العلامة " عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون " .

فعندما ذكر العلامة ابن خلدون أن من بين ما درسه في صغره « اللامية في القراءات و الرائية في رسم المصحف و كلتاهما للشاطبي . و التسهيل في النحو لابن مالك . و كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني و المعلقات . و كتاب الحماسة للأعلم . و طائفة من شعر أبي تمام و المتنبي . و معظم كتب الحديث

و خاصة صحيح مسلم و موطأ مالك ، و التقصي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر . و علوم الحديث لابن الصلاح . و كتاب التهذيب للبرادعي ، و مختصر المدونة لسحنون في الفقه المالكي . و مختصر ابن الحاجب في الفقه و الأصول و السير لابن إسحاق ... فأخذ " عميد الأدب " يشكك في هذا الخبر الذي يذكره ابن خلدون نفسه قائلا :

" يذكر ابن خلدون أن مختصر ابن الحاجب كان من بين الكتب التي درسها في تونس . و يعده ضمن الفقه المالكي ... مع أن مختصر ابن الحاجب ليس كتاب فقه .. بل هو كتاب في أصول الفقه ... و يقول في صدد كتاب الأغاني : في وسعنا أن نرتاب أيضا فيما يقرره المؤلف بشأن كتاب الأغاني الشهير ، فإنه في ترجمته يزعم أنه استظهر جزءا منه ، و في مقدمته يذكر استحالة الحصول على نسخة منه ، و من ثم فإننا نعتقد أن ابن خلدون لم يعرف منه سوى الاسم ...

و الحقيقة أن لابن الحاجب مختصرا مشهورا فى فقه الإمام مالك يسمى " المختصر الفقهى " أو " الفرعى " أو " الجامع بين الأمهات " و قد عنى بشرحه كثير من المغاربة . كالقاضى ابن عبد السلام التونسى شيخ ابن خلدون

... و بالنسبة لكتاب الأغاني . فقد أتى الدكتور طه حسين من قبل تتبعه لخطوات المستشرقين . حيث اعتمد فى دعواه على ما جاء في ترجمة المستشرق الفرنسى " دى سلان " لمقدمة ابن خلدون ... فلم يفهم " دى سلان " معنى " فأنّى له بها " أى نسخة من الأغانى . فترجمها إلى " Mais comment pourra-t on Se le procurer أي " كيف يمكن الحصول على هذا الكتاب ")[1]

فإذا كان " دى سلان أُتى من قبل أعجميته . فمن أين أُتى عميد الأدب العربى ؟!!!

و هذا و الله من المضحكات المبكيات . أن يتخذ الغرب لنفسه مطايا من أبناء المسلمين . يقصد حصوننا بهذه المطايا . و يضربنا بأيديها .

و من المخزيات أن نستمر فى خداع أنفسنا حتى بعد أن يتبين لنا مخازى هؤلاء العملاء . فنظل نسبح بحمدهم في وسائل الإعلام . و نعرضهم قدوة الشباب .

و حسبنا أن قد أفضى هؤلاء العملاء إلى الله تعالى .

---

[1] أ/ على عبد الواحد وافى ، عبد الرحمن بن خلدون صـ٢٧ : ٢٩ ، ٣١، ٣٦ بتصرف .سلسلة أعلام العرب صدرت عن وزارة الثقافة و الإرشاد القومى الإدارة العامة للثقافة ،الجمهورية العربية المتحدة .

المطلب الخامس

الاعتراف بتسامح المسلمين .

يقول " سير توماس أرنولد "* (ولما بلغ الجيش الإسلامي وادى الأردن و عسكر " أبو عبيدة " في " فحل " كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون : يا معشر المسلمين . أنتم أحب إلينا من الروم و إن كانوا على ديننا . أنتم أوفى لنا . و أرأف بنا . و أكفُّ عن ظلمنا . و أحسن ولاية علينا . و لكنهم غلبونا على أمرنا و على منازلنا . و أغلق أهل " حمص ** " أبواب مدينتهم دون جيش " هرقل*** " و أبلغوا المسلمين أن ولايتهم . و عدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق و تعسفهم .....

ولا بأس من أن نورد هنا . الشروط التي قيل إن الخليفة "عمر بن الخطاب" – رضى الله عنه – قد وضعها حين سلم له بيت المقدس : " بسم الله الرحمن الرحيم " هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل "إيلياء" من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم و أموالهم ، و كنائسهم و صلبانهم . و سقيمها و بريئها و سائر ملتها . أنه لا تسكن كنائسهم . و لا تهدم و لا ينتقص منها و لا من حيزها . و لا من صليبهم و لا من شئ من أموالهم . و لا يُكرهون على دينهم . و لا يضار أحد منهم ....

و مما يتفق مع هذه الروح التي تنطوي على حسن معاملة "عمر" لرعاياه من أصحاب الديانات الأخرى ما أثر عن "عمر" . أنه أمر أن يعطى قوم مجذومون من النصارى من الصدقات . و أن يجرى عليهم القوت . وهو لا ينسى الذميين ... حتى في آخر وصاياه . إذ عهد إلى من يخلفه بما ينبغي القيام به في هذا المنصب السامي فقال : و أوصيه بذمة الله و ذمة رسوله . أن يوفى لهم بعهدهم و ألا يكلفوا إلا طاقتهم)[1]

---

* توماس أرنولد ووكر " ١٨٦٤-١٩٣٠ إنجليزي تعلم في كامبردج شغل أول كرسي للدراسات العربية في معهد الدراسات الشرقية في لندن . و سافر إلى الهند و عمل بالتدريس في جامعة عليكرة وعين أستاذاً للعربية بجامعة لندن ١٩٠٤م و من آثاره " الخلافة " ١٩٢٤م و الإيمان في الإسلام ١٩٢٨م و تعليم الإسلام ١٨٩٨م و الدعوة إلى الإسلام . طبقات المستشرقين صـ٨٦ .

** حمص ، و تنطق " حُمص " مدينة في سهل نهر العاصي الكبير الذي في أواسط سورية . فتحها المسلمون عام ١٤هـ . دائرة المعارف الإسلامية جـ٨صـ١٠٥ .

*** هرقل "٥٧٥-٦٤١م " امبراطور بيزنطي "٦١٠-٦٤١م " هزم المسلمون قواته في معركة اليرموك ٦٣٦م . المورد صـ٤٤ .

[1] توماس أرنولد – الدعوة إلى الإسلام صـ٧٣ ، ٧٥ بتصرف . الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م مكتبة النهضة المصرية – القاهرة .

إن السير " توماس أرنولد " يكفينا الرد على أولئك الذين يدّعون . أن الإسلام انتشر بحد السيف . أو أن المسلمين كانوا مستعبدين للشعوب . و هو بذلك يمثل دور الاستشراق المنصف المعتدل في هذه المسألة .

و " أرنولد " لا يقف عند هذا الحد في بيان تسامح المسلمين الفاتحين مع أهل البلاد . بل يبين أثر هذا التسامح فيقول :

(ففي الحروب الصليبية الأولى مثلا انشق على الطائفة الرئيسية . جماعة من الألمان و اللومبارديين* بزعامة فارس مشهور يدعى " رانود " rainaud و حاصرهم السلطان " أرسلان السلجوقي** " في إحدى القلاع و تظاهر هو و خاصة أتباعه بالقيام بهجوم على محاصريهم في الخارج . فتركوا رفاقهم التاعسين . وانتقلوا إلى الأتراك . حيث اعتنقوا الإسلام بينهم ....

و الراهب " أودوا الدويلي " odo of deuil أحد رهبان القديس " دينيس denis و الذي كان يشغل منصب قسيس خاص للويس التاسع يصف الحرب الصليبية الثانية قائلا : بينما كان الصليبيون يحاولون شق طريقهم براً عن طريق آسيا الصغرى إلى بيت المقدس . مُنوا بهزيمة فادحة على أيدي الترك في ممرات فريجيا phrygia الجبلية ١١٤٨ م . و بلغوا مدينة " أتاليا Attalla الساحلية بشق الأنفس . و هنا تمكن جميع الذين استطاعوا أن يرضوا المطالب الفادحة . التي كان يفرضها عليهم تجار الإغريق من الإبحار إلى أنطاكية . بينما خلفوا وراءهم المرضى و الجرحى . تحت رحمة الخونة من حلفائهم الإغريق . الذين أخذوا مبلغ خمسمائة مارك من " لويس " . على شريطة أن يمدوا الحجيج بقوة من الحرس . و أن يعنوا بالمرضى . حتى يصبحوا من القوة بحيث يمكن إرسالهم ليلحقوا بسائر زملائهم .

ولكن لم يكد الجيش يغادر المكان . حتى أخبر الإغريق الترك بموقف الحجيج الأعزل . وراقبوا في صمت ما أصاب هؤلاء التاعسين من المجاعة و المرض . و سهام العدو . و التي جرّت عليهم الدمار و الخراب و هم في طريقم إلى معسكرهم . و حاولت جماعة تبلغ ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف أن تلوذ

---

* اللومبارديين نسبة إلى مدينة "لمبارديا بإيطاليا " و كانوا من الجنود الذين شاركوا في الحروب الصليبية .تاريخ الإسلام د/ حسن إبراهيم حسن جـ٤ صـ٣٧٢.

** أرسلان بن سلجوق ، أكبر أبناء سلجوق . و أرسلان لفظ تركي فارسي بمعنى : أسد . و دولتهم دولة إسلامية كبرى قامت في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ،و امتدت حدودها من خراسان شرقا إلى آسيا الصغرى ثم إلى حدود مصر غربا .توفي أرسلان عام ٤٢٧هـ=١٠٣٥م . دائرة المعارف الإسلامية جـ١ صـ٦١٨ . و انظر معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية صـ٢٤ ، و دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ٢٤ .

بالفرار بدافع من اليأس . ولكن الترك ... أحدقوا بهم و مزقوهم شر ممزق . وكاد يكون موقف من نجا من الموت منهم قد بلغ حد اليأس . لو أن منظر شقائهم لم يذب قلوب المسلمين . و يستدر شفقتهم . فواسوا المرضى و أغاثوا الفقير و الجائع . الذى أشرف على الهلاك . وبذلوا لهم العطاء فى كرم و سخاء . بل لقد اشترى بعضهم ... النقود التى ابتزها الإغريق من الحجاج بالقوة أو الخداع . ووزعوها بسخاء بين المعوزين منهم . فكان البون شاسعا بين المعاملة الرحيمة . التى لقيها الحجاج من الكفار . وبين ما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق . الذين فرضوا عليهم السخرة . و ضربوهم . و ابتزوا منهم ما ترك لهم من متاع قليل . حتى إن كثيرا منهم دخلوا فى دين منقذيهم بمحض إرادتهم .

و كما يقول المؤرخ القديم :" لقد جفَوا إخوانهم فى الدين . الذين كانوا قساة عليهم . ووجدوا الأمان بين الكفار . الذين كانوا رحماء عليهم . ولقد بلغنا أن ما يربوا على ثلاثة آلاف . قد انضموا بعد أن تقهقروا إلى صفوف الترك . آهٍ ، إنها لرحمة أقسى من الغدر ! لقد منحوهم الخبز . و لكنهم سلبوهم عقيدتهم . ولو أن من المؤكد . أنهم لم يُكرِهوا أحدا من بينهم على نبذ دينه . و إنما اكتفوا بما قدموه من خدمات"[1]

و على الرغم من رمى الراهب و المؤرخ القديم للمسلمين بالكفر . إلا أن الذى يعنينا هنا . أنه على الرغم من النفس الغاضبة الملتاعة ، و الحانقة فى ذات الوقت على الإسلام . إلا أن شمس التسامح الإسلامى كانت أضوء من ظلام حقدهم ، و أظهر من أن تخفيها أيادى الشانئين الشلاء . فاعترفوا بما لا محيص عنه . و لا سبيل إلى إنكاره .

و يقول " توماس أرنولد " (أما عن حمل الناس على الدخول فى الإسلام . أو اضطهادهم بأية وسيلة من وسائل الاضطهاد . فى الأيام الأولى التى أعقبت الفتح العربى . فإننا لا نسمع عن ذلك شيئا .. . ويقول عن الجزية : على أن هذه الجزية لم تفرض إلا على القادرين من الرجال . على حين أُعْفِى منها النساء و الأطفال و الرهبان و المقعدون و العميان و المرضى و المساكين و الأرقاء . هذا إلى أن جَمْع هذه الضرائب ، قد قام به الموظفون المسيحيون أنفسهم ، مما خفف وطأتها على الناس .... ولم يتعرض لهم المسلمون فى إقامة شعائرهم الدينية ... فقد كانوا يقدمون القرابين بين دق الناقوس .

---

[1] المرجع السابق صـ١٠٨ ، ١٠٩ . بتصرف .

و إحراق البخور . و غير ذلك من الطقوس الكاثوليكية . و كذا ترانيم المزامير و إلقاء المواعظ .
و الاحتفال بالأعياد المسيحية على النحو الذى كانوا يحتفلون به قبل الفتح)[١]

هذا – و لا شك – من ثمرات البحث العلمي النزيه و المعتدل . و الذى يقرر الحقيقة لأى فريق كانت هذه الحقيقة . و لا يظنن ظان أن الحقيقة عندنا – نحن المسلمين – هي إنصاف الإسلام . بل الحقيقة التي نبتغيها عرض الحقائق التاريخية بعيدا عن دخن النفوس . صافية كما هي . و بعد ذلك نحن و هم أمام موازين البحث العلمي النزيه سواء .

المطلب السادس

مستشرقون أسلموا

من المستشرقين رجال أدى (بهم البحث الخالص لوجه الحق . إلى اعتناق الإسلام . و الدفاع عنه فى أوساط أقوامهم الغربيين . كما فعل المستشرق الفرنسى " الفنان " دينيه "* الذى عاش فى الجزائر . فأعجب بالإسلام و أعلن إسلامه . و تسمى باسم " ناصر الدين دينيه " و ألف مع عالم جزائرى كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

و له كتاب " أشعة خاصة بنور الإسلام " بيَّن فيه تحامل قومه على الإسلام و رسوله . وقد توفى " ناصر الدين دينيه " فى فرنسا . ونقل جثمانه إلى الجزائر و دفن بها)[٢]

و من المستشرقين الذين أسلموا (" بوزورث سمث " و " ج. وليـنز " و " أنسويروكس " و " أرنست بارنت " الألمانى " و " أرثر كين " الأمريكى " على عمر كريم " و " هوجين لويسى بوركهابرت** " (١٧٨٤– ١٨١٧) و هو سويسرى تجنس بالجنسية الإنجليزية و توفى و دفن فى القاهرة .

---

[١] المرجع السابق صـ١٥٧ ، ١٥٨ . بتصرف .

* دينيه ، إتين "١٨٦١–١٩٢٩م " تعلم فى فرنسا و قصد الجزائر . أشهر إسلامه و تسمى بناصر الدين دينيه١٩٢٧م وحج سنة١٩٢٨م .من آثاره محمد فى السيرة النبوية ، و أشعة خاصة بنور الإسلام . رحمه الله تعالى .

[٢] د /مصطفى السباعي ج الاستشراق و المستشرقون – مرجع سابق صـ ٢٥ ، ٢٦ . بتصرف .

** جوهن لويس بوركهارت "١٧٨٤–١٨١٧م " سويسرى الأصل ، و لد فى لوزان ، و تخرج من ليبزج و جوتنجن فى الكيمياء ، و زار إنجلترا ، و تعلم فى كمبريدج الطب و علم الفلك و اللغة العربية ، تجنس بالجنسية البريطانية ، قرآ القرآن و تفقه فى دين الإسلامى ، كشف عن مدينة البتراء ، أسلم و تسمى بإبراهيم بن عبدا لله و أدى مناسك الحج و قضى بمكة ثلاثة أشهر ١٨١٤م ، توفى بالقاهرة . رحمه الله تعالى . المستشرقون جـ٢ صـ٥٢ .

و " اللورد ستانلى أوف الدرلى * " - واللورد هيدلى - الشيخ عبد الواحد يحيى " و هو فرنسى كاثوليكى أسلم على المذهب الإسماعيلى . و تصوف و عاش بالقاهرة حتى مات بها . و " جون سنت " الإنجليزى (محمد جون) رئيس جمعية المسلمين الإنجليز . و المهندس المعمارى الأسترالى " نورمان " و اشتهر باسم " أحمد عبد الله نورمان " و علاء الدين شلبى " الألمانى . و المرحوم الأستاذ " كرستيان شرفيس " أحد تلامذة " أوجست كومت " و أحد الأدباء الفرنسيين المعدودين . و فلاسفتها المشهورين . و " هاورث دن " من اصل ألمانى يعيش فى أمريكا و تسمى باسم " جمال الدين ")[1]

لا شك أن أحدا لم يجبر هؤلاء الأعلام على الدخول فى الإسلام . كما أنه لم تكن للإسلام إمكانيات إعلامية تنشر تعاليمه و تدعو الناس إلى حقائقه . إنما هى الحقيقة الإسلامية . التى يراها كل باحث عن الحق . و التى يؤمن بها كل من تحرر من الأهواء . رضى الله عنهم أجمعين .

---

* ستانلى أوف الدرلى ، اللورد . من آثاره : نشر شرح البزدوى على الفقه الأكبر "لندن ١٨٦٢م . العقيقى جـ٢ صـ٥٩ .

[1] د/ عبد المتعال الجبرى – السيرة النبوية و أوهام المستشرقين صـ٤٨ . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م مكتبة وهبة – القاهرة .

المبحث الخامس

جهـــود المستشرقين العلميـــة

لكل ما سبق و غيره يجدر بنا الاعتراف . بأن عددا من المستشرقين . كرسوا حياتهم و طاقاتهم لدراسة العلوم الإسلامية . و تبنوا موضوع الشرقيات و الإسلاميات . بدون تأثير عوامل سياسية أو اقتصادية أو دينية ...

يجدر بالذكر منهم البروفيسور " توماس أرنولد " T.w.arnold صاحب الكتاب القيم The preaching of Islam (الدعوة إلى الإسلام) .

و " استانلي لين بول Stanley lane poole صاحب كتاب "Saldin " صلاح الدين "

و"Moors in Spain " العرب في أسبانيا " .

و الدكتور " اشبرنجر "Dr.aloys Sprenger . صاحب المقدمة الإنجليزية النفيسة لكتاب " الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني " طبع المجمع الآسيوى الملكي بكلكته .

و ادوارد لين " Edward william lane صاحب المعجم الكبير المنسوب إليه المعروف بـ" Arabic -English Lexion لشرح المواد العربية باللغة الإنجليزية شرحا موسعا يعتمد عليه و يستفيد منه كثير من علماء اللغة العربية و النحو . طبعت ثلاثة من أجزائه التسعة بعد وفاته ...

و " ج . ب . استرنتج " G.b.stringe صاحب كتاب Lands of the eastern caliphote " جغرافية الخلافة الشرقية " .

و كلها مؤلفات و بحوث تدل على عناء المؤلفين . و دراساتهم الضنية المخلصة للموضوع . المتجردة في أغلب الأحوال عن العصبية و مجانبة الحق[1]

و عن أعمالهم العلمية في مجال السنة النبوية يقول الدكتور / محمد أبو شهبة (إن بعض المستشرقين كانت لهم في دراساتهم للسنة و الأحاديث ، أعمال مذكورة غير منكورة . و مشكورة غير مجحودة . و ذلك بإحيائهم بعض الكتب الحديثية ، و تأليفهم بعض الكتب ، التي قربت إلى الباحثين

---

[1] أبو الحسن على الندوى – الإسلاميات بين كتابات المستشرقين و الباحثين المسلمين صـ١٢، ١٥ بتصرف الطبعة الثالثة ١٤٠٩ = ١٩٨٩ م دار الرسالة بيروت .

و الدارسين الوقوف على الأحاديث في مظانها و مواضعها . و ذلك مثل ما صنع " فنسنك* " في مفتاح كنوز السنة و كما فعل جماعة من المستشرقين بتأليفهم كتاب " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي" . و هذا يدل على تقديرنا للأعمال العلمية النافعة . و أننا لا نكره المستشرقين كافة . و لا نمدحهم بعامة . و إنما نقول للمحسن : أحسنت . و للمسئ : أسأت . و لمن أحسن في مكان و أساء في آخر : لقد خلطتَ عملا صالحا و آخر سيئا)[١]

و أما في مجال الدراسات الأدبية و التاريخية . فلقد (عكفوا على تعلم اللغة العربية . و برعوا فيها و أصبحوا أساتذة . يحققون المخططوطات القديمة . و يتتبعون القواميس العربية العويصة . و ينظمون الفهارس و الجداول للدراسات الأدبية و التاريخية . و هذه تقدم للبحّاثة خدمات جُلّى . يعرف قيمتها من كابدها .

و يدرسون تاريخ القرآن آية فآية . وتاريخ العرب و الإسلام يوما فيوما . و يغوصون في بحور الأدب الجاهلي . و يستخرجون من بطون المكتبات المخطوطات النفيسة . التي استولت عليها دولهم من بلدان الشرق . أو اشتروها بأثمان بخسة . أو استحصلوا عليها بأية طريقة أخرى . فيحققونها و ينشرونها . فتصبح بالنسبة لسائر البحّاثة مراجع لا غنى عنها في أعمالهم الفكرية)[٢]

---

* فنسنك ، أرنت يان "١٨٨٢-١٩٣٩م" مستشرق هولندي كانت أطروحته للدكتوراه في ١٩٠٨م و عنوانها محمد و اليهود في المدينة باللغة الهولندية ، صاحب فكرة المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، و عاونه فيه ٣٨ باحثا . طبقات المستشرقين صـ١٩٤ .

[١] أ.د/ محمد أبو شهبة – دفاع عن السنة صـ٣٧ . الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م مكتبة السنة – القاهرة .

[٢] د/ محمد صالح البنداق – المستشرقون و ترجمة القرآن صـ٨٨ .

مجالات جهود المستشرقين

أولا: الفلك و الجغرافيا .

١- زبدة كشف الممالك للظاهري - نشره " رافيس* "

٢- جغرافية أبي الفداء لأبي الفداء . نشره " جوبار الفرنسي "**

٣- كشف الممالك و الأوزان الشرعية في الإسلام . نشره " دي ساسي*** "

٤- الجداول الفلكية من الزيج**** الحاتمي - نشره " برسفال***** " سنة ١٨٤٧ م .

٥- الإدريسي في الجغرافيا بخرائطه في جزئين - نشره " جوبير "****** عام ١٨٣٦ و عام ١٨٤٠ م .

٦- كشف المسالك و الممالك لعبد الله القرطبي - نشره البارون " دي سلان******* " سنة ١٨٧٩ م .

٧- الخطط للمقريزي -- نشره " جاستون فييت " .

---

* رافيس . ن " ١٨٦١-١٩٢٩م " أستاذ في مدرسة اللغات الشرقية بباريس . و عضو المعهد الفرنسي بالقاهرة . من آثاره : قصور الخلفاء الفاطميين ١٨٨٦م .العقيقي جـ١ صـ٢٢٨ .

**جوبار = جوبير "١٧٧٩-١٨٤٧م ولد في بروفنس و انتقل إلى باريس دخل مدرسة الهندسة و التحق بمدرسة اللغات الشرقية أرسل مع حملة نابليون مترجما ثانيا ثم مترجما أول ،ثم عين أستاذا للتركية في مدرسة اللغات الشرقية ، و أمينا للسر و مترجما للمقررات التي تتعلق بالشرق لدى الحكومة . ساعد في نشر نزهة المشتاق للإدريسي بخرائطها متنا و ترجمة في جزأين ١٨٦٣م.

*** دي ساسي أنتوني إسحاق سلفستر . شيخ المستشرقين الفرنسيين ، ولد في باريس ١٧٥٨م . عين أستاذا لكرسي اللغة الفارسية في الكوليج دي فرانس . و بعد سقوط نابليون و عودة الملكية عين رقيبا ملكيا و عين مديرا لجامعة فرنسا ١٨١٥م . اقترح تأسيس المجلة الآسيوية و التي هي من أهم المجلات الاستشراقية . العقيقي جـ١ صـ١٦٢ .

**** الزيج : كلمة فارسية معناها : مسطارة البنائين أو خيط البناء ، و في الاصطلاح : الزيج جداول فلكية مرتبة بنظام خاص تجمع من حصيلة أرصاد . تتم خلال عدة سنوات من أجل تعيين و تحديد مواضع الكواكب و الأجرام السماوية على أساس قواعد و قوانين حسابية . و هذا اللون من العلوم يعد فرعا من فروع علم الهيئة عند العرب . . معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية صـ٢٥ . ٢٦ .

***** جان جاك كوسين دي برسفال ، ١٧٥٩-١٨٣٥م " تخرج بالعربية من معهد فرنسا . و عين أستاذا لها فيه ١٧٨٤م . ثم انتدب أمينا للمخطوطات العربية في دار الكتب ١٧٨٧-١٧٩٠م " من آثاره ترجمة سورة الفاتحة ، و نشر شرح معلقة امرئ القيس للزوزني . العقيقي جـ١ صـ١٦٥، ١٦٦ .

****** جويار ١٨٢٤-١٨٨٤ درس العربية و الفارسية في معهد فرنسا و في مدرسة الدراسات العليا منذ نشأتها ، من آثاره بحث في صلاح الدين باريس ١٨٧٠م و ترجمة فتوى ابن تيمية في النصيرية ١٨٧٢م . العقيقي جـ١ صـ١٩٢ .

******* البارون دي سلان ، ١٨٠١-١٨٧٨م " إيرلندي الأصل ، فرنسي الجنسية ، تخرج على دي ساسي . و عين مترجما في وزارة الحربية ، ونحا في استشراقه ناحية المغرب ، من آثاره : ديوان امرئ القيس متنا و ترجمة ، و تراجم المشهورين في الإسلام و لم يتمه . العقيقي جـ١ صـ١٨٠ .

ثانيا : في التاريخ :

١- تاريخ سيطرة العرب على إسبانيا للنويري نشره " جاسبار ريميرو "* ١٨٦٨ م . ١٩٢٥ م

٢- واسطة السلوك في سياسة الملوك للسلطان " موسى بن حمو الثاني " نشره و ترجمه للإسبانية " جاسبار ريميرو "

٣- تاريخ بيت المقدس و الخليل لمجير الدين . ترجم بعض فصوله " سوفير** "

٤- البدء و التاريخ " ٦ أجزاء " لابن المطهر المقدسي . نشره " كليمان هيار "

٥- طبقات الأمم لصاعد الأندلس ترجمة " رجيس لويس بلاشير*** " .

٦- إسبانيا المسلمة لابن الخطيب . نشره " ليفي بروفنسال "

٧- مروج الذهب للمسعودي . ترجمه " دي كورثاي**** "

٨- عيون التواريخ لمحمد بن شاكر . نشره " سوفير " الفرنسي .

٩- الوافي بالوفيات للصفدي . نشره ديغرمري***** و " سانجينيتي ****** "

١٠- كامل التواريخ لابن الأثير . نشره " فنيان******* "

---

* جاسبار ريميرو . م . " ١٨٦٨-١٩٢٥ . ولد في سرقسطة و تعلم اللغات السامية و عين أستاذا للعربية و العبرية في جامعات هافانا و سلكمنه و غرناطة و مدريد . من آثاره : تاريخ مرسيه الإسلامية ١٩٥٥م . و ثائق عربية لملوك غرناطة . ١٩٠٩-١٩١١م .

** هـ . سوفير "١٨٤٩-١٨٩٦م " فرنسي . تخرج من مدرسة اللغات الشرقية بباريس فعينته حكومته قنصلا لها في سوريا . من آثاره : فصول من الأنيس الجليل في تاريخ القدس و الخليل . العقيقي جـ١ صـ٢٠٨،٢٠٩ .

*** بلاشير .ر.ل " ١٩٠٠-١٩٧٣م " فرنسي . ولد في مون روج بالقرب من باريس تخرج بالعربية من كلية الآداب بالجزائر ...نال الدكتوراه ١٩٣٦م و عين أستاذا محاضرا بالسوربون ١٩٣٨م . و من آثاره المتنبي الشاعر العربي الإسلامي . العقيقي جـ١ صـ٣٠٩ .

**** دي كورثاي " ١٨٢١-١٨٨٩" فرنسي حفيد دي ساسي من جهة أمه ، أتم دروسه في مدرسة فرساي . قدم باريس حيث تضلع من اللغات الشرقية

و في مدرسة شباب اللغات أعدّ نفسه للذهاب إلى الشرق ، من آثاره : صعود محمد و معجزاته ١٨٨٨م . العقيقي جـ١ صـ١٨٩ ،١٩٠ .

***** ديغرمري ، ش . "١٨٢٢-١٨٨٤م " فرنسي ولد في كمبري ، تخرج بالعربية و بالفارسية . و عين أستاذا في معهد فرنسا ١٨٦٨م ، من آثاره ترجمة حافظ و كتاباته ١٨٥٨م ، تاريخ الشرق الأوسط في جزأين . العقيقي جـ١ صـ١٩٠ .

****** سانجينيتي ، ن "١٨١١-١٨٨٣م" فرنسي من آثاره : الأطباء المذكورون في ابن أبي أصيبعة ، و في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي . و فصول في الطب و الأمراض عن العرب . العقيقي جـ١ صـ١٨٥ .

******* فانيان ،م . "١٨٤٦-١٩٣١م " ولد في بلجيكا ، و تخرج في اللغات الشرقية من باريس و كلف بإلقاء المحاضرات عن الدراسات الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر ، من آثاره : المقابلات في فقه مالك لسيدي خليل الجزائري ١٨٨٩م . العقيقي جـ١ صـ٢٠٥ .

ثالثا : في العلوم و الطب :

١- الأطباء المذكورون في ابن أبي أصيبعة . نشره " ديفرمري " و سانجينيتي "

٢- فصول في الطب و العلاج العربي نشره "ديفرمري " و " سانجينيتي "

٣- الآلات و الحيل لـ" هيرون الإسكندري* " مستندا إلى قسطا بن لوقا . نشره " البارون دي فو"

٤- الآلات المفرغة الهواء و المائية لفيلون البيزنطي نقله عن العربية . نشره " البارون دي فو** "

٥- كتاب يبحث في الساعات المائية و على المجسطي*** لأبي الوفاء البوزجاني .نشره "البارون دي فو"

٦- أسماء النباتات المختلفة لابن العوام ترجمة " مو لله**** " في جزئين .

٧- ملخص في الطبيعيات للقويني ترجمة " مو لله "

٨- رسالة الضامري في دودة القز . نشره المستشرق " موسيل الفرنسي***** "

٩- رسالة في السموم لابن ميمون نشره المستشرق " مرسيل الفرنسي "

رابعا : في الأساطير :

ترجم إلى الإنجليزية و الفرنسية " ألف ليلة و ليلة " و يعرف باسم " الليالي العربية " و طبع منه ثلاثمائة طبعة خلال القرن التاسع عشر فقط . و قامت حوله دراسات و بحوث لـ" مائة ليلة وليلة "

---

* هيرون الإسكندري . عالم يوناني عاش في القرن الأول الميلادي . كان أول من طوّع البخار . المورد صـ٤٤ .

** البارون كار دى فو . "١٨٦٧-١٩٥٣م " فرنسي درس العربية و درّسها في المعهد الكاثوليكي بباريس . و عني بالرياضيات و الفلسفة و التاريخ . و له : راهب بحيرى و القرآن ١٨٩٨م . العقيقي جـ١ صـ٢٣٨ .

*** المجسطي : اسم كتاب لإقليدس في الرياضيات . معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية صـ٣٨٧ .

**** مو لله ، ك "١٧٩٩-١٨٦٩م " فرنسي تخرج بالعربية و شغف بعلم النبات و طبقات الأرض . من آثاره : الطبيعيات لدى العرب . عين ترجمانا بوزارة الخارجية . و من آثاره الطبيعة نقلا عن القزويني . و المعادن العربية . العقيقي جـ١ صـ١٧٨ ـ ١٧٩ .

***** مرسيل ،ج.ج . "١٧٧٦-١٨٥٤م" ولد في باريس . تخرج من جامعة باريس . و درس الجغرافيا و العربية . تولى مصنع البارود أثناء الحملة الفرنسية من آثاره : هو أول من ترجم خطاب نابليون في المصريين . ترجم أمثال لقمان . تاريخ مصر من الفتح العربي إلى الحملة الفرنسية . العقيقي جـ١ صـ١٦٨

عثر عليه " كودغراى ديموميين* " الفرنسى . و نشره بالفرنسية فى باريس سنة ١٩١١ م و هو ذو أصول هندية . و ترجم إلى الفارسية . ومنها إلى العربية)[١]

خامسا : فى خدمة القرآن الكريم :

إن من الخدمات الجليلة التى قدمها المستشرقون فى هذا الصدد . مبادرتهم لطبع القرآن الكريم قبل طبعه فى البلاد الإسلامية ....

فكانت الطبعة الأولى للقرآن الكريم مضبوطة بالشكل قد تمت فى " هامبرج " بألمانيا فى سنة ١٦٩٤م بعناية المستشرق " إبراهام هكمان " " Abraham Hickeimann رغم جميع المعارضات من الدوائر النصرانية . ويقال إن طبعة أخرى سبقت هذه الطبعة فى مدينة " البندقية " بإيطاليا فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى . إلا أنها أحرقت بأمر من البابا . و لم يتسَنَّ لأحد العثور على نسخة منها على الإطلاق . لكن سورة يوسف . تمت طباعتها فى " ليدن " بمعرفة المستشرق الهولندى توماس إربانيوس** Thomas Erpanuis عام ١٦١٧ م

و توجد نسخة منها فى بعض المكتبات . و تبعت ذلك طبعات لسور متفرقة منها . ما نشره Zechendorff فى أواسط القرن السابع عشر الميلادى . ثم صدرت طبعة شملت ثلاث عشرة سورة من القرآن الكريم ....

إلا أنها لم تكن مضبوطة بالشكل ، و قد طبعت فى " أمستردام " فى هولندا سنة ١٦٤٦ م بعناية المستشرق الهولندى Christianraven ، ثم تبعها سور أخرى طبعت فى " ليدن " سنة ١٦٥٥ م بعناية الهولندى Nissel ...

كما تمت طباعة القرآن فى دول ليس لها مصالح مباشرة فى الأقطار الإسلامية . كالسويد إذ تمت طباعته فيها أربع مرات . خلال الفترة ١٩٠٦٥– ١٩١٨ م من قبل المستشرق السويدى

---

* ديموميين . موريس جودفروا "١٨٦٢–١٩٥٧م" فرنسى ، درس القانون أولا ، ثم أقام فى الجزائر . عمل أستاذا لكرسى اللغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية ١٩١١م . من آثاره : ترجم تاريخ ملوك بنى الأحمر آخر ملوك المسلمين فى أسبانيا . طبقات المستشرقين صـ١٣٢ .

[١] د/ عبد المتعال الجبرى ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى صـ١٧ : ٢٢ ، بتصرف . مرجع سابق .

** توماس إربنيوس فان إربن "١٥٨٤–١٦٢٤م" مستشرق هولندى درس اللاهوت فى ليدن تعلم العربية ، قرأ الأجرومية و الكافية و العوامل المائة للجرجانى و قرأ القرآن من آثاره : ترجمة كتاب الأمثال . طبقات المستشرقين صـ١٢ .

" سترستين* " و ترجم بعض سوره إلى الأسبانية .

غير أن من أشهر الطبعات الطبعة التى قام بها المستشرق " فلوجل** " فى " ليبزج " سنة ١٨٥٣ م

و هناك جانب آخر من اهتمام المستشرقين بالقرآن الكريم . تجلى فى دراسته و ترجمة معانيه إلى مختلف اللغات ....

ومنها ما قام به الألمانى " فلوجل " عندما صنف معجما لألفاظ القرآن مع بعض الشروح سماه " نجوم الفرقان فى أطراف القرآن " ١٨٥٣ م ....

و كانت أطروحة المستشرق الألمانى " نولدكه " للدكتوراه . التى أعدها عن "تركيب سور القرآن" وقدمها إلى جامعة " جوتنجن " عام ١٨٥٦ م . و حازت على جائزة مجمع الآداب فى باريس ١٨٥٨ م و كتب بحثا قيما عن قراءة أهل مصر ....

و السيدة " كاشتاليفا*** " مستشرقة روسية . عملت على شرح بعض معانى القرآن . حسب الترتيب الزمنى لنزولها . كما درست تأثير القرآن في بعض كتابات الكتاب الروس .

ثم هناك الجهود التى بذلت لترجمة معانى القرآن الكريم منذ زمن بعيد .

و قد قاربت مائة ترجمة . بدءا بترجمة " روبرت أوف شيستر**** "

و " هرمان الدلماطى***** " اللذين عاشا فى أواسط القرن الثانى عشر الميلادى و تعتبر ترجمة " روبرت " أول ترجمة على الإطلاق[1]

---

* سترستين . ك .ف . "١٨٦٦-١٩٥٣م " حاز الدكتوراه فى الأدب ام ١٨٩٥م . تضلع من الفارسية و التركية . من آثاره : حقق و نشر كتبا عربية كثيرة منها : كتابة مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية . و الألفية لابن معطى . و القرآن و الإنجيل المحمدى .. المستشرقون جـ١ صـ٢٩ .

** فلوجل =فلوجيل . ج . " ١٨٠٢-١٨٧٠م " ألمانى ولد فى سكسونيا . و درس اللغات الشرقية فى ليبزيج و أجيز بها . عين أستاذا للغات الشرقية فى معهد ميسان الملكى . من آثاره : نشر مؤنس الوحيد لثعالبى متنا و ترجمة ألمانية ١٨٢٩م . و له نجوم الفرقان فى أطراف القرآن . العقيقى جـ٢ صـ٣٩٣

*** كاشتليفا . ك . س . سيدة روسية "١٨٩٧-١٩٣٩م " تخرجت من جامعة موسكو . من آثارها : التاريخ الزمنى لسور القرآن " الأنفال و النور و محمد " ١٩٢٧ م ، و ترجمة الآيتين ٧٧ ، ٧٨ . من سورة الحج ١٩٢٧م ، و مصطلحات القرآن في ضوء جديد ١٩٢٨م . العقيقى جـ٣ صـ١٠٠ .

**** روبرت أوف شستر ، من الرهبانية البندكتية ، اشتهر من عام ١١٤١م إلى ١٢٤٨ . إنجليزى . ممن تثقف بالثقافة العربية . و لا سيما العلوم الرياضية و الفلكية ، صرفه بطرس المكرم إلى ترجمة القرآن الكريم هو و صديقه هرمان الدلماطى فأتماها عام ١١٤٣م . العقيقى جـ١ صـ١١٣ .

***** هرمان الدلماطى المتوفى عام ١١٧٢م ، من الرهبانية البندكتية ، نقل إصلاح المجسطى للمجريطى . صنف فى كتاب البلاغة و اشعر لأرسطو مستعينا بشرح الفارابى على البلاغة و بتلخيص ابن رشد للشعر . العقيقى جـ١ صـ١١٣ .

[1] سامى الصقار – دور المستشرقين فى خدمة التراث الإسلامى صـ١٥٢ ، ١٥٤ بتصرف . مجلة المنهل . مرجع سابق .

سادساً : في خدمة السيرة النبوية :

(من الأعمال المبكرة في خدمة السيرة النبوية قيام المستشرق البريطاني "جان جانيه"* بترجمة السيرة منقولة عن تاريخ أبي الفداء إلى اللاتينية . ونشرها في أكسفورد في سنة ١٧٢٢م . وقام المستشرق الهولندي "دي يونج"** " بنشر سيرة بن هشام مع ترجمة لاتينية في ليدن سنة ١٨٦٥م .

وقد قام هذا المستشرق بنشر صحيح البخاري سنة ١٨٦٣ م . كما نشر كتاب " المشتبه في أسماء الرجال " للذهبي في ليدن عام ١٨٨١م . وهو في رجال الحديث . وقد حقق "كرنكوف*** "كتاب " الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم سنة ١٩٤٢م . كما نشر تاريخ البخاري سنة ١٩٣٤م . وكرنكوف دخل الإسلام وله دور بارز في التحقيق وهو بريطاني من أصل ألماني .

أما المستشرق الألماني "ألفرد جيوم"**** فقد ترجم كتاب القدر من صحيح البخاري ونشره عام ١٩٢٤م . وصنف كتاباً مدخلاً إلى علم الحديث)[٢]

---

* جان جانيه " ١٦٧٠-١٧٤٠م ولد في باريس و تعلم العبرية و العربية و تخرج من كلية دي نافار . و حصل على الماجستير من كمبريدج و درس اللغة العبرية في أكسفوردثم العربية ١٧٢٤ . ترجم رسالة الرازي عن الجدري ، سيرة النبي متنا و ترجمة ١٧٢٢ م . حياة محمد نقلا عن القرآن و مصادر السنة و كبار المؤلفين العرب في جزأين بالفرنسية دحض به افتراءات المتعصبين عليه ١٧٣٢ . العقيقي جـ١ صـ٤٥ .

** دي يونج "١٨٣٢-١٨٩٠م " هولندي تخرج بالعربية من جامعة أوترخت و نبغ فيها و عين أستاذا لها . من آثاره فهرس الكتب الشرقية في جامعة ليدن ١٨٤١م . العقيقي جـ٢ صـ٣١١ .

*** فريتس كرنكوف "١٨٧٢-١٩٥٣م " ولد في شنبرج بشمال ألمانيا . ألم بالألمانية و الفرنسية و الإنجليزية فضلا عن اللاتينية و اليونانية . اعتنق الإسلام و سمي نفسه محمد سالم الكرنكوفي . و انتخب عضوا في المجمع العربي في دمشق . العقيقي جـ٢ صـ٩٧ .

**** جيوم . ألفرد ١٨٨٨-١٩٦٢م " إنجليزي تخرج من جامعة أكسفورد ، عمل في فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م و عمل أستاذا زائرا للعربية بالجامعة الأمريكية ببيروت من آثاره " تراث الإسلام " مع غيره ١٩٢٤م و أثر اليهودية في الإسلام ١٩٢٧م . العقيقي جـ٢ صـ١١٧، ١١٨ .

[٢] المرجع السابق صـ ١٥٤

سابعًا : في الرياضة :-

١- مخطوطات الرياضيين الإسلاميين نشره " "كراوزه* " الألماني"

٢- الرياضيون المسلمون ألفه " كراوزه الألماني" [طبع برلين عام ١٩٣٦م]

ثامنًا :في الفلسفة : ترجموا ونشروا الكثير ومن ذلك :رسالة "حي بن يقظان** " نقله إلى اللاتينية "بوكوك"*** الإنجليزي في القرن السابع عشر الميلادي .

تاسعًا : المكتبات والمخطوطات :

في الحقبة ما بين عامي ١٩٢٤- ١٩٢٩م كان الدكتور " منجان**** " يجمع من الشرق الأدنى ما يستطيع جمعه من المخطوطات ....كما قام "مرجليوث***** " بعمل فهرس آخر لمخطوطات أخرى . ومن أشهر الكتب التي تضم ذخائر الثقافة الإسلامية والشرقية مكتبات كل من برلين وباريس وميلانو وروما ولندن وليبزج وليدن وأكسفورد وكمبريدج وميونخ ودبلن وأدنبرة ولينينجراد ومكتبة الجمعية الآسيوية البريطانية والأسكوريال . وقد ضمنت هذه المكتبات وأمثالها ما يربوا على مائتين وخمسين ألف مجلد .

---

* كراوزه .م . ألماني من آثاره الرياضيون المسلمون برلين ١٩٣٦م و مخطوطات الرياضيين الإسلاميين في استانبول ١٩٣٦م و البيروني . المعقيقي جـ٢ صـ٤١٢

** حي بن يقظان عنوان كتابين في الفلسفة لاثنين من مشاهير المفكرين المسلمين : حي بن يقظان لابن سينا . و هي رسالة فلسفية في إطار قصصي رمزي تمثل الصراع بين العقل و العالم المادي . و اهتم بنشرها المستشرق " ميرن " و تأثر بها كثير من المؤلفين .

حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي . و الرسالة تستهدف التعرف ببعض المسائل الفلسفية في إطار قصصي . و تعرف باسم أسرار الحكمة المشرقية . ترجمت إلى اللغة اللاتينية . دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ١٤٣ .

*** بوكوك . إداورد " ١٦٤٨-١٧٢٧م " إنجليزي . من آثاره طبعة غير كاملة عن تاريخ مصر لعبد اللطيف متنا و ترجمة لاتينية . المعقيقي جـ٢ صـ٤٥

**** ألفونسو منجانا "١٨٨١-١٩٣٧م " مستشرق إيطالي كان أبوه قسيسا . تعلم من ١٨٩٣م : ١٩٠٢م في المعهد السرياني الكلداني للدعوة في الموصل بالعراق ، سافر إلى إنجلترا و عمل في مكتبة "جون رايلند " الشهيرة بمخطوطاتها العربية و السريانية بالتعاون مع مرجليوث . نشر كتاب الدين و الدولة لعلي بن ربن الطبري . طبقات المستشرقين صـ٢٠٠ .

***** مرجليوث .د.س "١٨٥٥-١٩٤٠م " ولد و توفي في لندن و تخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد ، عمل أستاذا للعربية في جامعة أكسفورد ١٨٨٩م ، انتخب عضوا في المجمع العلمي في دمشق و المجمع اللغوي البريطاني و الجمعية الشرقية الألمانية . المعقيقي جـ٢ صـ٧٧ .

وتعد مكتبة "بودلى" التى تأسست عام ١٦٠٣م . من أهم المكتبات المختصة بالمخطوطات فهى تضم (٣٢٧٤) مخطوطة . وتليها مكتبة المتحف البريطانى . التى أسست بعد المكتبة البودلية بمائة وخمسين عاما .

ولقد أسس "دى كاسل برانكو"* مكتبة خاصة بالمخطوطات العربية وخلف وراءه خمسة أولاد كلهم يحسن العربية .

كما أنفق أسقف نابيو "جوستنيانى"** ثروته على جمع المخطوطات العربية واشتهر بها حتى إن " فرانسوا" استخدمه لتدريس العربية .....

وبإيطاليا عديد من المكتبات الغنية بالمخطوطات العربية والعبرية وأغناها مكتبات " أمبروزيانا " فى ميلانو والفاتيكان وبالاتينا . ففى مكتبة " أمبروزيانا " من المصاحف المختلفة الخطوط نحو ألف و أربعمائة مخطوطة عدا مجموعة القوانين العربية التى تبلغ ألفا و ثمانمائة و ستة و أربعين مخطوطة . ومن الكتب الدينية ما يربو على سبعة آلاف مخطوطة مخطوطة عدا دواوين الشعر وكتب الفقه والتاريخ والجغرافية والطب والفلسفة)[1]

إننا (لانستطيع أن نجحد جهود المستشرقين . ولا يمكن أن ننكر تماماً فضلهم . ولا يجوز لنا أيضاً أن نستغنى على وجه الإطلاق عن دراسات المستشرقين فى أبحاثهم . بل من واجبنا الإطلاع على وجهات النظر الغربية . فى موضوعات تاريخنا العربى والإسلامى . وإن القارىء المثقف والمطلع الفطن أو الباحث المتخصص . يستطيع أن يقيِّم أبحاث المستشرقين تقييماً حقيقياً صادقاً . كما يمكنه أن يميز بين الغث والثمين وبين وجوه الإنصاف والإجحاف)[2]

إن الجهود التى بذلها المستشرقون فى الدراسات العربية و الإسلامية . أضخم من أن تستوعبها صفحات قليلة . بل تحتاج إلى مجلدات تخصص لهذا الغرض . و ما ذكرته غيض من فيض ما قدموا

---

* برانكو . دى كاستل . فرنسى عمل مستشارا للبلاط الملكى بلشبونة . العقيقى جـ٢ صـ٢٦٦ .

** الأسقف جوستنيانى فرنسى ولد عام١٤٧٠م فى جنوى من أسرة نبيلة انضم إلى رهبانية الإخوة المبشرين فصرفته عن ذلك أسرته برحلة إلى بلنسيه تعلم فيها العربية و بعد عودته انخرط فى سلك الرهبانية الدومينيكية ١٤٨٨م . أنفق ثروته على جمع المخطوطات العربية و العبرية و الكلدانية . فلما رقاه البابا " ليون العاشر" إلى أسقفية نبيو ١٥١٦م أهدى له كتاب المزامير بخمس لغات العربية و الكلدانيةو اليونانية و اللاتينية و العبرية . العقيقى جـ١ صـ١٢٤ .

(١) د/ عبد المتعال الجبرى ـ الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى مرجع سابق صـ١٧ : ٢٤ . بتصرف .

(٢) المستشرقون والتاريخ الإسلامى ـ مرجع سابق صـ٥٨ .

و لكن هذه الجهود الضخمة وهي علمية خالصة . وحتى إن شابها شوائب . فمن الممكن تنقيتها والرد على ما فيها من شُبَهٍ .

وفي النهاية هي أعمال علمية خدمت تراثنا العربي والإسلامي خدمات جليلة . وأعود فأقول ولكن هذه الجهود وُظِّفَتْ ـ سواء قصد أصحابها ذلك أم لم يقصدوا ـ في خدمة أغراض معينة تخدم وجهة النظر الغربية . والذي يهمنا هو أن نكون على بينة من ذلك .

ومن بعد فإن هذا لايقل أبداً من خدماتها العلمية الجليلة التي خدمت طلاب العلم والباحثين على اختلاف مستوياتهم . كانت ولازالت وستظل مادامت الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها .

المبحث السادس

أهداف الدافع العلمي

(تتمثل هذه الأهداف العلمية في أربعة أهداف :-

أولاً : معرفة الشرق . ثانياً : معرفة الغرب لذاته .

ثالثاً : تكريس الشعور الغربي بالتفوق . رابعاً : تعرف الغرب على الخطر الذى يتهدده)[١]

الهدف الأول

معرفة الشرق

تمثلت صورة هذا الهدف في (إشباع نهم علمي متجرد وتحصيل معرفة صحيحة تتصل بأمة ذات علم وحضارة أصلية)[٢]

نعم لقد كان من بين الأهداف العلمية .. محاولة تحقيق فهم دقيق ومعرفة علمية وشاملة بالشرق بكل ما له وما فيه من حضارات وثقافات وأديان وفلسفات وعلوم . وكان هذا الهدف في نظر المستشرقين غاية في ذاته . وإن كان قد صار فيما بعد وسيلة لتحقيق أهداف أخرى غير علمية . وقد خلق هذا الهدف العلمي حماسة للشرق من جانب الغربيين . وأفرزت هذه الحماسة اقتناعاً لدى الغرب . بضرورة الشرق فكرياً للباحث الغربي في اللغات والثقافات والأديان .

ولم تكن هذه المعرفة بالشرق وفهمه لتتحقق للغرب . إلا بتوسط المستشرقين وجهودهم . فقد كان المستشرق ضرورياً لتحقيق ذلك ، لأنه يصطاد بعض الدرر من الأعماق الشرقية النائية . ويكشف كمية هائلة من المادة الشرقية المتنوعة المبهمة . ليضعها أما الغربيين في نسق معرفي. يعينهم على فهم الشرق.....

وإذا كان الباعث على دراسة اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية والعبرية . كان دينيا وحربيا في العصور الوسطى ، فقد تحول بعد ذلك إلى أغراض علمية ، هدفها كشف ما تكنه العلوم والفنون والآداب الشرقية من كنوز ثمينة ، وبتقدم هذه الدراسات . توثقت العلاقات العلمية بين الدول

---

[١] د/ محمد حسيني أبو سعدة ، الاستشراق والفلسفة الإسلامية ـ مرجع سابق صـ ٧٢ .

[٢] أ/ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ـ مرجع سابق صـ ١٣٠ .

الشرقية والغربية وكان للمستشرقين فضل فى تنبيه الأفكار بمؤلفاتهم إلى إدراك الحقيقة الخالدة التى طالما أنكرها الغربيون وهى أن المدنية الأوربية الحديثة . مبعثها الشرق فى علومه وحضارته وفلسفاته)[١]

الهدف الثانى

معرفة الغرب لذاته

يقول المستشرق الألمانى "رودى بارت" (إن عملنا على مستوى العلماء يسعى إلى هدف بعينه هو : إختراق الأفق الفكرى الذى تفرضه البيئة حولنا . وإلقاء نظرة إلى عالم الشرق . لكى نتعلم من الكيان الغريب علينا [الشرق] كيف نحسن فهم إمكانيات الوجود الإنسانى . وكيف نحسن بهذا فهم ذاتنا نحن فى نهاية المطاف)[٢]

فـ (البعد المعرفى فى حركة الاستشراق منذ بداياتها الأولى وحتى اليوم ..... بمثابة مرآة مصقولة يرى الغرب فيها نفسه ويطلع من خلالها على إيجابيته وسلبيته ونجاحاته وإخفاقاته . وانتصاراته وانتكاساته عبر تاريخ طويل نشأت خلاله العلاقة بين الشرق والغرب)[٣]

الهدف الثالث

تكريس الشعور الغربى بالفوقية والتميز

لقد كان الغرب يشعر بالفوقية والتميز على الشرق وعلى سبيل المثال كان المستشرق "دى ساسى" (يؤكد على أن عمله الاستشراقى لايهدف إلى إكتساب شىء من الشرق . من حيث إن الحضارة الأوربية قد بلغت مرحلة أسمى من الحضارة الشرقية)[٤]

فكانت الدراسات الشرقية تكريساً لهذا الشعور لدى الغرب . وفى المقابل لهذا كان (تعزيز الشعور الشرقى بالدونية . ومحاولة إقناع الشرقيين بضآلة وعجز العقلية الشرقية . وإفراغ نتاجه الحضارى والثقافى فى كل صوره ومجالاته من أى مضمون إبداعى ....

وقد أشار الدكتور "إدوارد سعيد" إلى شىء من ذلك بقوله لقد كان أحد التطورات الهامة فى استشراق

---

[١] المرجع السابق صـ٧٢ـ ٧٣ .

[٢] د/ رودى بارت ، الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية . مرجع سابق صـ١٣ .

[٣] د/ محمد حسينى أبو سعدة ، الاستشراق والفلسفة الإسلامية صـ ٧٤ بتصرف .

[٤] المرجع السابق صـ٧٣.

القرن التاسع عشر تكريس الأفكار الجوهرية حول الشرق حواسيته وميله إلى الطغيان . وعقليته المنحرفة وعادة غياب الدقة لديه وتخلفه . وتحويل هذه الأفكار إلى نسق مستقل مقبول دون تحج ..... ويترتب على هذا تهيئة الوجدان والعقل الشرقي لتقبل الاستعمار وحكمه ....وكادت معظم مضامين هذا الوصف تستقر في نفوس الشرقيين ...وقد خلق هذا لدى الشرقيين أو هكذا تصور الغرب اقتناعاً يحقق نوعاً من التقبل للإستعمار الغربي والخضوع إرادياً له باعتبار أنه المنقذ للشرق من كل ما يعانيه من مشكلات[1]

ولقد رأينا من أبناء المسلمين . من كان يدعو إلى تقفي آثار الحضارة الغربية . ما يُحَبُّ منها وما يُكْرَه وما يُمْدَحُ منها وما يُذَمُّ . وهذا هو طريق الرقي بزعمهم !

الهدف الرابع

تعرف الغرب على الخطر الذي يتهدده

لقد سبق معنا عدة أقوال في الدافع السياسي . عن مدى تخوف الغرب من الإسلام فهو العدو اللدود أبداً . إلى الحد الذي وصلوا معه إلى توقع اتحاد بين أمريكا والاتحاد السوفيتي السابق . في مواجهة خطر الإسلام .

ولقد كان اهتمام طائفة من المستشرقين (بالجوانب الإيجابية لنهضة المسلمين والتعريف بها لا يعني في الحقيقة إلا توجيه نظر القوى المضادة لخطر يجب العمل على هدمه واحتوائه .

أما قضية إحياء كتب التراث و فهرستها . فإنه لا يعني أكثر من إعداد المادة . التي ينتفع بها رجالهم لتكون سهلة ميسورة ، ولامانع من أن ينتفع بها المسلمون . لتكون دليلاً على حسن نيتهم في خدمة التراث الإسلامي)[2] .

و على أي حال فإن الدافع العلمي لا يخلو من الجوانب المضيئة . و لو لم يكن إلا هؤلاء النفر من المستشرقين الذين أسلموا عن تحقيق و تدقيق . و موازنة بين ما كانوا يعتقدون . و ما درسوه عن الإسلام من دراسة موضوعية بعيدة عن التحيز و الهوى ، كان السبب في أن يسلم هؤلاء . و يصبحوا ردءا لدين الله أمام أبناء جلدتهم من المستشرقين ، و صدق الله العظيم : ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ الحشر ٢ .

---

[1] المرجع السابق صـ٧٥ ـ ٧٦ بتصرف .

[2] أ/ أنور الجندى ـ الاستشراق مجافاته لتاريخ الأمة الإسلامية وثقافتها . مجلة المنهل . عدد٤٧١ ـ مرجع سابق صـ ٢٥٩



الباب الثانى

موازين البحث عند المستشرقين

الفصل الأول

تحكيم الهوى و الوهم

الفصل الثانى

التهوين و التهويل

الفصل الثالث

التصحيف و التحريف

الفصل الرابع

تعميم الخاص و تخصيص العام

الفصل الخامس

تصيد الأخطاء

الفصل السادس

الاحتجاج بالروايات الضعيفة

الفصل السابع

التوسع فى الافتراضات و المجازفات

الفصل الثامن

بشرية الإسلام !

البــــــاب الثانى

موازين البحث عند المستشرقين

تمهيد :

يقال : وزن الشئ : قدَّره بوساطة الميزان . ووزن الشئ : قدَّره : يقال وزن الكلام .

ووازن بين الشيئين : موازنة ووزانا : ساوى و عادل .

ووازن الشئ بالشئ قابله و حازاه)[١] . و يقال : وزن الشئ إذا قدَّره و خرصه . و فى حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن بيع النخل حتى يؤكل منه . و حتى يوزن.

قلت : و ما يوزن ؟ فقال رجل عنده : حتى يُحرز .

قال أبو منصور : جعل الحزْر وزنا لأنه تقدير و خرْص)[٢] .

و البحث : (هو عملية تقصى الحقائق . و تبويبها و تحليلها . بالنسبة لظاهرة ما أو مشكلة ما . لإظهار حقيقة المشكلة . و أسبابها . و ما يناسبها من حلول)[٣] .

و كلمة البحث من الفعل " بَحَثَ " يقال : (بحث فى الأرض بحثا : حفرها . و طلب شيئا فيها .

و فى القرآن الكريم ﴿ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ﴾ المائدة ٣١ .

و بحث عن الشئ : طلبه و فتش عنه . أو سأل عنه و استقصى . و بحث الأمر : اجتهد فيه و تعرف على حقيقته . فهو باحث و بَحَّاث و بَحَّاثة ...

و البحث : بذل المجهود فى موضوع ما و جمع المسائل التى تتصل به)[٤] .

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ صـ١٠٢٩ . مرجع سابق .
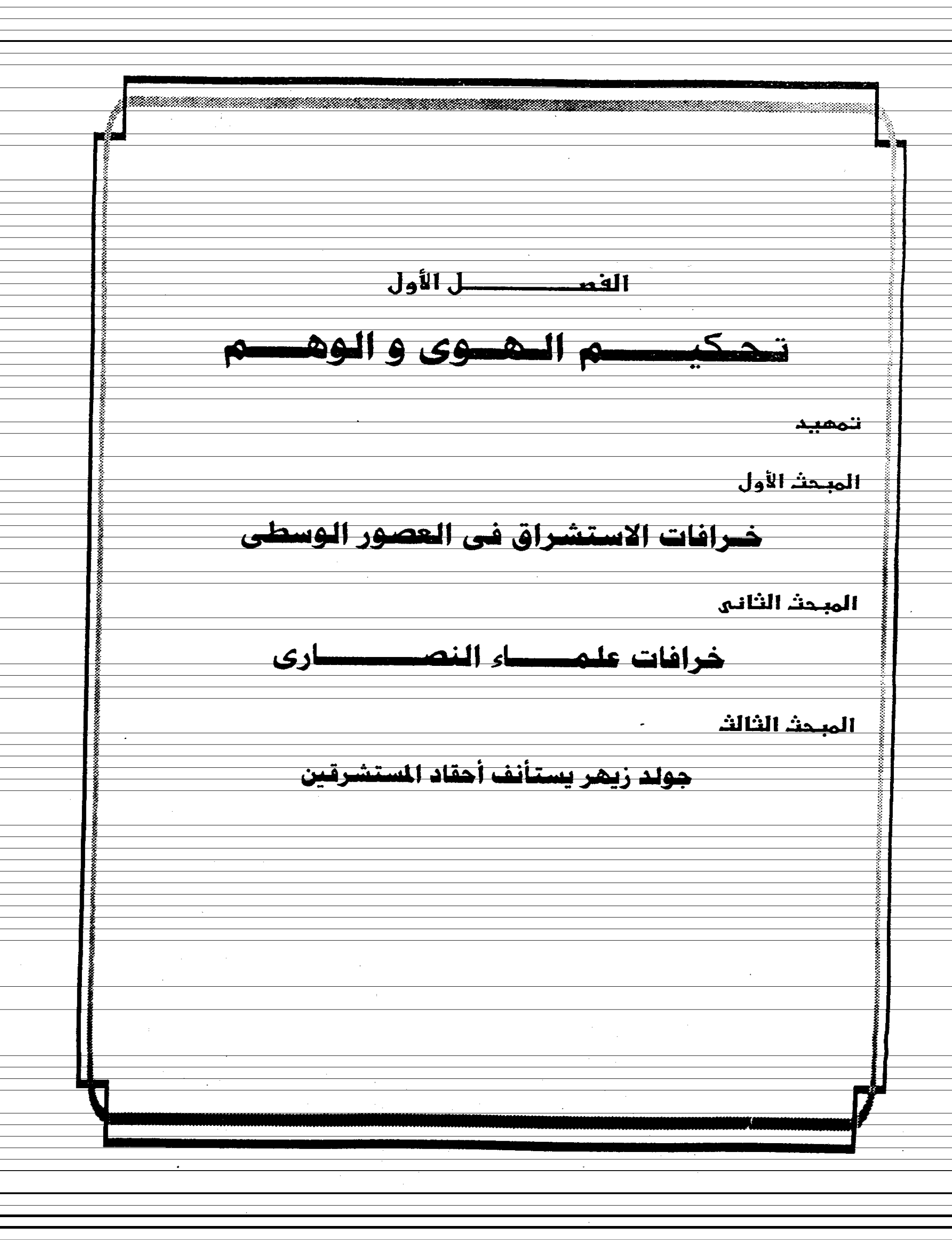
(٢) لسان العرب جـ٣ صـ٩٢١ . مرجع سابق .

(٣) د/ على عبدالحليم محمود ، نحو منهج بحوث إسلامى صـ١٢ ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م ، دار الوفاء ، المنصورة .

(٤) المعجم الوجيز صـ٣٧ . بتصرف ، مرجع سابق .

و قد اخترت كلمة " موازين " على كلمة المناهج . لأنها - في اعتقادى - أدل على حال المستشرقين فإن كلمة " وزن " - فى أصلها اللغوى . تعطى معنى محايدا فى التقييم . و لا تعطى تصور الرجحان لأحد الجانبين المراد وزنهما . أو للشئ المراد وزنه .

بخلاف كلمة المنهج ، فإنها - في أصلها اللغوى - تعنى الطريق الناهجة الواضحة المستقيمة . و هو فأل حسن لا ينبغي أن نقدمه بين يدى الدراسات الاستشراقية . التى من طبيعتها الميل و الجور والبعد عن صراط البحث المستقيم .



الفصـــل الأول

تحكيــم الهــوى و الوهــم

تمهيد

المبحث الأول

خـرافات الاستشراق فى العصور الوسطى

المبحث الثانى

خرافات علمـــاء النصـــارى

المبحث الثالث

جولد زيهر يستأنف أحقاد المستشرقين

الفصـــــل الأول

تحكيم الهــوى والــــوهم

تمهيد

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ القصص ٥٠.

ويقول تعالى : ﴿ أرأيت من اتخذ إله هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴾ الفرقان ٤٣.

ويقول جل شأنه ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا يذكرون ﴾ الجاثية ٢٣ .

واتباع الهوى فى الدراسات الاستشراقية . يعنى إطلاق الأحكام جزافاً وإلصاق التهم انطلاقاً من خلفية الحقد الموروث . وادعاءات أملتها نفية محمومة من حقدها على الإسلام .

وإن هذه الظاهرة لتظهر أوضح ما يكون فى كتابات الغربيين وتصوراتهم عن الإسلام والمسلمين فى العصور الوسطى .

المبحـــث الأول

خرافات الاستشراق فى العصور الوسطى فى ميزان الإسلام

إن (الكاتب الغربى المعروف "هنرى دوكاسترى " كان يتألم من تلك الدعايات الكاذبة المذاعة فى البيئات الأوربية عن الإسلام والمسلمين . من غير أن يكون لشئ منها ظل من الحقيقة ويقول :"ماذا كان المسلمون يقولون . لو بلغتهم ما يذاع عن دينهم . من الأساطير والخرافات فى الأوساط الأوربية . فى القرون الوسطى إذ كان الجهل الحاكم فى تلك القرون . يحول تلك الأساطير بصنوف من العدوان المكشوف والتعصب المرذول " .

ثم قال :حتى أن سوء القصد المتفشى فى الأوساط الأوربية إلى اليوم ضد الإسلام والمسلمين . ما هو أثر باق من تلك الخرافات المذاعة عنهم إذ ذاك ، وكان شاعر من النصارى فى تلك القرون يصور المسلمين عباداً للأوثان ، ويقول : إن لهم ثلاثة آلهه على ثلاث درجات :-

١- ماهون ٢- أوبلين ٣- ترماكان .

وكان هؤلاء الكتاب من أهل أوربا . يزعمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم . أوجد ديناً يعلن فيه عن نفسه أنه إله . وأشنع من ذلك وأغرب أن يعتقدوا في محمد . الذى هدم الوثنية وأتى بنيانها من الأساس وحطم الأصنام وأزالها من الوجود : إنه رجل حمل الناس على عبادة هيكله المصنوع من الذهب)[١]

ولست أدرى أى هيكل فى دين حَرّم كل مظاهر التقديس لغير الله تعالى . وفى طريقه إلى هذا حرم كل صور الإطراء التى تفضى إلى هذا التقديس .

فقد روى أبو داواد بسند " عن أنس قال : " لم يكن شخص أحب إليهم - يعنى صحابة رسول الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك " ....

وعن أبى مِجْلَز قال . خرج معاوية فقام "عبد الله بن الزبير" "وابن صفوان" حين رأوه فقال : اجلسا سمعت رسول الله ﷺ يقول : "من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار"[٢]

وعن أبى زرعة (قال دخلت مع أبى هريرة داراً بالمدينة فرأى فى أعلاها مصوراً يصور . فقال " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي . فليخلقوا حبة ، وليخلقوا ذرة . ثم دعا بتور من ماء فغسل يديه حتى بلغ إبطه . فقلت يا أبا هريرة : أشئ سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : منتهى الحلية " ....

وعن عائشة رضى الله عنها : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر . و قد سترت بقرام* على سهوة** لى . فيها تماثيل . فلما رآه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هتكه وقال : أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله . قالت فجعلناه وسادة أو وسادتين ")[٣] .

فأى هياكل أو أصنام تلك التى صورها الجهل المركب . فى أذهان هؤلاء القوم . أى هيكل فى دين

---

(١) أ/ محمد زاهد الكوثرى من عبر التاريخ فى الكيد للإسلام صـ١٣، ١٤ .

(٢) الإمام المباركفورى - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى جـ٨ صـ٢٤، ٢٥ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م دار الكتاب العلمية بيروت لبنان .

* القرام : ستر فيه رقم و نقوش . و القرام : ثوب غليظ من صوف ذى ألوان يتخذ سترا و يتخذ فراشا فى الهودج . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٧٣٠ .

** السَّهْوة : القوس المواتية و المطاوعة ، و السهوة شئ كالصفة يكون بين البيوت ، و السهوة حائط صغير يبنى بين حائطى البيت . و يجعل السقف على الجميع . المعجم الوسيط جـ١ صـ٤٥٩ .

(٣) صحيح البخارى بشرح السندى جـ٤ صـ٤٤، ٤٥ .

يقطع الطريق على كل مظهر من مظاهر التقديس لغير الذات الإلهية لقد (كسفت الشمس على عهد رسول الله يوم مات إبراهيم ابن رسول الله من السيدة مارية القبطية . فقال الناس : كسفت الشمس لموت إبراهيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشمس والقمر . لاينكسفان لموت أحد ولالحياته . فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله ")[1] .

أى هيكل في دين شعاره ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ دين لا أقانيم فيه ولا لاهوت ولاناسوت . ولاعقائد معقدة . توقف عمل العقل . وتطلق للهوى والوهم طريق الخرافة اللامحدود .

والأعجب من ذلك أن تكون هياكل ذهبية ! وليت شعرى أى ذهب عند محمد – صلى الله عليه وسلم الذى لم يشبع من خبز الشعير ولامن دقل التمر . والذى كان يمر على بيته ثلاثة أهلة ولا يوقد في إحدى بيوته نار . بل كان طعامه الأسودين :التمر والماء .

لقد سألته زوجاته التوسعة فى النفقة عليهن . فأنزل الله تعالى عليه ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ الأحزاب الآيتان ٢٨ . ٢٩

(فبدأ بعائشة رضى الله عنها فقال : " إنى أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك "قالت : وما هو ؟ قال : فتلا عليها ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك ... ﴾ الآية . قالت عائشة : رضى الله عنها : أفيك أستأمر أبوى ؟ بل أختار الله تعالى ورسوله . وأسألك أن لاتذكر لامرأة من نسائك ما اخترت . فقال – صلى الله عليه وسلم – : إن الله تعالى لم يبعثنى معنفا . ولكن بعثنى معلما ميسراً . لاتسألنى امرأة منهن عما اخترتِ إلاأخبرتها)[2] .

فأينَ الهياكل الذهبية من هذه الحياة التوحيدية الخالصة . الحياة التى تُفتقد فيها الضروريات فضلا عن التحسينيات .

و إذا كان الكتاب الغربيون استطاعوا فى حين غفلة من الزمن . وجهل من أممهم أن ينشروا هذا الإفك ، حتى كوّن رأيا عاماً عند النصارى واليهود من الأوربيين . شبَّ عليه الصغير وشاب

---

[1] صحيح البخاري بشرح السندى ـ السابق جـ١ صـ١٨٤ .

[2] د/محمد على الصابونى ،مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٩٢ ـ دار الصابونى ـ القاهرة .

عليه الكبير . فماذا هم صانعون إذا التقوا بالمسلمين وعاينوا أخلاقهم وسلوكياتهم وعقائدهم غير الذى كانوا يعلمون ؟

ويجيب علينا المستشرق "هنرى دى كاسترو" قائلاً :(وكان النصارى حينما ردوا المسلمين فى إسبانيا إلى أسوار "سرقسطة*" " أذاعوا أن المسلمين عادوا وأزالوا أصنامهم ! وكانت تلك الإذاعة الكاذبة منهم للحرص على عدم افتضاح كذبهم على المسلمين . بأنهم عباد أصنام مع أنهم لم يجدوا فى مساجدهم أصناماً حينما استولوا على بلادهم .

بل قد نظم بعض شعراء ذلك الزمن الخرافة السائدة بين النصارىٰ فى حق المسلمين قائلاً :أوبلين — إله المسلمين كان فى داخل غار فضربه المسلمون . وامتهنوه . ولعنوه وقطعوه قطعة قطعة . وداسوه تحت أرجلهم . ثم ألقوا إلاههم الثانى "ماهون " فى حفرة فداسته الخنازير والكلاب وحطمته .ولم يحتقر فى الدنيا إله من الآلهة هذا الاحتقار . ثم ندم المسلمون على ما فعلوا . فصنعوا من جديد أصنامهم التى خربوها . وكان الملك "شارل" بعث رجالاً للفحص فى كل مكان عن أصنام المسلمين . حينما دخلوا "سرقسطة" . حيث ذاعت عبادة الأصنام بينهم من جديد . فدخلوا الجوامع وكسروا الأصنام فيها بمطارق من حديد . هكذا أذاعوا كذباً وزوراً ")[1] .

وإنه ليكفينا رداً على هذا الهذيان أن "هنرى دى كاسترو "يصفه بالكذب والزور .وما ذلك الكذب والزور إلاّمخاض عقول أبناء جِلْدَتِه ودينه فى حقبة زمنية سابقة .

وها هو الشاعر "ريشر " يقول : (إلهى أرسل عذابك على عبّاد " ماهون " يريد أمة محمد عليه السلام كأنهم يعبدون صنم " ماهون "وكان هذا الشاعر يدعو النبلاء من أهل الصليب إلى التجنيد العام ضد الإسلام ويقول :قوموا واهدموا صنم " ماهون " وصنم " تارماكان " وأحرقوهما وضحوا بهما فى سبيل إلهكم)[2] .

---

* سرقسطة . مدينة أسبانية تقع على نهر " أيروا " على ارتفاع ١٨٤ مترا عن سطح البحر . تبعد ١٧٠ ميلا فى الشمال الشرقى عن مدريد . فتحها المسلمون عام ٩٤هـ=٧١٢م ، على يد موسى بن نصير ، و عرفت باسم الثغر الأعلى لموقعها الاستراتيجى لبياض أسوارها ، ظلت تحت الحكم الإسلامى حتى عام ٥١٢هـ=١١١٨م . عندما سقطت على يد ألفونسو الأول بعد حصارها تسعة أشهر . دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ٢٣٩ .

[1] من عبر التاريخ فى الكيد للإسلام ـ مرجع سابق صـ١٤ .

[2] المرجع السابق صـ١٤، ١٥ .

(وهناك فى هذا الصدد حكايات فى وصف الإسلام مغرقة فى الخيال وفى الضلال . اخترعها خيال الكتاب فى ذلك العصر مثل أنشودة "رولاند" الشهيرة The song of Roland وغيرها من آثار أدبية تصف المسلمين بأنهم عباد أصنام . أوأنهم يعبدون آلهة ثلاثة هى " تيرفاجان Tervngan ومحمد "أبوللو" وقد اعترف أعلم المؤلفين المسؤلين عن هذا الأدب وهو "جيبير " النوجنتى " "Guobert denogent" ت١١٢٤ " بأنه لايعتمد فى كتاباته عن الإسلام على أية مصادر مكتوبة . وأشار فقط إلى آراء العامة وأنه لايوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب . ثم قال مبررا كتاباته غير العلمية عن الإسلام ونبيه " لاجناح على المرء إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء ")[1] .

هذا هو المنظار الذى ينظر من خلاله هؤلاء إلى الإسلام " لاجناح على المرء إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء ".

وإذا كان "جيبير" لايعتمد فى معرفته بالإسلام ولاكتابته عنه إلى مصادر مكتوبة . فكيف عرف أنه دين يفوق خبثه كل سوء !؟ لعله استند فى ذلك إلى حكايات جَدّاته وعجائز بلاده . اللاتى تنزل عليهن بها الشيطان الرجيم ، فطلع بها علينا العلامة "جيبير النوجنتى" !!!

المبحث الثانى

خرافات علماء النصارى

ولعل قائلاً يقول : إن هذا كان تيارا ضم الأدباء والشعراء . وهم قوم تدفعهم العاطفة أكثر مما يدفعهم العقل والروح العلمية الواعية .

فأقول : نحن الآن نقف أمام " القديس توما الأكوينى "١٢٢٥* -١٢٧٤م والذى يقول عنه المستشرق "مونتجمرى وات "**" : (كان من بين أكثر مفكرى القرن الثالث عشر اعتدالا ونبوغاً . فبعد أن

---

[1] د/محمود حمدى زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى - مرجع سابق ص٢٢-٢٣ .

* توما الإكوينى ألمانى " ١٢٢٥-١٢٧٤م و لد فى قصر روكاسيكا بمدينة أكوينى من أسرة ألمانية شريفة و تعلم فى دير مونتى كاسينو للرهبان البندكتيين ١٢٣٠ م حتى احتله " فريدريك الثانى " و طرد رهبانه ١٢٣٩م و أعاد توما إلى قصر أبيه فالتحق بجامعة نابولى ، أخذ العلم فى باريس على البر الكبير فى دير كلونى أحرز لقب أستاذ فى علم اللاهوت ١٢٥٦م و لا تزال فلسفته أساس الدراسات اللاهوتية الكاثوليكية حتى اليوم . طبع من مصنفاته عشرة آلاف صفحة من القطع الكبير ، اعترف فيهاباقتباسه عن ابن سينا و الغزالى و ابن رشد .

** مونتجمرى وات ، إنجليزى و عميد قسم الدرسات العربية فى جامعة أدنبرا ، من آثاره عوامل انتشار الإسلام ١٩٥٥م محمد فى مكة ١٩٥٨م .

تحدث عن الأديان والأدلة العديدة التي تؤكد صحة العقيدة المسيحية وتدعمها . نجده يصر على أن هذه الأدلة مفتقرة لدى أمثال محمد ممن أسسوا ما أسماه " توما " بالفرق بالإضافة إلى المتع الجسدية التي يبيحها الإسلام والتي تجذب الناس إليه سذاجة الأدلة والحجج التي جاء بها محمد . وخلطه الحق بقصص لاسند لها في التاريخ . وتعاليمه الزائفة وافتقاره إلى المعجزات . التي تؤيد زعمه أنه نبي . ثم وصف أتباعه الأول بأنهم " رجال لاعلم لهم بالإلهيات . يعيشون في الصحراء حياة أقرب إلى الحيوانات

ثم يضيف قوله : إن هؤلاء الأتباع كانوا مع ذلك من الكثرة بحيث مكنوا محمداً من إجبار الآخرين بالقوة العسكرية على اعتناق الإسلام ....

وفي حين قنع " توما الأكويني " والكثيرون غيره من الكتاب بالقول بأن محمداً خلط الحق بالباطل تمادى آخرون فادعوا أنه "حيثما قال قولاً سليما دس فيه السم الكفيل بإفساده "..

أو على حد قول أحدهم :" لاحظ في الكتاب بأسره دهاءه الرائع المتمثل في أنه كلما أراد أن يقول قول شيئا شريراً . أو يعيد إلى الأذهان شيئا شريراً ذكره من قبل . أسرع بإضافة كلام عن الصوم أو عن الصلاة أو عن حمد الله "......

بل إن "بدرود ألفونسو" كان يظن أن من بين تعاليم دين العرب الدعوة إلى السرقة من أعداء الله ورسوله وأسرهم وقتلهم . واضطهادهم وهدمهم بأي صورة من الصور بل لقد بلغ الأمر بأحد كبار المتحمسين المدافعين عن الحروب الصليبية وهو " Humbert of Romans " إلى حد قوله :" إن المسلمين شديدو

الحماس لدينهم لدرجة أنهم يقطعون دون رحمة رأس أي مخلوق يهاجم هذا الدين . في أي إقليم يسيطرون عليه "..........

هل الإسلام هرطقة مسيحية ؟

وقد تناول "بطرس المحترم" فكرة لبعض علماء اللاهوت اليونانيين . وهى أن الإسلام هرطقة مسيحية وذهب إلى أن الإسلام أسوء من هذا . وأنه من الواجب اعتبار المسلمين كفرة . وكان جوهر التفكير المسيحى فى هذا الصدد هو أنه حيث إن محمداً ليس بنبى . وحيث إنه أسس مع ذلك دينا جديداً . فلابد أنه ساهم إيجابيا فى ساندة قوى الشر . ولابد أنه كان إما أداة للشيطان أو عميلاًله) [1] .

إن أول ما يواجهنا فى هذه الهرطقات قولهم :- إن الإسلام فرقة منشقة عن المسيحية . أو هرطقة مسيحية وذلك بناء على زعمهم (أن القرآن صياغة جديدة لما ورد فى التوراة أو العهد القديم . ولما ورد فى العهد الجديد . ومعنى هذا - عندهم - أن القرآن ليس له مصدر سماوى مستقل . ويقولون :- إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - استقى فكرة القرآن من أهل الكتاب يهوداً ونصارى) [1] .

أوجه الخلاف بين القرآن و العهدين القديم و الجديد

والأستاذ " الدكتور عبد العظيم المطعنى " يبين أوجه الخلاف الجوهرى بين القرآن الكريم . والعهدين القديم والجديد فيقول : (فى أصول الإيمان يختلف القرآن عن كل من التوراة والإنجيل فى عقيدة التوحيد إن عقيدة التوحيد فى القرآن ، هى الركيزة الأولى فى صرح الإيمان . والله فيها موصوف بكل كمال منزه عن كل نقص . واليهود مروا عبر تاريخهم النبوى بمرحلتين :
كانوا فى أولاهما موحدين وفى ثانيتهما مشركين . ومن دلالة ذلك فى التوراة تسمية الله " ألوهيم " جمع "إلاه" ؟!

ومما حكاه القرآن عنهم عبادتهم للعجل .ودعواهم أن "عزير " ابن الله ؟! وأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . والقرآن يضع الرسل كلهم على قدم المساواة فى وجوب الإيمان بهم . وبما أنزل عليهم من حيث المبدأ . واليهود لايؤمنون إلا برسلهم . والقرآن لاتكاد تخلو سورة من سوره من الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر والعمل له . والتوراة تكاد تخلو تماماً من هذه العقيدة . والثواب والعقاب فيها وقف على الجزاء المادى أو العقاب المادى فى هذه الحياة الدنيا ......

---

[1] د/محمد عبد الله الشرقاوى - فى الفكر الإسلامى المعاصر صـ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦١ بتصرف

[2] د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى - افتراءات المستشرقين على الإسلام صـ١٣ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م مكتبة وهبة القاهرة .

والرسل جميعا في القرآن عباد صالحون أخيار . بينما هم في التوراة يقترفون الآثام . ويزنزن ويقتل بعضهم بعضا . ولو من أجل حب امرأة . بل ولايتورعون – أعني اليهود من وصف بعض رسلهم بعبادة الأوثان . إرضاء لزوجاتهم الوثنيات . كما حدث لسليمان عليه السلام .

وما يقال عن اليهودية وتوراتها . يقال عن النصرانية وأناجيلها . فعقيدة التوحيد في الأناجيل معدومة . فالله عندهم ثلاثة ونسبوا لله – سبحانه – الصاحبة والولد . وجردوه من سلطانه "الألوهية" ووضعوا ذلك السلطان في يد عيسى عبد الله ورسوله عليه السلام .

وفي بعض الأناجيل وصفٌ للرسل الذين سبقوا عيسى عليه السلام بأنهم لصوص وقتلة ؟!

فكيف يستقيم القول بأن القرآن صياغة جديدة للتوراة والإنجيل . صاغه محمد – صلى الله عليه وسلم – من المعلومات التي تلقاها من أهل الكتاب ؟!!) [١].

وأكتفي بما بين القرآن من ناحية والتوراة والإنجيل من ناحية أخرى من فروق جوهرية بالذى أسلمت فأين التوحيد القرآني الواعي من التعددية المعقدة ؟ أو الاعتقاد الأبله الذى يُنزل الإله إلى درجة البشر . فيأكل و يشرب و يصارع و يبكي و يولول و يُصلب و يهان ؟!

أين التنزيه القرآني للذات الإلهية عن كل نقص . و الإثبات لكل كمال يليق بها . من التطاول على الذات الإلهية . و قذفها بما تتنزه عنه الإنسانية الكريمة .

أين الصورة الراقية التي تتجمع فيها الكمالات الإنسانية تماما و كمالا إلى أقصى غاياتها . و التي عرضها القرآن للأنبياء و المرسلين ، أين هذا من الصورة المظلمة التي تصفهم بما يعافُه اللصوص و القتلة ؟

و أما قول قائلهم عن رسول الله :" كلما أراد أن يقول شيئا شريرا ... أسرع بإضافة كلام عن الصوم أو عن الصلاة أو عن حمد الله "

أي شر جاء به محمد – صلى الله عليه و سلم – ؟ هل حرف كلام الله تعالى . فحشاه بالخرافات و بذئ القصص التي تشعل جذوة الشهوة في النفس الإنسانية ، و لا ترتفع أبدا إلى أن تكون طاهرة في نفسها فضلا عن أن تُطَهِّر غيرها و تزكيه ؟

---

[١] المرجع السابق صـ١٤٠،١٣ بتصرف .

إن كتابكم المقدس أيها السادة فى عهديه القديم و الجديد . قد حشوتموه شراً و كذبا و بهتانا . كذب آباؤكم على الله . و أفسدوا أخلاق الناس .

إن المتأمل يرى أن العقلية التى كتبت هذا الكلام لم تستند إلى دليل . اللهم إلا إلى الخرافات التى توارثوها و التى أملتها عليهم أخيلتهم المكدودة من بغض الإسلام .

شرور الإسرائيليين فى الكتاب المقدس

أ- شمجر يقتل ست مائة من الفلسطينين بمنساس بقرة :

" و كان بعده " شمجر بن عناة " فضرب من الفلسطينين ست مائة رجل بمنساس البقرة . و هو أيضا خلص إسرائيل " قضاة ٣: ٣١ .

ب- شمشون يقتل ألفا من الفلسطينين بفك حمار :

" ووجد شمشون لحى حمار طريا فمد يده و أخذه . و ضرب به ألف رجل . فقال " شمشون " بلحى حمار كومتين كومتين . بلحى حمار قتلت ألف رجل " قضاة ١٥: ١٥ : ١٦ .

جـ- نمر له سبعة رؤوس :

" ثم وقفت على رمل البحر ، فرأيت وحشا طالعا من البحر له سبعة رؤوس . و عشرة قرون . وعلى قرونه عشرة تيجان . كقوائم دب . و فمه كفم أسد . و أعطاه التنين قدرته و عرشه . و سلطانا عظيما " رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٣ :١-٢ .

د- شمشون يمارس الزنا مع إحدى البغايا بمدينة غزة :

" ثم ذهب شمشون إلى غزة ، و رأى هناك امرأة زانية . فدخل إليها " قضاة ١٦: ١ .

هـ- داود عليه السلام و قد بلغ أرذل العمر يضاجع فتاة :

" و شاخ الملك داود . تقدم فى الأيام . و كانوا يدثرونه بالثياب . فلم يدفأ . فقال له عبيده : ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء . فلتقف أمام الملك . و لتكن له حاضنة . و لتضطجع فى حضنك . فيدفأ سيدنا الملك ، ففتشوا عن فتاة جميلة فى جميع تخوم إسرائيل . فوجدوا أبشيج الشونمية . فجاءوا بها إلى الملك " سفر الملوك الأول ١: ١-٣ .

و- الخمر دواء الفقير :

" أعطوا مسكرا لهالك ، و خمرا لمرى النفس يشرب و ينسى فقره ، و لا يذكر تعبه بعد " سفر الأمثال ٣١ :٥-٦ .

ز- توصية من القديس بولس بتفضيل الخمر على الماء :

" لا تكن فيما بعد شرّاب ماء . بل استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك . و أسقامك الكثيرة " الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٥: ٢٣)[1] .

أين الشرور لو كانوا يفقهون ؟

هذه هي الشرور التي أفرزتها نفوس الشبقين . هذه هي الشرور التي تنبت أنفسا يدرس في جامعاتها الشيطان الرجيم . أين هذه الغثاء من أخلاقيات النبوة المحمدية ؟

رسول الله الذى كان أشد حياء من العذراء في خدرها (عن عائشة رضى الله عنها قالت :" أن امرأة سألت النبى صلى الله عليه و سلم عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل . قال " خذى فرصة من مسك فتطهرى بها " قالت : كيف أتطهر ؟ قال : تطهرى بها . قالت : كيف ؟ قال : سبحان الله تطهرى . فاجتذبتها إلى فقلت : تتبعى بها أثر الدم)[2] متفق عليه

و (عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا يكون اللعانون شفعاء و لا شهداء يوم القيامة " رواه مسلم .... و عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ليس المؤمن بالطعّان و لا اللعان و لا الفاحش و لا البذئ " رواه الترمذى و قال حديث حسن صحيح)[3] .

الخمر تنسى الناس أسقامهم على مذهب " بولس " منشئ النصرانية الحديثة .

(عن علقمة بن وائل عن أبيه وائل الحضرمى أن طارق بن سويد الجعفى سأل النبى صلى الله عليه و سلم عن الخمر . فنهاه أو كره أن يصنعها فقال : إنما أصنعها للدواء فقال : إنه ليس بدواء و لكنه داء)[4] أين سفاهات المبطلين و فسادهم من هذه السماء السامقة . سماء الأخلاق و الصفاء و النقاء و الطهر و العفاف .

و بينما يقول الأطباء فى عصرنا (الخمر أساسها مادة الكحول بكميات مختلفة . و هذه المادة توجد بنسبة خفيفة جدا فى جسم الإنسان فى عملية هضم المواد السكرية ولها فوائدها طبياً ولكن يظهر أن

---

[1] الشيخ أحمد ديدات – عتاد الجهاد – ترجمة على الجوهرى صـ١٤:١٦ بتصرف بدون ط . بدون ت . دار الفضيلة – القاهرة .

[2] الإمام الزبيدى – مختصر صحيح البخارى صـ٥٠ . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م مكتبة الإيمان – المنصورة .

[3] الأمام النووى – رياض الصالحين صـ٣٤ ، بدون ط ،١٤٠١هـ – ١٩١٨م – مؤسسة جمال – بيروت – لبنان .

[4] صحيح مسلم – مجلد ٥ جـ١٣ صـ١٥٢ . مكتبة الغزالى ، دمشق – مؤسسة مناهل العرفان – بيروت – مرجع سابق .

هذه الفوائد قاصرة على هذا القدر البسيط جدا... فإن زاد عن ذلك أحدث ضرراً خصوصاً إذا كان التعاطى لمدة طويلة فإنه يحدث التهابا مزمنا فى الأعصاب وفى الكلى وتصلبا فى الشرايين وتحجرا فى الكبد . وضعفا فى القلب ورب سائل يقول : لم لايؤخذ منه مقدار بسيط ؟

(وطبعا لايسأل هذا السؤال إلا إنسان يجهل أن الجسم متى اعتاد على الكحول طلبه وغلب الإنسان فلم يعد يستطيع الصبر عنه) والجواب أن الكحول يختلف عن أغلب المواد فى أنه حتى بالمقادير البسيطة يحدث ضعفا فى قوة الإرادة والحكم . وتزداد به الانفعالات النفسانية .....

وإن تأثير الخمر يبدأ بمجرد وصول عشرة جرامات من الكحول إلى الدم للشخص البالغ . وهذا القدر يوجد فى كأس واحدة من الويسكى أو الكونياك . وقد لايصل الشخص إلى درجة السكر . ولكن على كل حال له أثر ملموس فى حالة الشخص الجسمية والعقلية . وإذا فحص الشخص فى هذه الحالة . نجد أن درجة إدراكه وتقديره قد تغيرت فعلا . فهو مثلا إذا كتب على الآلة الكاتبة .زادت أخطاؤه عن المعتاد . وإذا قاد سيارة لم يتبع بالضبط قوانين المرور . وقد ثبت من الإحصائيات أن أكثر من ١٣٪ من حوادث المرور سببها الخمر)[1]

على الرغم من هذا فإن القديس "بولس" منشئ النصرانية الجديثة . يدعو إلى احتساء الخمر لينسى الناس أسقامهم ! !فهل هذه أقوال مستوحاة من وحى الله . أم أنها من تلبيس الشياطين ؟!

إن القرآن الكريم حينما تناول إحدى لحظات الضعف البشرى فى قوله تعالى :

﴿ **وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لايفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ يوسف ٢٣ ـ ٢٤

ارتقى إلى سماء العفة والطهارة ولم يسف .. ،

معاذ الله وحاشاه (لأن المنهج القرآنى لايريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضاً يستغرق أكثر من مساحته المناسبة فى محيط القصة . وفى محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك . فذكر الموقف بين الاعتصام فى

---

[1] أ / سعيد حوى .الرسول صـ٣٥ـ٣٦ .مكتبة وهبة .القاهرة بتصرف.

أوله والاعتصام فى نهايته مع الإلمام بلحظة الضعف بينهما ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعاً)[١] .

وفى المقابل لهذا التناول العف النظيف : (وكان إلى كلام الرب قائلا يابن آدم كان هناك امرأتان ابنتا أم واحدة وزنتا بمصر فى صباهما زنتا هناك دغدغت ثديهما وهناك تزغزغت ترائب عِذرتهما واسمهما أهولة الكبيرة وأهوليبة) حزقيال ٢٣: ١-٥ .

وباقى الإصحاح مشحون بمثل هذه العبارات مثل " نجسوها بزناهم " "سكبوا عليها زناهم " إن هذه العبارات تذكرنى بتناول السينمائيين فى عصرنا لأفلام الجنس والمخدرات . التى لاتكون حرباً على الجنس والمخدرات . بل دعاية ناجحة للمرَضَيْن . فأين الشر إذا ؟ بل أين الشرور والآثام ؟ إن هذه العبارت توحى بنفسية الذين دسوها على الله . نفوس مشحونة بحب الشهوات وسئ الأقوال والأفعال .

هذا ..وأما ادعاءاتهم بعنف المسلمين . وتعسفهم في معاملة شعوب الأراضي المفتوحة .ونشرهم الإسلام بالسيف فسوف أتناوله إن شاء الله عند الحديث عن الجهاد فى الإسلام .

المبحث الثالث

"جولدزيهر" يستأنف أحقاد المستشرقين

ولعل قائلا يقول : إن هذا كان في فترة خلت من الزمن . واليوم قد أخذت الدراسات الاستشرافية طريق الموضوعية ، والبحث العلمى المجرد النزيه الذى لايبغى عن الحقيقة حولا .

وأقول :إن هذا خيال ، أو أحلام اليقظة ، فالقوم يرثون الحقد على الإسلام وأهله . كما يرثون ألوانهم وألسنتهم . وبين أيدينا هذا المثال : -

المستشرق اليهودى المجرى " جولدزيهر" من أعلام المستشرقين .. ولايمكن أبداً أن يوصف بالجهل فى دراساته عن الإسلام ، فهو رجل تضلع من العربية وغيرها من اللغات السامية . وله فى الإسلام آثار قد تفوق ماكتبه بعض علماء الإسلام عن دينهم ، يقول فى كتابه " العقيدة والشريعة فى الإسلام "

---

[١] / سيد قطب - فى ظلال القرآن - جـ٤ صـ١٩٨١ .

وتوجد اختلافات كثيرة فى مسألة صحة الصلاة عند صلاة المرأة بجانب المصلي أو إذا ما أخذت مكانها بين المصلين . وهنا ينجلي موقف أبى حنيفة فى عداوة المرأة إزاء بقية المذاهب الأخرى) [1].

وأحب أولا أن أذكر رأى الحنفية فى هذه المسألة . مسألة إذا صلت المرأة بجانب الرجل قالوا (إذا صلت المرأة المشتهاة بجانب الرجل أو أمامه وهى مأمومة . بطلت صلاتها . بشروط تسعة :

الأول : أن تكون المرأة مشتهاة . فإذا كانت صغيرة لاتشتهى . فإنه لايضر .

الثانى: أن تحاذى المرأة رجلاً من المصلين بساقها وكعبها . أما إذا كانت متأخرة عنه بساقها وكعبها . فإنه يصح .

الثالث: أن تحاذيه فى أداء ركن . أو قدر ركن . فإذا كبرت تكبيرة الإحرام وهى محاذية له ثم تأخرت . فإن صلاتها لاتبطل . لأن تكبيرة الإحرام ليست ركناً ولاقدر ركن .

الرابع: أن لاتكون فى صلاة الجنازة ونحوها . فإذا حاذته فى صلاة الجنازة فإنها لاتبطل . ومثلها كل صلاة ليست مشتملة على ركوع وسجود .

الخامس: أن تكون مقتدية به . أو تكون محاذية لرجل مقتد معها بإمام واحد . أما إذاكانت تصلى خلف إمام . وهو يصلى خلف إمام آخر . وكانت محاذية له . فإن لايضر .

السادس: أن يكون بينهما حائل قدر ذراع أو فرجة تسع رجل .

السابع: أن لايشير إليها بالتأخر . فإذا أشار إليها بالتأخر ولم يتأخر فإن صلاته لاتصح .

الثامن: أن ينوى إمامتها أما إذا لم ينوى إمامتها فإن صلاتها لاتصح . ولاتضر مجاذاتها فى هذه الحالة. التاسع: أن يتحد المكان . فإذا صلت فى مكان عال . فإن الصلاة تصح لعدم وجود المحاذاة فى هذه الحالة) [2].

لقد اتضحت المسألة إذاً والإمام أبو حنيفة لايعادى المرأة . ولكن قداسة الصلاة تستدعى أن لاندع مجالاً للنوازع الإنسانية حتى تذهب ببهاء الصلاة وصفائها . حتى لاتضيع قدسية هذه الفريضة العظمى التى افترضها الله على عباده .

---

(١) أجناس جولدزيهر - العقيدة والشريعة فى الإسلام - ترجمة د/ محمد يوسف موسى وآخرون صـ٥٠، ٥٥ . دار الكتاب المصرى - القاهرة .

(٢) أ/عبد الرحمن الجزيرى - الفقه على المذاهب الأربعة جـ١ صـ٢٦٣ . دار الإرشاد للطباعة والنشر - القاهرة .

ولكن العلامة "جولد زيهر" يرى أن ذلك عداوة بين أبي حنيفة وجنس النساء . وكأن أبا حنيفة ينطلق في أحكامه الفقهية من هواه . ولكن العكس هو الصحيح ياسيد "أجناس جولد تسيهر" أنتم الذين انطلقتم من أهوائكم . وأوتيتم من وهمكم .

إن (أئمتنا أكبر من أن نصفهم بصداقة المرأة أو عداوتها . فإن شيئا من هذا لم يخطر ببالهم لاسلبا ولاإيجابا . ولكنّ أبا حنيفة بالذات . إذا ساغ وصفه بشئ من ذلك . فليس عداوة المرأة . إذ الرجل في فقهه يكاد يكون الفذ في تجويز مباشرتها عقد الزواج . وتصحيح إرادتها منفردة . ما دامت حسنة التصرف . وهو الذى أباح لها القضاء فيما تصح فيه شهادتها . وأباح توكيلها في الخصومة (أى المحاماة في عصرنا) ولم يفرض عليها خدمة الزوج . بل أوجب على الزوج أن يستأجر لها من يخدمها . ولم ير الوضوء من لمسها . كما رأى ذلك الشافعية بإطلاق والمالكية أحيانا . ولا نتقص سرد الأمثلة من مذهب أبي حنيفة . و إنما نذكر له ما ذكرنا . ليعلم القارئ غباء النظرات التي يرسلها هؤلاء المستشرقون ثم يخيلون للناس أنها علم)[1] .

والمستشرق "كيمون" الذى كان يفكر بعقلية الحروب الصليبية . يضع للعالم الغربي خطة لتدمير الإسلام يقول فيها : أعتقد أن الواجب إبادة خُمس المسلمين . والحكم على الباقي بالأشغال الشاقة . وتدمير الكعبة . ووضع قبر محمد وجثته في متحف"اللوفر".

ولعل هذا التفكير البربرى ، يستمد دلالته من إنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس . ويطمع في أن يتكرر ذلك في المشرق)[2] .

فهل هذا فكر يحترم و يوزن بموازين البحث . و تكون له قيمته من الجودة أو اللاقيمة ؟

أم إنه مجرد تطاول على مقام الإسلام و نبي الإسلام ؟!

إن الناظر في تلك الصفحات السابقات ، يعجب من تكالب القوم قديما و حديثا على بغض الإسلام . و المعركة واحدة . و تعمد الإساءة و التشويه ميراث خلف القوم عن سلفهم .

و الفارق الوحيد . أن القدامى منهم كانوا يحاربون الإسلام عن طريق التشويه المفضوح . و الهذيان المكشوف . معتمدين على جهل الشعوب . و ميلهم إلى قبول الأحكام دونما بحث عن مصدرها

---

(1) الأستاذ الشيخ / محمد الغزالي - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين صـ٨٨ الطبعة الخامسة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م دار الكتب الإسلامية القاهرة

(2) د/سفر بن عبدالرحمن الحوالي - العلمانية صـ٥٣ . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ، دار مكة المكرمة ، السعودية .

و معقوليتها . هذا إلى الجهل المركب الذى كان من ضروريات الحياة الأوربية فى العصور الوسطى .

أما و نحن فى القرن العشرين . فإن الحرب للإسلام . تقوم على ما يسمى البحث العلمى . و تلمس مواضع الضعف - بزعمهم - أو البحث فى سلال المهملات . تلك السلال التى تجمع أكاذيب سلف المستشرقين المغرضين .

فالمعركة واحدة . و الحرب ضروس . و لكن التطور الذى حدث فى آلات المعركة . التى أصبحت أقوى و أبعد أثرا و أخطر ضررا . لتواكب تطور العقول . و اتساع آفاق الثقافة الإسلامية .

الفصل الثانى

التهوين و التهويل

تمهيد

المبحث الأول

تشويه الجهاد و الفتوحات الإسلامية

المطلب الأول : التشكيك فى دافعية الإسلام للجهاد و الفتوحات الإسلامية

المطلب الثانى : زعم الحاقدين أن الإسلام انتشر بالسيف

المطلب الثالث : الزعم بأن الفتوحات الإسلامية امتداد لغارات السلب و النهب

المطلب الرابع : الفتوحات الإسلامية حروب دينية لنشر الإسلام بالسيف

المبحث الثانى

الاهتمام بالفرق و الحركات الباطنية

المطلب الأول : الزعم بأن البهائية و القاديانية حركات إصلاحية للإسلام

المطلب الثانى : الزنج و القرامطة

المطلب الثالث : موازين منكوسة

الفصل الثاني

التهوين و التهويل

تمهيد

يقال (هَالَ هَوْلاً : خاف و رعب . و هالت المرأة الناظر بحسنها : أعجبته ... و هَوَّلَ على فلان : أفزعه . و هَوَّلَ الأمر : شنّعه و بالغ فيه حتى جعله هائلا .

و يقال " هان فلان هونا و هوانا و مهانة : ذَلَّ . و في أمثالهم : " إذا عز أخوك فهن . و إن عاسرك فياسره . و هان الشئ عليه هَوْنَاً : استخف به)[1]

و التهويل : مصدر رباعي من الفعل هوَّل و هو ثلاثي مزيد بالتضعيف . و أعني به تضخيم ما لا يستحق . و ابراز الأمور على غير ما هي عليه . و هو من مناهج الاستشراق . التي يبتغي من وراء ذلك البحث عما يسمونه هفوات . أو عثرات . و تضخيمها . و تصويرها في صورة الخطايا . التي تشوه الإسلام .

و التهوين : مصدر رباعي من الفعل هوَّن و هو ثلاثي مزيد بالتضعيف . و يقصد به منهج من مناهج المستشرقين . أرادوا به إطفاء وهج المبادئ الفاضلة و ألق الشخصيات البارزة في الإسلام . لتظهر في صورة غير جديرة بالانتباه و لا الذكر فضلا عن الاحترام و التقدير .

و قد كان من إحدى حلقات التهوين التي مارسها الاستشراق ضد المبادئ و القيم الإسلامية . تشويه الجهاد الإسلامي و الفتوحات الإسلامية . و فيما يلي ذكر هذه الشبهات :-

---

[1] المعجم الوسيط جـ٢ صـ١٠٠٠ . مرجع سابق .

المبحـــث الأول

تشويه الجهاد و الفتوحات الإسلامية

لم يترك المستشرقون المغرضون أيا من معالم الجلال والجمال فى دين الإسلام . إلا صوبوا إليـه سـهام التشويه . وطمس الحقائق . واختلاق الأكاذيب والافتراءات . وخيال القوم فـى مجـال الافـتراء علـى الإسلام خصب واسع المحال* .

وبينما يعترف بعـض المستشـرقين بتفـرد الفتوحـات الإسـلامية سـرعةً و اتسـاعاً فـى صفحـة التـاريخ الإنسـاني . حيث يقول " لورد ستروب" (فكلما زدنا استقصاء باحثين عن سر تقدم الإسلام زادنا ذلك العجب العجاب بهراً . فارتددنا عنه بأطراف قاسرة .. عرفنا أن سائر الأديان العظمى . إنمـا نشـأت تسير في سبيلها سيراً بطيئاً متلافيات كل صعب . حتي قيض الله لكل دين ما أراده من ملك نـاصر . وسلطان قاهر . انتحل ذلك الدين . ثم أخذ فى تأييده . والذب عنـه . حتـى رسـخت أركانـه . وصفت جوانبه .. إنما ليس الأمر كذلك فى الإسلام . الإسلام الذى نشأ فى بلاد صحراوية)[١] .

إلا أننا نجد حملة شعواء على حركة الجهاد والفتوحات الإسـلامية فـى تاريخنـا . واتخـذ القـوم فـى سبيلهم للتشويه طرائق شتى :ــ

المطلب الأول

التشكيك فى دافعية الإسلام للفتوحات الإسلامية :ـ

الحاجة المادية الشديدة وراء الفتوحات الإسلامية – بزعمهم –

يقول "دوايت دونلدش" : (ونشك فى الحقيقة فيما إذا كان الحماس الدينى وحده كافيا لحمل العرب على القيام بهذه الغزوات الواسعة على البلاد المجاورة ، ويبدو أنهم واصلوا اندفاعهم بسـبب الحاجـة المادية الشديدة)[٢] .

ولست أدرى أى ظاهرة إلا ظاهرة الإسلام بدت فى سماء الحياة العربية . فحولتها من اهتمامات الإنسانية التافهة ، إلى مرحلة الاتزان الإنسانى الرشيد ؟

---

* المحال :المكر ، و قال الأزهرى : المحال : أى القوى و الشدة . و المحل : الشدة ، و ماحلت فلانا محالا أى قاويته حتى يتبين أينا أشد . تفسير القرطبى جـ٩ صـ٣٥٢٨ . طبعة الشعب بتصرف .

[١] د/ جميل عبد الله المصرى . مجلة المنهل عدد ٤٧١ مرجع سابق صـ٩٦

[٢] أ .د /أحمد شلبى .. الاستشراق تاريخه وأهدافه صـ١٢ ..مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة

ماذا إن لم يكن الإسلام . هو الذى حول العرب من رعاة غنم إلى رعاة الأمم ؟ ومـن أشخاص لا يرتقون فى مطامحهم إلى أعلى مما يدور فى فلك غرائزهم . إلى أشخاص ابتعثوا لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد . ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا و الآخرة؟

لقد استعظم القوم أن يكون الإسلام وفقط صنع الفتوحات الإسلامية . التى حققتها حركة الجهاد الإسلامية فنسبوها إلى الجوع . والحق أنهم لم يأتوا بدعا من القول . إن هى إلا تهم معلبة . لقنهم إياها عن أسلافهم الشيطان الرجيم .

هل كان الجوع هو السبب فى ذلك التغيير الجذرى للعرب فى نظرتهم لأنفسهم . ووظيفتهم فى الحياة . وفى نظرتهم لتلك الحياة ؟

والإجابة على هذا السؤل . لن تكون واضحة . حتى نقف على حجم هذا التغيير . فنرى كيف كان العرب ؟ ثم كيف صاروا بعد الإسلام ؟

تغيير الإسلام لحياة العرب

لما هاجر المسلمون إلى الحبشة . هجرتهم الأولى . أشخص القرشيون فى أثرهم " عمرو بن العاص " و " عبدالله بن أبى ربيعة "، بالهدايا و الطرف . فوقفا فى حضرة الملك " النجاشى" قائلين: (أيها الملك إنه قد ضوى* إلى بلدك غلمان سفهاء . فارقوا دين قومهم . و لم يدخلوا فى دينك . و جاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن و لا أنت ، و قد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم . من آبائهم و أعمامهم و عشائرهم . لتردهم إليهم . فهم أعلى بهم عينا . و أعلم بما عابوا عليهم . و عاتبوهم فيه)[1] .

و ما كان للنجاشى و هو الملك العادل . أن يحكم فى القضية . بشهادة أحد الطرفين . فأرسل إلى الطرف الآخر .

---

* ضوى إليه : ضيا و ضويا ، مال و انضم ، و ضوى فلانا و غيره : ضمه . المعجم الوسيط : جـ١ صـ٥٤٧ .

[1] صفى الرحمن المباركفورى - الرحيق المختوم صـ٨٩ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م مكتبة الإيمان - المنصورة .

فمثل وفد المسلمين بين يديه . و كان المتحدث باسمهم "جعفر بن أبى طالب" و الذى قال : (
أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية . نعبد الأصنام و نأكل الميتة . و نأتى الفواحش . و نقطع الأرحام .
و نسىء الجوار و يأكل منا القوى الضعيف . فكنا على ذلك . حتى بعث الله إلينا رسولا منا .
نعرف نسبه وصدقه و أمانته و عفافه . فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده . و نخلع ما كنا نعبد نحن و
آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان . و أمرنا بصدق الحديث . و أداء الأمانة . وصلة الرحم .
و حسن الجوار .
و الكف عن المحارم و الدماء . و نهانا عن الفواحش . و قول الزور . و أكل مال اليتيم . و قذف
المحصنات . و أمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا . و أمرنا بالصلاة و الزكاة و الصيام . فعدد
عليه أمور الإسلام – فصدقناه و آمنا به . و اتبعناه على ما جاءنا به من دين الله . فعبدنا الله وحده
فلم نشرك به شيئا . و حرمنا ما حرم علينا . و أحللنا ما أحل لنا . فعدا علينا قومنا . فعذبونا و
فتنونا عن ديننا . ليردونا إلى عبادة الأوثان . و ظلمونا و ضيقوا علينا . و حالوا بيننا و بين ديننا .
فخرجنا إلى بلادك و اخترناك على من سواك . و رغبنا فى جوارك . و رجونا أن لانظلم عندك)[1]

إن حجم التغيير أعلى و أجل من أن ترسمه الكلمات . أو توضحه العبارات . إنه فى أبسط معانيه .
الانتقال من دركات الحيوانية الوضيعة . إلى درجات الإنسانية الرفيعة . من دركة الأحجار التى
تقدس الأحجار . إلى بشر يعبدون الله الواحد القهار . و من أقوام يسبحون فى مستنقعات الفواحش
و الآثام . إلى أقوام يحكمهم ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم " " قل للمؤمنات
يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن ﴾ النور ٣٠ ، ٣١ .
و من أقوام قانونهم " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " بمعناه الجاهلى القديم وشعارهم :

و أحيانا على بكر أخينا إن لم نجد إلا أخانا

إلى رجال يخوضون لجج المحيطات و البحار . و يقطعون الفيافى و القفار . حاملين راية الأمن و
السلام . ناشرين لا إله إلا الله محمد رسول الله فى ربوع الأرض .
و الآن هل يمكن لمتقول أن يدعى أن الجوع هو سبب هذا التغير . و أنه هو الذى أخرج هذه الفئام من
الناس بأسمى المبادئ التى عرفتها الإنسانية ؟ اللهم لا .

---

(١) المرجع السابق ص٨٩، ٩٠ .

في معركة القادسية . أرسل سعد بن أبي وقاص . وفدا من وجوه المسلمين . فكان مما قال لهم "يزدجرد" :(إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى و لا أقل عددا . و لا أسوأ ذات بين منكم . قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي . فيكفوننا غاراتكم . لا تغزوكم فارس . و لا تطمعون أن تقوموا لهم . فإن كان غرور لحقكم . فلا يغرنكم منا . و إن كان الجهد – المشقة – و هو يريد الحاجة و الفقر و الجوع – دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم . و أكرمنا وجوهكم و كسوناكم . و ملكنا عليكم ملكا يرفق بكم ...

فكان الذي رد عليه " المغيرة بن زرارة " . و كان مما قال : ...فأما ما ذكرت من سوء الحال . فما كان أسوأ حالا منا . و أما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع . كنا نأكل الخنافس و الجعلان و العقارب و الحيات فنرى ذلك طعامنا . و أما المنازل . فإنما هي ظهر الأرض . و لا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل و أشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضا . و يغير بعضنا على بعض . و إن كان أحدنا ليدفن ابنته و هي حية كراهية أن تأكل من طعامنا ...

فبعث الله إلينا رجلا معروفا . نعرف نسبه . و نعرف وجهه و مولده ... فقال و قلنا . و صدق و كذبنا و زاد و نقصنا . فلم يقل شيئا إلا كان . فقذف الله في قلوبنا التصديق له و اتباعه . فصار فيما بيننا و بين رب العالمين . فما قال لنا . فهو قول الله . و ما أمرنا فهو أمر الله) [1] .

إن القضية إذا قضية نفوس تبدلت . و أخلاق تغيرت . و ليس سُعار الجوع . هو الذي أملى هذه المبادئ السامية .

و لكننا على الرغم من ذلك . نقرأ للسير " توماس أرنولد " قوله :(و كان أقوى من ذلك جذبا لهم إلى الإسلام أملهم الوطيد في الحصول على غنائم كثيرة في جهادهم . في سبيل الدين الجديد . ثم أملهم في أن يستبدلوا بصحاريهم الصخرية الجرداء . التي لم تتح لهم إلا حياة تقوم على البؤس . تلك الأقطار ذات الترف و النعيم ، و هي فارس و الشام و مصر ...

و لكن الروح التي دفعت جحافل العرب الغازية ... لم تكن روح تحمس و غيرة ترمي إلى تلقين الدعوة ابتغاء تحويل الناس إلى الإسلام ، بل كان الأمر على العكس من ذلك ...

و يعتبر توسع الجنس العربي على أصح تقدير ، هجرة جماعية نشيطة قوية البأس ، دفعها

---

[1] أيام العرب في الإسلام صـ٢٥٢ ، ٢٥٣ .بتصرف ، مرجع سابق .

الجوع والحرمان إلى أن تهجر صحاريها المجدبة . وتجتاح بلاداً أكثر خصباً . كانت ملكاً لجيران أسعد منهم حظاً) [٢] .

إنه لجوعٌ مقدس . هذا الذى يحمل هؤلاء العرب المسلمين . إلى تكوين أعظم إمبراطورية نعمت فيها الإنسانية بالحب والعدل والرحمة والمساواة . ولكنها فرية قديمة . وتهمة معلبة يتناقلها المستشرقون المغرضون . عن أسلافهم .

ففى إحدى المساجلات الكلامية . بين قواد الفرس وقواد المسلمين . امْتَنّ "رستم" قائد الفرس بما كان لهم من يدٍ على العرب . فقال له "زهرة بن الحوية " أحد قواد المسلمين :صدقت . قد كان ما تذكر وليس أمرنا أمر أولئك ...إنا لم نأتكم لطلب الدنيا . إنما طُلْبتنا وهمتنا الآخرة . كنا كما ذكرت . يدين لكم من وردَ عليكم منا . ويضرع إليكم يطلب ما فى أيديكم . ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولا . فدعانا إلى ربه فأجبناه ... إلى أن قال له رستم : أرأيت لو أنى رضيت بهذا الأمر . وأجبتكم إليه . ومعى قومى . كيف يكون أمركم ؟ أترجعون ؟ قال :إى والله لا نقرب بلادكم أبداً . إلا فى تجارة أوحاجة . قال : صدقتنى والله) [٢]

فليس الجوع إذاً هو الذى حرك هذه القلوب . لنشر راية الإسلام . وليس الجوع هو الذى غير هؤلاء القوم إنما الإسلام هو الذى نفخ روح الحياة الحقيقة فى هذه الأجساد . فحولهم إلى حيث ينبغى أن يكون الإنسان . لقد عاش العرب (فى انزواء وانهزامية بجزيرتهم عدة قرون . وحولهم الغنى والخصب . ولم يخطر لهم قبل الإسلام . أن يستولوا على ثراء الفرس والروم . وهذا يؤكد أن الدافع لم يكن الفقر . فالفقر قديم عند العرب . بل كان الدافع هو الحرص على نشر دين الله ...

إن فكرة ربط الدعوة الإسلامية بالرغبة فى الحصول على المال قديمة جداً . بدأت منذ بدء الإسلام . اتهم بها محمد – صلى الله عليه و سلم – نفسه . فقد اتهمت قريش محمداً بأنه طالب مال . وعرضت عليه ثرواتها . لتكفه عن دعوته فصاح : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى . ما تركت ذلك الأمر حتى يظهره الله) [٣]

---

(١) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام صـ ٦١ . بتصرف ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق صـ ٢٥٩ : ٢٦٠ بتصرف .

(٣) الاستشراق تاريخه وأهدافه ـ مرجع سابق صـ ١٢١ بتصرف .

ويستمر مسلسل سوء الظن بالإسلام . وإشاعة الفرى . حـول الجهـاد والفتوحـات الإسـلامية .
ابتداء بأهل مكة ومروراً "بيزدَجَرد ورستم" و (ملك الصين . عندما زحف قتيبة بـن مسـلم علـى هـذه الأصقاع . وطلب الملك الصينى مندوبا من المسلمين للحوار . فأرسل له قتيبة " هبيرة الكلابى" فقـال له الملك : قل لصاحبك – يقصد القائد " قتيبة " :إنى عرفت حرصه . وقلة أصحابه . وأنـا مستعد أن أعطيكم بعض المال . لقضاء حاجاتكم وتعودوا . فأجابه " هبيرة " : كيف يكون قليـل الأصحـاب . من أول خيله في بلادك . وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصـا . مـن خلّـف الدنيـا قادراً عليها وغزاك ؟)[1]

و قد تولى إشاعة هذه الفرية — انتهاء ـ طائفة من المستشرقين . الذين لا يرقبون فى الحقيقة العلمية إلاً ولا ذمة . و على الرغم من ذلك فلقد وجد من بينهم من أنصفوا الحق

(و لعل STANLAY LONE POOLE كان أقرب المستشرقين إلى الاتجاه السليم فهو يقول :

" إن المحقق أنَّ تحمُّس العرب للفتوح ، كان يؤججه عنصر قوى من حب للدين . والرغبة فى نشـره فقد حاربوا لأن مثوبة الشهداء وكئوس السعادة والنعيم . كانت تنتظر من يقتلون فى سبيل الله ")[2]

المطلب الثانى

زعم الحاقدين أن الإسلام انتشر بالسيف

لقد صارت كلمة " الجهاد "حينما تطلق ، تلقى فى مخيلة غالبية الناس بظـلال الحـرب الضـروس . حيث صهيل الخيل . وصليل السيوف ، وواقع الأسنة والرماح . أو بالمفهوم العصرى . قصف المدافع وزمجرة الدبابات . ومخر الطائرات عُباب الجو . وخلـف هـاتين الصورتـين ــ فـى أذهـان الغـرب والعلمانيين ــ صورة العربى الملثم الذى يزأر ويزمجر ويقتل ويدمر . أو الإرهابى الذى يفجر . ويقتـل غيلة ويروع الآمنين .

إن هذه الصورة المشوهة لعالم الجمال فى الإسلام . تولى كبرها الأفاكون . من أهل الأهواء والأغراض . الذين لايحترمون حرمة العلم ، ولا يلتزمون مبادىء البحث النزيه . من المجحفين من المستشـرقين . وروج لها استنامتنا لهذه الأفكار الحاقدة المسمومة ، وزادها رواجا حفنة من اللادينيين . الذين تبنوا

---

[1] المرجع السابق صـ١٢٢ .

[2] المرجع السابق صـ١٢٣ .

هذه الأفكار وروجوها . في كتاباتهم التي أفسحت لها وسائل الإعلام أحضان النشر والدعاية .

يقول (ماكدونلد B. MACDONAID : (الجهاد نشر الإسلام بالسيف . فرض كفاية على المسلمين كافة وكاد الجهاد أن يكون ركنا سادساً من أركان الدين أو فرض عين)[1]

إن دائرة المعارف الإسلامية . التي ورد فيها هذا الكلام . ينبغي أن تكون معبرة عن وجهة النظر الإسلامية في شرحها للألفاظ . التي تحمل مفاهيم إسلامية حسب ترتيبها الأبجدي .

فهل ما قاله " ماكدونلد " يعبر عن وجهة النظر الإسلامية ؟ وهل الجهاد يعني نشر الإسلام بالسيف ؟ وهل هذا الكلام يصح أن يُعَد تحقيقاً علمياً نزيهاً . يعبر عن وجهة النظر الإسلامية كما هي ؟

ثم هل هذه هي المادة العلمية الأمينة . التي تعد تعريفاً صادقاً يتعرف الغربيون من خلاله على الإسلام؟

يقول الإمام ابن القيم : [فالجهاد أربع مراتب : جهاد النفس . وجهاد الشيطان . وجهاد الكفار وجهاد المنافقين .

فجهاد النفس أربع مراتب أيضاً : إحداها :ـ أن يجاهدها على تعلم الهدى . ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به . ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين .

الثانية :ـ أن يجاهدها على العمل به بعد علمه . وإلا فمجرد العلم بلا عمل . إن لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة :ـ أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لايعلمه . وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيان ، ولا ينفعه عمله . ولا ينجيه من عذاب الله .

الرابعة :ـ أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله . وأذى الخلق . ويتحمل ذلك كله لله فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين . فإن السلف مُجْمِعُون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا . حتى يعرف الحق . ويعمل به . فمن علم وعلّم وعمل . فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء .

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان :

إحداهما : جهاده على دفع ما يلقى إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان ..

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية ـ ترجمة أحمد الشنتناوي وإبراهيم ذكي خورشد وعبد الحميد يونس جـ٧ صـ١٨٨ ، بدون ط ، بدون ت.

والثانية : جهاده على دفع ما يلقى إليه . من الإرادات الفاسدة والشهوات . فالجهاد الأول يكون بعده اليقين . والثاني بعده الصبر قال تعالى : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ السجدة ٢٤ .

فأخبر أن إمامة الدين . إنما تنال بالصبر واليقين . فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة . واليقين يدفع الشكوك والشبهات .

وأما جهاد الكفار و المنافقين فأربع مراتب :-

بالقلب و اللسان و المال و النفس . و جهاد الكفار أخص باليد . وجهاد المنافقين أخص باللسان .

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فثلاث مراتب :-

الأولى: باليد إذا قدر فإن عجز . انتقل إلى اللسان فإن عجز . جاهد بقلبه .

فهذه ثلاث عشر مرتبة من الجهاد . ومن مات ولم يغز . ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق[1]

فأين عبارة " ماكدونلد " المبتسرة المشوهة . من هذا التفصيل العلمي الدقيق . الذي يحيط صورة الجهاد في الإسلام بهالة من الجلال والكمال والجمال ؟

وليس إلا الإجحاف المتعمد . وسوء القصد . وراء هذه التناولات القاصرة المشوهة . وإلا فإن من أبجديات العدل . أن يكون المرء محايداً وموضوعياً وأميناً في التعبير عن آراء الآخرين . فيما يعتقدون ويتخلقون .

المطلب الثالث

الزعم بأن الفتوحات الإسلامية امتداد لغارات السلب والنهب .

يقول "ول ديورانت*" عن العرب : وكان يدفع عن نفسه ملل الحياة الرتيبة وسآمتها بالحب والحرب . وكان يسرع كما يسرع الأسباني " الذي ورث عنه سرعة غضبه " إلى الانتقام لما عساه أن يوجه إليه . أو إلى قبيلته من إهانة وأذى ، وكان يقضي جزءاً كبيراً من حياته في الحرب التي تستعر نارها بين القبائل المختلفة ، ولما أن فتح بلاد الشام وفارس ومصر وأسبانيا . لم يكن عمله هذا

---

[1] الإمام بن القيم ـ زاد المعاد في هدى خير العباد جـ٢ صـ٥٨ . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة .

* ول ديورانت "١٨٨٥-١٩٨١م" مؤلف أمريكي ، استهدف في آثاره تبسيط التاريخ و الفلسفة . المورد صـ٢٧ .

إلا توسعا منه في غارات النهب . التي كان يشنها في أيام الجاهلية . وإن اختلف الغرض في هذه عن تلك)[١] .

لقد سمى " ول ديورانت " غارات العربي في الجاهلية " غارات النهب " و سمى الفتوحات الإسلامية " توسعا في غارات النهب . ثم عاد يقول " و إن اختلف الغرض في هذه عن تلك . فأي اختلاف إذا ؟ أليست هذه " توسعا في غارات النهب . و تلك " غارات للنهب ؟ إننا بحاجة إلى أن نردد كثيرا قول الله تعالى : ﴿ فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ﴾ النساء٧٨ .

إن الرجل يريد أن يدعي الإنصاف فقال: " و إن اختلف الغرض في هذه عن تلك . بعد أن شوه الفتوحات الإسلامية . بقوله إنها كانت توسعا في غارات النهب . و بعد أن جعل الدافع خلف هذه الفتوحات التي امتدت من المدينة المنورة . إلى المحيط الأطلسي غربا . و إلى الصين شرقا . و إلى جنوب فرنسا شمالا . و إلى الصومال جنوبا – كان هذا في نظرة ممارسة العربي لهوايته في القيام بغارات النهب .

(روى رباح بن ربيعة " قال " خرجت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في غزوة غزاها فمر عليه السلام بامرأة مقتولة . فوقف عليها . ثم قال : ما كانت هذه لتقاتل فلم قتلت ؟ ثم نظر في وجوه أصحابه . و قال لأحدهم : الْحَقْ "خالد بن الوليد" فلا يقْتُلَنَّ ذرية و لا عسيفا* و لا امرأة .

و رفع إليه عليه الصلاة و السلام . بعد إحدى الوقعات . أن صبية قتلوا بين الصفوف . فحزن حزنا شديدا . حتى قال له بعض أصحابه : و ما يحزنك يا رسول الله . و هم صبية المشركين ؟ فغضب النبي عليه السلام . و قال : إن هؤلاء خير منكم . إنهم على الفطرة . أو لستم أبناء المشركين ؟ فإياكم و قتل الأولاد . إياكم و قتل الأولاد .

وروى مالك عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أنه قال في وصايا لجنده : ستجدون قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعوهم و ما حبسوا أنفسهم له . و لا تقتلن امرأة و لا صبيا و لا كبيرا هرما ولا تقطعن شجرة و لا تخربن عامرا "

---

[١] ول ديورانت – قصة الحضارة – جـ٢ من المجلد الرابع " عصر الإيمان "صـ١٢ ترجمة محمد بدران – الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . القاهرة

* العسيف : الأجير المستهان به ، جمعه : عُسَفاء . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٦٠١ .

و قال زيد بن وهب و هو أحد الجنود في إحدى المعارك : أتانا كتاب عمر رضي الله عنه و فيه : " لا تغلوا و لا تغدروا . و لا تقتلوا وليدا . و اتقوا الله في الفلاحين . و من وصايا عمر أيضا لجنده . : و لا تقتلوا هرما و لا امرأة و لا وليدا . و توقوا قتلهم إذا التقى الزحفان . و عند شن الغارات "[1]

هل هذه الوصايا هي أخلاقيات غارات النهب . لئن كانت فنعمَّاهي غارات النهب . إن أجدادنا المسلمين في فتوحاتهم . لا يقتلون كبار السن . و لا النساء . و لا الأطفال . و لا يقطعون الأشجار . و لا يخربون عامرا . إن حرب الإسلام حرب إنسانية . و ليست غارات للنهب . إنها فتح للأرض ﴿ حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله ﴾ الأنفال ٣٩ . و أما القلوب فإن الإعلان الإلهي يدمغ كل جاحد ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ البقرة ٢٥٥ .

و لسوف نحدث السادة المستشرقين عن غارات النهب الحقيقية .

إن غارات السلب و النهب . تلك التي خرج فيها الصليبيون بهمجيتهم و وحشيتهم إبان الحروب الصليبية . فأشاعوا الرعب و الفزع و القتل و الدمار . حتى بين أبناء ملتهم . و إن بين يدي الآن رسالة تحت اسم " المسيحية و السيف " و هي وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية . على أيدي المسيحيين الأسبان و هي رواية شاهد عيان . و هو المطران* " برتولومي دي لاس كازاس " هذه الرسالة لست أدري أهي كوابيس مفزعة . أم أنها حقائق مروعة . و لكن للأسف الشديد هي حقائق سطرها شاهد عيان . انتفضت إنسانيته . ضد الوحشية البهيمية . التي مارسها المسيحيون الأسبان . ضد الهنود في القارة الأمريكية ، و لست أدري . ماذا أذكر و ماذا أدعُ . ففي كل صفحة وقائع مفجعة مفزعة مروعة . و لكني سأختار ما تحت يدي . يقول " برتولومي " :

(و هأنذا أذكر واحدة من المجازر العديدة . إنها مجزرة ارتكبت في مدينة . يزيد أهلها على ثلاثين ألفا و اسم المدينة " شولولا " حين علم الهنود بمجئ الأسبان خرج زعماء المنطقة جميعا لاستقبالهم . و كان معهم الكهنة و رئيس الكهنة ، و قد سار الموكب . للقاء المسيحيين . يظلله الهيبة و يحيط به

---

[1] عبد الحافظ عبدربه – فلسفة الجهاد في الإسلام صـ٢٧٥ ، ٢٧٦ . ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان .

* المطران : رئيس ديني عند النصارى ، و هو دون البطريرك – و هو رئيس رؤساء الأساقفة – و فوق الأسقف – و هو رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس و دون المطران – . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٨٧٥ ، جـ١ صـ ٦١ ، ٤٣٦ .

الجلال . و دعا الهنود ضيوفهم الأسبان . لينزلوا فى بيوتهم وقصورهم . غير أن الأسبان كانوا مصممين على المجزرة التى يسمونها " عقابا " لبسط الهيبة و ترويع السكان . و تخويفهم .

و كانت هذه سياسة الفتح الأسبانى . أول ما يفعلونه . عندما يدخلون قرية أو مدينة . هو ارتكاب مجزرة مخيفة . مجزرة جماعية ترجف منها أوصال هذه النعاج المرهَفة . و نادى الأسبان كل أسياد المدينة و نبلائها ليسجنوهم فورا ...

ثم طلب الأسبان ستة آلاف هندى ليحملوا بضائعهم . و حين جاءوا . سجنوهم فى باحات المنازل . إن مشهد هؤلاء الهنود . و هم يستعدون لحمل حقائب الأسبان و بضائعهم يثير الشفقة و الأسى . فهم يجيئون عراة ليس عليهم إلا ما يستر عوراتهم . و يحملون معهم شباكا صغيرة . فيها طعامهم المتواضع . ثم يقرفصون جميعا كالخراف الوديعة . و حين تجمع الهنود أغلق عليهم الأسبان الأبواب . و شددوا عليها الحراسة . ثم استلوا خناجرهم . و بدأوا بذبح هذه النعاج . فلم ينج منهم إلا القليل .

بعد قتل ستة آلاف هندى . أمر القبطان بإخراج الأسياد الذين كانوا موثقين . و عددهم أكثر من مائة ثم أمر جنوده بإحراقهم أحياء)[1] .

فأى بشر هؤلاء . و أى نفوس تلك التى جابت العالم . فى هذا الوقت فأحلّت به سوء العذاب . و أشاعت فى الأرض الرعب و الدمار ، إن معانى الأسف و الأسى على هؤلاء المساكين . لا تفلح فى محو آثار الأسى ، مما ارتكبه مصاصو الدماء فى حقهم .

ثم يأتى السادة المستشرقون أحفاد هؤلاء ليرمونا بغارات السلب و النهب ؟؟؟

هذا و إن الكتاب يعج بعشرات المشاهد مثل هذا ، و أشنع منه . و لكنى أكتفى بهذه الصورة لألفت نظر هؤلاء المستشرقين إلى مخازى أسلافهم الذين كانوا قراصنة مخربين .

هذا و إن حركة الاستعمار للعالم العربى و استنزاف ثرواته – و التى كان المستشرقون روادها – هى غارات السلب و النهب ، التى ينبغى أن يُشَنَّع على أصحابها . أما أن يكيلوا التهم جزافا . و يكون شعارهم :–   رمتنى بدائها و انسلت

فهذا ما ينبغى أن يستحى منه كل منصف ، باحث عن الحقيقة .

---

[1] برتولومى دى لاس كازاس – المسيحية و السيف – ترجمة سميرة عزمى الزين صـ٤٨ ، ٤٩ ، بتصرف الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٤م المعهد الدولى للدراسات الإنسانية .

المطلب الرابع

الفتوحات الإسلامية حروب دينية لنشر الإسلام بالسيف : -

لقد مر معنا قول "Humber of romas" : إن المسلمين شديدو الحماس لدينهم . لدرجة أنهم يقطعون دون رحمة رأس أي مخلوق يهاجم هذا الدين في أي إقليم يسيطرون عليه "

و هذا " سيديو " يقول : (إن المسلمين أصحاب عقيدة . و لكنهم توسَّلُوا بالتعصب الأعمى . و أخضعوا الناس لمبادئهم بالقهر و الإرغام . و خاضوا إلى ذلك بحار الدم و القسوة .. و أنهم كانوا يحملون القرآن بإحدى أيديهم و السيف باليد الأخرى)[1] .

يقول " مكسيم رودنسون في كتاب " جاذبية الإسلام " : (كان شعب صاخب و ناهب و غير مسيحي فضلا عن ذلك ، قد اجتاح و خرَّب أقطارا شاسعة ، منتزعا إياها من ملك المسيحية ... واسمهم "ساراسين"* ... وهم أمة مختونة و تقطن جهة جبل القوقاس فوق بحر قزوين ...

إن هؤلاء " الأغارينى "** و قد ازداد عددهم كثيرا حملوا السلاح . و انقضوا على ولايات الإمبراطور "إراغليا " هراكليوس " في عهد الإمبراطور " قسطنطين " ثم الإمبراطور " كونستانت " اللذين جاءا بعد " هراكليوس " ارتكب الساراسين أعمالا تخريبية مرعبة)[2] .

و يقول المستشرق اليهودى " جولدزيهر*** " عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و هو في المدينة :

(فهو الآن يحمل السيف في العالم . ولا يكتفي بعصاه التي يضرب بها الأرض . و لا بنفثات شفتيه لإبادة الكفرة . بل هو نفير الحرب . الذى كان ينفخ فيه . و هو السيف الدامي . الذى رفعه لإقامة

---

[1] د/ جميل عبدا لله المصرى - الفتوحات بين دوافعها الإسلامية و دعاوى المستشرقين - مجلة المنهل صـ٧٣ - مرجع سابق .

* ساراسين نسبة إلى السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام . و معناها : عبيد سارة . و يقصد به العرب المسلمون . مكسيم رودنسون . جاذبية الإسلام صـ١٥

** الأغارينى : نسبة إلى السيدة هاجر عليها السلام . و يقصد بهم العرب كذلك . مكسيم رودنسون ، جاذبية الإسلام صـ١٥ .

[2] مكسيم رودنسون ، جاذبية الإسلام صـ١٥ . ترجمة إلياس مرقص ، الطبعة الثانية ١٩٩٨م دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت لبنان .

*** أجناس جولد زيهر " ١٨٥٠-١٩٢١م " تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودابشت و ليبزيج و برلين و ليدن و لما نبه ذكره عين أستاذا محاضرا في كلية العلوم بجامعة بودابشت ١٨٧٣م ، كانت له مكتبة أربت على ٤٠ ألف مجلد في العلوم و الفقه و الفلسفة و الفنون و اللغة و الأدب . من آثاره الإسلام ، العقيدة و الشريعة في الإسلام . و غير ذلك من الآثار . العقيقي جـ٣ صـ١٠٤٠ .

مملكته . وفي رواية إسلامية متواترة . نتبين منها مهمته مركزة فيها . إنه حمل اللقب الذي ورد في التوراة و هو : نبي القتال و الحرب)[١] .

فهل كان محمد – صلى الله عليه وسلم – داعية حرب و عنف و استعباد . هل حقا كان أصحاب النبي دعاة حرب و استعباد ؟

إن هذه الدعوى روج لها (المستعمرون و أبواقهم من المبشرين والمستشرقين . دعوى أن الإسلام ما ساد إلا بالسيف . كرر هذه الدعوى في صور شتى " سفاري* " وقالها كثيرون من أمثاله المتعصبين ضد الإسلام مثل " إيرفنج " و أدميون " و " هنرى جيب " و " هـ جوليمين " ... و جميعهم يؤكدون ... أن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة . و قالوا للناس " أسلموا أو موتوا " و ما قاله المونيسينيور " كولى " في كتابه " البحث عن الدين الجديد " :

" لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه . و تساهل في أقدس قوانين الأخلاق . ثم سمح لأتباعه بالفجور و السلب "

هكذا يقول عن النبي القائل : ليس منا من انتهب أو سلب أو أشار بالسلب " هكذا يقول حملة دعوة " الفجور و السلب في العالم " عن المسلمين الذين لم يعرفوا الفجور إلا – مشاهدة – بعد سيطرة النظم المنسوبة إلى المسيحية في العالم . سواء النظم الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية . فما وجه الحق؟ إن وجه الحق في الطرف الآخر . من مقالة هؤلاء الدجالين الكذابين . إنه مع الإسلام الذي قال رسوله غاضبا حين بلغه أن طفلا من أبناء الكفار قتل في إحدى السرايا :

"ما بال أقوام جاوز بهم القتل حتى قتلوا الذرية . ألا لا يقتلون الذرية . ألا لا يقتلون الذرية "

فأين هذا مما فعلته الصهيونية من سحق تلاميذ مدرسة " بحر البقر " بالشرقية . بقنابل طائراتهم إن الحق مع الإسلام الذي يحرم رسوله العدوان على المؤسسات و الأرزاق و المسالمين الآمنين . فقد قال لأصحابه عندما أرسلهم في سرية مؤتة :" ألا لا تغدروا و لا تغلوا .... و لا تقربوا نخلا . و لا تقطعوا شجرا ، و لا تهدموا بناء " فأين هذا مما فعله الصهاينة بمصنع أبي زعبل . و مدن القنال .

---

[١] جولد زيهر – العقيدة و الشريعة في الإسلام – صـ٢٧ ، مرجع سابق .

* كلود إتين سفاري ، رحالة و مستشرق فرنسي ، ولد سنة ١٧٥٠م و توفي في باريس ١٧٨٨م ، من آثاره : ترجمة للقرآن الكريم ، و كتاب عن قواعد اللغة العامية و الفصحى ، السيرة النبوية و كيف حرفها المستشرقون صـ٧ .

أو بما فعله الألمان النازيون بالإسكندرية . أو الأمريكان بهيروشيما " و " نجازاكي " في اليابان إبان الحرب العالمية الثانية ؟)[١] .

إن الاعتداء و العنف و الإكراه ليست من دين الإسلام في شئ . هذا الدين الذى من مقرراته قول الله تعالى : " و قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " البقرة ١٩٠

فأى سمو و سموق و رقى هذا الذى تسنمته تعاليم الإسلام ؟ إن العالم لا يعرف في الحرب إلا العدوان و التوصل إلى الأهداف بأبشع الوسائل . دونما احترام لآدمية إنسان . و تاريخ البشرية . يغص بصور المجازر التي أهرقت دماء الأبرياء

(و إن الأحداث المفجعة لتقص علينا ما فعله القديس " ليودجر " و القديس " ويليهاد " و الملك " شارلمان " و القديس " أنسجار " و الملك " كنوت " و القسيس " جوتفريد " و الأسقف " كريستان " و جماعة إخوان السيف " و " رهبان ماينهارد " و تيودوريك " و القديس " فرانسيس كسافير " و الراهب " فالنتين " و رسل أمبوينا " من الاضهاد و التعذيب و النفي و التغريب لغير المسيحيين . و إرغامهم على التعميد و الدخول في المسيحية بالقوة و الإرهاب و البطش و التنكيل . و لازال السيف يقطر من سيف الملك "أولاف ترايجفيسون " الذى حش به رقاب أهالي " فيكن " في القسم الجنوبي من النرويج .. حيث كان هذا الطاغية يقوم بذبح الذين أبوا الدخول في المسيحية . بتقطيع أيديهم و أرجلهم أو بنفيهم و تشريدهم)[٢] .

هذه أخلاقهم المتدنية . و سلوكياتهم البشعة التي يرموننا بها . الإسلام الذى يقول :﴿ و لاتعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ البقرة ١٩٠ (أى قاتلوا في سبيل الله و لا تعتدوا في ذلك . و يدخل في ذلك ارتكاب المناهي . كما قاله الحسن البصري : من المثلة و الغلول و قتل النساء و الصبيان و الشيوخ . الذين لا رأى لهم ولا قتال فيهم . و الرهبان و أصحاب الصوامع . و تحريق الأشجار و قتل الحيوان . لغير مصلحة ، كما قال ذلك ابن عباس و عمر بن عبد العزيز ومقاتل بن حيان و غيرهم . و لهذا جاء في صحيح مسلم عن بريدة ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يقول

---

[١] سقارى – السيرة النبوية و كيف حرفها المستشرقون – صـ١٨٩ ، ١٩٠ . بتصرف ، مرجع سابق .

[٢] عبد الحافظ عبدربه – فلسفة الجهاد في الإسلام صـ٢٠ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان .

: " اغزوا في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا و لا تغلوا و لا تغدروا و لاتمثلوا و لاتقتلوا الوليد و لا أصحاب الصوامع . رواه الإمام أحمد .

و عند الإمام أحمد بسند عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – قال : " إن قوما كانوا أهل ضعف و مسكنة . قاتلهم أهل تجبر و عداوة . فأظهر الله أهل الضعف عليهم . فعمدوا إلى عدوهم . فاستعملوهم و سلطوهم . فأسخطوا الله عليهم إلى يوم القيامة " هذا حديث حسن الإسناد .

و معناه : أن هؤلاء الضعفاء لما قدروا على الأقوياء فاعتدوا عليهم فسلطوهم فيما لا يليق بهم . أسخطوا الله عليهم بسبب هذا الاعتداء)[1] .

يقول " ليفي بروفنسال " عن العرب (لم يكونوا يسعون إلى فرض دينهم على الشعوب التي دخلت تحت سلطانهم . و في القرآن دعوات صارخة لمحاربة الكافرين . و لكنه يحوى كذلك في طياته بذور التسامح و التعامل مع أهل الكتاب . و إذا كان العيش بالنسبة لأتباع يسوع مع غير المؤمنين أمرا مستحيلا بدون العداء ، فإنه كان من الممكن بالنسبة للمسلم التعايش مع المسيحيين و اليهود بمجرد الإقرار بتفوقه السياسي المطلق . لأن كلام الله لا يأمر إلا بتبديد الأصنام و القضاء على عبدة الأوثان)[2]

إن التاريخ يشهد بأن المسلمين لم يقولوا للناس أبدا : أسلموا أو موتوا . و لكنها أهازيج السكارى من بغض الإسلام و أهله .

و لكن التاريخ يشهد بأن قواد المسلمين كانوا يخيرون الناس بين واحدة من ثلاث : الإسلام فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين . ويرجع عنهم المسلمون فيحكمون بلادهم بكتاب الله . الجزية ويقاتل عنهم المسلمون . وإلا فالمناجزة . ففي حرب الحيرة في ربيع الأول سنة ١٢هـ بين "خالد بن الوليد" رضي الله عنه وبين قواد العرب الموالين للفرس قال سيف الله " لعدي بن عدي" : (اختاروا واحدة من ثلاث أن تدخلوا في ديننا فلكم مالنا . وعليكم ما علينا . أو الجزية أو المنابذة والمناجزة . فقد أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة . قال :بل نعطيك الجزية .

---

[1] تفسير ابن كثير جـ١ صـ٢٣٣ بتصرف . مرجع سابق .

[2] جان بول رو ، الإسلام في الغرب صـ٨٨ ، تعريب نجدة هاجر ، الطبعة الأولى ١٩٦٠م المكتب التجاري للطباعة ، بيروت ، لبنان .

فقال خالد :تبًالكم ! ويحكم إن الكفر فلاة مضلة ! فأحمق العرب من سلكها) [١].

وفى حرب القادسية قال " النعمان بن مقرن " لملك الفرس "يزْدجرد ": (فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسَّن الحسن . وقبَّح القبيح كله . فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء . فإن أبيتم فالمناجزة . فإن أجبتم إلى ديننا خلَّفنا فيكم كتاب الله . وأقمناكم عليه .على أن تحكموا بأحكامه . ونرجع عنكم . وشأنكم وبلادكم . وإن اتقيتمونا بالجزاء . قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم)[٢]

إن المسألة إذاً ليست إكراه الناس على الدخول فى الإسلام . وإلا لقالوا لهم :" أسلموا أو تموتوا . ولكن القضية أن يعيش الناس فى كنف الإسلام . وفى ظل قانونه . أن يعيش الناس فى ظل الرشد الإسلامى . ولو كانوا غير مسلمين . فإنه لا إكراه فى الدين . ولكن لابد أن يكون الحكم لله .ليزيل الطواغيت البشرية . التى أذاقت الناس أبشع ألوان الهوان .

إن كتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " للعلامة " الندوى" ليضع بين أيدينا صورة لأنظمة العالم الفاسدة . إبان ظهور الإسلام . تلك الأنظمة التى أذاقت البشرية ألوان الذل والاستعباد . والطبقيات الجائرة والمجون المكشوف . وغير ذلك مما لا مجال لتفصيله هنا . ولكنه يوحى إلينا بلسان حال العالم الذى كان ينادى صارخاً مستغيثاً . فكان الإسلام الذى احتضن البشرية . وأسبل عليها نعم الأمن والأمان والاطمئنان بلا فرق بين أبيض ولا أسود . وأيضاً بلا فرق بين مسلم وغير مسلم . فيما تقتضيه الإنسانية الكريمة .

فقل للعيون الرمد للشمس أعين ... تراها بحق فى مغيب ومطلع

وسامح عيونا أطفأ الله نورها ... بأبصارها لا تستفيق ولا تعى*

انتشار الإسلام طواعية واختياراً :.

(فى قرن واحد بعد وفاة النبى – صلى الله عليه وسلم – . كانت الفتوحات الإسلامية قد بلغت مالم تبلغه فتوح الإمبراطورية الرومانية ، فى سبعة قرون . وحين عادت جيوش الإسلام من فرنسا . لم تعد إلا لتستقر فى أسبانيا ثمانية قرون . ولم تنحسر الفتوح عن الجانب الغربى . إلا لتمتد فى

---

[١] أيام العرب فى الإسلام – صـ١٩٨ ، مرجع سابق .

[٢] المرجع السابق صـ٢٥٢ .

* أبيات منسوبة لفضيلة الشيخ / عائض بن عبد الله القرنى سعودى الجنسية .

الشرق حيث فتحت " تلوخستان "والهند والصين بل والجزر الإندونيسية . كما أن الإسلام قد امتدت فتوحه غرباً فدخل أوربا من جنوبها الشرقي . متجها نحو الغرب . والشمال الغربي إلى النمسا . وإلى غرب بحر البلطيق . ولم يكن السيف ليُسَلَّ في كل مكان إلا نادرا . ولو كان دخول هذه الأمم في الإسلام . تحت سلطان السيف . لخرجوا منه منذ دخلت السيوف في أغمادها . ومنذ غفل المسلمون عن أسلحتهم وأمتعتهم فانعكست آية القوة المادية وأصبحت في يد غيرهم . ولكن كما قال المستشرق " بورت " فإنه لا تعرف حادثة واحدة ارتد فيها مسلم عن دينه ردة حقيقية بعد أن دخل في الإسلام دخولاً حقيقياً . بينما حوادث الخروج من الأديان الأخرى إلى الإسلام أكثر من أن تحصى)[1] .

لم يرغم الإسلام أحداً على اعتناقه . ولم تكن الجزية خياراً صعباً . بحيث يضطر معه غير المسلم إلى قبول الإسلام كراهة لعجزه عن الجزية . بل كان مَن يعجز عن دفعها . لعجز مُزْمِن كمرض مقعد . أو كبر مفند . أو فقر مدقع . تسقط عنه الجزية . ويفرض له من بيت مال المسلمين ما يقيته . فلم يدخل الإسلام أحدٌ إلا راضياً قانعاً مختاراً .

ولقد كان (رجل من الأنصار يقال له "أبو حصين" كان له ابنان . فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت . فلما أرادوا الخروج أتاهم ابنا الحصين . فدعوهما إلى النصرانية . فتنصرا ومضيا معهم إلى الشام فأتى أبوهما رسول الله مشتكيا أمرهما . ورغب أن يبعث رسول الله من يردهما فنزلت ﴿ لا إكراه في الدين ﴾)[2] .

حدثنا أبيَ حدثنا عمرو بن عوف أخبرنا شريك عن أبي هلال عن أسبق قال : كنت في دينهم مملوكا نصرانيا لعمر بن الخطاب . فكان يَعرض عليَّ الإسلام . فآبى . فيقول : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾)[3]

فكان دخول الناس في دين الله طواعية واختياراً (و قد دخل في الإسلام كثيرون . دون حرب وإنما بالاقناع واستجابة لدعاة الإسلام : —

أ – ففي داغستان وأيونجستان " دعا "درويش منصور" كل الأمراء للإسلام فأسلموا وتبعتهم الأمة .

---

[1] السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون صـ١٩٠ . مرجع سابق .

[2] تفسير القرطبي جـ٢ صـ١٠٨٨ .

[3] تفسير ابن كثير جـ١ صـ٣١٨ .

ب – كما دخل الإسلام على يده كثير من الجراكسة* . فضلوا أن ينفوا عن البلاد . على أن يخضعوا للحكم الروسى . وكان لمصاهرة الضابط التركى " فرج على " للجراكسة أثره فى دعم الدعوة الإسلامية بينهم . بل وحبهم له . حتى جعلوا قبره مزاراً بعد وفاته سنة ٧٨٥ م .

ج ـ وحين أصدرت روسيا سنة ١٩٠٥ م قانون التسامح الدينى . دخل القوقاز فى دين الله أفوجا .

د– وفي الحبشة سنة ١٨٧٨ م عقد الملك "جون"** مجمعا قرر فيه أن المسيحية على المذهب اليعقوبى*** هى دين الجميع . ونال المسلمون منه اضطهادا كبيرا . ومع هذا فقد أسلمت قبائل نصرانية بأكملها فى القرن التاسع عشر . ولا تزال تحمل أسماء مسيحية مثل قبائل تاكليه أى " بنات يسوع " و"هيبته " أى عطية يسوع " و "تيماريم " أى عطية مريم " كما أسلمت قبيلة "منسا**** "فى منتصف القرن التاسع عشر .

هـ ـ وفى نياسلانده "مالاوى *****" اعتنق عدد كبير من قبائل " الياوو****** " دين الإسلام ونشروه فى ديارهم ـ دون حرب ـ خلال القرن العشرين . حتى أن أراضيهم التى تمتد من

---

* جركس : الجركسى أو الشركسى . شعب قوقازى من البطون التردية يسمون أنفسهم " الديغة " اشتهروا بالفروسية و الشجاعة و التمسك بالتقاليد . دخلوا الإسلام منذ بداية الفتح الإسلامى للقوقاز إبان خلافة عمر بن الخطاب عندما استولى الروس على الإقليم عام ١٨٦٢م هاجر معظم الجراكسة إلى البلاد الإسلامية المجاورة . دائرة المعارف الإسلامية للناشئين . صـ١٠١ .

** الملك " جون " أحد ملوك الحبشة . ملك إبان القرن التاسع عشر . و فى سنة ١٨٧٨م عقد مجمعا يضم رجال الكنيسة الحبشية و نادوا به حكما أعلى فى المسائل الدينية . و كان من بنود هذا المجمع الاقتصار على دين واحد فى الحبشة . و بناء عليه مارس جون عمليات التعميد الجبرى ضد المسلمين و الوثنيين فى الحبشة فى عام ١٨٨٠م . وفى هذا العام أرغم . خمسين ألف مسلم على التعميد فى الكنيسة . هلك سنة ١٨٨٩م . الدعوة إلى الإسلام صـ١٤١،١٤٢ .

*** اليعقوبية أصحاب يعقوب البرذعانى ، و كان راهبا بالقسطنطينية . و قد قالوا بالأقانيم الثلاثة . و لكنهم قالوا : إن انقلبت لحما و دما . فصار الإله هو المسيح . و هو الظاهر بجسده ، بل هو هو . و عنهم أخبرنا القرآن الكريم " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم " المائدة ١٧ . الملل و النحل للشهرستانى جـ٢ صـ٢٥٣ . ٢٥٤ .

**** قبيلة "منسا " إحدى القبائل المسيحية الحبشية و التى تحول معظمها إلى الإسلام فى مستهل القرة العشرين على الرغم من الاضطهاد الشديد و محاولات التنصير الجبرى . الدعوة إلى الإسلام صـ١٤٣ .

***** جمهورية صغيرة ، تمتد على ضفاف بحيرة "مالاوى " التىكانت تعرف باسم " نياسا " كما كانت البلاد تعرف باسم " نياسالاند " و تبلغ مساحتها ١١٨,٤٣٨كم م ، و عاصمتها مدينة "زومبا " الواقعة إلى الجنوب من البحيرة دخلها الإسلام عن طريق التجار و الدعاة الذين قدموا أيام إمارة الزنج فى القرن الرابع الهجرى ، و أيام حكم عمان لشرقى إفريقيا منذ القرن الثانى عشر الهجرى . التاريخ الإسلامى صـ٢٥٧ . د/ محمود شاكر .

****** قبيلة الياوو إحدى قبائل مالاوى و التى ينتشر فيها الإسلام حيث تعد أكثريتها من المسلمين . التاريخ الإسلامى د/ محمود شاكرجـ٢٢ . صـ٢٥٧ .

بحيرة " بناسا "إلى الساحل الإفريقى الشرقى . لا تكاد تخلو قرية فيها من مسجد وتاجر مسلم

كما أسلمت قبائل "اشيو" وبعض قبائل موزمبيق دون حرب .

و - ودخل الإسلام جمهورية " مالاجاش " "مدغشقر* " وكل جزر الهند الشرقية دون رمية سهم أو ضربة سيف ..

بل إن أشد المحاربين للإسلام . كانوا لا يلبثون أن يعتنقوه بعد اطلاعهم على حقيقته . وبعد إتاحة الفرصة للحوار بينهم وبين المسلمين . وليس أدل على هذا من أن المغول أنفسهم . انقلبوا إلى دعاة للإسلام وكونوا له إمبراطورية فى الهند وشمال آسيا .

وفى الحملات الصليبية روى المؤرخون أن طائفة رئيسية من الألمان واللومبارديين . بزعامة فارس مشهور يدعى " رينو " "RAINAUD " حين حاصرهم " أرسلان السلجوقى " فى إحدى القلاع تظاهروا بالقيام بهجوم على محاصريهم فى الخارج . ثم لما خرجوا أعلنوا للأتراك أنهم جاءوا مسلمين وقد ذكر " توماس أرنولد " أن حملة لويس السابع سنة ١١٤٨م دخل منها فى الإسلام قرابة ثلاثة آلاف شخص . نتيجة للمعاملة الطيبة التى وجدها مرضاهم وجائعوهم من المسلمين . بينما ذاقوا آلام الضياع من حلفائهم الإغريق المسيحيين . الذين أخذوا من لويس خمسمائة مارك لحراستهم حتى يحجوا . وللعناية بالمرضى . فأكلوا الأموال ولم يفعلوا شيئاً .

وكذلك اعتنق الإسلام بعض الشخصيات الهامة على يد " صلاح الدين الأيوبى" . وخرج من النصرانية "روبرت أوف سانت اليانسى" . أحد فرسان المعبد واعتنق الإسلام . وتزوج إحدى حفيدات صلاح الدين وفى سنة ١١٨٧م انتصر المسلمون فى حطين ووقع " جوب " ملك بيت المقدس أسيراً وفى مساء يوم المعركة . ترك الملك ستة من فرسانه ، ففروا إلى معسكر صلاح الدين وأعلنوا الإسلام بمحض إرادتهم .

وفى الحرب الصليبية الثالثة وفى أثناء حصار عكا سنة ١١٨٩ م -١١٩١م . فرَّ كثير من النصارى المحاربين إلى صفوف المسلمين ، فأسلمو أو كانت صيغة القَسَم التى أمليت على الملك لويس . ليقسم به على تنفيذ المعاهدة من وضع هؤلاء الذين كانوا فى جيشه ثم أسلموا .

---

* مدغشقر : دولة فى شرقى أفريقيا تشمل أراضيها جزيرة مدغشقر التى تعد خامس جزر العالم مساحة . و تبلغ مساحتها ٥٩٠ ألف كم م ، و يفصلها عن البر الإفريقى مضيق موزمبيق الذى يبلغ عرضه ٤٠٠ كم . و قد عد بعض الرحالة العرب هذه الجزيرة من بين جزر القمر . التاريخ الإسلامى صـ٢٦٢ .

وعند فتح بيت المقدس عام ١٢٤٤م . دخل كثير من النصارى هنالك الإسلام . من أثر السماحة التى عرفت عن المسلمين طوال الحروب الصليبية) [١] .

إن فرية انتشار الإسلام بالسيف . تتضاءل حتى تتلاشى . أمام هذه الحقائق والشواهد التاريخية .

ويكفينا هنا قول المستشرق الإنجليزى "ستيفن رانسيمان*" قال :

(نحن لاندرى كيف بث النبى الحماسة المتدفقة فى نفوس أتباعه . الذين أصبحوا نماذج لتعاليمه . وكيف صنع هذه المواهب النادرة . التى تجلت فى زعماء كعمرو بن العاص و خالد وعمر بن الخطاب . إن دخول نصف العالم المتمدن الإسلام فى نصف قرن . لا يمكن أن يكون قد تم بحرب . وما كان ليقع لو لم يكن العالم مستعداً لقبول هذا الدين . ولو لم تكن تعاليمه تحمل فى جوهرها زاداً طيباً صالحاً من الحق والخير") [٢] .

فهل بقى لمدَّعٍ ومتقول أن يتجنى على وقائع التاريخ . ويخالف ما تقتضيه النزاهة العلمية . ويدعى أن الإسلام انتشر بحد السيف ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ الحج ٤٦

---

[١] السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ـ مرجع سابق صـ١٩٠ : ١٩٢ .

* ستيفن رانسيمان : إنجليزى عشق الشرق و زار أقطاره ، فزار مصر عام ١٩٤١م و أقام باستانبول فترة من الزمان ، أتقن العربية و التركية و الفارسية من آثاره كتاب عن الحروب الصليبية فى أجزاء ثلاثة بين عامى ١٩٥١م -١٩٥٤م عن كتاب الحضارة البيزنطية .

[٢] المرجع السابق صـ١٩٥.

المبحث الثاني

الاهتمام بالفرق و الحركات الباطنية للتشويش على الإسلام

و هو أحد أوجه الاعتداء الاستشراقي على الإسلام . و إذا كان الإغضاء عن جلال الإسلام و تشويه معالمه وطمس حقائقه أحد مناهج الاستشراق . فإن تضخيم الهفوات التي تنسب إلى أفراد أو جماعات خارجة عن الإسلام . نهج آخر ينتهجه الاستشراق في حرب الإسلام . و إن النظر إلى الانحرافات الفردية و الجماعية على أنها الإسلام دليل على سوء القصد . و فساد النية . التي ينطلق من خلالها الاستشراق المغرض .

و إن الترجمة للفرق الضالة المنشقة عن الإسلام على أنها الإسلام أو أنها حركات إصلاحية في الإسلام . أو أنها حركات تطويرية لصورة الإسلام الجامدة العتيقة . أو تصويرهم على أنهم أصحاب قضية .و طلاب عدل . كل ذلك من سوءات الاستشراق . التي تدينه و لا شك أمام أي قضاء علمي نزيه .

يقول الأستاذ أنور الجندي :(و إذا كان الاستشراق خالصا لوجه العلم . فلماذا يركز دائما على الجوانب الواهنة و الروايات الضعيفة و الشبهات المثارة .

و لماذا يركز على الشخصيات الضالة كالحلاج و السهروردي و أبي نواس و ابن الراوندي . و لماذا يحاولون تحطيم الشخصيات البارزة أمثال المتنبي و ابن خلدون و الغزالي . و لماذا يركز على الأثر الفارسي و الهندي و اليوناني . و يحاول أن يجعله مصدرا للفكر الإسلامي . الذي تشكل و اكتمل قبل اتصاله بالفكر الوافد ؟

و لماذا يركز على الخلافات بين المسلمين . و يؤرث * لخصومات بين القوى حتى لا تتم لهم وحدة فكر؟ و لماذا الاهتمام بأخبار الزنج** و القرامطة*** ...؟

---

* أرث النار : أوقدها . و تأرثت النار : اتقدت ، و الإراث : ما تشعل به النار ،و الإراث : النميمة . المعجم الوسيط جـ١ صـ١٢ .

** الزنج : العبيد الذين انتفضوا و أثاروا الفزع في القسم الأدنى من بغداد من أرض العراق خمسة عشر عاما -٢٥٥ : ٢٧٠هـ = ٨٦٨ : ٨٨٣ م دائرة المعارف الإسلامية جـ١٠ صـ٤٢٢ .

*** القرامطة : حركة باطنية هدامة اعتمدت التنظيم السري العسكري ، ظاهرها التشيع لآل البيت و الانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق و حقيقتها الإلحاد و الشيوعية و الإباحية و هدم الأخلاق و القضاء على الدولة الإسلامية ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط بن الأشعث الذي نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨ هـ . الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة صـ٣٩٥ .

لقد ركز الاستشراق على الأفكار الدخيلة على الإسلام و الفلسفات الوافدة . و حاول تصويرها على أنها جوهر الفكر الإسلامى . مع الإغضاء المتعمد من القيم الأساسية للإسلام .

كذلك الاهتمام الدائب بوحدة الوجود و الحلول و الاتحاد* فى التصوف و العاميات فى اللغة و الفولكلور و الأمثال الشعبية)[1] .

المطلب الأول

الزعم بأن البهائية و القاديانية حركات إصلاحية للإسلام

لقد (عرض المستشرق " لويس بروان " فى كتابه " طوالع الإسلام إلى حركات التجديد و الإصلاح " التى ظهرت منذ القرن الماضى فى أنحاء العالم الإسلامى . من الهند إلى إيران إلى مصر . و قد اعتبر البهائية و القاديانية حركتين إصلاحيتين فى الإسلام . و قد تابعه فى هذا بعض المفكرين المسلمين)[2] و هكذا تصبح هاتان الحركتان الهدامتان حركات إصلاحية فى نظر " لويس بروان " .

نحن الآن بحاجة إلى أن نولى وجوهنا شطر بعض أهداف هاتين الفرقتين الإصلاحيتين – حسب ما قاله " لويس بروان " .

فى رسالة أرسلها الخليفة الثانى للحركة القاديانية – ميرزا** بشير الدين محمود – إلى أمير " ويلز " نجل " جورج الخامس " ملك بريطانيا . فى مناسبة زيارته للهند فى عهد الاحتلال البريطانى عام ١٩٣١م و فيها يقول : (يا نجل مليكنا المعظم . و ولى عهد المملكة البريطانية أنا إمام الجماعة الأحمدية و خليفة مؤسسها المسيح الموعود عليه السلام . أرحب بك بالنيابة عن أفراد الجماعة الأحمدية ؟ أجمعين وأؤكد لك بأن الجماعة الأحمدية وفيَّة للحكومة البريطانية . و ستبقى وفيَّة لها إن شاء الله ... ويقول : إن منهج هذه الجماعة من يوم تأسيسها . أن تطيع الحكومة القائمة " حكومة الاحتلال البريطانى " .

---

* الحلول : اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر ، و مذهب الحلول : القول بأن الله حال فى كل شئ . المعجم الوسيط جـ١ صـ١٩٤ .

(1) أ/ أنور الجندى ، أخطاء المنهج الغربى الوافد فى العقائد و التاريخ و الحضارة و اللغة و الأدب و الاجتماع صـ٤٢٢ .

(2) أ/ أنور الجندى ، معلمة الإسلام جـ٢ صـ١٦٤ بدون ط ١٤١١هـ-١٩٩١م دار الصحوة ، القاهرة .

** ميرزا : لقب خاص بأبناء ملوك إيران ، و اللفظ فارسى أصله : مير زاده ، معناه عندهم : ابن الأمير . معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية صـ٤١٥ .

و تبتعد عن أعمال الفتنة و الفساد – يريد بها حركات التحرير التي ينهض بها المسلمون للخلاص من الاستعمار – و أن مؤسسها عليه السلام . كان قد وضع ضمن شروط المبايعة التي لا يمكن للمرء أن ينضم للجماعة بدونها . ضرورة أن يتعهد الشخص بأن يطيع الحكومة القائمة . و لهذا اجتنب أعضاء هذه الجماعة الفتنة و الفساد . و أصبحوا أسوة و قدوة للآخرين)[١] .

و الآن تبين لنا . لماذا كانت هذه الحركات حركات إصلاحية . و ما ذلك إلا المنطق الفرعوني القديم "و قال فرعون ذروني أقتل موسى و ليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد" غافر ٢٦ .

و لسوف تتأكد صورة الإصلاح المزعوم . عندما نتقرب أكثر لنرى حبال الود التي كانت قائمة (بين اليهود و القاديانيين منذ عام ١٩٢٨م . حيث قام القاديانيون بالتجسس على العرب لحساب اليهود . ووشو بالفدائيين الذين هبوا للدفاع عن أرضهم و عرضهم و مقدساتهم و أغروا اليهود بهم .

يقول مبارك أحمد القادياني – حفيد الميرزا المتنبئ – إن المركز الأحمدي بإسرائيل . يقع في حيفا و لنا فيه مسجد و دار للبعثة . و مكتبة عامة و مكتبة تجارية و مدرسة . و مركزنا يصدر مجلة شهرية باسم – البشرى – باللغة العربية . و هي تبعث إلى ثلاثين دولة مختلفة . و قد قام هذا المركز بترجمة كثير من مؤلفات المسيح الموعود إلى اللغة العربية)[٢] .

لقد كان الميرزا غلام أحمد القادياني يوصي أتباعه قائلا :(إن الحكومة البريطانية رحمة و بركة عليكم . و هي الحصن الذي أقامه الله لوقايتكم . فقدروها حق التقدير من أعماق قلوبكم و مهجكم . و الإنجليز خير لكم ألف مرة من هؤلاء المسلمين الذين يخالفونكم . لأن الإنجليز لا يرون إذلالكم . و لا يرون وجوب قتلكم)[٣] .

و لماذا لا تكون القاديانية حركة إصلاحية وهي تمجد الاستعمار . و توطد لبقائه و استمراره في بلاد المسلمين . و ترى كل حركة تحريرية فسادا ينبغي محاربته و البعد عن تأييده ؟!

لقد كان من عقيدة هذه الحركة الضالة (إلغاء عقيدة الجهاد و الطاعة العمياء للحكومة

---

[١] د/شوقي إبراهيم علي عبدا لله ، في الغزو الفكري و التيارات المعادية للإسلام . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م . دار الطباعة المحمدية – القاهرة .

[٢] د/ حسن الهواري ، القاديانية صـ٥٩ ، ٥٧ بتصرف ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م ، مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة .

[٣] المرجع السابق صـ٥٦ . بتصرف .

البريطانية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن الكريم . و يبيحون الخمر و الأفيون و المخدرات و المسكرات . و من معتقدات القاديانية أن الله – تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا – يصوم و يصلي و ينام و يصحو و يكتب و يوقع و يخطئ و يجامع . و يعتقد القادياني أن إلهه إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية .)[1] .

أما البهائيون فيعتقدون (أن الباب هو الذي خلق كل شئ بكلمته . و هو المبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء . و يوافقون اليهود و النصارى في صلب المسيح . و يحرمون الحجاب على المرأة . ويحللون المتعة و شيوعية النساء و الأموال . و ينكرون أن يكون محمد خاتم النبيين . مدعين استمرار الوحي . و قد وضعوا كتابا معارضة للقرآن الكريم)[1]. و هو كتاب البيان الذي وضعه علي محمد الشيرازي .

و ذلك هو الإصلاح حسب زعم الاستشراق المغرض . التحلل و الإباحية و الكفر الصراح .

و في الوقت الذي كان فيه المسلمون في الهند . يصطلون بنار ا لاستعمار البريطاني المجرم . و بينما تهراق الدماء طلبا لتحرير الأرض و الرقاب من استعمار الكافرين . الذين لا يرقبون في مسلم إلا و لا ذمة كان القاديانيون يتمرغون في أحضان الاستعمار الآثم . و يقدمون له رقاب المسلمين على أطباق الخيانة والغدر . و تلك هي الحركات الإصلاحية !!!

[1] الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة ،صـ ٣٩٠ ، بتصرف .

[1] المرجع السابق صـ٦٣، ٦٤ .بتصرف .

المطلب الثاني

الزنج و القرامطة

(حاولت مؤامرة إفساد التاريخ الإسلامي التركيز على ثورة الزنج و القرامطة و تصويرها على أنها حركة تقدمية . و أنها تمثل العدل الاجتماعي في الإسلام . و لقد ركزت كثير من الكتابات على هذه الحركات الباطنية . التي استهدفت تدمير القيم الإسلامية في المجتمع الإسلامي وصولا إلى إسقاط الدولة الإسلامية ... و لقد كانت هذه المحاولة من مخططات التبشير و الاستشراق . و لكن الصهيونية أرادت في السنوات الأخيرة أن توسع دائرة تزييف التاريخ الإسلامي لحساب أهدافها .

فعقدت مؤتمر بلتيمور الصهيوني في أمريكا عام ١٣٦٢هـ ١٩٤٣م خلال الحرب العالمية الثانية . الذي وصف بأنه نقطة تحول في اتجاه الصهيونية إلى تزييف التاريخ الإسلامي و العربي . وقد حضر بن جوريون هذا المؤتمر . و قاد أعماله بنجاح إلى هدفها الأساسي . من تنظيم و مضاعفة عمليات التزييف لتاريخ العرب . و ملء العالم بالمطبوعات و الوسائل الدعائية عنه . تمهيدا للغزو الصهيوني المندفع لأرضهم . و لقد استغلت الصهيونية مفاهيم الماركسية في تفسير التاريخ . لإيجاد تصور كاذب عن الزنج و القرامطة على النحو الذي أعلنه جارودي في محاضراته المشهورة . التي ألقاها في القاهرة . و ما كتبه أمثال محمد إسماعيل عبد الرازق في كتابه الحركات السرية في الإسلام . و هو مستمد مما كتبه " بندلي جوزي" في كتابه عن الحركات الفكرية في الإسلام الذي صدر ١٩٢٨م من القدس . و كذلك الدكتور "طه حسين " في محاضراته عن العدل الاجتماعي . التي نشرها في مجلة الكاتب المصري)[1] .

من عقائد القرامطة (يجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة . فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه ... يعتقدون أن الأئمة و الأديان و الأخلاق ليست إلا ضلالا ... و أن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه . و مركب من جهته . و سمى كلام الله مجازا ... لقد دامت هذه الحركة قرابة قرن من الزمان بدأت في جنوبي فارس ... و سقطت آخر معاقلهم في الأحساء

---

(١) أ/ أنور الجندي ، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات صـ١٢٢ ، ١٢٣ بتصرف ، بدون ت بدون ط ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

و البحرين . هذا ومما يلاحظ الآن أن هناك كتابات مشبوهة تحاول أن تقدم حركة القرامطة و غيرها من حركات الردة و التخريب فى العالم الإسلامى على أنها حركات إصلاحية و أن قادتها رجال أحرار ينشدون العدالة و الحرية)[1]

و فى الوقت نفسه فإن الفتوحات الإسلامية التى أشرقت على العالم بأسمى مبادئ الأمن و السلام . غارات للسلب و النهب . و لكن هذه الحركات التى أهدرت دماء الأبرياء . و راح ضحية ممارساتها الإجرامية مئات البشر حركات إصلاحية ! إنها موازين الهوى و الإباحة . و مناهج السقوط و الانحدار .

المطلب الثالث

موازين منكوسة

حينما تحدث المستشرق " جولد زيهر " عن الفرق الإسلامية قال عن الحركة الوهابية إنها (تنكر الصفة الشرعية لما أحرزه المسلمون من تقاليد و سنن خلال تطورهم التاريخى . و لا تريد أن تعترف بالإسلام إلا على هيئة حفرية متحجرة من حفريات القرن السابع الميلادى)[2] .

فى الوقت الذى يتحدث فيه عن الميرزا على الشيرازى قائلا : (الشاب الورع ميرزا على محمد الشيرازى الذى ولد سنة ١٨٢٠م . و قد شهد له أصحابه بسبب مواهبه الفائقة و حماسته المتقدة بأن العناية الإلهية قد اصطفته لغاية سامية ... و قد دعا الباب أتباعه و مريديه إلى بغض المُلا " و هو الاسم الذى يطلق على علماء الدين فى فارس " بسبب نفاقهم ووزعهم الكاذب و تكالبهم على الدنيا . و لم يدخر وسعا فى أن يرفع الوحى المحمدى درجة نحو النضج و الكمال .

ففسر الجزء الأكبر منه تفسير مجازيا . و لم يُعن بفرائض الإسلام و شرائط طهارته المرهقة . وأبدل جزءا منها بغيرها ... و لم تكن النظريات التى أتى بها هذا الشاب الفارسى المنجذب . قاصرة على المسائل الاعتقادية و الشرعية ، و التى قصد بها مناهضة فقه المُلا . و التى تحيط بإخوانه فى الدين . و تغلغل فيها فأتى بنظريات أخلاقية تطابق العقل و الذوق السليم . طالب فيها بالإخاء بين كافة

---

[1] الموسوعة الميسرة فى الأديان و المذاهب المعاصرة صـ٣٩٩ :٣٩٨ . بتصرف .

[2] جولد زيهر – العقيدة و الشريعة فى الإسلام صـ٢٤ .

أفراد الجنس البشرى . بدلا من إقرار الفوارق التى تفصل بين الطبقات و الديانات . و رغب في أن يجعل المرأة على قدم المساواة بالرجل . وذلك بانتشالها من الدرك . الذى وضعتها فيه تقاليد الحياة العملية باسم الدين و السنة . و قد بدأ بإلغاء الحجاب الذى فرض عليها . و إنكار ذلك الأسلوب الهمجى فى الزواج)[1] .

إن الدعوة إلى الإخاء الإنسانى– التى قد تكون متكأ جولد زيهر فى وسم مبادئ البهائية بأنها توافق الذوق السليم– إنما أريد بها وضع اليهود فى مصاف الأجناس البشرية فى ذلك العصر . حيث كان اليهود أخبث شعوب الأرض . و أكثر المخلوقات بغضا لدى شعوب العالم . فكانت هذه الدعوة التى أريد بها الباطل .

و حسب هذا القول من جولد زيهر . فإن تحليل المتعة و شيوعية النساء و الأموال أخلاق توافق العقل و الذوق السليم عند السيد جولد زيهر ؟!! و هى أخلاق ليست غريبة على الأصل اليهودى الذى ينتمى إليه السيد " جولدزيهر " .

كما أن القول بالحلول و الاتحاد – الذى هو من عقائد البابية – و القول بأن الباب هو الذى خلق كل شئ بكلمته . هذه – بزعم جولد زيهر محاولات لرفع الوحى المحمدى إلى درجات النضج و الكمال .

قبح الله هذه الموازين و أصحابها . الذين خلعوا أستار الحياء . و استبدلوا بها صفاقة الوجه . و بلاهة التفكير .

فلا و الله ما فى العيش خير	و لا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير	و يبقى العود ما بقى اللحاء

(1) المرجع السابق صـ ٢٤٢،٢٤٣ .

قال المستشرق الإنجليزى " إدوارد براون " * فى حديثه عن إحدى الشخصيات البارزة فى الحركة البهائية " و هى " قرة العين " **:(إن الشخصية الجذابة الخلابة لأنظارنا و انتباهنا فى تكوين الديانة البابية . هى الجميلة الذكية . التى وهبت حظا وافرا من الحسن و الجمال و العقل و الذكاء : قرة العين " و يقول السيد " فرنسيس ينج" فى كتابه :" إن أقوى الشخصيات فى الحركة البابية و أميزها من الجميع هى قرة العين التى كانت شاعرة خطيبة ممتازة مؤثرة)[1] .

و يقول عنها " جولد زيهر " (و منهم البطلة " قرة العين " الجديرة بالشفقة و الرحمة)[2] .

و لن نجيب على هذا الإفراط فى الاستحسان و التقدير لشخصية " قرة العين " الجذابة حسب تعبير " براون " إلا بخطابها الرائق الذى ألقته فى مؤتمر " بدشت "*** حيث وقفت قائلة :

(أيها الأحباب و الأخيار . اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية . قد نسخت الآن بظهور الباب . و أن أحكام الشريعة الجديدة لم تصل إلينا . و إن اشتغالكم الآن بالصوم و الصلاة و الزكاة و سائر ما أتى به محمد عمل لغو و فعل باطل . و لا يعمل بها الآن إلا كل غافل و جاهل ... لا أمر اليوم و لا تكليف ... و إنما نحن الآن فى زمن الفترة . فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة . و مزقوا الحجاب الحاجز بينكم و بين نسائكم . بأن تشاركوهن بالأعمال . و تقاسموهن بالأفعال . وواصلوهن بعد السلوة . و أخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة . فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا . و إن الزهرة لا بد من قطفها و شمها . لأنها خلقت للضم و الشم . ولا ينبغي أن يعد ولا يحد شاموها بالكيف والكم)[3] .

---

* إدوار.ج.براون . ١٨٦٢-١٩٢٦م -١٢٧٩-١٣٤٥ هـ . إنجليزى فى السادسة عشرة من عمره انضم للجيش العثمانى فى الحرب الدولية العثمانية -١٨٧٧ : ١٨٧٨م =١٢٩٤ : ١٢٩٥ درس الطب فى كلية بمبردوك فى كمبريدج ١٨٧٩م = ١٢٩٧هـ و تعلم اللغة العربية و الفارسية و حصل على مرتبة الشرف فى الغات الهندية . من آثاره ذيل فهرس المخطوطات الإسلامية بجامعة كمبريدج ١٩٢٢م=١٣٤١هـ .

** قرة العين . اسمها فاطمة بنت الملا صالح القزوينى . و كنيتها أم سلمى و تلقب بـ " زرين تاج " أى التاج الذهبى . لأنها كانت ذهبية الشعر ولدت فى قزوين عام ١٢٣١هـ ١٨١٤م . البهائية د/ حسن الهوارى صـ٢٩ ، ٣٠ .

[1] د/ حسن الهوارى ، البهائية صـ٣٠ ، ٣١ . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ =١٩٨٩م ، مطبعة الحسين الإسلامية . القاهرة .

[2] جولد زيهر ، العقيدة والشريعة فى الإسلام صـ٢٤٣ . مرجع سابق .

*** مؤتمر بدشت عقد فى شهر رجب ١٢٢٤هـ = ١٨٤٩م بصحراء " بدشت " فى إيران ، و كان الهدف منه تخليص الباب محمد على الشيرازى من سجنه عنوة أو سلما ، و تحديد وضع البابية بالنسبة للإسلام : هل هى مذهب من مذاهبه تستتر بلوائه ؟ أم هى ديانة جديدة ناسخة له لأنها خير منه ؟ و قد انتهى بإعلان قرة العين بأن البابية نسخت الشريعة الإسلامية . البهائية د/ حسن الهوارى صـ٣٤ .

[3] د/ حسن الهوارى ، البهائية ، صـ٣٥ ، ٣٦ . بتصرف . مرجع سابق .

هذه هي البطلة التي تستحق الشفقة والرحمة . و التـي كـان ينعتهـا البـاب بالطـاهرة . و هـي صاحبة فكرة نسخ البابية للشريعة الإسلامية و قسرت أتباع الباب قسرا على ذلك . ها هي تدعو إلى الإباحية و الفجور . و تغرى بمفاتن النساء . و هي أولهن حيث بذلت نفسها للباب و أعوانه . ثم يأتي السادة المستشرقون لينعتوها بالبطولة و الجاذبية و العقل .

هذا في الوقت الذى نلمح فيه روح القلق و الغضب . التي يكتـب بهـا المستشـرقون عـن الشـخصيات الإسلامية . ففى دائرة المعارف الإسلامية أثناء الحديث عن سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه و أرضاه (و من المحتمل أن هذا الصداقـة – بـين الرسـول و أبـى بكـر – مـا كـانت لتفصمهـا تلـك الفضيحة التى أثارتها هذه المرأة الصغيرة الطائشة . حتى و لو لم يختمها القرآن بهذه الخاتمة الموفقة)[1] .

و كاتب المادة و هو المستشرق " F Buhl " فون بوهل "* و هو يعنى بالطائشة " السيدة عائشة رضـى الله عنها و أرضاها و حاشاها عن افتراء المفترين .

و يقصد بذلك حادثة الإفك التى أثارها المنافقون حولها و قد أفردتها بالحديث عند الحديث عن تصيد الأخطاء .

و ها نحن نرى أن " قرة العين " حسب النظر الاستشراقى الأعمى بطلة و تستحق الرحمة و الشفقة و شخصية عاقلة . أما السيدة عائشة رضى الله عنها فهى " طائشـة " . و لسـنا نريـد مـن مشـجعى الغانيات أن يقولوا كلمة صادقة فى سيدة طاهرة عفيفة .

و صدق الله ﴿ إن الذين أجرموا كانوا مـن الذيـن آمنـوا يضحكـون و إذا مـروا بهـم يتغـامزون ﴾ المطففـين ٢٩. ٣٠

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية جـ١ صـ٣١٢ .

* بوهل .ف .١٨٥٠- ١٩٣٢م = ١٢٦٧-١٣٥١هـ دانيمركى ولد فى كوبنهاجن و بدأ حياته الجامعية بدراسة اللاهوت . و لما نال شهادته ١٨٧٤م=١٢٩١هـ -و كان قد قام قبل ذلك بدراسة واسعة فى اللغات الشرقية و لا سيما العربية ... ليتمكن من العبرية - التحق بجامعتى فيينا و ليبزيج متتبعا محاضرات العالمين فلايشر و ديليتش ،، نال الدكتوراه سنة ١٨٧٨م = ١٤٠٥هـ على رسالته عن دراسات النحو العربى و تاريخ اللغة ,و قد أدمج فيها متن الشافية لابن الحاجب مترجما بالدانمركية مع حواش عليها .من آثاره : حياة محمد بالدانمركية و ترجم عدة أجزاء من القرآن إلى الدانمركية و عنى عناية خاصة بقيام الشيعة فى كتابه نهضة الشيعيين فى الدولة الأموية ، و له مقالات عديدة فى دائرة المعارف الإسلامية . المعقيقى جـ٢ صـ٥٢٢ .

كان جولد زيهر " صاحب الكلمة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - فى دائرة المعارف الإسلامية قال :

(و قد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع في الخطأ ... فقالوا : إن النبى لفه بيده في بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما . و بذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ما سمع ... و تظهرنا طريقة روايته للأحاديث التى ضمنها أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر على ما امتاز به من روح المزاح . الأمر الذى كان سببا فى ظهور كثير من القصص ... كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبى هريرة موقف الحذر و الشك و قد وصفه " شبرنجر " بأنه المتطرف فى الاختلاق ورعا و يجب أن نلحظ أيضا أن كثيرا من الأحاديث التى تنسبها الروايات إليه . إنما قد نحلت عليه فى عصر متأخر)[1] .

و لنقارن الآن بين هذا الحديث عن أبى هريرة .و الذى ينضح شكا و ريبة و بغضا . و بين حديثه السابق عن الباب . إنه تضخيم الشخصيات الفارغة على حساب الإسلام . و تحجيم البطولات الحقة من الإسلام لوأد الإسلام روحيا فى نفوس أبنائه عن طريق التشويه المتعمد لرجالاته و إثارة الشبهات حولهم . و عرض المشبوهين من شخصيات الحركات الضالة فى صورة الأبطال أصحاب المبادئ المضطهدين . ذلك مسلسل ابتلينا به من قديم . و لما تزل حلقاته تعرض هنا أو هناك فى عالمنا . بدءا بسلمان رشدى الذى يحظى بدعم القوى الغربية و حمايتها .

و انتهاء بـ " وليد الكبيسى " و هو (لاجئ عراقى بالنرويج ألف كتابا بعنوان . أسرار الهلال" نشرته له دار النشر النرويجية فى " أوسلو " سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م و الذى زعم فيه أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان عقيما ، و أن زوجاته كن يمارسن البغاء و أن أبا بكر وعمر عقدا صفقة نسائية مع الرسول للوصول إلى الخلافة)[2]

و غير ذلك من بذئ القول و سافل التعبيرات . التى نضحت نفس هذا الزنديق الكافر . و الذى باع نفسه للشيطان .

إن هذه الشخصيات الوضيعة ، تحظى بحماية الغرب و إغداقه عليهم . و فتحه أبواب الإعلام المسموع و المقروء و المرئى على مصراعيها لتلك النفايات من البشر و حسبنا الله و نعم الوكيل .

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية جـ١ صـ٤١٨ بتصرف . مرجع سابق .

[2] جريدة الحقيقة عدد السبت ٤من ذى القعدة ١٤١٩هـ ٢٠ من فبراير ١٩٩٩م العدد ٥٤٧ صـ٩ .

لقد قام المستشرقون (بإبراز الخلافات المذهبية و تأكيد الفجوات و الثغرات بين طوائف المسلمين و شعوبهم من الوجهة الشعوبية أو الجغرافية أو نظام الحكم ... مع شرح كثير من مبادئ الإسلام شرحا يشوهها و ينحرف بها عن أهدافها الأصلية ذلك كله بالإضافة إلى تمجيد القيم المسيحية و الحضارة الغربية و النظام السياسي و السلوك الفردي للشعوب الغربية)[١] .

و ذلك بقصد إبراز العالم الإسلامي في صورة مزرية قلقة حائرة ليقول بعد ذلك إن سبب هذه الزراية و الحيرة و القلق هو الدين الذي يدين به هذا العالم الكئيب .

و الغرب بذلك (يريد أن يقلل من شأن الشرق ما أمكن . ليسود هو و يستعلي و كما استعمل في سبيل السيادة المالية الوسائل المادية . استعمل أيضا لإضعاف الروح المعنوية في الشرق الوسائل الفكرية .

و بدأ المزيفون للحقائق يقسمون الجنس البشري إلى نوعين كبيرين :-

النوع الآري : و يتمثل خير ما يتمثل في أوربا خصوصا شمالها .

و النوع السامي : و يتمثل خير ما يتمثل في الشرق الأوسط و في الجنس العربي . ثم أخذوا يتخيلون خصائص و مميزات ... وانتهى بهم الوهم إلى أن الجنس الآري مبتدع مبتكر مخترع .

و أن الجنس السامي تابع مقلد هو بطبيعته كذلك . و هو كذلك الآن و سيبقى كذلك أبدا)[٢] .

و لا ريب أن هذه العنصرية و الطبقية لا وجود لها إلا في أذهان الواهمين فقد أثبتت (الإحصائيات أن أكثر من ٥٠٪ من حملة شهادات الدكتوراه في المجالات الهندسية في القارة الأمريكية هم من أبناء العالم الإسلامي . و كثير من العلماء البارزين في شتى فروع العلوم الطبيعية و التقنية في الجامعات الأمريكية هم من المسلمين)[٣] .

---

[١] د/ محمد البهي الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي صـ٢٨ الطبعة التاسعة ١٤٠١هـ ١٩٨١م مكتبة وهبة ، القاهرة .

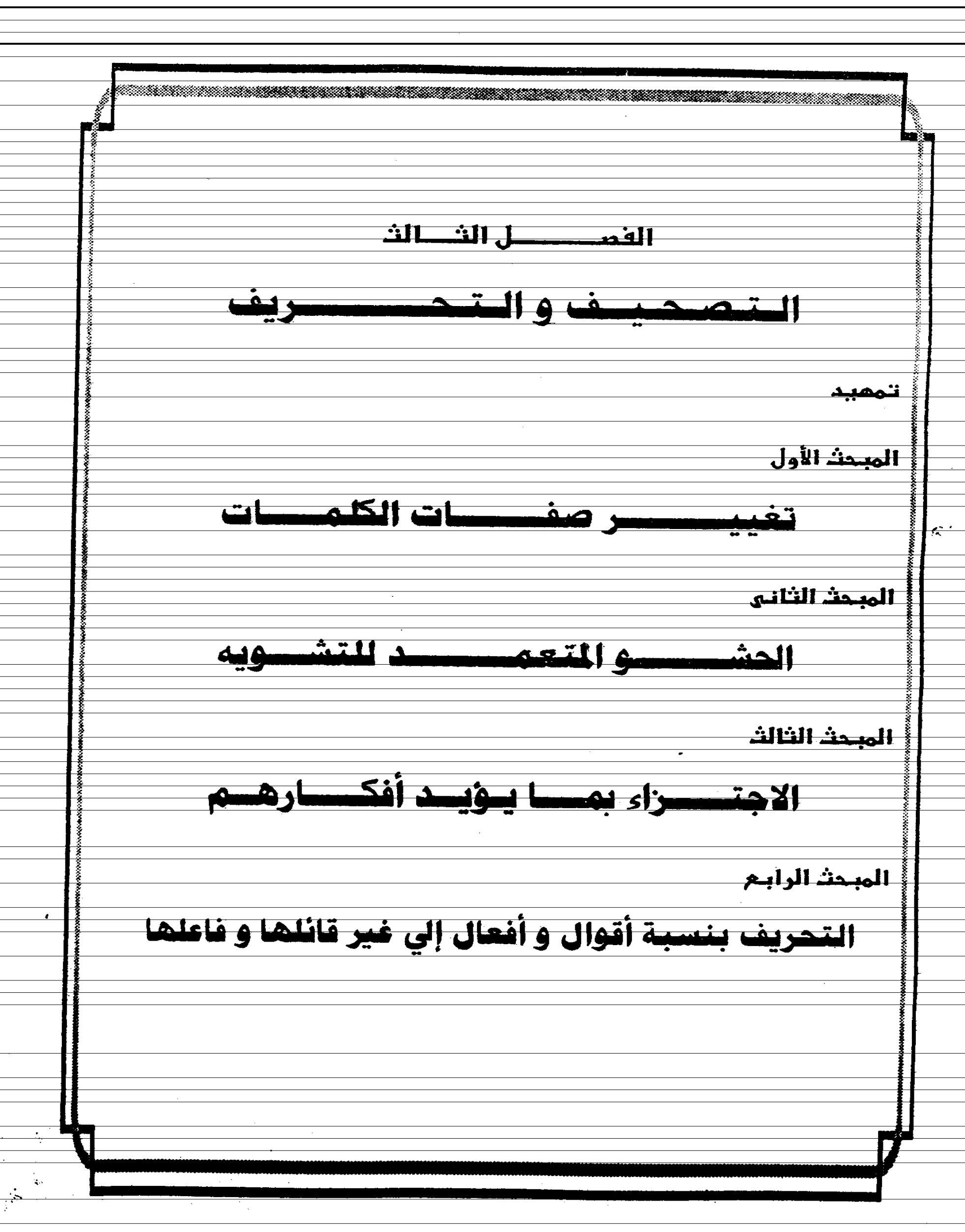
[٢] د/ عبد الحليم محمود – التفكير الفلسفي في الإسلام صـ١٨٧ بتصرف . الطبعة الثانية ، بدون ت . دار المعارف ، القاهرة .

[٣] د/ باسم خفاجي ، الإعلام الغربي و تشويه حقائق الصراع . مجلة البيان صـ٦٤ عدد ١٢٦ صفر ١٤١٩هـ يونيو ١٩٩٨م ، المنتدى الإسلامي ، لندن

إنه مسلسل التهويل والتهوين الذى اختلقه الغربيون . و صدقناه . و الأدهى أننا أصبحنا نحكم بهذه الأحكام على أنفسنا و شعوبنا و إخواننا فى الدين . فليس من الغريب أن تسمع أحدا منا يرمى السعوديين مثلا بالغباء و البلاهة و قلة التفكير . و مجال الطرف فــى هـذا واسـع المجـال . و كذلك نفس النظرة لكل شعوب الخليج .

أما نحن فلنا صورة أخرى فى نظر دول الخليج . و كلهـا نقـائص نتناولهـا فيمـا بيننـا حتـى كونـت أفكارنا الأساسية عن أنفسنا .

و صدق الله العظيم ﴿ ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴾ الحج١٨ .



الفصل الثالث

التصحيف و التحريف

تمهيد

المبحث الأول

تغيير صفات الكلمات

المبحث الثانى

الحشو المتعمد للتشويه

المبحث الثالث

الاجتزاء بما يؤيد أفكارهم

المبحث الرابع

التحريف بنسبة أقوال و أفعال إلي غير قائلها و فاعلها

الفصل الثالث

" التصحيف و التحريف "

يقال : (صحَّفَ الكلمة :كتبها أو قرأها على غير صحتها لاشتباهٍ في الحروف . وتَصَحَّفَتُ الكلمة أو الصحيفة :تغيرت إلى خطأ)[1] [والمصحِّف والصحفى : الذى يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف)[2] .

والتصحيف : أحد اتجاهات البحث فيما يتصل بالإسلام وعلومه . عند طائفة من المستشرقين . لم يراعوا الأمانة العلمية فى مواد بحثهم . فحرفوا في النقل . أو اجتزءوا فى النقل بما يؤيد وجهة نظرهم . مع إغفالهم ما يضاد آراءهم . و هذا بلا شك يشى بسوء نيتهم و فساد طويتهم . فيما يتعلق بالإسلام . و لن يكون هؤلاء أبدا آمناء على ما تكلفوه من أمانة البحث و نزاهة القصد . و العمل الموضوعى الذى يهدف إلى إظهار الحق أينما كان و مع من كان .

المبحث الأول

تغيير صفات الكلمات

و هو أحد صور الانحراف فى البحث عند المستشرقين و يقصد به تعمد تغيير دلالات الكلمات لتعطى غير المعنى المراد .

يقول الدكتور مصطفى السباعى :(و فى جامعة ليدن بهولندا . اجتمعت بالمستشرق اليهودى " شاخت* " و هو الذى يحمل فى عصرنا هذا رسالة " جولد زيهر " فى الدس على الإسلام . و الكيد له . و تشويه حقائقه ، و باحثته طويلا فى أخطاء " جولد زيهر " و تعمده تحريف النصوص التى ينقلها عن كتبنا . فأنكر ذلك أول الأمر ، فضربت له مثلا واحدا . ما كتبه " جولد زيهر " فى تاريخ السنة . و هو ما نقلناه فى هذا الكتاب . و كيف حرف قول الزهرى :" إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة "

الأحاديث " إلى لفظ " على كتابة أحاديث " فاستغرب ذلك . ثم راجع كتاب " جولد زيهر " ...

---

[1] المعجم الوسيط جـ١ صـ٥٨ .

[2] لسان العرب جـ٢ صـ٤١٢ .

* جوزيف شاخت "١٩٠٢-١٩٦٩م " ألمانى ، عين أستاذا فى جامعة فرايبورج ١٩٢٧م ، و فى الجامعة المصرية ١٩٣٤م و محاضرا للدراسات الإسلامية فى جامعة أكسفورد ١٩٤٨م و انتخب عضوا فى مجامع و جمعيات و نوادى عدة ، منها المجمع العلمى العربى بدمشق ، و من آثاره : تبويب أحام الشريعة الإسلامية على المذهب الحنبلى ، و صنف كتابا فى نشأة الفقه فى الإسلام . العقيقى جـ٢ صـ٤٦٩ .

فقال معك الحق أن " جولدزيهر " أخطأ هنا)[1] .

إن النص الأصلى الذى قاله الإمام الزهرى يعنى " الأحاديث الواردة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . و التى كانت محفوظة أو مدونة فى صحف . و لكن التحريف الذى صنعه " جولد زيهر " فحوّل كلمة " الأحاديث " المُعَرَّفَة إلى " أحاديث " نكرة . حتى يصير المعنى . أنهم أكرهوا على وضع أحاديث من عندهم . حاشاهم أن يتقولوا على رسول الله – صلى الله عليه و سلم – .

لقد كان لزاما على هذا المستشرق و من يستن بسنته . أن يحجبوا أنفسهم خزيا . من تلك الجريمة الواطئة فى حق العلم و التجرد و النزاهة و الموضوعية .

و لكن للأسف . يستمر هذا المستشرق فى تعمده للتصحيف و التحريف و الافتراء على دين الله حيث (حرف " جولدزيهر " قول وكيع عن زياد بن عبدالله : إنه أشرف من أن يكذب . فقال " جولدزيهر " إنه كان مع شرفه فى الحديث كذوبا " فوكيع يجعل زياد ثقة و "جولد زيهر" يجعله بتحريفه غير ثقة . و بهذا ينقلب المعنى إلى الضد)[2] .

فهل هذه أمانه علمية ؟ و هل هذا تحرٍ للدقة . و ما ينبغى أن يكون عليه الباحث النزيه من موضوعية ؟ و هل ينتظر من هذه الطريقة المشبوهة فى البحث . أن تنتج علما محترما . يقال عنه : علم ؟؟

إن السيد " جولدزيهر " نزعه عِرْقٌ . فسار سيرة سلفه السابقين . الذين قال الله فيهم : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم و جعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه و نسوا حظا مما ذكروا به ﴾ المائدة ١٣ .

المبحث الثانى

الحشو المتعمد للتشويه

و ممن أدلى بدلو طويل الرشاء . عميق القاع . بعيد الأضلاع . المستشرق الفرنسى " سفارى " و ذلك فى دراسة تمهيدية . قدمها عن السيرة النبوية بين يدى ترجمته للقرآن الكريم . حيث أبعد النُجْعَة فى طلب التحريف و التصحيف . و الافتراء الذى أملته نفس مشحونة بغضا على صاحب الرسالة صلى الله عليه

---

[1] أ.د/ مصطفى السباعى – السنة و مكانتها فى التشريع الإسلامى صـ١٥ الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ –١٩٧٨م المكتب الإسلامى – بيروت .لبنان .

[2] د/ عبدالمتعال الجبرى – الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى – صـ٢٢٨ . مرجع سابق .

و سلم . و عقل بعيد عما يقتضية البحث الموضوعي النزيه .

ففي حكايته لموقف مشركي قريش من أبي طالب و شكايتهم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – له يقول :

(و خاطب هؤلاء أباطالب بهذه الكلمات : " يا أبا طالب . إن ابن أخيك يُسفّه آلهتنا . و يتهم شيوخنا الحكماء بالجهل . و يدعي أن آباءنا عاشوا في الضلال المبين . أوقف زيغه . و قاوم طموحه . خشية أن يدب الخلاف . و يضطرب السلام الذي نعيش فيه . بدا التأثر على أبي طالب من هذه الشكوى . و رد على المندوبين بعبارات لطيفة . ووعدهم بوضع حد لعنف ابن أخيه "

هذا ما قاله سفاري . و لكن هل نقل سفاري هذه العبارة عن ابى الفداء " أوقف زيغه . و قاوم طموحه " إنها زيادة . أقحمها الكاتب زورا على أبي الفداء . الذي ينسب إليه الكلام . أراد أن يوحي بها إلى القارئ . أن كبار قريش وقع في روعهم . أن دعوة محمد – صلى الله عليه و سلم – صيحة طامع ذي مآرب شخصية ... و الحق أنها لم ترد على ألسنتهم . و ما كان محمد صلى الله عليه و سلم موضع اتهام بهذا بين العرب الذين يعرفونه . و إنما النص كما رواه ابن هشام و أبو الفداء ...

" مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا : " يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا و عاب ديننا و سفّه أحلامنا . و ضلل آباءنا . فإما أن تكفه عنا . و إما أن تخلي بيننا و بينه)[١].

إن النص الذي نقل عنه سفاري ، ليس فيه تلك الجملة التي أقحمها . بغية أن يبث في ضمير القارىء فكرة سيئة عن محمد ودعوته ، وإذا كان من الجائز في الترجمة أن تتغير صياغة الجمل والعبارات نظراً لاختلاف مفردات كل لغة . فإن ذلك مشروط بأن لاتتغير الفكرة التي يطرحها الكاتب . وأن يكون النقل أمينا . أما أن تُقحَم جملة أوجمل بأكملها . لتغيير المعنى . فإن ذلك عبث وتحريف وخروج على مقتضيات البحث العلمي الموضوعي .

واستمراراً في مسلسل التحريف والافتراء المتعمد يقول سفاري :

(ولما أيقن أبو طالب أن الوعد و الوعيد ليس لهما أي سلطان على قلب بمثل هذا التصميم . لم يستطع أن يمتنع عن أن يقول له :

---

[١] السيرة النبوية و كيف حرفها المستشرقون ص٧٨ . مرجع سابق .

" وبماذا أجيب قريشاً ؟ أما من جهتي .ورغم أني أستهجن سلوكك . فإني أشعر أني لن أتخلى عنك أبدا . مهما كان القرار الذى يتخذه أعداؤك ") [1] .

لئن كان هذا المستشرق جاهلاً لما يقول . أو خانه التعبير . أوليس قاصداً.. وما أظن ذلك لما توحى به كلماته . فما كان ينبغي لمثله أن ينتصب للحديث عمن اختاره الله مبلغاً عنه . فاصطفاه على عينه وأدبه بأدبه . و ما كان ينبغي أن ينتصب مثله للحديث عن أديان الشعوب و مذاهبهم . ولئن كان متعمداً ما قال . فإني لست أجد في قواميس اللغة من ألفاظ الازدراء والامتعاض ما ينبغي له .

يقول الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذَرْهم في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الأنعام ٩١ .

المبحث الثالث

الاجتزاء بما يؤيد أفكارهم

وممن سلك هذا المسلك في التحريف "استنانا بسنة أسلافهم ــ عن طريق الاجتزاء من النقل بما يؤيد الفكرة المطروحة . وترك ما يناقضها من ذات النقل .إنه الأستاذ " فيليب حتى* " الذى أخذ يشوه دافعية الفتوحات الإسلامية . ثم استدل على ذلك من كتاب فتوح البلدان للبلاذرى " وهذا هو النص من كتابه "تاريخ العربَ المطول "

يقول :(إلاأن هذه الروح الإسلامية العجيبة لاتكفى لتحليل الفتوحات . فليست الأثرة الدينية والتعصب ما حدا بالعرب إلى تدويخ الدول وفتح الأمصار . إنما هي الحاجة المادية . التى دفعت بمعاشر البدو ـ وأكثر جيوش الفتح منهم ـ إلى ما وراء تخوم البادية القفراء . إلىمواطن الخصب في بلدان الشمال . ولئن كانت الآخرة أو شوق البعض إلى بلوغ جنة النعيم . قد حببت لهم حومة الوغى . فإن ابتغاء الكثيرين حياة الهناء والبذخ في أحضان المدنية التى أزدهر بها الهلال الخصيب . كانت الدافع الذى حبب لهم القتال .

---

[1] المرجع السابق صـ٨٠ .

* فيليب حتى خورى : ١٨٨٦ : ١٩٧٨ " ولد في شملان بلبنان عام ١٨٨٦ ، و تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٠٨م و حصل على الدكتوراة من جامعة كولومبيا ١٩١٥ م ، و عين معيدا في قسمها الشرقي ١٩١٩م و أستاذا لتاريخ العرب في الجامعة الأمريكية ببيروت ١٩١٩ م ، و آثاره أربت على ٢٥ مصنفا بالعربية و الإنجليزية ، و قد ترجمت إلى ١٨ لغة بما فيها اليابانية ، العقيقي جـ٣ صـ١٤٨ .

وذكر أيضاً أن رستم القائد الفارس القائم بالدفاع عن بلاده ضد هجمات العرب . أرسل إلى سعد بن وقاص يسأله توجيه بعض أصحابه إليه . فوجه المغيرة بن شعبه . فكلمه رستم بكلام كثير ثم قال له : قد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه إلا ضيق المعاش . وشدة الجهد . ونحن نعطيكم ما تشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون (نقلاً عن فتوح البلدان صـ١٠٧) فإذا تحرينا التوسع الإسلامي و أحطنا بالأحوال الحقيقية التي أحدقت به . اتضح لنا أنه كان الشوط الأخير في عملية النزوح المتواصل على مدى الدهر من البادية القاحلة . إلى ما يتاخمها من أنحاء الهلال الخصيب . هو آخر الهجرات السامية العظيمة)[1] .

لقد أراد "فيليب حتى" وإخوانه " أن يوسوسوا لنا بأن الفتوحات الإسلامية الحلقة الأخيرة من سلسلة الهجرات السامية . فليست إذا انطلاقة انبعثت من روح الدين الخاتم . لنشر عقيدة التوحيد والرحمة والعدل . إنها إذاً هجرة للبحث عن مرتع أوسع . وأرض أخصب وحياة أرغد . أما أن يكون الدافع لها روح الإسلام التى أحيا بها الله أقواماً من الموات . وبصرهم من العمى . فذلك في زعمهم أمر بعيد المنال!

وأراد "فيليب وإخوانه " أن يدّعوا لنا أن الفتوحات كانت بحثاً عن الطعام والشراب . وهروبا من أرض الجوع والقفر ، واستدل على ذلك بكلام رستم لسيدنا المغيرة بن شعبة ـ ولقد كان من الطبيعي ـ لو كان العرب المسلمون خرجوا بحثا عن الطعام والشراب والظلال ـ أن يقبلوا عرض رستم : نحن نعطيكم ما تشبعون به . و نصرفكم بما تحبون . و لو كانوا أشد طمعا لقالوا له :لا تكفينا جرايتك التى تعرض . ولكن لابد أن نتولى مقاليد أرضك من دونك ونستمتع بخيراتها حيث نشاء .

ولكنهم لم يقبلوا ما عرض . ولم يطلبوا مزيداً . بل قال ممثلهم كلاماً حجبه عنا " فيليب وإخوانه " واكتفوا بما يؤيد ادعاءهم . وذلك ليس إلا سوء النية وخبث الطوية . الذى ينبغى أن يتنزه عنه الموضوعيون المتجردون للحق والحقيقة .

---

[1] أ ـ د / فيلب حتى .د/إدوارد جرجى .د/جبرائيل جبور ـ تاريخ العرب المطول جـ١ صـ١٩٥، ١٩٦ بتصرف الطبعة الثالثة ١٩٥٨ م دار الكشاف ، بيروت

وهذا هو الذى حجبه " فيليب وإخوانه" من كتاب فتوح البلدان (وكلَّمهُ رستم بكلام كثير . ثم قال له :قد علمتُ أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه إلا ضيق العيش . وشدة الجهد ونحن نعطيكم ما تتشبعون به . ونصرفكم ببعض ما تحبون .

فقال المغيرة :إن الله بعث إلينا نبيه – صلى الله عليه وسلم – . فسعدنا بإجابته واتباعه . وأمرنا بجهاد من خالف ديننا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " .

ونحن ندعوك إلى عبادة الله وحده والإيمان بنبيه – صلى الله عليه وسلم – . فإن فعلت وإلا فالسيف بيننا وبينكم .

فنخر رستم غضباً ثم قال "والشمس والقمر لايرتفع الضحى غداً حتى نقتلكم أجمعين .

فقال المغيرة :لاحول ولاقوة إلابالله وانصرف عنه . وكان على فرس له مهزول وعليه سيف معلوب* ملفوف عليه الخرق)[1] .

وصدق الله ﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾ الأنعام ٩١ .

ولو كان رد المغيرة بعده بصفحة أوصفحتين لقلنا لعله لم يطَّلع عليه . ولكن كلام المغيرة ملاصق لكلام رستم وفي عقبه . ولكنه التحريف . وتعمد التشويه . وطمس الحقائق . وخيانة العلم والموضوعية .

---

* علب الشئ علبا : صلب و يبس .... و علب السيف و نحوه : حزم مقبضه بعلباء البعير . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٦٢٠ .

(١) أبوالحسن البلاذرى ـفتوح البلدان صـ٢٥٧ .١٤١٢هـ ـ١٩٩١م ـدار الكتاب العلمية ببيروت ـلبنان .

المبحث الرابع

التحريف بنسبة أقوال و أفعال إلى غير قائلها و فاعلها

و ذلك أحد الموازين التى ينتهجها طائفة من المستشرقين . و من بدهيات العقل أن أحدا لا ينسب إلى غيره مالم يقله . إلا و فى نفسه من الدخائل ما الله به عليم .

و قديما خذل الشيطان أقواما . فوضعوا الأحاديث على رسول الله . و قالوا : نكْذب له و لانكذب عليه و ذلك خرْقٌ ما فى ذلك شك . فإن كلا الأمرين فى السوء سواء .

و هذه الصورة هى ألطف صور نسبة الأقوال و الأفكار إلى من لم يقلها . و هذا المنهج فى بعض صوره (أحد الوسائل التى يلجأ إليها المضللون المغالطون . إذا يأتون إلى أعلام أو أئمة كبار . يثق بهم من يريدون تضليله . فينسبون إليه قولا أو فكرة أو رأيا . أو مذهبا . أو رواية لحديث . ليكون ما نسبوه إليه فى نفس فريستهم تأثيرا قويا . و ليوقعوا فى نفسه وهنا . أو تثبيط همة . أو فتور عزيمة . حتى لا يتحمس و لا ينشط لرد القول و تفنيده . أو إدحاض الفكرة أو الرأى أو المذهب . أو تكذيب الحديث و تضعيفه .

و قد كان الباطنيون يتخذون هذه الحيلة الخبيثة للتأثير على من يريدون صيده لمذهبهم ...

و لهذه الحيلة من الوسائل . التى تتخذها المنظمات الكافرة المعاصرة .... و الشيعة يتخذون هذه الحيلة على نطاق واسع . أخذا بمبدأ التقية . و استباحة الكذب . فقد يقول المجادل منهم فى مجلس من المجالس : روى البخارى فى صحيحه كذا و كذا فى باب كذا فى صفحة كذا . و يروى حديث مكذوبا مختلقا . يؤيد لفظه رأيه . و غرضه من ذلك الانتصار الوقتى)[1] .

و من الصور الغريبة فى هذا الصدد . ما ادعاه بعض المستشرقين (و هو يتحدث عن الحضارة الإسلامية : يقول :كان إله محمد الناقة . التى كان يركبها . و الدليل على ذلك . أنه حينما هاجر إلى المدينة . و دعاه أهلها للنزول عندهم قال لهم : دعوا الناقة حيث تبرك . فاستدل من ذلك . على أنه كان يعبد الناقة ، و يتلقى منها الوحى)[2] ..

---

[1] أ/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ، كواشف زيوف ، صـ١٣٢ ، ١٣٣ ، بتصرف ، مرجع سابق .

[2] أ/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ، أجنحة المكر الثلاثة ، صـ١٥١ ، مرجع سابق .

الصمت كثيرا ما يكون أبلغ من الكلام . فإن الكلام لن يكون كافيا للإفصاح عن مشاعر الامتعاض التي تولدها أمثال هذه الافتراءات .

و من أوضح الصور على هذا المنهج (ما قام به المستشرق الإلماني " ولهلم هورنباخ* " الأستاذ في جامعة بون بألمانيا . من جمع قطع و نتف و شذرات . من كتاب الإصابة للحافظ بن حجر . ثم ينشرها على أنها كتاب " الردة " لابن حجر الذى ألفه " أبو زيد بن الفرات " المتوفى عام ٢٣٧ هـ و هو فارسي الأصل . و قد ضاع هذا الكتاب . فأشار إليه ابن حجر في بعض المواضع . فما كان من المستشرق " ولهلم " إلا أن جمع هذه القطع على أنها تراجم لأشخاص ارتدوا عن الإسلام . و لا يقوم بمثل هذا العمل إلا مغرض صاحب هوى لأنه يخالف البحث العلمي السليم)[1]

و أمام أى محكمة علمية رشيدة . لن يكون " ولهلم " إلا مذنبا . يستحق الحبس في ظلمات الإهمال و خلف أسوار النسيان . حتى لا يسئ إلى الإنسانية الرشيدة في تاريخها النظيف .

مكتبة الإسكندرية

(و من هذا القبيل ما زعمه " سفارى " و أضرابه أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الإسكندرية بناء على أمر عمر بن الخطاب . وذلك ليشغلوا بالنا عن أحراق " الكاردينال كسيمنس " دور الكتب البديعة التي أقامها المسلمون بالأندلس . و عن إحراق و إغراق التتار للمؤلفات الإسلامية . و عن سرقة الغرب مكتبات المساجد)[2] .

إن المنصف الذي يتحرى الحق ينبغي عليه . إذا سمع مثل هذه الفرية عن الإسلام . أو عن أحد رجال الإسلام الذين رباهم سيدنا محمد – صلى الله عليه و سلم – أو اختارهم ساسة للمسلمين ليكونوا واجهة الدين في كل موطن يحلون فيه . أقول ينبغي عليه أن يتوقف طويلا قبل أن يرددها .

إن الإسلام هو دين العلم . العلم بالله . و العلم بكون الله . و لقد كانت أولى نفحات الوحي الإلهي التي انشقت لها السموات السبع ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ العلق ١ .

---

*ولهلم هورنباخ ، تخرج من جامعات ألمانيا ثم عين أستاذا لتاريخ الإسلام في جامعة كاليفورنيا . من آثاره نشرة كلية الآداب بجامعة القاهرة ١٩٤٩م و الشعر الأسباني في العهد الإسلامي ١٩٦٣–١٩٦٤ و أمريكا و الإسلام ١٩٦٨م . العقيقي جـ٢ صـ٤٥٣، ٤٥٤ .

(1) د/ على جريشه و زميله ، أساليب الغزو الفكرى صـ٢٥ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

(2) د/ عبد المتعال الجبرى – الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى صـ٢٤١ . مرجع سابق

إن الدين الذى يفدى رقاب المشركين من الموت . و يمنحهم متعة الحيــاة . مقـابل تعليـم أبنـاء المسلمين القراءة و الكتابة . هذا الدين ينبغي أن يتريث الباحث المنصف قبل أن يردد تلك الرواية . و ينسبها إليه و ليس المقصود رد الرواية و رفضها . لأنها تسئ إلى رجالات الإسلام . و لكـن المقصـود أن يتثبت الباحث من صحة ما يرويه . قبل أن يخرج به على الناس . فـإن الأمانـة العلميـة تقتضـي ذلك .

و فيما يلي ذكر لرواية حريق مكتبة الإسكندرية :

(كان في وقت الفتح رجل اكتسب شهرة عظيمة عند المسلمين يسمى " يوحنا النحوى " وكان قسيساً ....وأشتهر بين المسلمين "بيحيى" المعروف عندنا بـ" غرمـاطيقوس" أى النحـوى . وكـان إسكندريا يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ....

ثم رجع عما يعتقد النصارى في التثليث . فاجتمع عليه الأساقفة في مصر . وسألوه الرجوع عمـا هـو عليه . فلم يرجع . فأسقطوه من منزلته . وعاش إلى أن فتح عمـرو بـن العـاص مدينـة الإسـكندرية . ودخل – أى يوحنا – على عمرو . وقد عرف موضعه من العلوم . فأكرمه عمرو . وسمـع مـن ألفاظـه الفلسفية . التي لم يكن للعرب بها أنسة ما هاله ، ففتنن به . وكان عمرو عـاقلاً حسـن الاسـتماع . صحيح الفكر . فلازمه وكان لايفارقه . ثم قال له يحى يوماً : إنك قد أحطت بحواصن الإسكندرية . وختمت على كل الأشياء الموجودة بها . فمالك به انتفاع . فلا أعارضك فيه . ومالا انتفاع لـك بـه . فنحن أولى به .

فقال له عمرو : وما الذى تحتاج إليه ؟ قال : كتب الحكمة التى فى خزائن الملوكية . فقال له عمـرو : لايمكنني أن آمر فيها . إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمربن الخطاب .

وكتب إلى عمر . وعرّفه قول يحيى . فورد عليه كتاب " عمر " يقول فيه : و أما الكتب التى ذكرتها . فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله . ففى كتاب الله عنه غنى . و إن كان فيها ما يخـالف كتـاب الله . فلا حاجـة إليـه . فتقـدم بإعدامهـا . فشرع عمرو بـن العـاص فـي تفريقهـا علـى حمامـات الإسكندرية و إحراقها في مواقدها ، فاستُنْفدت في ستة أشهر . فاسمع ما جرى و اعجب)[1] .

---

[1] د/ حسن إبراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . جـ١ صـ١٩٩، ٢٠٠ الطبعة الثالثة عشرة - ١٤١١هـ - ١٩٩١م دار النهضة المصرية القاهرية .

وقد استدل المعتمدون لهذه القصة بما يلي : –

١) أن المسلمين كانت لهم رغبة عظيمة في محو كل كتاب غيرالقرآن والسنة .

٢- وأنهم أحرقوا مكتبات الفرس عند فتح بلادهم . كما ذكر "حاجي خليفة" في كتابه " كشف الظنون " .

٣- أن هذه الرواية التي تثبت الحريق . لم يروها أبو الفرج الملطي . بل رواها أيضاً مؤرخان مسلمان هما عبد اللطيف البغدادي وابن القفطي* .

٤- وأن إحراق الكتب كان أمراً معروفاً وشائعاً . يتشفى به كل مخالف . ممن خالفه في رأيه . وقد ذكروا أن عبد الله بن طاهر . أتلف في سنة ٢١٣هـ كتبا فارسية . من مؤلفات المجوس . وحذا حذوه هولاكو التتاري سنة ٦٥٦هـ بإلقاء خزائن الكتب في دجلة)[١] .

والبحث الآن ينبغي أن يكون حول سند هذه الرواية . إن (أول من نسب الحريق إلى عمرو هو عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩هـ = ١٢٣١م) وجاء بعده ابن القفطي (٦٤٦ هـ = ١٢٤٨م) وأبو الفرج الملطي (٦٨٥هـ - ١٢٨٦م) . على أنه لايمكننا أن نلقي التبعية على " ابن القفطي " و "أبي الفرج " لاحتمال أن يكون قد أخذا هذه المقالة عن عبد اللطيف البغدادي . الذي رمى عمراً بهذه التهمة . ولم يذكر لنا من أي تاريخ أخذ . ولا من أي مصدر استقى ....

وإنما تلقف ذلك من ألسنة العوام ، فالتبعة واقعة إذاً على عبد اللطيف البغدادي لاعلى ابن القفطي. وأبي فرج)[٢] .

لقد غمز المستشرقون السنة النبوية ، لتأخر تدوينها في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حينما أمر بذلك – في نهاية القرن الأول الهجري – الإمام محمد بن شهاب الزهري . واستعظموا أن تبقى محفوظة في صدور الرجال هذا الأمد الطويل ، وأخذوا يعملون معاول الهدم في حجية السنة كمصدر للتشريع بعد القرآن ، علماً بأن السنة النبوية ، كانت محفوظة في الصدور ومكتوبة كذلك . وإن لم يكن جميعها في الصحف الخاصة بأصحابها .

---

* ابن القفطي : أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ولد عام٥٦٨هـ= ١١٧٢م في مدينة قفط من صعيد مصر . درس العلوم الإسلامية و العربية في القاهرة و أتم دراسته في بيت المقدس .استوزره الملك العزيز سنة ٦٣٣هـ=١٢٣٦م . و بقي فيها إلى أن توفي سنة ٦٤٦هـ=١٢٤٨م . دائرة المعارف الإسلامية جـ١ صـ٢٩٤ .

[١] المرجع السابق صـ١٩٨ .

[٢] المرجع السابق صـ١٩٨ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه (ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثا عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب)[١].

وإن كتب الرجال والجرح والتعديل ، لمن أجل مفاخرنا ، والتي حفظت لنا الأنساب الصحيحة للأحاديث متصلة السند إلى قائلها – صلى الله عليه وسلم – .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن هؤلاء المستشرقين يطعنون في فاروق الأمة رضي الله عنه ، وفي الصحابي الجليل عمرو بن العاص ، بناء على رواية لم تعرف إلا بعد تاريخها المزعوم بستة قرون ، فأي معايير تلك التي يتحاكم إليها هؤلاء الناس ؟

اللهم إنها أهواؤهم و أضغانهم التي يحاكمون بها دين الله تعالى .

يقول " ريفون جست* Guest. A.R. الإسكندرية للعرب عام ٢١هـ ٦٤٢م استفاد عدد كبير من اليونان من شروط التسليم ، وغادروا ديارهم فيها ، ولم يضايق العرب سكان هذه المدينة ، عند استيلائهم عليها ، كما أننا لانستطيع أن نسلم بصحة القصة المشهورة ،التي تزعم أن مكتبتها العظمى ، قد أحرقت بأمر الخليفة عمر في ذلك العهد)[٢].

و(قد أسهب بعض المؤرخين المحدثين في تفنيد رواية أبي فرج ومنهم " جيبون وبتلر** وسديو" وغيرهم وذكروا ما يدل على أن "عُمَرَ و عَمْرًا" بريئان مما نسب إليهما)[٣].

يقول "بتلر" (في القصة مواضع أخرى لا تثبت إذا حملنا عليها بالنقد ، و ذلك أننا لو سلمنا أن المكتبة قد أحرقت كما قيل ، لكان الأقرب إلى الأذهان أن تحرق فوق ربوة القلعة ، و لكن القصة تريدنا على أن نقول : إن تلك المكتبة قد كلفت الناس مشقة حملها ... لتفرق بين الحممات العدة لتتخذ وقودا مدة ستة أشهر ، و ما كل ذلك سوى نسيج من الباطل ، فإن تلك الكتب إذا كان قد قضي عليها بالحرق لأحرقت حيث هي ، و ما كان عمرو بن العاص ، و قد أبى أن يعطيها لصديقه "حنا فليبونوس" – يوحنا النحوي – ليجعلها في أيدي أصحاب الحمامات في المدينة ، فإنه لو

---

[١] د/ محمد عجاج الخطيب ـ السنة قبل التدوين صـ٤٤٨ الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م ـ دار الفكر ، القاهرة .

* ريفون جست ، من موظفي التحف البريطاني ، و أول من مهد السبيل إلى تعليم النقوش ، و لا سيما الأنسجة ... من آثاره :نشر كتاب الولاة و القضاة للكندي ، بمقدمة إنجليزية و فهرس عام لأسماء الأعلام .... و صنف بحثا في ابن الرومي ، العقيقي جـ٢ صـ٨٣ .

[٢] دائرة المعارف الإسلامية جـ٢ صـ١٣٧ ، مادة الإسكندرية ، مرجع سابق .

** بتلر ،ا.ج. إنجليزي من آثاره صنف كتابافي فتح العرب مصر ١٩٢٣م ، العقيقي جـ٢صـ٧٥ .

[٣] تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي جـ١ صـ١٩٩ .

فعل ذلك . لاستطاع يوحنا أو سواد من الناس أن يستنقذوا عددا عظيما منها بثمن بخس في تلك الشهور الستة . التي قيل إنها جعلت و قودا للحمامات فيها .

و بعد فمما لا شك فيه أن كثيرا من الكتب في مصر في القرن السابع كانت من الرّق – جلد رقيق يكتب فيه – و هو لا يصلح للوقود . و ما كان أمر الخليفة ليجعله يصلح . لذلك فلنسأل إذا أنفسنا : ماذا كان من أمر تلك الكتب المخطوطة على الرّق . و إذا نحن استبعدناها . فكيف يتصور أحد أن ما يبقى من سواها . يكفي لوقود أربعة آلاف حمام مدة ١٨٠ يوما . إن إيراد القصة على هذه الصورة مضحك و إنه ليحق لنا أن نسمع ما فيها و نعجب)[1]

إن مقام السيدين الشريفين . أجل وأرفع من أن يوضع تاريخهما في قفص الاتهام . من أجل أوهام وخرافات . وهمها عالم . فذكرها ثم أخذ يرددها المغرضون من المستشرقين .

(قال " إتيين دينيه " : القائلون بحرق العرب مكتبة الإسكندرية . يبدون استخفافا لا حد له بوقائع التاريخ . ذلك أن مكتبات الإسكندرية . قد خربت قبل مجئ الإسلام بقرون متعددة . وأولى هذه المكتبات هي مكتبة " البروخيوم " التي كانت تحتوي على أربعمائة ألف مجلد .

وقد أحرقت أثناء الحرب التي نشبت بين " يوليوس قيصر* " والإسكندريين . وثاني المكتبات هي مكتبة " السرابيوم " التي ضمت في يوم من الأيام مائتي ألف مجلد أوصى بها " أنطونيوس " وقد نهبت هذه المكتبة وخربت تماماً في عهد " ثيودوزيوس ")[2] .

والدكتور حسن إبراهيم حسن يؤكد هذا بقوله :(إن هذه المكتبة قد أصابها الحريق مرتين :ـ

الأولى :سنة ٤٨ق م ؛ على أثر إحراق أسطول يوليوس قيصر "

والثانية : في عهد القيصر " ثيودوزيوس** " (٣٧٨م ـ ٣٩٥م) و ذلك سنة ٣٩١م)[3] .

و لو أننا سلمنا جدلا . بصحة هذه الرواية . فكيف أجمع على نسيانها المؤرخون طوال هذه الفترة الممتدة عبر الزمان ، و لم يذكرها (مؤرخان شهيران تقدما " عبد اللطيف و أبا الفرج " و هما " أوتيخا

---

[1] ألفرد بتلر . فتح العرب لمصر صـ٤٢١ ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م . مكتبة مدبولي . القاهرة . و يمكن الرجوع إلى هذا المرجع من صـ٤١٨ ـ ٤٤٢ فإن فيه من دلائل بطلان هذا الادعاء الكثير .

*انظر في ذلك كتاب أشهر ملكات التاريخ للكاتبة الإنجليزية " ليديا هويت فارمر " صـ٢٨ . طبعة دار الكتاب العربي .

[2] د/ عبد المتعال الجبري ـ الاستشراق وجه للاستعمار الفكري صـ٢٤ . مرجع سابق .

** ثيودوزيوس = ثيودوسيوس الأول الكبير " ٣٤٧ـ٣٩٥ م " امبراطور روماني " ٣٧٩ـ٣٩٥م " قسم الإمبراطورية إلى جزأين شرقي و غربي . المورد٨٣

[3] تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي ، جـ١ صـ٢٠٠ .

المتوفى سنة ٣١١هـ و " يوحنا " أسقف " نقيوس " و تاريخهما عن مصر . من أهم المصادر التى يعتمد عليها . فضلا عن أنه لم يذكر هذا الخبر أحد من المتقدمين . كابن الحكم و البلاذرى و اليعقوبى و الطبرى . حتى جاء عبد اللطيف و ابن القفطى و أبو الفرج فى القرن السابع للهجرة . الثالث عشر الميلادى فذكروها . فلو أنها حقيقة لتعرض لها هؤلاء المتقدمون)[1] .

إنه مسلسل التشهير الكاذب بهذا الدين . الذى لا يفتأ المستشرقون يرددونه . طعنا فى الدين . و فى رجاله الذين وضعوا للإنسانية مثلا عليا . فى مختلف مجالات الحياة .

التحريف فى المعاجم اللغوية

اضطلع المستشرقون . و النصارى العرب الذين درسوا الإسلام بمهمة تأليف المعاجم اللغوية . و التى كان هدفهم منها . أن تساعدهم فى دراستهم للإسلام . و كأنهم أرادوا أن يضعوا ركائز و بنية أساسية لدراستهم للإسلام . بحيث لا يضطرون إلى اللجوء إلى المعاجم اللغوية التى ألفها مسلمون . و قد اضطلع بهذه المهمة جماعة من اليسوعيين . (و منها " أقرب الموارد فى فصيح اللغة و الشوارد " للشرتونى . و " محيط المحيط " لبطرس البستانى " و " المنجد " للطلاب)[2] .

و قد تتبع أحد الباحثين (أخطاء التصحيف و التحريف فى الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة و النصوص الأخرى فى معجم " أقرب الموارد " وحده . فأحصى منها الشئ الكثير . نجتزئ هنا بذكر مثالين منها :

١- قال الشرتونى فى مادة " ب ق ع " مستشهدا بالقرآن الكريم : " البقعة بالضم . و قد تفتح : القطعة من الأرض . و منه " نادى موسى فى البقعة المباركة " جمعه " بقع و بقاع " فى حين أن النص القرآنى هو : ﴿ **فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين** ﴾ **القصص ٣٠** .

٢- **و قال فى مادة " ث ق ل " مستشهدا بالحديث الشريف : الثقل . كل شئ نفيس مصون . و منه : إنى تارك فيكم الثقلين : القرآن و عترتى " جمعه : أثقال .**

و أصل الثقل : ما يكون مع الإنسان مما يُثْقِلُه ، مع أن نص الحديث الشريف المستشهد به هو : " إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى " .

---

[1] المرجع السابق صـ٢٠٠ .

[2] د/ إبراهيم محمد ابو سكين . المعجم العربى فكرا و تأليفا صـ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، بتصرف بدون ط ، ١٩٩٩ م ، دار الفاروق الحديثة القاهرة .

و غير ذلك من الأخطاء في أقرب الموارد مما يدل على أن المؤلف لم يراع الحرمة الواجب توافرها في نقل النص القرآني أو الحديث الشريف . فألبسه ذلك تهمة قلة الأمانة في النقل التي هي من باب التدليس في المتن . مما يطعن في الثقة به و في علمه معا) [1] .

---

[1] إبراهيم آدم إسحاق ، التعريب و دوره في بناء المعجم العربي الحديث دراسة لغوية صرفية معجمية صـ٤٩٧ ، ٤٩٨ . بتصرف رسالة ماجستير سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية .

الفصل الرابع

تعميم الخاص و تخصيص العام

المبحث الأول

تعميم الأمر الخاصة

المبحث الثاني

تخصيص الأمور العامة

الفصل الرابع

تعميم الخاص و تخصيص العام

المبحث الأول

تعميم الأمـــور الخـاصة

وذلك أحد الموازين والمناهج . التي ينتهجها طائفة من المستشرقين . في دراساتهم للإسلام . وهو يعني :- إطلاق حكم عام على شئ ما . بناء على التشابه الجزئي بين المحكوم عليه . وبين ما يعاب به من المذاهب والمعتقدات . يقول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني : (ويكون التعميم الباطل بوجهين : -

الوجه الأول :.

أن يكون للفظ العام تطبيقات جزئية مقبولة ومعقوله . وفيها حق وخير . وهي تقع ضمن دوائر وحدود خاصة . والناس يطلقونه دون بيان حدوده الخاصة ، فهو يتردد على الألسن دون قيود . ويستغل المفسدون المضللون هذا اللفظ بإطلاقه ، ويعطونه مداً تعميمياً . ليكون له في نفوس الجماهير صدى عام . يشمل ساحات لايصح أن يشملها . فإذا طبق على هذه المساحات الواقعة . وراء الحدود المعقولة المقبولة كان تطبيقه باطلاً . ونجم عنه شر وفساد . مثل ألفاظ : الحرية ، المساواة ، التقدم ، الواقعية ، المثالية ، الرجعية ، الوطنية ، القومية ..إلى غير ذلك من ألفاظ مطلقة)[1].

إن هذه الألفاظ الواسعة الفضفاضة . لها في أذهان المضللين تطبيقات تخرج عن السلوك الإنساني الرشيد . وتخرج على قوانين العقل والدين ، فالحرية تعني (تحطيم كل قيد يقف في سبيل تحقيق ذاتية الفرد الكاملة ، سواء كان هذا القيد من دواعي السماء أو الأرض . فليفعل كل إنسان ما يبدو له هو شخصياً أنه حق ، ولو خالف كل ما اصطلح عليه الناس . ولو خالف العقل والمنطق أيضاً . فتلك من القيود التي فرضتها الذات العليا على الفرد . إطاعة لقوانين المجتمع . وإنما ينبغي أن ينطلق "اللبيد"* الحيواني الشهواني حيث شاء الانطلاق ! وليذهب المجتمع إلى الجحيم)[2].

---

(١) أ /عبد الرحمن حبنكة الميداني - كواشف زيوف صـ١٢٤ ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١ م - دار القلم دمشق - بيروت .

* اللبيد "libido" هي الطاقة الشهوانية التي لاتكف عن الإلحاح - أ / محمد قطب - الإنسان بين المادية والإسلام :صـ٣٠ .

(٢) أ / محمد قطب الإنسان بين المادية والإسلام صـ٤٥ - الطبعة العاشرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م دار الشروق - القاهرة .

أما المساواة بمفهومها اللامحدود . فلها قصة حيث (كان اليهود في كل مكان يحلون فيه موضع احتقار الناس وكراهيتهم . بسبب احتكارهم لمعظم الموارد الاقتصادية التي تتحكم في أقوات الناس . وكانت الشخصية اليهودية الكريهة . مثال التندر والتهكم في المجتمعات الأوربية قاطبة . وكان الشعراء والأدباء يُكَرّسون كراهية الناس للشخصية اليهودية في الكثير من شعرهم وإنتاجهم الأدبي وكانت رواية " تاجر البندقية " للشاعر الإنجليزي الشهير "شكسبير *" التي يمثل فيها التاجر "شيلوك" الشخصية اليهودية الجشعة الماكرة الخبيثة الحاقدة أبرز مثال على ذلك)[١] .

و من القصص المشهور في الفكر العالمي كذلك في هذه الفترة قصة اليهودي التائه . و هي تقص علينا أن المسيح و هو على الصليب (طلب من " كارتا فيلوس" الجندي اليهودي أو إسكافي يهودي جرعة ماء و لكن الإسكافي أو الجندي اليهودي . رفض أن يسقيه و أهانه . فحلت على اليهودي لعنة . يجوب بقاع الأرض . إلى أن يعود المسيح مرة أخرى . و بدأت الأساطير المستوحاة من هذه الفكرة . تتخيل ظهور هذا اليهودي من حين لآخر . و ارتبط ظهوره بالعواصف و الرعود و الزوابع . و كان اسمه يملأ خيال الأطفال بصورة مروعة)[٢]

(فاليهود كما هو معروف أقلية عالمية مكروهة ومنبوذة في أرجاء الأرض . وفي العالم المسيحي بوجه خاص . الذي لم يعترف لهم بحقوقهم الإنسانية أبداً إلا حين أراد ... أن يكايد بهم العرب المسلمين فقواهم وناصرهم . ومع كل هذه المناصرة والتشجيع ...فما تزال في أمريكا ذاتها . أشد مناصري الصهيونية . أماكن وضعت عليها لافتات تقول : " ممنوع دخول الكلاب واليهود ")[٣] .

وأمام هذا البغض العالمي . لهذا النوع من الجنس البشري . قام اليهود بتجميل هذه الصورة المشبوهة عن طريق السيطرة على أجهزة الإعلام والاقتصاد في العالم . وأخذوا يطلقون هذه الشعارات . ومنها المساواة ويقصدون بها مساواة الجنس اليهودي المنبوذ بغيره من الأجناس . فالكل سواسية . حتى يصل اليهود إلى ما يريدون .

---

* شكسبير " ١٥٦٤-١٦١٦م" شاعر إنكليزي يعتبر أعظم الشعراء الإنكليز بلا استثناء وضع عددا من المسرحيات الشعرية الخالدة . المورد ٧٩ .

[١] أ /فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي - النفوذ اليهودي صـ١ - بدون ط ، بدون ت ، دار اليقين - المنصورة .

[٢] د/ رشاد عبد الله الشامي ، الشخصية اليهودية في أدب إحسان عبد القدوس صـ٧٢،٧٣ بتصرف بدون ط ، ١٩٩٢م ، عدد ٤٩٦ ، شوال أبريل دار الهلال . القاهرة .

[٣] أ/ محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام - صـ٢٨ ، مرجع سابق .

في البروتوكول الأول من بروتوكولاتهم : (كذلك كنا قديما أول من صاح في الناس " الحرية والمساواة والإخاء ..... إن صيحتنا الحرية المساواة الإخاء ، قد جلبت إلى صفوفنا فرقاً كاملة من زوايا العالم الأربع)[1] .

وتطور معنى المساواة و اتسع ، حتى عبرت عنه اليهودية بلسان البهائية فيما عرف بـ" وحدة الوطن"و "وحدة الأديان " .

لقد كانت البهائية – إحدى أذرع الأخطبوط اليهودي – بوقاً يردد أهازيج اليهود . فوحدة الوطن تعني (أن سبب البلاء والشقاء والفرقة ، والاختلاف هو أن كل إنسان يتعصب لوطن ، ويقف في وجه كل من يحاول الإغارة عليه ، ولو انتهت الغيرة على الأوطان ، ورفعت الحدود السياسية ، واستطعنا أن نقتلع من نفوس الناس جميعاً محبة الوطن والانتماء إليه ، لأمكننا أن نقضى على أسباب العداء ، والهدف من هذا المبدأ ، هو فتح المجال أمام أعداء الإسلام لاستعمار بلاد المسلمين ، دون أن يجدوا أى مقاومة ما دامت الغيرة على الوطن قد سلبت من نفوسهم .

وأما وحدة الأديان عندهم ، أن يترك المسلمون والنصارى أصول عقيدتهم وشريعتهم ، ويتجهوا إلى دين واحد هو دين موسى ، وإن كانوا لايصرحون بذلك ، إلاأن واقع زعمائهم – الذين كانوا لايفارقون التوراة حتى في سجنهم – يعبر عن ذلك ، وقد ورد عن " الميرزا حسين" على قوله :" إن التوراة لم يقربها التبديل والتحريف)"[2] ، و هذا يعنى أن التوراة هى دين الناس يوم توحد الأديان .

إذاً فالمساواة حين تخرج عن إطارها ، وتتعدى حدودها تصبح مساواة بين الناس جميعاً في الأرض فهي وطن الجميع ، ومساواة الناس بأتباعهم ديناً واحداً هو دين موسى ، بعد أن حرفه أحبار اليهود

يقول الأستاذ / محمد خليفة التونسي عن الحرية والمساواة والإخاء : (إن هذه المبادئ لاتتناقض ، إلاحين يفهم كل منها مطلقا من حدود ، وهذا فهم خطأ ، كما لايسوء استعمالها ، إلا حين لايقف مزاولوها عند حدودها الحقيقة العلمية)"[3] .

ولايخفى أن المستشرقين السائرين – في ركاب اليهود والاستعمار – كانوا أبواقاً لهذه الشعارات المطلقة

---

(١) أ / محمد خليفة التونسي – الخطر اليهودي – بروتوكولات حكماء صهيون ـ صـ١٦١، ١٦٣ بتصرف – دار التراث – القاهرة .

(٢) أ/ د /سعد الدين السيد صالح – الماسونيا في أثوابها المعاصرة صـ٥١ بتصرف ، بدون ط ، بدون ت ، دار الصفا – القاهرة .

(٣) الخطر اليهودي ، هامش صـ١٦٢ ، مرجع سابق .

و لا ننسى أبدا أن أكابر المستشرقين مثل " كارل بروكلمان* " و " جولد زيهر " و " مرجليوث " من اليهود الذين لا ينسون أبداً أضغانهم نحو الإسلام . و الإنسانية بصفة عامة بل يتوارثونها . و إذا كانت " التراكمية " من صفات البحث العلمي . فإنها لا تتحقق إلا في توارث هؤلاء القوم كراهيتهم للإسلام و أبحاثهم المغرضة . التي ينطلقون من خلالها في نقدهم له .

الوجه الثاني :-

من أوجه التعميم الباطل (أن تقدم الملاحظة . أو التجربة العلمية . أمثلة محدودة جرت في أفراد العام كنوع أو جنس . وهذه الأمثلة لايصح بناء قاعدة كلية عامة عليها في المنهج السليم . ولكن المضللين يوهمون بأن هذه الأمثلة المحدودة . التي جرت في أفراد معدودة . كافية لإعلان قاعدة كلية عامة . أو قانون شامل . لكل أفراد النوع أو الجنس)[1] .

ولعل من باب ذلك إعطاء المستشرقين للغرب . صورة مشوهة عن الإسلام . بأنه ليس إلا القرامطة والحشاشين . وغيرهما من الفرق الضالة التي لا تمت إلى الإسلام بصلة . و ذلك في نفس الوقت الذي يدافعون فيه عن هذه الفرق المنحرفة . و يصفونهم بأنهم . أصحاب حق . و طلاب عدل .

تضليلات "مكسم رودنسون**"

في كتاب " الإسلام والرأسمالية " تأليف اليهودي الماركسي الملحد " مكسيم رودنسون " ترجمة نزيه الحكيم " يجد القارئ الخبير افتراء على الإسلام . وتضليلا للمسلمين .

أ ـ أما الافتراء . فهو يزعم في كتابه أن نظام الإسلام الاقتصادي . نظام رأسمالي أو هو يقبل ويبارك النظام الرأسمالي . وذريعته في هذا الزعم . أن الإسلام يشتمل على مفاهيم ومؤسسات اقتصادية . تشبه بعض المفاهيم و المؤسسات الاقتصادية الموجودة في النظم الرأسمالية . مثل الملكية الخاصة . وملكية وسائل الإنتاج . ومثل التجارة واستئجار العمال في الأعمال .

---

*كارل بروكلمان "١٨٦٨-١٩٥٦" و لد في روستوك ، تخرج باللغات الشرقية السامية على أعلام المستشرقين ، و منهم " نولدكه " و طارت له شهرة في فقه العربية ، و قراءتها قراءة فصيحة ، و عين أستاذا لها في جامعات عدة ، كانت رسالته الدكتوراه في العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير و بين كتاب أخبار الرسل و الملوك للطبري . العقيقي جـ٢ صـ٤٢٤،٤٢٥ .

(١) كواشف زيوف صـ١٢٤ مرجع سابق .

** مكسيم رودنسون ، ولد في باريس ١٩١٥م ، حصل على الدكتوراة في الآداب ، عين أستاذا في المعهد الإسلامي بصيدا في لبنان من آثاره : محمد ، الإسلام و الرأسمالية ، و حال الاستشراق الإسلامي و مشاكله . العقيقي جـ١ صـ٣٥٩،١٦١ .

ومن الظاهر في هذا الافتراء . أنه مغالطة قائمة على استغلال التشابه الجزئي بين نظام الإسلام والرأسمالية . ومن المعلوم أن المتبايبات في هيئاتها الكلية العامة . قد يوجد تشابه جزئي كثير بين عناصرها . وهذا التشابه الجزئي . لايفيد تطابقها . بل تظل متباينة للفوارق الموجودة بين هيئاتها الكلية العامة . والسبب وجود عناصر اختلاف أساسية وجوهرية بينها)[1] .

إن الرأسمالية (لم تنشأ في العالم الإسلامي . لأنها نشأت بعد اختراع الآلة و هذا تم – كما نعلم – في العالم الغربي .... و إنما انتقلت الرأسمالية إلى العالم الإسلامي و هو مغلوب على أمره واقع في قبضة الأوربيين . غارق في الفقر و الجهل و المرض و التأخر . فسرت بحكم التطور و ظن الجاهلون أن الإسلام يقبل الرأسمالية بخيرها و شرها . لأنه يبيح الملكية الفردية .... و كان يكفي للرد على أمثال رودنسون أن نذكر بديهة صغيرة يعرفها كل من درس الاقتصاد . و هي أن الرأسمالية لا يمكن أن تقوم و تأخذ صورتها الواسعة التي هي عليها اليوم بغير الربا و الاحتكار . و الإسلام قد حرمهما كليهما قبل نشوء الرأسمالية بأكثر من ألف عام !)[2] .

(قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :(لا يحتكر إلا خاطئ " رواه أحمد و مسلم .

" من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ ". رواه الإمام أحمد

" الجالب مرزوق و المحتكر ملعون " رواه ابن ماجه و الحاكم .

فالمحتكر يقلل الإنتاج ليزيد السعر ، فهو يستطيع أن يتحكم في السوق .و معنى هذا أن يؤذي المسلمين مرتين : بإنقاص الإنتاج و رفع السعر ، و هنا ينظر الإسلام لمصلحة المستهلك في مواجهة المحتكر)[3]

فهل يبقى لمتقول أن يمضغ مثل هذه الافتراءات الكاذبة التي لا أساس لها من الصحة .

فليس من المعقول . أن نصنف خلقا من خلق الله ، ضمن جنس من الأجناس . لمجرد التشابه الجزئي في بعض الأشياء . كالأنف و الأذن مثلا . هذه حيل . و تلفيقات . لا ينبغي أن توسم بسمة العلمية أبدا .

---

(1) المرجع السابق صـ٦٥٨،٦٥٩ بتصرف .

(2) أ/ محمد قطب / شبهات حول الإسلام صـ٧٥ ، ٧٦ بتصرف الطبعة الحادية و العشرون ١٤١٣هـ=١٩٩٢م دار الشروق ، القاهرة .

(3) يوسف كمال ، الإسلام و المذاهب الاقتصادية المعاصرة صـ١٧٩ ، ١٨٠ بتصرف ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ=١٩٨٦م . دار الوفاء ، المنصورة .

المبحث الثاني
تخصيص الأمور العامة

إن الإسلام هو الشجرة العميقة الجذور . الجذور التي تمتد في أودية الزمان السحيقة . حتى تصل إلى آدم وباسقة الفروع . الفروع التي تشمخ حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وارفة الظلال . التي يتفيئ ظلالها كل مسلم هنا أو هناك . دنا أو نأى . يأوى إليها . ويستظل بظلها . ويستضئ بضيائها . كل مسلم في كل مكان . وما كان لإخوان الشيطان أن يصبروا على هذا . بل جهدوا في إفساد الأمر على المسلمين بتشويه أخلاق المسلمين في دولهم و طمس هوية الإسلام حتى اتبع كثير من أبناء المسلمين سنن الغربيين شبرا بشبر و ذراعا بذراع – كما تنبأ بذلك رسول الله ﷺ – حتى صاروا غثاء كغثاء السيل .

ومن حيل المستشرقين . والغرب بعامة . أنهم أرادوا حرمان المسلمين من نعمة الانضواء تحت لواء الإسلام فهرفوا بما يسمى القومية العربية . فالعرب أمة واحدة مسلمون ونصارى ويهود .
و انتقلوا منها إلى إحياء القوميات القديمة : ـ الفينيقية والآشورية والفرعونية . بغية تمزيق الجسد المسلم وتحويله إلى أشلاء ممزقة . يسهل الانقضاض عليها .

وجدير بالذكر أن أعداء الإسلام . لم يقصدوا بالقومية العربية . وإحياء اللغة العربية وآدابها . تربية النشئ المسلم عليها ليفهم دينه . بدليل أنهم توجهوا بعد ذلك . بطريق مباشر وغير مباشر . إلى إحياء العامية . أو جعلها لغة الكتابة والتخاطب . لتموت العربية . ويستعجم الدين على المسلمين .
وهم بذلك يشوهون الإسلام . لا يفترون عن تشويهه . بجهل حيناً . وسوء نية أحياناً كثيرة .

لقد تدنى بنا أعداءُ ديننا . فحولوننا من دائرة الإسلام الرحبة . إلى ضيق القوميات دركة فدركة . حتى صرنا نتغنى بأمجاد قديمة . متناسين أمجاد آبائنا وأجدادنا المسلمين . الذين وشحوا صدر الإنسانية بعقود الأمن والسلام . ليس من العيب أن نتدارس أخبار السابقين من باب قوله تعالى :
﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ يوسف١١١.
و " الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو أحق به " و قد تخرج الحكمة من أهلها و غير أهلها .
" و قديما قيل لأحد الأدباء : ممن تعلمت الأدب ؟ فقال : تعلمت الأدب من قليلِهِ"(*)

(*) من محفوظات الباحث سماعا ، و لم أعثر لها على مصدر أحيلها إليه .

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن باب قوله تعالى : ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴾ إبراهيم ٤٥

ليس من العيب أن نتعلم من القديم . وأن نأخذ منه ما ينفعنا . ولقد كان الأسرى من المشركين في غزوة بدر يعلمون أبناء المسلمين القراءة والكتابة . وكان المرشد لرسول الله في طريق الهجرة . عبد الله بن أريقط وهو مشرك .

ولكن العيب أن نتناسى ديننا وتاريخنا الإسلامي . الحافل بأهرامات ومسلات بشرية . فتحت ربوع الدنيا . ورفرف بأيديها علم الإسلام في كل مكان في العالم .

العيب أن تكون تمائمنا وشعاراتنا . مستقاة من صور أقوام على غير دين الإسلام . وأن يكونوا شارتنا في المحافل الدولية .

لقد خطط المستشرقون . ونجح الاستعمار في أن يروج لبضائعهم الفاسدة بين أقوام لايتذوقون . فصاروا كالذباب الذى يعاف الحدائق والبساتين . ويأوى إلى الخربات ومجامع القمامة .

يقول الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين : (ومن أكبر ما خُدع به الناس . والجامعيون بوجه خاص مازعمه لهم بعض المستشرقين . من أن الدراسات العربية والإسلامية لاتصح ولاتكون جديرة بالتقدير ومستقيمة على موازين العلم . حتى يتجرد كاتبها من عاطفتة الدينية والوطنية . فينسى أنه عربى حين يكتب تاريخ العرب ، وينسى أنه مسلم حين يكتب تاريخ المسلمين . وليس فيما راج بين الناس من مفتريات مغالطة أقبح ولا أخطر ، من هذا الزعم الباطل . الذى يسلخ العرب من عروبتهم . والمسلمين من إسلامهم باسم العلم . فالتاريخ القومي والآداب القومية . لاتدرس دراسة موضوعية . ولكنها تستخدم لغرض وغاية . فتوجه لتنمية ثقة الناس بأنفسهم . واعتدادهم بتراثهم وأبطالهم . وزيادة روابطهم الوطنية تماسكاً ، وقد كانت هذه الكتابات دائماً ولاتزال . مصبوغة بصبغة قومية ومذهبية . في كل زمان ومكان والدليل القاطع على ذلك . هو أن كل نظام جديد . في أى دولة من الدول . يعيد كتابة التاريخ القومي لهذه الدولة بما يناسب مذهبه وأهدافه) [١].

إن أحداً من العقلاء لايهاجم القومية العربية ، في معناها الصحيح ، ونعنى بها عقل المسلم . وجوارحه ، التى تقلب في صفحات كتاب الإسلام كيف تشاء ، وتستخرج منه بفصاحتها . سليمَ العقائد وصحيحَ العبادات ودُرر السلوك والأخلاق ، إن القومية بهذا المعنى هى ضالتنا المنشودة .

---

[١] الإسلام والحضارة الغربية ـ مرجع سابق صـ٢٤٣.

أما أن تكون القومية العربية (حركة سياسية فكرية متعصبية . تدعو إلى تمجيد العرب . وإقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين)[1].

فذلك تطاول على الدين . وإهدار لكرامة المسلمين (يقول عدد من قادة هذا الفكر : نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد – صلى الله عليه وسلم – . ويقرر الفكر القومى . أن الوحدة العربية حقيقة . أما الوحدة الإسلامية فهى حلم ... وكثير ما يتمثل دعاة الفكر االقومى بقول الشاعر القروى : ـ

هبونى ديناً يجعل العرب أمة — وسيروا بجثمانى على دين بَرْهَم

سلام على كفر يوحـــد بيننا — وأهـــلاً وسهـــلاً بعـده بجهنم .)[2]

لقد ضيق هؤلاء القوميون واسعاً . وطلبوا دواء لأدوائهم . ممن هو أشد منهم علة . لقد وحّد الإسلام العرب من قبل . وهو القادر على توحيدهم اليوم وجعْلِهم أمة عالمية . ومنظومـة كونيـة . تسبح فـى فلكها أمم العالم . لو كانوا يفقهون .

لماذا يصر هؤلاء الناس على عادات العرب . وتقاليدهم لم توحدُهم قديماً . بـل خذلتهـم ودفنتهـم فـى الأودية والشعاب . ولم يشمخ بهم . ويعلى مكانتهم إلا الإسلام ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفـلا تعقلون ﴾ الأنبياء آيه رقم ١٠ .

والتاريخ والراسخون فيه . شاهدون بذلك . فلماذا يَصر هؤلاء القـوم علـى هـذه الآراء . التـى يدركـون زيفها ؟ ..لست أجد جواباً على سؤالى إلا أنهم عملاء لأسيادهم المستشرقين . أو أنهم أعـداء لأنفسـهم و أوطانهم .

و من الدعوات التى يقصد بها تضييف دائرة الإسلام الرحيبة و حصر المسلمين فـى دوائـر ضيقـة مـن القوميات البغيضة التى أذابها الإسـلام فـى بوتقتـه . و أعطاهـا جميعـا جنسـية الإسـلام . مـن هـذه الدعوات الفولكلور .

---

[1] الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة صـ٤٠١ مرجع سابق .

[2] المرجع السابق صـ٤٠٣،٤٠٤ .

الفولكلور

وهو صورة من صور العداء للإسلام . وتضييق دائرة الإسلام الرحيبة – والتى تنتظم المسلمين فى كل مكان بل فى الحياة وبعد الممات – وتحويل هذه الدائرة إلى دوائر ضيقة من القوميات البغيضة . والعصبيات الجاهلية . وحصر الشعوب فى عادات وتقاليد الأسلاف غير المسلمين .

(والفولكلور : اصطلاح ظهر في أوربا للمرة الأولى . في منتصف القرن الميلادى الماضى . ليدل على الدراسات التي تتصل بعادات الشعوب وتقاليدهم وطقوسهم وأساطيرهم ومعتقداتهم وفنونهم . وما يجرى على ألسنتهم ...

بقصد التعمق فى تحليل نفوس أصحابها . وإدراك دوافعها ونوازعها . وفهم ما ينظم عواطفها وتفكيرها من منطق . بغية الوصول إلى أمثل الطرق . وأحذق الخطط للتمكن منها . واستغلالهم واستدامة عبوديتهم .... ووجوه الشبه بين دعاة الفولكلور الجدد . ودعاة التجزئة المستندة إلى القديم السابق على الإسلام ظاهرة جلية . كلاهما يحاول . رد عاداتنا وأنماط حياتنا إلى أصول قديمة)[1] .

وغنى عن الذكر أن تلك العادات والأنماط لا تمت إلى الإسلام بصلة .

و هذه كلها دراسات و مناهج وفدت إلينا . من بلاد تباين مواريثها الثقافية مواريثنا . و تباين نظرتهم لدينهم . نظريتنا لديننا . كما أن للحدود الأخلاقية عندهم تجاوزات . لا تتفق مع ما أكرمنا الله به من القرآن الكريم . الذى لم يترك صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها .

فلماذا نَردُ موارد القوم الآسنة . و نترك مواردنا التى تستمد من وحى الله تعالى ؟!

---

[1] الإسلام والحضارة الغربية صـ١٣٨، ٢٣٩ بتصرف . مرجع سابق .

عـالمية الإسـلام

من البديهيات عند كل مسلم . أن الإسلام رسالة عامة لجميع البشر . بل للجن والإنس جميعاً . قال تعالى : ـ ﴿ وما أرسلناك إلاكافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ سبأ آيه ٢٨ .

ومن المعلوم أن سورة سبأ . سورة مكية . فقضية عالمية الإسلام قضية لاجدال فيها . في ذهن كل مسلم سليم النية والطوية .

وعلى الرغم من هذا فإن السادة المستشرقين . يخرجون علينا بما لم نتبينه نحن المسلمين من أمور ديننا !!!

(يقول المستشرق الإنجليزى " السير وليم موير* " فى كتابه " الخلافة " : إن فكرة عالمية الرسالة . جاءت فيما بعد . وأن هذه الفكرة . على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التى تؤيدها . لم يفكر فيها محمد نفسه . وعلى فرض أنه فكر فيها ، كان تفكيره غامضاً ، فإن عالمه الذى كان يفكر فيه . إنما كان بلاد العرب . كما أن هذا الدين الجديد لم يُهيَّأ إلا لها . وأن محمداً لم يوجه دعوته منذ أن بعث إلى أن مات إلا للعرب وحدهم)[1].

إن هؤلاء المستشرقين يدورون حول مُسَلَّمَةٍ عقلية عندهم ، وهى أن محمداً هو الذى اخترع دين الإسلام فهو الذى ألف القرآن والأحاديث وعليه ، فإن مبادئه يستحدثها عقله حسب ما يجد من الظروف والأحوال .

ومن ثم . فقد كانت طموحات محمد – بزعمهم – فى البداية محصورة فى قومه وبنى جلدته من العرب ولما وصل إلى ما تمنى ، ازدادت تطلعاته واتسعت طموحاته ، فطمع فى تكوين إمبراطورية عالمية .

ولاشك أن ذلك انحراف عن الموضوعية ، وسوء فهم وضلال قصد ....

يقول الأستاذ الدكتور أحمد شلبى (كانت الأديان السابقة . ترتبط بقوم كل رسول وبزمانه . وهذا شئ اتضح من واقع حياة الأنبياء ،حيث تتابع الأنبياء : إبراهيم ـ إسحاق فيعقوب فأنبياء بنى إسرائيل

---

* وليم موير " ١٨١٩٠–١٩٠٥م " اسكتلندى ، تعلم الحقوق فى جلاسجو ، و أدنبره ، من آثاره سيرة النبى ، و التاريخ الإسلامى ، و مصادر دار الإسلام ، العقيقى جـ٢ صـ٥٩ .

[1] أ / د/على عبد الوهاب ـ الإسلام بين حقائق المؤمنين ومفتريات المنكرين صـ٤٣ ، و قد نشر هذا البحث فى حولية كلية الدعوة الإسلام عدد٩ ١٤١٤هـ=١٩٩٤م ، المودع بقسم الدوريات بدار الكتب تحت رقم إيداع "٦٤١٥/ ١٩٨٨" .

حتى زكريا ويحيى وعيسى . وأحيانا كان هناك نبيان . فى وقت واحد . فى مكانين مختلفين . مثل إبراهيم ولوط . ومثل إسماعيل وإسحاق ، مما يؤكد النطاق المحدود للرسالة . واتضح تخصيص دعوات الأنبياء السابقين بأهليهم وقبائلهم من قوله تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ هود آيه ٥٠

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ الأعراف آيه ٧٣ ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ هود آيه ٢٥ .

أما دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فجاءت شاملة من ناحية المكان . أى أنها لكل الناس . فى أية بقعة من بقاع الأرض . وشاملة من ناحية الزمان . أى أنها لأجيال البشرية . منذ مطلع الإسلام . إلى يوم الدين . وتبعاً لهذه الحقيقة . جاءت الآيات . التى توضح عالمية الإسلام . فى السور المكية المبكرة . ومن ذلك قوله تعالى : ـ ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ الفرقان ١ . و سورة الفرقان من السور المكية ..."

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء آيه ١٠٧ .

وفى سورة الأعراف المكية . آية واضحة الدلالة على عموم الرسالة قال تعالى : ﴿ قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ﴾ الأعراف ١٥٨ ....

وتبعاً لهذا الاتجاه ..فتح الرسول صلى الله عليه وسلم الباب من عهد مبكر . لكل الجنسيات ! لبلال الحبشى . وسلمان الفارسى وصهيب الرومى . وقد امتدح الفيلسوف البرطانى "برناردشو"* هذا الاتجاه فى الإسلام فقال : يمكن بحق أن نعتبر محمداً منقذاً للإنسانية . وأعتقد أن رجلاً مثله . لو حكم العالم بإيثاره وخلقه . لجلب للعالم السلام والسعادة)[1]

فمبادئ الإسلام عالمية . وشريعته عالمية ، وأخلاقه عالمية . لم تختص مبادئه وشريعته وأخلاقه بجنس دون جنس بل (جاء الإسلام بشريعة عالمية ، يمكن لكل من آمن بعقيدتها " لا إله إلا الله محمد رسول الله " أن يدخل فى الأمة المسلمة ، ويتمتع فيها بنفس الحقوق التى يتمتع بها سائر المسلمين ، فإنه لا عبرة فى هذه الشريعة بالنسل أو اللغة أو الوطن أو اللون . ثم إن هذه الشريعة شريعة دائمة ، ليست قوانينها بمبنية على أعراف أمة خاصة ، أو عوائد زمن محدود ، بل هى مبنية

---

* برناردشو ، جورج " ١٨٥٦-١٩٥٠ " كاتب مسرحى إنجليزى إيرلندى المولد تزخر آثاره بالظرف و السخرية . المورد ٧٩ .

(١) اد/ أحمد شلبى ، الاستشراق تاريخه و أهدافه ، ص١٣٢ ، ١٣٥ ، مرجع سابق . بتصرف .

على مبدأ الفطرة . التى فُطر عليها الإنسان . ولأن هذه الفطرة قائمة فى كل زمان أوحال . ينبغى أن تبقى هذه القوانين التى بنيت عليها قائمة فى كل زمان أوحال كذلك)[١] .

(إنها الرسالة الأخيرة . فهى الرسالة الشاملة . التى لاتختص بقوم . ولاأرض ولاجيل . ولقد كانت الرسالات قبلها . رسالات محلية قومية محدودة بفترة من الزمن ....

وكانت كل رسالة تتضمن تعديلاً وتحويراً فى الشريعة يناسب تدرج البشرية . حتى إذا جاءت الرسالة الأخيرة . جاءت كاملة فى أصولها . قابلة للتطبيق المتجدد فى فروعها . وجاءت للبشر جميعاً ... ﴿ قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ﴾ الأعراف ١٥٨ .

وهذه الآية التى يؤمر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يواجه برسالته الناس جميعاً . هى آية مكية فى سورة مكية . وهى تجبَه المزورين من أهل الكتاب . الذين يزعمون أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – . لم يكن يدور فى خلده وهو فى مكة . أن يمد بصره برسالته إلى غير أهلها :

وأنه إنما بدأ يفكر فى أن يتجاوز قريشا . ثم يجاوز بها العرب إلى دعوة أهل الكتاب . ثم يجاوز بها الجزيرة العربية إلى ماوراءها . كل أولئك بعد أن أغراه النجاح الذى ساقته إليه الظروف !

وإن هى إلا فرية من ذيول الحرب التى شنوها قديماً على هذا الدين وأهله . وما يزالون ماضين فيها)[٢] .

(يقول الأمير "كيتانى* " فى كتابه " حوليات الإسلام " إنى أشك أن يكون النبى قد تخطى بفكره حدود الجزيرة العربية ، ليدعو أمم العالم فى ذلك الوقت إلى ذلك الدين " ويقول : " فينسنك** : إن فكرة عموم الرسالة ، جاءت فيما بعد . ولكنها إذا كانت نمت بعد ذلك . فإنما يرجع هذا إلى الظروف والأحوال أكثر منه إلى الخطط والمناهج ;

"ويورد "جاك .س . ريسلر فى كتابه " الحضارة العربية" : " إن الإسلام للعرب فقط ")[٣] .

---

[١] أ / أبو الأعلى المودودى . مبادئ الإسلام صـ١٩٨ ، ١٩٩ . دار الفكر الإسمى . حلب . سوريا .

[٢] فى ظلال القرآن جـ٣ صـ١٣٧٩ . مرجع سابق .

* الأمير ليونى كايتانى –١٨٦٩–١٩٢٦ م إيطالى ولد فى روما و تخرج من جامعاتها و تعلم سبع لغات منها الفارسية و العربية، و تقلد سفارة إيطاليا فى واشنطن كان ينفق من ثروته عشرة آلاف ليرة ذهبية سنويا على العلم . نجيب العقيقى جـ١ صـ٤٢٩ .

** أرنت يان فنسنك –١٨٨٢–١٩٣٩م مستشرق هولندى كانت أطروحته للدكتوراه فى ١٩٠٨م " محمد و اليهود فى المدينة باللغة الهولندية ، و هو صاحب فكرة المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، عاونه فيه ٣٨ باحثا . طبقات المستشرقين . عبد الحميد صالح حمدان صـ١٦٤ ،

[٣] أد/ على عبد الوهاب – الإسلام بين حقائق المؤمنين ومفتريات المنكرين صـ٤٤ مرجع سابق .

هذه بحوث الذين يحاولون الطعن فى الإسلام . ليس لشئ إلا لأنه الإسلام . و أعتقد أننا لو قلنا
: إن الإسلام جاء للعرب خاصة . لقالوا : إن الإسلام كان للعرب و العجم و لكن محمدا حرّف
و بدّل.

(لو قيل لمستشرق مخادع أو مبشر مكابر : إن " الاسكندر المقدونى " كان يعمل على تكوين
إمبراطورية تشمل العالم القديم كله . و يجعله يلتف حول هذا الشاب الإغريقى . بعد أن يجعل
ثقافته إغريقية . لصدّق . و لو قيل : إن " نابليون* " كان يعمل على تكوين إمبراطورية تشمل
العالمين القديم
و الحديث ليجلس عل عرشها لصدقنا . و لو قيل إن "هتلر"** سعى لمثل هذا .
و من قبله "جنكيز خان "*** لما كذب ذلك أحد .

أما إذا قيل : إن محمدا – صلى الله عليه و سلم – دعا خلق الله . المتاخمين لجزيرة العرب .
و المتصلين بقريش اتصالا تعيش عليه قريش . و يبنى على أساسه كل شئ فى الهيئة القريشية .
فذلك فى عرف الحاقدين أمرٌ يعزُّ على البحث النزيه . و العقل الحر . و التفكير المجرد أن يقبله)[1]
﴿ ألا ساء ما يحكمون ﴾ النحل٥٩ .
و (عفاء على التاريخ و العلم كله ، إذا كانت قيم الحقائق تُتناول بهذا الإرسال الفوضوى)[2] .

فتلك سنتهم فى تعرضهم للإسلام ، الإنكار و الجحود ، و عدم التصديق بلا سند من دليل . اللهم إلا
الوهم . أو ما يفترونه مما يُعد فى منطقهم دليلا قاطعا على ما يفترون .

(لقد تصيد المشككون فى عالمية الرسالة بعض الآيات القرآنية . و التى لم يتقنوا قراءتها . و لم
يستطع فكرهم أن يتأمل فيها بروية ، ليجعلوا منها منطلقا و ركيزة يطلقون منها سهامهم . و ينفثون
سمومهم . و هم يبغون من وراء ذلك إثبات دعواهم . و تدعيم حجتهم . هذه الأدلة منها :
قوله تعالى :﴿ و أنذر عشيرتك الأقربين ﴾ الشعراء ٢١٤ .

---

* نابليون بونابرت "١٧٦٩-١٨٢١" امبراطور فرنسا "١٨٠٤-١٨١٥" دوّخ بفتوحاته أوروبا . هزم هزيمة عسكرة حاسمة فى "ووترلو" عام ١٨١٥م نفى إلى جزيرة سانت هيلانة . المورد ٦٣ .

** زعيم ألماني يعرف بلقبه " الفوهرر " و هو أدولف هتلر و لد فى ٢٠ أبريل ١٨٨٩م بقرية بروناو النمساوية من أب يعمل موظفا على الحدود ... مات منتحرا فى مايو ١٩٤٥م بقبو مبنى المستشارية ببرلين و أحرق جثمانه بناء على و صيته . بتصرف عن القاموس السياسى أحمد عطية دار النهضة ١٩٦٨م .

*** جنكيز خان ولد عام١١٥٥م ، منشئ امبراطورية المغول العالمية . دائرة المعارف الإسلامية جـ٧ صـ١٢٦ .

[1] المرجع السابق صـ٤٥،٤٦ .

[2] الأستاذ الشيخ / محمد الغزالى– دفاع عن العقيدة و الشريعة ضد مطاعن المستشرقين صـ٦١ . مرجع سابق .

قوله تعالى : ﴿ لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾ القصص ٤٦ .

و قوله تعالى : ﴿ و كذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى و من حولها ﴾ الشورى٧)[١]

إن مفردات علم أصول الفقه : العام و الخاص . المطلق و المقيد . المجمل و المبين . و لا يجوز الحكم بدليل عام أو مطلق أو مجمل مع وجود الخاص و المقيد و المبين . ذلك حتى تتضح المسائل الفقهية أو المستنبطات التفسيرية . و حتى تكون الأحكام دقيقة . ذلك دأب علماء المسلمين و دأب الباحثين الموضوعيين . و كذلك من بدهيات البحث العلمي أن يستقصي الباحث الأدلة الواردة في مسألة ما حتى يكون حكمه صادقا و صحيحا . و أما أن يجتزئ الباحث من الأدلة . ما يؤيد إقليمية الدعوة الإسلامية . مستبعدين ﴿ لينذر من كان حيا ﴾ يس ٧٠ و ﴿ ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ سبأ٢٨ . و ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾ الأعراف ١٥٨ .

و غيرها من الآيات المكية الأخرى . التي تثبت عالمية الدعوة الإسلامية . تلك العالمية التي قررها القرآن في أول عهده بالأذهان البشرية . و لكن المستشرقين يستدلون بمرحلية الدعوة الإسلامية و تدرجها على ادعائهم . فمحمد القائد الطموح الذي كلما فتح له باب إلى التوسع . طلب غيره . علما بأن القرآن قد أوضح الأمر . و لا يزال المسلمون طائفة من الضعفاء . الذين يسومهم المشركون أشد العذاب . بل و في أحرج الساعات و أشدها كربا . حيث تنقطع الآمال . و تخضع أعناق الرجال . كان المصطفى – صلى الله عليه و سلم – يصدع بعالمية الدعوة .

ففي غزوة الأحزاب التي يقول الله تعالى فيها : ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم و من أسفل منكم و إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا ﴾ الأحزاب ١٠ .١١.

في هذا الجو العاصف و الكرب المحيط يقول البراء :(لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة . لا تأخذ منها المعاول . فاشتكينا ذلك لرسول الله – صلى الله عليه و سلم – . فجاء و أخذ المعول فقال : بسم الله ثم ضرب ضربة . و قال : الله أكبر . أعطيتُ مفاتيح الشام . و الله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة . ثم ضرب الثانية فقطع آخر . فقال : الله أكبر . أعطيتُ فارس و الله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض . ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله . فقطع بقية

---

[١] أ.د/ علي عبد الوهاب ، الإسلام بين حقائق المؤمنين و مفتريات المنكرين .صـ٤٦،٤٧ . مرجع سابق .

الحجر فقال : الله أكبر . أعطيتُ مفاتيح اليمن . و الله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني)[1]

. فهل هذه تخرصات قائد عسكري ؟

إنها مدارج الرجاء الإنساني الضعيف . إلى ملكوت العظمة الإلهية حيث الحول و الطول و الجبروت

(روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو : أن النبى صلى الله عليه و سلم سئل : أى المدينتين تفتح أولا : قسطنطينية أو رومية ؟ فقال : مدينة هرقل تفتح أولا " . و رومية هى : روما عاصمة إيطاليا الآن . و القسطنطينية هى استانبول الآن .

يفهم من السؤال أن الصحابة كانوا قد علموا قبل ذلك أن الإسلام سيفتح المدينتين . و يدخل أهلها في دين الله . و لكن يريدون أن يعرفوا : أى المدينتين تسبق الأخرى . فأجابهم أن مدينة هرقل . و هى القسطنطينية ستفتح أولا . و قد تحقق ذلك على يد الفتى العثمانى الطموح " محمد بن مراد " ابن الثالثة و العشرين . الذى عرف فى التاريخ باسم " محمد الفاتح " و فتحت مدينة هرقل فى القرن التاسع الهجرى . الخامس عشر الميلادى . و بالتحديد فى يوم الثلاثاء ٢٠ من جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ ٢٩ من مايو ١٤٥٣م . و بقى الجزء الثانى من البُشرى : فتح رومية و به يدخل الإسلام أوربا مرة أخرى . بعد أن طرد منها مرتين . مرة من الأندلس و مرة من البلقان)[2] .

إن الأمر – عالمية الإسلام – أوضح من ضوء الشمس . و غنى عن قراع الأقلام فيه معارضة أو تأييدا . و لكن المستشرقين قوم خصمون .

عن (تميم الدارى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه و سلم – يقول : ليبلغن هذا الأمر " يعنى الإسلام " ما بلغ الليل و النهار . و لا يترك الله بيت مدر* و لا وبر** . إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز . أو بذل ذليل . عزاً يعز الله به الإسلام . و ذلا يذل الله به الكفر " و عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – : " إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها . و إن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها . و أعطيت الكنزين

---

[1] صفى الرحمن المباركفورى ، الرحيق المختوم صـ٢٦٥، ٢٦٦ ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م . دار الكتب العلوم العربية ، القاهرة .

[2] أد/ يوسف القرضاوى – المبشرات بانتصار الإسلام صـ٤ ، و هى دراسة نشرت بجريدة الشعب التى يصدرها حزب العمل بالقاهرة فى الأعداد بتاريخ ٢، ٦، ٩، ١٣، ١٦ فبراير ١٩٩٦م .

* المدر : الطين اللزج المتماسك ، و أهل المدر : سكان البيوت المبنية ، خلاف البدو سكان الخيام .المعجم الوسيط جـ٢ صـ٨٥٨ .

** الوبر : صوف الإبل و الأرانب و نحوها . الواحدة : وبرة ، و أهل الوبر : أهل البادية لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر . المعجم الوسيط جـ٢ صـ١٠٠٨

الأحمر و الأبيض"[١]

لقد كانت النصوص القرآنية و النبوية في عالمية الإسلام . مسطورة منذ العهد المكي . أما التنفيذ الفعلي لتلك العالمية فكان تدريجيا .

إن العقل و المنطق يقتضيان أن تنطلق الدعوة من ذات الداعي الأول : ﴿ يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا ﴾ المزمل ١ . ٢ . ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر و ربك فكبر ... ﴾ المدثر ١ : ٣ .

ثم تتسع الدائرة . لتشمل عشيرته . فأهل المرء أولى الناس بخيره : ﴿ و أنذر عشيرتك الأقربين ﴾ الشعراء ٢١٤ . ثم تتسع لتشمل المجتمع القرشي ﴿ لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾ القصص ٤٦ . ﴿ لتنذر أم القرى و من حولها ... ﴾ الشورى ٧ .

ثم تتسع الدائرة لتشمل العالمين : ﴿ و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾ الأعراف ١٥٨ .

فهل استشهدنا إلا بالآيات المكية التي كانت أولايات الوحي القرآني نزولا ؟

و إنه لمن أشد المواقف القذّافة للتأمل العميق . و التفكير الدقيق في أعماق النفوس منظر ذلك المهاجر من أحب بلاد الله إلى الله . و أحب بلاد الله إليه . الخارج خفية عن السيوف المشتاقة إلى دمه . و الذي انتشرت خلفه أسراب المنايا . بحثا عنه في صحراء تنقطع فيها أكباد الإبل . و هو وحيد إلا من صاحبه و لا قوة بشريةً تحميه إلا مجموعة من المستضعفين . خرجوا مهاجرين متسترين بثوب الظلام حينا . و بقيظ الهجير حينا آخر . خشية يد البغي و العدوان أن تمتد إليهم .

و على الرغم من ذلك نراه يقول لسراقة بن مالك الذي أعْيَتْهُ حيلته البشرية العاجزة . أن ينال بأذى محْميا بقدرة العزيز القهار : " كيف بك يا سراقة إذا سُوِّرت بسواري كسرى ؟ قال سراقة : كسرى بن هرمز ! قال : نعم .

و تسمع الدنيا كلها هذا الوعد المفرط في الخيال – حسب أقيسة البشر القاصرة – و إذا بذلك الجنين تنفرج عنه أرحام الغيب في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه . و يشهد على ذلك التاريخ و كفى بالله شهيدا .

فأي دجّال مهما بلغ استخفافه بعقول البشر أن يصل إلى هذا الحد . و تتعاطف معه أحداث الزمان ؟

---

[١] المرجع السابق ص٥ بتصرف .

و أي حنكة سياسية و خبرة عسكرية تلك التي تدفع قائدا إلى المخاطرة بمثل هذه التنبؤات . و هو في أحرج المواقف حرجا . و أشدها كربا . حيث لا يأمن حتى على نفسه ؟ الله حاشاه .

و ما هو إلا نور النبوة الذي تكشف له طلاقة القدرة الإلهية خيطا من خيوط التدبير الإلهي الحكيم لأقدار البشر .

تشكيك المستشرقين في كتب الرسول - ﷺ - للملوك و الأمراء

بعد صلح الحديبية و الذي عقد في شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة . بدأت مرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية . نستطيع أن نسميها : " **الممارسة العملية لعالمية الدعوة الإسلامية** " فلقد أصبحت الدولة الإسلامية الناشئة . كيانا سياسيا معترفا به من قريش . صاحبة الزعامة في المنطقة . و بدأ المصطفى - صلى الله عليه و سلم - ينفذ نصوص القانون الإلهي السامي بعالمية هذه الدعوة . حيث حضر أوان هذا التطبيق . فأرسل رسول الله رسله إلى الملوك و الأمراء .

(و كان الملوك الذين بعث إليهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أولهم : قيصر إمبراطور الروم و أرسل إليه دحية بن خليفة الكلبي . و كسرى ملك فارس . بعث إليه عبدالله بن حذافة السهمي و النجاشي ملك الحبشة . و توجه إليه عمرو بن أمية الضمري . و المقوقس حاكم مصر . و ذهب إليه حاطب بن أبي بلتعة . و الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء و صاحبه شجاع بن وهب و هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة . أرسل إليهم سليط بن عمرو . و المنذر بن ساوى ملك البحرين . و أرسل إليه العلاء بن الحضرمي . و ليس هؤلاء هم الذين كتب إليهم رسول الله فقط . و لكن هؤلاء هم الذين توجهت إليهم الكتب أولا في بداية هذه المرحلة . ثم تتابعت كتب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بعد ذلك إلى زعماء القبائل ورؤساء الجاليات الدينية في أنحاء الجزيرة و ما حولها . و قد بلغت هذه الكتب أكثر من مائة كتاب أحصاها ابن سعد في طبقاته و جاء بنص كل منها)[1] .

و على الرغم من هذا السيل من النصوص القرآنية . و الأحاديث النبوية . و الشواهد التاريخية إلا أن المستشرقين يهدرون هذه الأدلة و الشواهد بإنكارهم لكتب الرسول - صلى الله عليه و سلم - إلى الملوك

---

[1] أد/ محمد إبراهيم الجيوشي - مواقف من حياة رسول الله صـ٤٤٤ . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م دار الهدى للطباعة - الطباعة ، نقلا عن طبقات ابن سعد جـ١ صـ٢٥٨ ، ٢٩٠ .

و الأمراء (فيزعم " مرجليوث "مثلا أن النبي – صلى الله عليه و سلم – لم يوجه أى كتب للملوك و الأمراء خارج الجزيرة العربية . مستدلا على افترائه بدليل عدم العثور على أثر لهذا في تاريخ الملوك)[١] .

فهل هذه مقارعة الحجة بالحجة . و منازلة البيان بالبيان ؟ أم أن ذلك كمن يختبئ من أسد بخيوط العنكبوت . أو كمن يستعد للسيل الجارف بمراكب من ورق ؟ .

و هل عدم الوجدان يستلزم عدم الوجود ؟ لا شك أنها إفرازات مسمومة لعقول محمومة من حقدها على الإنصاف و العدل .

ذاك ما خرج به علينا المستشرق " مرجليوث " .

(أليس وجود " مارية القبطية " – رضى الله عنها – نفسها فى بيت الرسول الكريم . دليلا على صحة هذه الرسالة . التى أرسلها الرسول الكريم إلى المقوقس عظيم الإسكندرية . و التى حملها إليه " حاطب بن أبى بلتعة " و لولا هذه الرسالة ما وصلت " مارية " إلى جزيرة العرب . ثم إن هذه الرسالة ما تزال محفوظة فى متحف " توب كابى " فى استانبول " و قد نشرت مجلة العربى الكويتية – العدد ٢١٠ صـ٩٤ – صورة ملونة لهذا الكتاب . أليس فى وجود مثل هذا الكتاب ما يثبت وجود سائر الكتب و الرسائل الأخرى ؟!)[٢] .

و قد يخرج علينا الآن من يقول : إن هذه الصورة منتحلة مزورة . أو مشكوك فيها . و عندئذ سنجد أنفسنا مضطرين إلى القول : إن هذه الطائفة من المستشرقين منتحلون مزورون . دلّس علينا في شأنهم التاريخ . و قدّمهم لنا فى صورة باحثين موضوعيين . و الحقيقة أنهم – إن وجدوا – مجموعة من الكوابيس المزعجة ، التى أرّقت مضاجع المسلمين . إذا كان هذا منهجهم فى التعامل مع الحقائق والبينات . و فيما يلى صورة من صور الشطط ، فى تناول الحقائق بالإنكار لأجل الإنكار.

(يقول القس : " أنيس المقدسى " ناقلا لكلام المستشرقين : " ليس فى أيدينا منها – أى كتب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – و ثائق ترجع إلى ذلك العصر . و لا ذكر لنا الذين رووها أنهم نقلوها عن و ثائقها الأصلية ، فكيف إذا نعتمدها ؟ .. إنه لا بد لنا من مجاراة النقاد المحدثين فى الشك فى بعض هذه الكتب استنادا على مبادئ التجريح التاريخى ، و من موجبات الشك عندهم –

---

[١] أد/ على عبد الوهاب – الإسلام بين حقائق المؤمنين و مفتريات المنكرين صـ٥٣ . مرجع سابق .

[٢] المرجع السابق صـ٥٤ ، ٥٥ . بتصرف .

يعني المستشرقين - التردد في قبول كل ما فيه أثر لدعاية دينية . أي رفض كل كتاب يدعو فيه النبي إلى الإسلام -- أو قومية . ما لم يقم دليل صحيح على ثبوته . كالذى ورد على أنه بعث به ملك الروم أو ملك الفرس . فإنهم يستبعدون أن يكون العرب - يقصد المسلمين -- قد بلغوا من البسطة و المناعة -- و هم لا يزالون محصورين في الجزيرة - ما يحملهم على مخاطبة الملوك يومئذ ؟ ! . . . و مؤدى هذا كله أن يقول القس " أنيس " أن كتب الرسول إلى الفرس و الروم و مصر كتب مزورة ! ! . . .

و الكتب التي ينازع فيها " أنيس " لها أصول منقوشة . موجودة بدور الوثائق في القاهرة و غيرها . و من تلك النقوش نقش خاص بكتاب المقوقس . عظيم القبط بمصر و كتاب النجاشي . و قد اكتشف العلامة "حميد الله" نقوشات أخرى لكتب أخرى . و ناقش اعتراضات بعض المستشرقين حولها نقاشاً موضوعياً " فيه بأسلوب علمي ناصع كل الشبهات التي أثارها المستشرقون حول هذا الموضوع الخطير . وتلك النقوش تحمل صورة لخاتم النبي الذى كان يختم به تلك الكتب)[1] .

لقد أرادت هذه الطائفة من المستشرقين وتابعيهم . أن يخصصوا الإسلام بجزيرة العرب . وأن يشيعوا ذلك كفكرة ينبغي أن تشيع بين المسلمين . حتى لاتمتد أعينهم . ويشعروا بعبء تبليغ هذا الدين للعالمين .

بل إن خيوط المؤامرة قد امتدت إلى أبعد من ذلك حتى استطاع الاستشراق و الاستعمار إسقاط الخلافة الإسلامية من خلال الشُبَه التي استطاعوا أن يزعزعوا بها ثقة المسلمين في دينهم و صلاحيته لكل زمان و مكان . حتى وجد من بين المثقفين المسلمين من يدعو إلى فصل الدين عن الدولة زاعماً أنه لا سياسة في الدين و لا دين في السياسة .

و حرى بنا في هذا المقام أن نتحدث عن الخلافة الإسلامية و المؤامرات و المكايد التي حيكت لها حتى تم إسقاطها على يد الخائن التركي " مصطفى كمال أتاتورك "

---

(١) أ.د/ عبد العظيم المطعني ، افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد صـ ٨٤ ، ٨٥ بتصرف . مرجع سابق .

المؤامرة على الخلافة الإسلامية

إن الذين تولوا كبر هذه المؤامرة هم صليبيون و صهيونيون . حاولوا و بكل قوة أن يتخلصوا من الخلافة الإسلامية التي ينضوى المسلمون تحت لواءها . فكانت تمثل شوكة في ظهورهم و غصة في حلوقهم . و كانت بداية المؤامرة على الخلافة الإسلامية في المحافل الماسونية حيث (رأى المجلس الكوني من مصلحة اليهود تدمير أمن تركيا ليحضر إلى ديارهم يهودا من روسيا و ليساعد أعداء تركيا الذين يستغلون اضراباتها الداخلية ...و يذهب البعض إلى أن قرار فصل الدين عن الدولة نفسه قرار يهودى إذ ورد ضمن قرار هرتزل مؤسس الصهيونية ...

و نعترف بجميع الأديان ثم نضع عليها إشارات استفهام فإذا تزعزع معتنقوها عدنا و قلنا " لا خالد إلا نواميس موسى " و لاختصار الطريق ندخل أديان الناس . و نحفظ إسرائيل في قلوبنا لإحالة تلك الأديان فرقا و مذاهب و طوائف . إذ من فوائد تعدادها انتطاحها و اقتتالها .... وراء هذه الخطة تكمن حقيقة الفرقة المتطرفة ... مثل يهود الدونمة و الذين قاموا بدور فعال في إلغاء الخلاف الإسلامية . و القضاء على السلطان عبد الحميد الذى لم يقبل التنازل عن شئ من فلسطين ...

و يقول " إسحاق يد زفى " الرئيس السابق لدولة اليهودية :(هناك طوائف دينية لا تزال تعتبر نفسها جزءا من بني إسرائيل و من هؤلاء طائفة السامريين الذين يعتنقون الدين الموسوى . و منهم طائفة هامة أخرى . و هى طائفة الدونمة و هى مسلمة فى الظاهر إلا أنها تقيم سرا الشعائر اليهودية . و قد قامت على أكتافهم حركة الانقلاب فى تركيا و إلغاء الخلافة الإسلامية لإحلال النظام اللاديني محلها)[١] .

و لسنا بحاجة إلى أن نطرح السؤال عن سبب هذه الهجمة الضارية على الخلافة الإسلامية إذ من المعلوم أن الخلافة الإسلامية هى بيضة الإسلام و حماه . و هى التى جمعت المسلمين و جعلت لهم كيانا له استقلاله و رهبته و صولته حتى فى أشد حالات الضعف التى مرت بهذا الكيان .

و لذلك بدأت الخطط و المؤامرات و التى كانت نهاية حلقاتها إعلان " كمال أتاتورك " إلغاء الخلافة . و الذى أعلن (إن الإمبراطورية العثمانية قامت على أسس الإسلام إن الإسلام بطبيعته ووضعه عربى و تطوراته عربية ، و هو ينظم الحياة من ولادة الإنسان إلى وفاته و يصوغها صياغة خاصة . و يخنق

---

[١] د/ مصطفى حلمى نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى صـ٥٤٣ ، ٥٤٥ ، بدون ط بدون ت ، دار الأنصار ، القاهرة .

الطموح في نفوس أتباعه . و يقيد فيهم روح المغامرة و الاقتحام . و الدولة لا تزال في خطر مادام الإسلام دينها الرسمي)[١] .

إن كمال أتاتورك ينفي عالمية الإسلام . و يدعي أنه يخنق الطموح و يقيد روح المغامرة و الاقتحام . و أنه خطر على الدولة فهل هي إلا مزاعم الاستشراق و أضاليله عن الإسلام ؟

إن الإسلام الذي أطلق للفكر العنان . ليسبح في ملكوت الكون . يفكر و يرى يد الله في خلقه . الإسلام الذي خاطب الناس ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق " العنكبوت ٢٠ .

هذا الإسلام الذي يطلق طاقات الناس إلى حد استثارة قدراتهم للبحث عن بدأ الخلق . هذا الدين الذي احتفى بالعلم و العلماء . و جعلهم في أعلى درجات الفضل بين الناس . و الذي كرم الإنسانية بعامة دون النظر إلى جنس أو دين أو لون . هذا الدين في نظر الأفاكين يخنق الطموح و يقيد روح المغامرة !! بئس القوم وبئس ما قالوا .

و على الرغم من هذا فإنه يعترف بشمولية نظام الإسلام لكل صغيرة و كبيرة في حياة الناس إلا أنه يخصه بالعرب . و هو منهج الاستشراق . الذي يلبس الحق بالباطل .

و من خيوط المؤامرة ما قام به الإنجليز من الدعوة (إلى مشروع " الخلافة العربية " لهدم الخلافة الإسلامية . و نقلها إلى أيدي رجل تحت وصاية الإنجليز بمثابة آلة في أيديهم فكانت تبغي وقع الشقاق بين المسلمين حول راية الخلافة الإسلامية . ليسهل لها تحقيق أغراضها في هدم هذه الخلافة . ثم امتلاك السلطة و النفوذ في سائر أنحاء البلاد عن طريق الخليفة المصطنع و لهذا هتم الإنجليز بتشجيع الثائرين ضد السلطان و قدموا لهم المساعدة .

يقول المستر " بلانت " (إن مركز الخلاف الإسلامية يجب أن يكون مكة . و أن الخليفة في المستقبل يجب أن يكون رئيسا دينيا لا ملكا دنيويا)[٢] .

و كان الاستشراق محضن كل دعوة يبتغي الغرب من وراءها الإطاحة بنظام الخلافة الإسلامية . فوجد من المستشرقين من يشككون في صلاحية الشريعة الإسلامية لسياسة الحياة . أو يدعون أنه لم تكن هناك شريعة أصلا ، مثلما ادعى المستشرق الفرنسي " شاخت" في كتابيه " المدخل إلى الفقه

---

(١) المرجع السابق ص٥٥٣ .

(٢) المرجع السابق ص٥٥٨ ، ٥٥٩ ، بتصرف .

الإسلامي " و " أصول الشريعة المحمدية " و قد ادعى فيها أن الشريعة الإسلامية خارجة عن الدين الإسلامي نفسه . و في سبيل تأكيد هذا القانون المفترى يقول :
إن الجانب التشريعي لم يكن له وجود في حياة النبي و أصحابه و تابعيهم .
إن علماء الإسلام في القرون الثلاثة الأولى كانوا كذابين ملفقين
إن الأحاديث الفقهية التي رويت منسوبة إلى النبي ليس فيها حديث واحد صحيح)[1] .

و ارتبط بهذه الادعاءات الكاذبة محاولة النيل من الشريعة الإسلامية من ناحية الادعاء بقصورها عن مجاراة أحوال الزمان . و أنها مستمدة من غيرها . و كان ممن تولى كبر هذه الفرية المستشرق المجرى اليهودي " جولد زيهر " و الذى أنقل عنه النصوص التالية (كما أن الأفكار التى جاء بها القرآن كانت مبادئ و أصولا يجب أن تتطور بسبب اتساع دائرة الأفكار المتستنتجة ... و هكذا يظهر غير صحيح ما يقال من أن الإسلام في كل العلاقات جاء إلى العالم طريقة كاملة . بل على العكس فإن الإسلام و القرآن لم يتما كل شئ . و كان الإكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة " .

و يقول في موضع آخر : " و القرآن نفسه لم يعط من الأحكام إلا القليل . و لا يمكن أن تكون أحكامه شاملة لهذه العلاقات غير المنتظرة كلها مما جاء ن الفتوح فقد كان مقصورا على حالات العرب الساذجة و معنيا بها بحيث لا يكفي لهذا الوضع الجديد " .
و يقول : " كما أن المعارف الفقهية الإسلامية تحمل على سبيل المثال – كما حقق ذلك البحث تحقيقا ثابتا – آثارا غير منكورة من الفقه الروماني)[2] .

و على نفس الدرب المظلم يقول " جوستاف جرونباوم " (أخفق القانون السماوى لأنه أهمل عامل التغير الذى أخضع له الله مخلوقاته)[3] .
هذه سلسلة من الأقوال توضح لنا خيوط المؤامرة التى بدأت بزعزعة ثقة المسلمين فى دينهم و قدرته على مسايرة ركب الحياة .و انتهت بعزل الإسلام سياسيا و حصره فى دائرة الطقوس و الشعائر .
إن هذه الدعوى غريبة على المجتمع المسلم الذى لم يعرف أبدا فصلا بين الدين و الدولة . و ما الدولة إلا كون الله الذي ينبغي أن يحكم بشرع الله ، و لكنها داء جلبه لنا اليهود و النصارى . و صنعوا له

---

(١) د/ عبد العظيم المطعني ، افتراءات المستشرقين على الإسلام صـ١٣٢ ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٢م ، مكتبة وهبة ، القاهرة
(٢) جولد زيهر ، العقيدة و الشريعة فى الإسلام صـ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٧ ، الطبعة الأولى ١٩٤٦م ، دار الكاتب المصرى ، القاهرة .
(٣) جوستاف جرونباوم ، حضارة الإسلام صـ١٨٥ ، ترجمة عبد العزيز جاويد و زميله ، بدون ط بدون ت ، مكتبة مصر ، القاهرة .

الصنائع من أبناء المسلمين الذين قاموا يدافعون عن مثل هذه الفرى و يزعمون بأن الإسلام دعوة روحية و من أمثال هؤلاء الشيخ علي عبد الرازق الذي كان يقول :(لم يبق أمامك بعد الذي سبق إلا مذهب واحد . ذلك هو القول بأن محمدا صلى الله عليه و سلم ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك و لا دعوة دولة و أنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ملك و لا حكومة .

و أنه صلى الله عليه و سلم لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة و مرادفاتها . و ما كان إلا رسولا كإخوانه من الخالين من الرسل و ما كان ملكا و لا مؤسس دولة و لا داعيا إلى ملك ... و يستشعر الشيخ شناعة دعواه فيحاول أن يمعن في التمويه . فيقول : قول غير معروف . و ربما استنكره سمع المسلم بيد أن له حظا كبيرا من النظر و قوة الدليل ..)[1]

و لنبدأ أولا بكتاب الله تعالى الذي يقرر حاكمية الإسلام التي ينبغي أن تفرض سلطانها على العالم كله فضلا عن المجتمعات الإسلامية يقول الله تعالى :

﴿ و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله " الأنفال ٣٩ .

﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله و الرسول ...﴾ النساء ٥٩ .

﴿ و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب و مهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا و لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة و لكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون و أن احكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم و إن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " المائدة ٤٨-٥٠

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله و لا تكن للخائنين خصيما ﴾ الناس ١٠٥ .

و أما الأحاديث النبوية الشريفة ففيها ما يشفي قلب المسلم من الأدلة عل حاكمية الإسلام . أقتبس منها ما يأتي :-

---

(١) د/ عبد الستار فتح الله سعيد ، المنهاج القرآني في التشريع ص٥٢٧ ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٢م ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة .

" خيار أئمتكم الذين تحبونهم و يحبونكم . وتصلون عليهم ويصلون عليكم . و شرار أئمتكم الذين تبغضونهم و يبغضونكم و تلعنونهم و يلعنونكم . قال : قلنا يا رسول الله أفلا ننابزهم قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة . لا ما أقاموا فيكم الصلاة " رواه مسلم)[1]

(عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ اسمعوا و أطيعوا و إن استعمل عليكم عبد حبشي كأنه رأسه زبيبة "

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية "

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :السمع و الطاعة على المرء المسلم فيما أحب و كره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة "

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :إنكم ستحرصون على الإمارة و ستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة و بئست الفاطمة "

عن عبيد الله بن زياد عن معقل بن يسار في مرضه الذى مات فيه قال : إن محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ سمعت النبي ﷺ يقول : ما من عبد استرعاه الله رعية فيم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة "

و فى رواية :" ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت و هو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة ")[2]

و أما الأحاديث التى وردت فى اشتراط النسب القرشي لم ينتصب لمنصب الإمامة فمنها

و (عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله فى النار على وجهه ما أقاموا الدين)[3] .

و بعد هذا البيان الشافى الكافى تأتى ثلة مريضة العقل تدعى أن الإسلام دعوة روحية و أنه لا تدخل له فى مجالات الحياة .

بل إن السخف يصل بمثل المستشرق " كازانوفا " (و هو من أصل يهودى حتى قال : إن محمدا ﷺ لم يعين خليفة له لأنه كان يعتقد أن القيامة ستقوم فى حياته . أو بعد موته مباشرة . جاء ذلك فىكتابه " محمد و نهاية العالم " ويمضى " كازانوفا " فيقول : إن أصحاب النبى كانوا مثله فى ذلك

---

[1] د/ رءوف شلبي ، الدعوة الإسلامية فى عهدها المدنى صـ٥٣،٥٥ ، بدون ط بدون ت ، مطبعة الفجر الجديد ، القاهرة .

[2] صحيح البخارى بشرح السندى مجلد٢ جـ٤ صـ٢٢٣ .بدون ط بدون ت ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

[3] صحيح البخارى بشرح السندى مجلد٢ جـ٤ صـ٢٢٣ .بدون ط بدون ت ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

الاعتقاد و لذلك أحسوا بالحرج لما توفي النبي و لم تقع الساعة فكان لا بد من البحث عن مخرج من ذلك الحرج ويتطوع كازانوفا بوهمه المريض الحاقد فيقول : إن ذلك المخرج كان في اضطرار أبي بكر إلى اختراع آيتين أضافهما إلى القرآن :

إحداهما : ﴿ و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر ا لله شيئا و سيجزى ا لله الشاكرين ﴾ آل عمران ١٤٤ .

و الثانية : ﴿ إنك ميت و إنهم ميتون ﴾ الزمر ٣٠ .)[١] .

و أظن أنه لو كان يعلم بآية سورة الأنبياء ﴿ و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ الأنبياء ٣٤ .

غير أن هذا الانحراف لا يعني قلب الحقائق عند الموضوعيين في هذا المسألة من المستشرقين

يقول " برنار لويس" في كتابه " لغة السياسة في الإسلام (و نحن في العالم الغربي عندما نستخدم كلمة إسلام و إسلامي نقع عمدا في خطأ طبيعي و نفترض أن الدين يعني عن المسلمين ما يعنيه عندنا في المجتمع الغربي حتى في العصور الوسطى . و أنه يعني جزءا مستقلا و منتزعا من الحياة يتعلق بأمور معينة .و أنه منفصل أو على الأقل قابل للانفصال عن شئون الحياة التي تتعلق بأمور أخرى .

إنه ليس كذلك في العالم الإسلامي و لم يكن كذلك قط في الماضي ، أما المحاولات التي تمت في العصر الحديث لكي تجعل الأمر هكذا فيمكن النظر إليها و على مدى تاريخها الطويل كنوع من الانحراف غير الطبيعي)[١] .

إن الإسلام نظام شامل لم يدع صغيرة و لا كبيرة من شئون الحياة إلا و قعد لها القواعد و قنن لها القوانين (و شمول الإسلام لشؤون الحياة و سلوك الإنسان لا يقبل الاستثناء و لا التخصيص فهو شمول تام .... بخلاف المبادئ و النظم البشرية فإن الواحد منها له دائرته الخاصة التي لا نظم شؤونها .

و فيما يلي بيان شمولية الإسلام :

---

[١] د/ عبد العظيم المطعني ، افتراءات المستشرقين على الإسلام صـ١٨٨ بتصرف ، مرجع سابق .

[١] برنار لويس ، لغة السياسة في الإسلام صـ١٠ ترجمة إبراهيم شتا ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م دار قرطبة .

تنقسم أحكام الإسلام بالنسبة لما تتعلق به إلى الأقسام الآتية :-

أولا : أحكام العقيدة الإسلامية . و هي تتعلق بأمور العقيدة كالإيمان بالله و اليوم الآخر و هذه هي الأمور الاعتقادية .

ثانيا : أحكام الأخلاق . و هي المتعلقة بما يجب أن يتحلى به المسلم . و ما يجب أن يتخلى عنه كوجوب الصدق و حرمة الكذب .

ثالثا : أحكام تتعلق بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه . كالصلاة و الصيام و غيرها من العبادات .

رابعا : أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم و هذه عل أنواع :

أ- أحكام الأسرة من نكاح و طلاق و إرث و نفقة .. إلخ و تسمى في الاصطلاح الديث بأحكام الأسرة أو قانون الأحوال الشخصية .

ب- أحكام تتعلق بعلاقات الأفراد و معاملاتهم كالبيع و الإجارة و الرهن و الكفالة . و هي التي تسمى في الاصطلاح الحديث بأحكام المعاملات المالية أو بالقانون المدني .

جـ- أحكام تتعلق بالقضاء و الدعوى و أصول الحكم والشهادة و اليمين والبينات و هي تدخل فيما يسمى اليوم بقانون المرافعات .

د- أحكام تتعلق بمعاملات الأجانب غير المسلمين عند دخولهم إلى إقليم الدولة الإسلامية . و الحقوق التي يتمتعون بها و التكاليف التي يلتزمون بها . و هذه الأحكام تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي الخاص .

هـ- أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم و الحرب . و تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي العام .

و- أحكام تتعلق بنظام الحكم و قواعده . و كيفية اختيار رئيس الدولة . و شكل الحكومة . و علاقات الأفراد بها . و حقوقهم إزاءها . و هي تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدستوى .

ز- أحكام تتعق بموارد الدولة الإسلامية و مصارفها . و تنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة . و بين الأغنياء و الفقراء . و هي تدخل في القانون المالي و بمختلف فروعه .

جـ- أحكام تتعلق بتحديد علاقة الفرد بالدولة من جهة الأفعال المنهى عنها و الجرائم و مقدار عقوبة كل جريمة ، و هذه تدخل يسمى اليوم بالقانون الجنائي و يلحق بهذه الأحكام الإجراءات التي تتبع

في تحقيق الجرائم و إنزال العقوبات بالمجرمين و كيفية تنفيذها . و هي تدخل فيما يسمى اليوم بقانون تحقيق الجنايات و بقانون المرافعات الجزائية)[1] .

و يقول الشيخ مناع القطان : (إن مصادر الشريعة الإسلامية مصادر ثرة تفي بحاجات البشرية في كل عصر و مصر . و قد انتشرت هذه الشريعة في أنحاء الدنيا و دخل تحت سلطانها و نفوذها أجناس البشر . فوسعت بمصادرها و قواعدها العالم الإسلامي الممتد في أطراف المعمورة . و عالجت مشكلاته على اختلاف البيئات . و ما عجزت في يوم من الأيام عن أن تقدم لكل سؤال جوابا . و لكل معضلة فتوى . و لكل قضية حكما .)[2] .

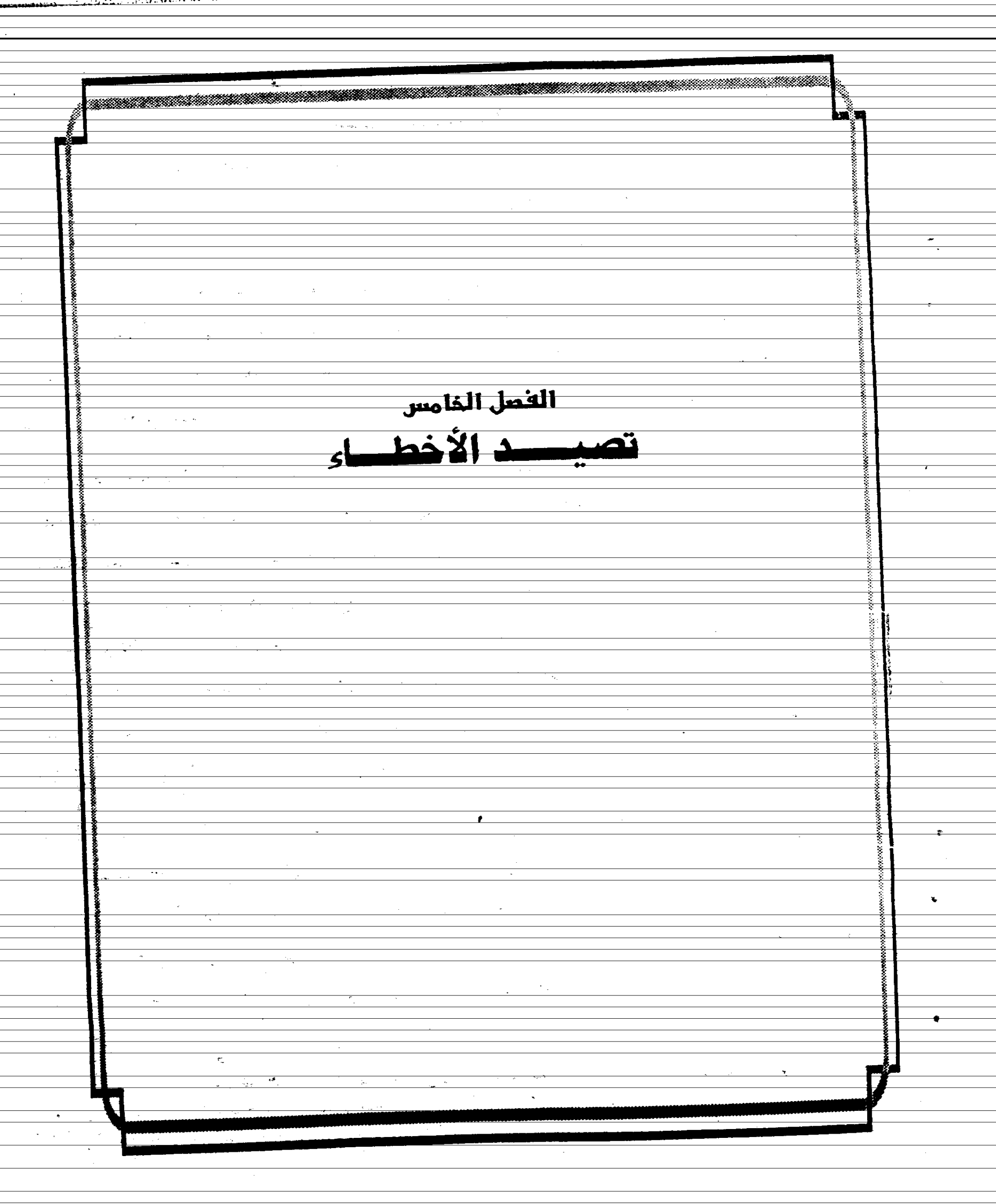
إلا أن أعداء الإسلام . الكارهين لكل جميل من القول أو النظم في هذا الدين . يكرهون أن تبقى مبادئ الإسلام هكذا دون أن ينثروا عليها من أذاهم . إلا أن الله تعالى يدمغ كل قائم ضد دعوة الله تعالى . يظن أنه يطفئ نور الله . يدمغه الله تعالى بقوله عز من قائل : ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون و الذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ الأنفال ٣٦ .

و يقول تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون ﴾ الصف١٤ .

---

(١) د/عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة صـ٥٢ : ٥٤ ، الطبعة الخامسة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م ، دار الرسالة ، بيروت ،سوريا .

(٢) الشيخ / مناع القطان ، وجوب تحكيم الشريعةالإسلامية صـ٦٧ ، بدون ط بدون ت ، دار التوزيع والنشر ، القاهرة.



الفصل الخامس

تصيـــد الأخطــاء

الفصل الخامس

تصيد الأخطاء

تلك المحنة التي عصفت بالمجتمع المسلم في المدينة المنورة . فمحص الله بها الصف المسلم . و كشف للمسلمين جانبا من بشرية الرسول – صلى الله عليه وسلم – و هو ينتظر كالناس القول الفصل من الله في تلك الحادثة . و تعلم المسلمون درسا مُهمًا . و هو ألا يسيروا خلف كل ناعق . و لكن :

﴿ ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ الحجرات ٦ .

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا و الآخرة ﴾ النور١٩ .

و طبيعي جدا إذا احتملت قضية في تاريخنا الإسلامي وجهين . أن يوجد من المستشرقين من يحملها على الوجه المظلم المُشين .

و حيال هذه الحادثة ، وُجد من المستشرقين . من أكدوا لنا سوء الظن بهم . يقول "ر.ف.بودلى"* ذاكرا موقف السيدة عائشة بعد أن عادت بقلادتها و قد فقدت القافلة :(فالتفت في جلبابها . و استظلت تحت شجرة ثم نامت . فلما استيقظت كانت الشمس مرتفعة في السماء . و لم تكن وحيدة . كان ينظر إليها من فوق هجين مرتفع . شاب وسيم . ففركت عينيها . فابتسم الشاب . ثم أناخ بعيره . و قال : إنه صفوان بن المعطل ، و لم تُقدِّم عائشة نفسها له . تبعا لما روت القصة ... سألها صفوان ، ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط صحراء العرب . فشرحت له عائشة الأمر . فضحك صفوان ، ثم عرض عليها بعيره ، ليقودها إلى المدينة . فقبلت عائشة . فساعدها صفوان على الركوب ، ثم انطلقا ....

و أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة ، يقوده شاب وسيم جميل . و كانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر ، و أُنيخ البعير أما مدخل دارها ، فنزلت عائشة . و ابتسمت لصفوان . و دلفت إلى الدار ، دون أن تحس أنها عرضة للانتقاد . كأنما اعتادت السفر في الصحراء مع شبان أغراب)[1]

و لست أدري من أين أتى " بودلى " بهذا السيناريو " الذى عرضه آنفا ؟! ففي الحديث الطويل الذى يروى تلك الحادثة عند الإمام البخاري ، في نفس المساحة التي عرضها " بودلى " تقول السيدة عائشة

---

* بودلى ، ر.ف . إنجليزي من آثاره الرسول حياة محمد ، قد آمن في مقدمته بسلامة العقيدة الإسلامية و ضل من بعد في تفسير الزكاة و الجنة و النار و القضاء و القدر " لندن ١٩٤٦م . العقيقي جـ٢ صـ٩٥ .

(١) ر.ف.بودلى – الرسول صـ١٩٦،١٩٧ ، مرجع سابق .

- رضي الله عنها - : (فجئت منازلهم . و ليس بها داع و لا مجيب . فأممت منزلى الذى كنت به . و ظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلى . فبينما أنا جالسة فى منزلى . غلبتنى عيناى . فنمت . و كان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني . من وراء الجيش . فأدلج . فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم . فأتاني فعرفنى حين رآنى . و كان يرانى قبل الحجاب . فاستيقظت باسترجاعه* حين عرفني . فخمرت وجهى بجلبابى . و الله ما كلمنى كلمة . و لا سمعت منه كلمة غير استرجاعه . حتى أناخ راحلته . فوطئ على يديها فركبتها . فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش . بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة . فهلك من هلك**)[1]

إذاً لم يقف صفوان ناظرا إليها مبتسما . و لا فركت عائشة عينيها حين رأته واقفا عليها مبتسما . و لم يسألها عن سبب تخلفها عن الجيش . و لم يضحك عندما أخبرته خبرها . و لم يساعدها فى ركوب الناقة . و لم يوصلها إلى بيتها . و لم تضحك له و هى داخلة بيتها .

كل هذه اللقطات التى افتراها " بودلى " و التى و لا شك تعطى انطباعا سيئا للغاية عن السيدة عائشة رضى الله عنها و عن صفوان بن المعطل رضى الله عنه .

هذه اللقطات . افترتها نفس تكره الجو الصافى للقصة . كما جاءت به أوثق المصادر الإسلامية . التى ينبغى أن تكون مرجع " بودلى " و أمثاله . و التى أهملها متعمدا . و تفضل علينا بهذه الرواية التى حشاها بحقده على الإسلام و رسول الإسلام .

و استمرارا لمسلسل التشويه يقول :" بودلى " (و إن السؤال الذى يظهر أنه لم يجد الجواب العملى المعقول بعدُ هو : هل كانت عائشة بريئة ، أم غير بريئة ؟ كانت جمنة بنت جحش . تصر دائما على أن مقابلة عائشة لصفوان كانت مدبرة . فلعلها كانت تتألم من الثمانين جلدة . و حتى لو كان الأمر كذلك . ففى رواية عائشة نقاط ضعيفة . كيف تنطلق دون أن تخبر أحدا . و هى تعلم أن القافلة وشيكة الرحيل ، ثم تضيع وقتا طويلا فى البحث عن قلادتها ؟ إن عنصر الوقت هنا هام . إن

---

* الاسترجاع : قول : إنا لله و إنا إليه راجعون . و فى السير أن حمنة بنت جحش نُعِيَ لها أخوها عبد الله بن جحش فى غزوة أحد فاسترجعت و استغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة فاسترجعت و استغفرت له ..." . الرحيق المختوم صـ٢٤٥ .

** تعنى السيدة عائشة بذلك : الذين خاضوا فى هذا الأمر ، و روجوا للقول المشبوه ، بعلاقتها بصفوان بن المعطل ، و كان منهم السيدة حمنة بنت جحش و مسطح بن أثاثة و حسان بن ثابت . رضوان الله عليهم أجمعين .

[1] صحيح البخارى بحاشية السندى جـ٣ صـ١٣٦، ١٤٦ . مرجع سابق .

المعسكر العربي يحتاج إلى وقت لرفعه . و بخاصة معسكر كبير ... . و حتى إذا ما سارت المجموعة الرئيسية من الجمال في طريقها . فهناك الساقة . و قلما يتحرك قطار الإبل سريعا . فإنه ليقطع ميلين في الساعة . و على ذلك فمعنى عودة عائشة إلى المعسكر . و لم تجد أثرا للقافلة . و لا أثرا للساقة . و لا أثرا لمئات الرجال والدواب في بلاد مكشوفة حتى الأفق . معنى ذلك أن عائشة قد استغرقت على الأقل ساعتين في البحث عن قلادتها . و لقد نامت بعد ذلك كما قالت . فلنفرض أن غفوتها . لم تزد على ساعة . حيث ظهر صفوان بعد ثلاث ساعات من مسيرة محمد و جنوده . فكيف عرف صفوان عائشة بالنظر . و خصوصا أنه حسب ما جاء في قوله في المدينة بعد ذلك . لم تقع عيناه عليها من قبل ؟

إن رواية عائشة إما أنها بسيطة و صادقة . حتى أنها لتبدو غير محتملة . و إما أن صفوان و القلادة شئ واحد و نفس الشئ ...

إن الأمر جميعه غير واضح . و إننا لن نعرف الصواب أبدا . و كما كان صديقي مدني يقول عندما كنا نناقش البراهين التي تؤيد و تدحض الوسائل الإسلامية المعارضة للوسائل المسيحية في تناول المرأة . فهناك ثلاثة أشياء لا يراها إلا الله وحده : هي أثر السمك في الماء . و أثر الطير في الهواء . و أثر الرجل في المرأة "

و كانت عائشة بعد ذلك بسنين تقول : إن صفوان قد ظهر أنه كان حصورا لا يأتي النساء . أفهذه ملاحظة شريكة بريئة . أم شريكة مذنبة . أم هذه روح دعابة طروب)[١] .

و قبل أن أورد ردودا على هذه الاستنتاجات الدقيقة التى استخلصها السيد " بودلى " لا بد و أن نورد ما قاله السير " وليم موير "* و هو من المتحاملين على الإسلام في بعض مواقفه يقول :(إن حياة عائشة قبل هذا الحادث و بعده تدعونا إلى النطع ببراءتها . و عدم التردد في دحض أية شبهة أثيرت حولها)[٢]

---

[١] ر.ف.بودلى الرسول صـ٢٠١ ، ٢٠٢ بتصرف . مرجع سابق .

* وليم موير -١٨١٩- ١٩٠٥م اسكتلندى تعلم الحقوق جلاسجو و أدنبره . من آثاره " سيرة النبى ، و التاريخ الإسلامى ١٨٥٦- ٦١ - ٩٥ فى أربعة أجزاء . و له " مصادر الإسلام لندن ١٩٠١ م . العقيقى جـ٢ صـ٥٩ .

[٢] المرجع السابق . هامش صـ٢٠١ .

لقد سقطت قلادة السيدة عائشة رضى الله عنها مرة ثانية في هذه الغزوة – غزوة بني المصطلق–
كما رجح ذلك الإمام ابن حجر في الفتح جـ١ صـ٣٤٣ . أو في غزاة أخرى حسب ما رجحه ابن القيم
في زاد المعاد جـ٢ صـ١٦٤ . و على كلا الرأيين . فإن الجيش ظل فترة يبحث عن قلادة السيدة
عائشة رضى الله عنها . و عليه فلا عجب أن تبقى السيدة عائشة فترة طويلة تبحث عن قلادتها .
و هي منفردة . و أما كونها لم تخبر أحدا بذهابها للبحث عن القلادة . فلأنها لم تظن أنهم قد
يذهبون و يتركونها . ولم يدخل في روعها أنهم سيقعون في هذا الخطأ و سوء التقدير . حيث ظنوها
في الهودج و لم تكن هناك . و ما أدراها أن القلادة ستقع و تبحسها هذا الوقت عن اللحاق بالجيش

و أما كيف عرفها صفوان بن المعطل . و هو لم يرها من قبل ؟ فإن ذلك حسب ما لفّقه " بودلي " أما
الروايات الثابتة عن السيدة عائشة . فتخبرنا أن صفوان كان يراها قبل فرض الحجاب . و هو إنما
رآها و هي نائمة . فلما استرجع و سمعته خمرت وجهها . و كان استرجاعه بداية الحديث و نهايته
و أما قولها : إن صفوان كان حصورا . فذلك لأن زوجته (قد شكته إلى النبي صلى الله عليه و سلم
و ذكرت له ذلك ، و لا غرابة و لاتهمة في أن علمت عائشة بذلك)[1] .

و لكن هذه الأجواء الطاهرة . لا ترضى نفوس طائفة من المستشرقين . فها هو أحدهم يقول :(و من
المحتمل أن هذه الصداقة – بين رسول الله و أبي بكر – ما كانت لتفصمها تلك الفضيحة التي أثارتها
هذه المرأة الصغيرة الطائشة – يقصد السيدة عائشة رضى الله عنها و حاشاها – حتى و لو لم يختمها
القرآن بهذه الخاتمة الموفقة)[2] .

و يقول " سفارى " على لسان السيدة عائشة (كان بحثي موفقا . إذ عثرت على عقدي . فرجعتُ
مسرورة إلى حيث كنت قدْ تركتت مركبتي . فلم أجد أثرا لأحد . فأخذت أنادي . فلم أجد مجيبا .
فملأتُ الدنيا صراخا ، فلم يسمعني أحد . فكنت آمل أن يعودوا لحملي . فخاب أملي . و تعبت
من الصراخ و الانتظار ، و جلست فغشيني النعاس ، و كان صفوان الذي يقاسمني همومي . قد بقي
في مؤخرة الجيش ...

---

[1] المرجع السابق هامش صـ٢٠٢ .

[2] بول F.Buhl – دائرة المعارف الإسلامية جـ١ صـ٣١٢ . مرجع سابق .

كانت عائشة تدافع عن نفسها . أمام زوجها . و أمام أبيها أبى بكر و أمها أم رومان . و كانت شابة . و جميلة و بليغة . فرجحت حجتها . و سُرَّ محمد بأن وجدها بريئة . فقد كان يحبها . و رغبة منه فى ألا يترك أى شك فى سلوكها . أو أية شبهة على سمعتها أنزل ؟ سورة النور التى تعلن براءتها فى وضوح)[1] .

للمرء أن يسأل : كيف يبحث أمثال هؤلاء المستشرقين . و أى قواعد بحثية يتبعها هؤلاء الذين يستحلون التشويه و التغيير فى النصوص و التخيل و التوهم حسب أهوائهم المريضة ؟ و من أين أتى " سفارى " و " بودلى " بهذه الروايات الغريبة ؟ و أين هم من الروايات التى عجت بها كتب السيرة و كتب التفسير ؟

يقول " مونتجمرى وات " :(و جلست عائشة تنتظر حتى عثر عليها آخر الأمر . شاب جميل هو صفوان بن المعطل السلمى . فعاد بها فى حراسته إلى المدينة . و كان ذلك منها زلة كبيرة . فى الظروف التى كانت سائدة آنذاك)[2] .

لقد أراد الحق سبحانه أن يرى الناس جانبا من بشرية الرسول – صلى الله عليه و سلم – و هو يتعامل مع الأحداث بعيدا عن الوحى الإلهى . و يظهر ذلك مما أجتزأه من الحديث الطويل عن السيدة عائشة رضى الله عنها :(يريبنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله . اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل على رسول الله ، فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف . فذاك الذى يريبنى...

فدعا رسول الله – صلى الله عليه و سلم – على بن ابى طالب و أسامة بن زيد رضى الله عنهما . حين استلبث الوحى ، يستأمرهما فى فراق أهله ...

فقال رسول الله و هو على المنبر : يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى ، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيرا ، و لقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، و ما كان يدخل على أهلى إلا معى ...

---

(١) السيرة النبوية و كيف حرفها المستشرقون صـ١٥١، ١٥٢ . بتصرف . مرجع سابق .

(٢) مونتجمرى وات دائرة المعارف الإسلامية . جـ١٥ صـ٤٣٢ . مرجع سابق .

ثم قال : أما بعد يا عائشة . فإنه قد بلغني عنك كذا و كذا . فإن كنت بريئة فسيبرئك الله .

وإن كنت ألمت بذنب . فاستغفري الله و توبى إليه . فإن العبد إذا اعترف بذنبه . ثم تاب إلى الله تاب الله عليه)[١] .

فالسيدة عائشة لم تدافع عن نفسها كما قال " سفارى " بل فوضت الأمر لله و كما جاء فى بعض الروايات أنها قالت : و لكن أقول كما قال أبو يوسف – أنساها الحزن اسم سيدنا يعقوب فعزب عن تفكيرها – ﴿ فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون ﴾ يوسف ١٨ .

و لم يكن رسول الله سعيدا بفصاحتها . و قدرتها على تبرئة ساحتها كما افترى السيد " سفارى " فهى لم تدافع عن نفسها أصلا .

و لو أن محمدا هو الذى ينزل القرآن كما افترى . لحل هذه المعضلة فى مهدها . و لما عاش ما يقرب من الشهر فى أخذ ورد ، و استشارة و عتاب و استتابة ، و غير ذلك من التصرفات البشرية الطبيعية التى هى أصدق دليل على أن هذا القرآن من عند الله . و أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – لم ينزل قرآنا يبرأ به ساحة زوجته . كما افترى أيضا السيد " سفارى" .

إننا لو وضعنا غربيا – ممن لا يكترثون بسلوك زوجاتهم . و ممن يتخذون الخلائل و البغايا كما نتخذ نحن المسلمين الزوجات بسنة الله ور سوله – فى هذا الموقف لما سعى إلى تبرئة زوجته . فكيف بعربى كريم الأصل ، طاهر الأرومة ، فضلا عن أن يكون رسول رب العالمين .

لقد كان هذا الموقف كما قال الله تعالى :﴿ لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ﴾ النور ١١

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى ﴾ فصلت ٦ .

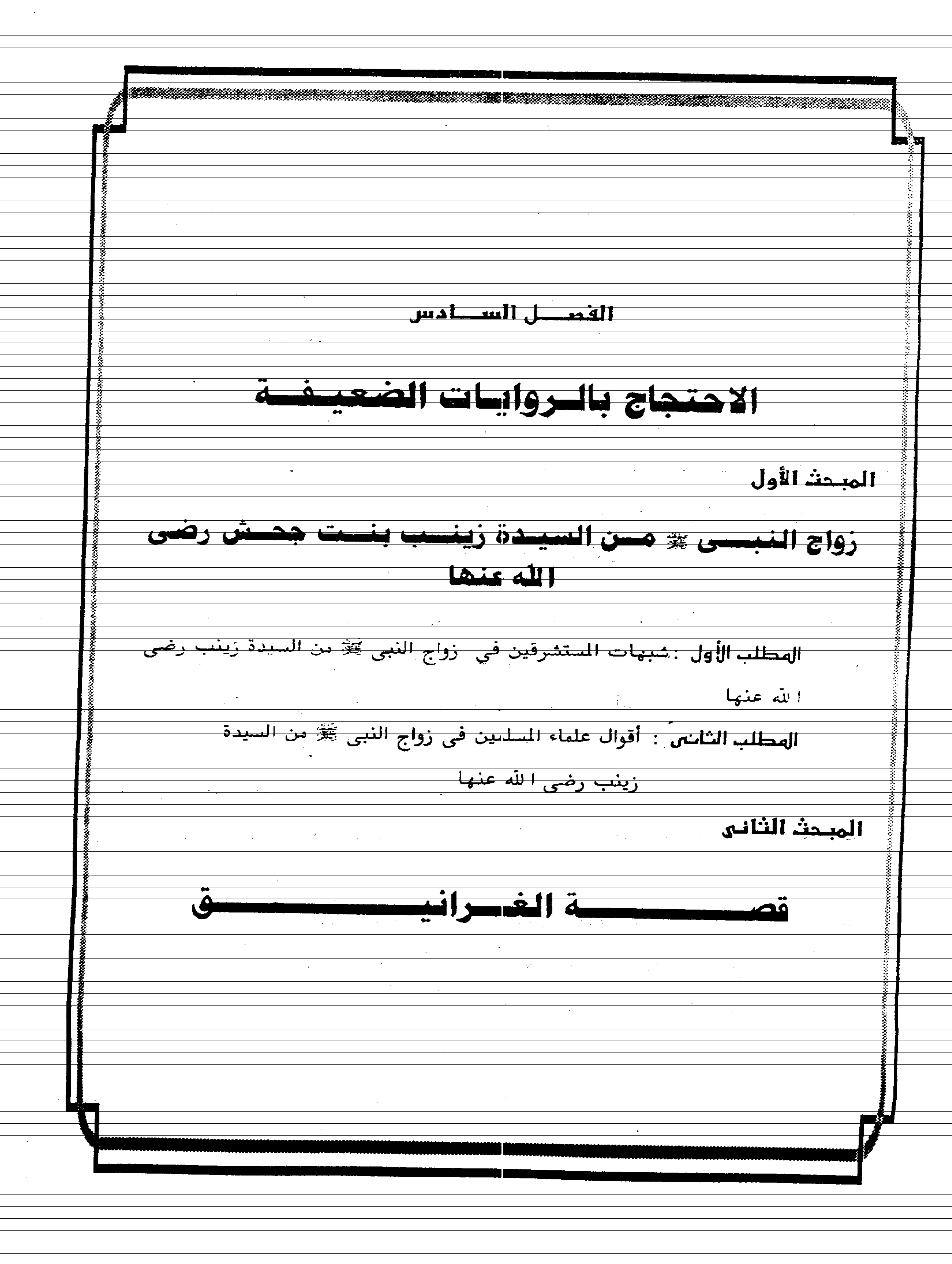
فإنه بعيدا عن مجال الوحى ، ليس رسول الله إلا بشرا كالبشر يتصرف كما يتصرفون . و يصيبه ما يصيب الناس .

و لكن المنهج الذى يتبعه هؤلاء يؤكد ما نذهب إليه من تلمسهم لمواطن الضعف التى تختلقها أفكارهم الكليلة و بصائرهم الحاقدة على الإسلام ، و فى الوقت الذى يستحلون فيه الشك فى السيدة عائشة رضى الله عنه نجد منهم – كما سبق فى مبحث التهويل – من يدافعون عن أهل العرى و الفجور صراحة .

و يصفهم بأهل العقل و اللباقة و الذكاء و أصحاب الذوق السليم !!!

---

(١) صحيح البخارى جـ٣ صـ١٦٤ ، ١٦٥ . بتصرف ، مرجع سابق .



الفصل السادس

الاحتجاج بالروايات الضعيفة

المبحث الأول

زواج النبى ﷺ من السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها

المطلب الأول :شبهات المستشرقين في زواج النبى ﷺ من السيدة زينب رضى الله عنها

المطلب الثانى : أقوال علماء المسلمين فى زواج النبى ﷺ من السيدة زينب رضى الله عنها

المبحث الثانى

قصة الغرانيق

الفصل السادس

الاحتجاج بالروايات الضعيفة

لقد ابتلي الإسلام في بعض أدواره التاريخية . بطائفة من الجهلة المنتسبين إليه . و الذين استهواهم التفاف الناس من حولهم . و حاولوا الحفاظ على تلك الجماهيرية . فتفننوا في تأليف القصص و نسبتها إلى المعصوم – صلى الله عليه و سلم – .

و طائفة من الذين التحفوا الإسلام . و استبطنوا الكفر . مخفين حقدهم على هذا الدين . فوضعوا أحاديث زورا و بهتانا . و نسبوها إلى رسول الله ﷺ .

و لكن الله تعالى قيَّض لهذا الدين " صيارفة الحديث * " الذين فرقوا بين ألَق النبوة الزاهي . و بين الافتراء و الزيف و الضلال . و قامت علوم الحديث كالمصفاة التي تفرق بين ما هو نبوي سماوي . و بين ما هو بشري أرضي .

و ظهرت كتب الحديث المعتمدة . التي يعول عليها في الاستدلال . و استنباط الأحكام . و قُسّم الحديث إلى قسمين :–

١– متواتر و هو مارواه في كل طبقة جمع يُؤمن تواطؤهم على الكذب .

٢– آحاد و هو ما لم يبلغ حد التواتر . و ينقسم باعتبار طرق نقله إلى مشهور و عزيز و غريب .

و ينقسم الآحاد باعتبار الصحة و الضعف إلى صحيح و حسن و ضعيف .

و اصطُلح بين جهابذة السنة ، و صيارفة الحديث . على أن الحديث الضعيف لا ينهض للاستدلال به على تحليل أو تحريم ، فضلا عن أن يعمل به في ما يتعلق بالإلهيات أو النبوات أو السمعيات من أحوال القبور و يوم القيامة ، و ما فيه من حشر و نشر و ميزان و صراط و جنة و نار .

بل يجوز العمل به في فضائل الأعمال . و ذلك بشروط فلقد (قال العلماء من المحدثين و غيرهم : يجوز و يستحب العلم في الفضائل و الترغيب و الترهيب بالحديث الضعيف . ما لم يكن موضوعا . و في معناه شديد الضعف ، فلا يجوز العلم بخبر من انفرد من كذّاب و متهم .

و بقي للعمل بالضعيف شرطان : أن يكون له أصل شاهد لذلك . كاندراجه تحت عموم أو قاعدة كلية ، و أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط . أما الأحكام كالحلال

---

* اقتبست هذا التعبير (صيارفة الحديث) من كتاب الأستاذ الدكتور / محمد محمد أبو شهبه ، دفاع عن السنة ضد شُبَه المستشرقين و الكُتّاب المعاصرين .

و الحرام و البيع و النكاحو الطلاق . و غير ذلك . فلا يعمل فيها إلا بالصحيح أو الحسن)[١]

(قال الحافظ " السخاوى " فى القول البديع بعد ذكر المسألة و خلاف القاضى أبى بكر بن العربى فيها إذ جزم بعدم جواز العمل بالضعيف مطلقا و قال سمعت شيخنا " أى الحافظ ابن حجر " مرارا يقول – و كتبه لى بخطه – : أن **شرائط العمل بالضعيف ثلاثة** : **الأول** : متفق عليه أن يكون الضعف غير شديد . فيخرج من انفرد من الكذابين و المتهمين بالكذب . و من فحش غلطه .

الثانى: أن يكون مندرجا تحت أصل عام . فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا .

الثالث : ألا يعتقد عند العمل به ثبوته . لئلا ينسب إلى النبى – صلى الله عليه و سلم – ما لم يقله

قال : و الأخيران عن ابن عبد السلام و عن صاحبه ابن دقيق العيد . و الأول نقل العلائى الاتفاق عليه)[٢] .

بل لقد افترق علماء المسلمين فريقين فى مسألة العمل بأحاديث الآحاد . – ما عدا الضعيف قطعا– فى مجال العقائد . و قامت فى هذا الصدد معارك كلامية ، بين المؤيدين و المعارضين ، ظهر ذلك فى مسائل منها : المهدى المنتظر . نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان . ومسألة رفعه إلى السماء . أو وفاته على الأرض .

و على الرغم من هذه الدقة المتناهية ، و الاحتياط الشديد فى إثبات الأحاديث للمعصوم – صلى الله عليه و سلم – و ما يترتب على هذا . من جواز العمل بالحديث حسب درجته على ما بَيَّنَّا آنفا . إلا أننا نجد ثُلة من المستشرقين . يسْطون على مقام النبوة الكريم . ضاربين بأمانة البحث عرض الحائط مهللين لما يقدح فى جناب النبوة الشريف . و لو كان سقيما عليلا . مغرقين بأذهانهم فى تخيل ما ينال من النبى – صلى الله عليه و سلم – .

ظهر ذلك فى مسائل كثيرة . أكتفىْ منها هنا بمسألتين :

أولا : زواج النبى صلى الله عليه و سلم من السيدة زينب بنت جحش .

ثانيا : قصة الغرانيق

---

(١) الإمام محى الدين أبو زكريا يحى بن شرف النووى الدمشقى الشافعى – الأذكار صـ٧،٨ بتصرف . مكتبة زهران – القاهرة .

(٢) الشيخ على محفوظ – الإبداع فى مضار الابتداع صـ١٤٢ ،١٤٣ . الطبعة الخامسة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦ م دار الاعتصام – القاهرة .

المبحث الأول

زواج النبى ﷺ من السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها .

يقول الله تعالى ﴿ و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا و إذ تقول للذى أنعم الله عليه و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا و كان أمر الله مفعولا ﴾ الأحزاب ٣٦، ٣٧ .

فى تلك المساحة القرآنية – و يضاف إليها الآيتين الرابعة و الخامسة من نفس السورة –﴿ ... و ما جعل أدعياءكم أبناءكم ذالكم قولكم بأفواهكم و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا ءاباءهم فإخوانكم فى الدين و مواليكم و ليس عليكم جناح فيما أخطأتم بـه و لكن ما تعمدت قلوبكم و كان الله غفورا رحيما ﴾ عالج القرآن تلك قضية التبنى من خلال هذه الآيات . و لحكمة إلهية . أعقبت الآية السادسة الثلاثين من السورة الآية السابعة و الثلاثون .﴿ و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا و إذ تقول للذى أنعم الله عليه و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى فى نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا و كان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ .

و كأن الله تعالى جعلها تقدمة لإزالة عرف سائد ، بحكم شرعى جديد . فزوج رسولُ الله متبناه و مولاه زيدَ بن حارثة ، من القرشية أصيلة الأرومة السيدة زينب بنت جحش بأمر الله تعالى . و سوف نأتى على هذه القصة بعد العرض لشبهات المستشرقين

المطلب الأول

شبهات المستشرقين حول زواج النبى ﷺ من السيدة زينب رضى الله عنها

فى دائرة المعارف الإسلامية :(و فى العام الرابع من الهجرة رأى النبى زينب . و كان قد استدعى زيدا إلى بيته ، فأعجب بها و أحبَّها ، و طلقها زيد ليتزوج منها النبى . و قد نزل الوحى بما بدد شكوك النبى . سورة الأحزاب الآية ٣٦ : ٣٩ . و كان مهر زينب أربعمائة درهم ...

وقد هولت الدعاية المسيحية في حادث شغف الرسول بزوجة متبناه ... و حاول المحدثون من كتاب السير المسلمين و المفسرين . إظهار هذا الحادث في ثوب لائق . مثال ذلك " محمد عبده* " في " تفسير الفاتحة و مشكلة القرآن" . القاهرة سنة ١٣٣٠ هـ في الفصل المُعَنْوَن " توضيح مسألة زيد و زينب . صـ٢٤٩ : ٢٥٠)[1] .

و قال سفاري :(و ذات يوم ذهب محمد إلى بيت زيد . في وقت كان زيد غائبا . و رأى زوجته زينب و التي كانت أجمل نساء قريش . و كانت تضم إلى الجمال نعمة الحكمة و الذكاء . كل هذه المفاتن كانت منذ وقت طويل . قد تركت أثرا عميقا في قلب محمد ؟!

و لكن في تلك اللحظة بدت له زينب رائعة الجمال . و هي ترتدي ملابس خفيفة . تكاد لا تخفي بياض جسدها و شكله بحيث خانه تَبَرُّه . و صاح قائلا : سبحان مقلب القلوب . و انسحب بعد أن نطق بهذه الكلمات . و لكن زينب . لم تنس تعجب محمد . و نقلت عبارته إلى زوجها . و لما كان زيد رجل سياسة . فقد طلَّقها . و بعد انقضاء العدة . انتقلت إلى فراش محمد ....

و على الرغم من الوليمة الفاخرة . التي دعي إليها كبار المواطنين في المدينة . و قدمت فيها أندر المأكولات و أذكى العطور . فإن هذه الشائعات لم تتوقف . مما اضطر محمدا إلى الالتجاء إلى السماء و أنزل ؟ سورة الأحزاب)[2] .

و في نفس القصة يقول " إميل درمنجم " (و دخل محمد ذات يوم بيت زيد بن حارثة . بعد الفراغ من غزوة بني النضير ...

و كان زيد في ذلك اليوم غائبا عن بيته ، فوجد محمد نفسه تجاه زوجة زيد زينب بنت جحش . التي كانت أجمل فتيات قومها ، و كانت زينب هذه آنئذ سافرة . و شبه عارية . و عاملة على زينتها . إدارة بيتها . فأثر هذا الجمال السافر الغض الفياض في نفس النبي . فقال :" سبحان مقلب القلوب ... قصت زينب ما رأت على زوجها زيد . فارتبك كثيرا . و كان زيد المخلص لمحمد المنعم عليه . يعلم مزاجه المتَّقد ، و بدا الوضع مُحيرا للغاية ، و قال زيد في نفسه : إنه لا يستطيع

---

* الإمام الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله ، من آل التركمان "١٨٤٩-١٩٠٥م " ومن كبار رجال الإصلاح في مصر ، تولى الإفتاء في الديار المصرية ، من أشهر آثاره : رسالة التوحيد . المورد صـ٦١ .و دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ٤٤ .

[1] دائرة المعارف الإسلامية جـ١١ صـ٢٨ ،٢٩ . بتصرف . مرجع سابق .

[2] سفاري ، كلود اتين – السيرة النبوية و كيف حرفها المستشرقون – ترجمة محمد عبد العظيم علي – نقد و تحقيق و تصويب د/ عبد المتعال الجبري صـ١٤٤ ، مرجع سابق .

في هذه الأحوال أن يمسك عليه زوجه . و يمكن حمل عزم زيد على أنبل تضحية . و على عرفان الجميل . لا على طمع رخيص . أو معروف دنئ . و نرجح أن زيدا البائس المضطرب قال في نفسه : إنه ليس هناك مخرج آخر و إن الرأى أن يواجه سوء الطالع بقلب طيب . و بالعمل عن رضا . بما تدفعه الضرورة إليه . فأعرب لمحمد عن عزمه على فراق زينب .

محمد : لماذا ؟ ما هو العيب الذى تجده فيها ؟

زيد : لم أجد فيها عيبا . و لكنني لا أستطيع العيش معها .

محمد : أمسك عليك زوجك و اتق الله .

بيد أن زيدا أدرك أن الكلام لا يعبر عن الفكر . و أن محمدا أخفى ميله عن مجاملة و عن خوف من الغيب . فأصر على حل عقدة النكاح . متعللا بأنه أضحى كارها لزينب . فطلقها بعد بضعة أيام . و من يدرى ماذا كان يدور فى خلد هذه المرأة . فلما انقضت عدة زينب الحسناء . أخبرت بذلك و أرسلت إليه من يقول له : إن زيدا طلقنى من أجلك . كان محمد راغبا فى الزواج بزينب . و لكنه كان خجلا . و كان يعلم أن الشريعة تحرم زواج الأب بزوجة ابنه بالتبنى . تحريمَها زواجه بزوجة ابنه الحقيقى . و لكن الله الذى علم حيرة صفيِّه . زوَّجهُ بزينب بين الملائكة . و أوحى إليه بذلك . فَسُرَّ محمد قائلا : مَنْ يحمل لزينب هذه البشرى ؟ فغضبت عائشة فقال لها زوجها : أتعارضين أمر الله)[1] .

لقد كنت أزْمعتُ تأخير الرد فى نهاية تلك النقول عن هؤلاء المستشرقين . إلا أن أحدا لا يستطيع الصمت أمام هذا الزَّخْم* من سوء القصد و خيانة المنهجية العلمية .

لقد ظن هؤلاء المستشرقون أنهم يكتبون سيناريو و حوارا لأقاصيص خيالية . أضفوا عليها لمسات التشوية من نفوس محمومة غير سوية .

إن الكتب التى أوردت تلك الرواية الباطلة – و التى سنذكرها لاحقا – لم تذكر أبدا أن زينب كانت شبهَ عارية . و إن منطوق العقل و مفهومه . لا يقبل أن تكون المرأة عاملة على زينتها و إدارة بيتها

---

[1] إميل درمنجم – حياة محمد صـ٣٠٠ :٣٠٢ . بتصرف ، ترجمة أ/ عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩م دار إحياء الكتاب العربى – القاهرة .

* زخمه زخما : دفعه دفعا شديدا ، و زخم اللحم زخَما و زخَمَة : خبثت رائحته و أنتن . المعجم الوسيط جـ١ صـ٣٩١ .

في آن واحد . كما ذكر السيد " درمنجم " اللهم في مفهوم العقل الشاطح في أودية الخيال الشهواني .

و من قال : إن محمدا – صلى الله عليه و سلم – كان ذا مزاج متقد . كما افترى " درمنجم " ؟

و سأترك للصحفي الشهير " روجيه دو باسكويه " أن يُلقم المفترين ما يستحقون حيث يقول :

(اتهمه – و الضمير للنبي – صلى الله عليه و سلم – كثير من الغربيين بالغرق في الشهوة و اللذات الحسية . و هذا الاتهام غير صحيح . و تكذبه الحقائق . يجب أن يتذكر المرء أولا أنه ظل أكثر من عشرين سنة زوجا مثاليا لسيدة تكبره بخمس عشرة سنة . أنجب منها سته أبناء . لم يعش أحد منهم بعده إلا فاطمة التي تزوجت عليا . و أنجبا ذرية محمد . عاش بعد وفاة خديجة عدة سنوات بلا زواج في طهر و عفة حتى تزوج في الثالثة و الخمسين)[1] .

و الحق أن السيدة خديجة رضى الله عنها توفيت (في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة ولها خمس و ستون سنة . و رسول الله إذا ذاك في الخمسين من عمره ... و تزوج السيدة سودة بنت زمعة في شوال من هذه السنة)[2] .

لقد شاع في مكة حينئذ (أن محمدا قد خطب سودة بنت زمعة . فكاد ناس لا يصدقون سمعهم . فما في مثل سودة مأرب . و تساءلوا في ارتياب : أرملة مسنة غير ذات جمال تخلف خديجة بنت خويلد ؟ ... كلا لن تخلف سودة أو سواها خديجة . و إنما تجيء إلى بيته – صلى الله عليه و سلم – جبرا لخاطرها . و عزاء لها عن زوجها – ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود القرشي العامري – الذي هاجر بها فيمن هاجر إلى الحبشة . ثم مات عنها و ترك أرملته من بعده . قد أسلمتها محنة الاغتراب إلى محنة الترمل)[3] .

فأين المزاج المتقد في مثل هذا الزواج بين رسول الله في المدينة و أرملة تبعد عنه مئات الأميال حيث كانت السيدة سودة رضى الله عنها في الحبشة .

ألم يكن في وسعه – صلى الله عليه وسلم – أن يتزوج بكرا في ريعان الصبا . ذات حسب و نسب

---

(١) روجية دوباسكويه – إظهار الإسلام صـ٦٣ – مكتبة الشروق – القاهرة .

(٢) الرحيق المختوم – صـ١٠٢ ، ١٠٣ . بتصرف . مرجع سابق .

(٣) د/ عائشة عبد الرحمن – تراجم سيدات بيت النبوة صـ٢٤٤ . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م دار الريان – القاهرة .

و جمال . و هو – صلى الله عليه و سلم – لذلك و أكثر منه كفء كريم ؟

و يحسن بي هنا أن أورد كلمة للدكتور " نظمي لوقا " و هو مسيحيي المولد و المعتقد . كما ذكر هو في بداية كتابه . الذى أنقل عنه . يقول و قد تعرض لمسألة زواج النبى صلى الله عليه وسلم : (" ربع قرن لم تكن فيه هذه الزوجة – يعني السيدة خديجة رضى الله عنها – مقنعا لشاب في سن ابنها لو كان هذا الزوج أخا شهوة . لا نقول جامحة .. بل نقول متوقدة ذات سلطان على نفسة .

ربع قرن لم تكن فيه الزوجة الواحدة فرضا مفروضا عليه . و البيئة لا تعرف إلا التعدد الذى لا حصر له . و ليس التوحد في الزواج قيمة متفقا عليها هنا ك في ذلك الزمن .

..... ليس إذن من سبيل أمام المفترين الأجانب إلى رميه بجموح الشهوة . في تلك الحقبة المديدة من عمره . و هو شاب أو رجل مكتمل الفتوة . خالى البال من الأعباء التاريخية الجسام التى تستنفد الحيوية و تستأثر بالاهتمام .

فكيف يوفقون بين هذه و بين ما رموه به في عهده المدنى . الحافل بالأحداث و الهموم . من نقائص الاشتهاء الجامح و التهالك على مناعم الحرير ..؟

هل يتنازلون عن افترائهم عليه في عهده الأخير . لما في صدر عمره من تكذيب واقعي ملموس ؟

معاذ الأكذوبة و منطقها الخبيث !)[1] .

إن هذه المزاجية التى افتراها " درمنجم " لم يكن لها وجود إلا في خياله المريض . و ما كان هذا الجانب في حياة المعصوم – صلى الله عليه و سلم – إلا بقدر الذى أودعه الله في فِطَر الأسوياء من خلقه .

لقد خيل للمسيو " درمنجم " أنه بسبيله لإبداع " دراما " * " تراجيدية " ** فأخذ يصور لنا شخصية " زيد " المسكين القابع في كهف الحزن . الذى يحرق الأكباد . و تُغَصُّ به الحلوق . و هو يرى نفسه مكتوف اليدين . مضطرا إلى أن يجود بمهجة فؤاده . و حَبَّة عينه . نزولا على المزاج المُتَقِد !!! لصاحب الأيادى السخية و النعم السابغة الوافية عليه . صاحب النعم الذى يقول له "

---

(1) د/ نظمي لوقا ،محمد في حياته الخاصة ، صـ ٥٠،٥١ ، بتصرف بدون ط ، بدون ت ، دار غريب ، القاهرة . و من أراد الاستزادة ففى الكتاب المشار إليه بحث مستفيض عن مسألة زواج النبى صلى الله عليه وسلم ، تناولها الدكتور نظمي بموضوعية و نزاهة .

* الدراما : حكاية لجانب من الحياة الإنسانية ، يعرضها ممثلون ، يقلدون الأشخاص الأصليين فى لباسهم و أقوالهم و أفعالهم . المعجم الوسيط صـ٢٨٢

** التراجيدية : أو المأساة مسرحية عنيفة التأثير بليغة الأسلوب سامية المغزى تقتبس غالبا من التاريخ أو الأساطير و تنتهى بخاتمة محزنة . المعجم الوسيط صـ١٩ .

اتق الله و أمسك عليك زوجك " من وراء قلبه . و إنما يقولها و قلبه عشّشَ فيه حبها و باض و فرّخ غراب البين لزيد . و جوارحه امتلأت من جمالها الطاغى !!! فهو يقولها جبرا لخاطر زيد المسكين .

عفاءً على موازين البحث إن كانت على منوال هذا العمل الردئ . و الإجحاف البشع . و الوهم الضارب في أودية الضلال .

يقول المستشرق الأمريكى " واشنطن أرفنج " :(و لما كانت زينب فى البيت . فقد كانت لا تضع الخمار على جبهها . ووقعت أنظار محمد على جمالها الفاتن . و بدا عليه علامات إعجابه بجمالها و لما عاد زيد قصّت زينب عليه القصة . و علم زيد بإعجاب محمد بجمال زينب . فهرع إلى محمد يعرض عليه رغبته فى طلاق زينب .

ولكن محمدا نهاه عن ذلك . إذ أن ذلك يخالف التعاليم . ووقع زيد فى حيرة شديدة . فقد كان يحب زوجته الجميلة . كما كان يحترم الرسول و يُجِلُّهُ . و رأى أخيرا أن يطلق زوجته . و بعد أن انتهت إجراءات الطلاق و العدة . تم زواج الرسول من زينب . و احتفل الرسول بالزواج احتفالا أكثر بهجة من احتفاله بالزيجات الأخرى . فقد فتح الرسول أبوابه لجميع المدعوين . و قدم لهم اللحوم و الفطائر و العسل و الفاكهة)[1] .

و لسنا ندرى أى أبواب تلك التى فتحها الرسول – صلى الله عليه و سلم – و يبدوا أن السيد "أرفنج" كان جائعا حين سطّر هذه الكلمات . فألجأته حرارة الجوع إلى أن يستنزل من سماء خياله مائدة عليها ألوان المطعومات و المُشهّيات . و قد كان حريًا به أن يقوم ليأكل حتى لا يستطار عقله فى عالم الخيال .

فى الحديث عن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه :(و لقد رأيتنا حين دخل عليها رسولُ الله صلى الله عليه و سلم أطعمنا – أى على السيدة زينب رضى الله عنها – الخبز و اللحم)[2] .

و لقد عقب الدكتور " على حسنى الخربوطلى " على وصف " أرفنج " لوليمة الرسول صلى الله عليه

---

[1] واشنطون أرفنج – حياة محمد صـ١٧٨،١٧٧ . ترجمة و تعليق د/ على حسنى الخربوطلى – الطبعة الثانية بدون ت – دار المعارف – القاهرة .

[2] الحافظ بن كثير – البداية و النهاية جـ٤ صـ١٤٤ – مرجع سابق .

و سلم في زواجه بالسيدة زينب قائلا في هامش الترجمة :" ذبح الرسول شاة واحدة . و قدم للمدعوين الخبز و اللحم "

و المشكلة التي تستدعي المرء أن يتوقف عند هذه النقطة . ما يُخايل للقارئ وراء أستار المكر من إرادة إظهار بهجة محمد بنيله مراده . ووصوله إلى مبتغاه .

و هو نيله ما انطوت عليه نفسه و انعطف عليه قلبه من وصل معشوقته .

و غني عن التعبير سوء القصد الواضح من هذا الافتراء المتعمد . و التزيد المكشوف . و الذي يقصد منه تشويه صورة النبي – صلى الله عليه و سلم – .

المطلــــب الثانــــي

أقوال علماء المسلمين في زواج رسول الله من السيدة زينب

يقول الإمام الطبري : (حدثت عن محمد بن عمر قال : حدثني عبدالله بن عامر الأسلمي عن محمد بن يحيى بن حبان قال : جاء رسول الله – صلى الله عليه و سلم – بيت زيد بن حارثة . و كان زيد إنما يقال له " زيد بن محمد " ربما فقده رسول الله – صلى الله عليه و سلم – الساعة . فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده .

و قامت إليه زينب بنت جحش زوجته فضلا . فأعرض عنها رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فقالت : ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل بأبي أنت و أمي . فأبى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – أن يدخل . و إنما عجلت زينب أن تلبس إذ قيل لها رسول الله على الباب . فوثبت عجلة . فأعجبت رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فولى و هو يهمهم بشئ لا يكاد يفهم . إلا أنه أعلن " سبحان الله العظيم . سبحان مصرف القلوب " .

قال : فجاء زيد إلى منزله . فأخبرته امرأته أن رسول الله أتى منزله . فقال زيد : ألا قلت له : ادخل ؟ فقالت : قد عرضت عليه ذلك فأبى . قال : فسمعته يقول شيئا ؟

قالت : سمعته يقول حين ولى : سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب .

فخرج زيد حتى أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي ، فهلا دخلت بأبي أنت و أمي يا رسول الله . لعل زينب أعجبتك ، فأفارقها ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أمسك عليك زوجك و اتق الله .

فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك .

فكان يأتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقول له : أمسك عليك زوجك . ففارقها زيد و اعتزلها و حلّت . فبينا رسول الله يتحدث مع عائشة . إذ أخذت رسول الله غشية . فسُرّي عنه . و هو يبتسم و يقول : من يذهب إلى زينب . يبشرها أن الله زوجنيها)[١] .

و لا بد في هذا المقام أن أبين موقف الإمام الطبرى من الأسانيد سواء في تاريخه أو تفسيره .

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي :(ثم إن ابن جرير و إن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها . إلا أنه في الأعم الأغلب . لا يتعقب الأسانيد بتصحيح و لا تضعيف . لأنه كان يرى – كما هو مقرر في أصول الحديث – أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند . و معرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح . فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة)[٢] .

و بناء على ذلك فسوف نسلط أضواء علم الجرح و التعديل . على تلك الرواية التى أوردها الإمام ابن جرير الطبرى . و يقف بنا البحث عند عبد الله بن عامر الأسلمي . و الذى يقول عنه ابن حجر : (عبد الله بن عامر الأسلمي : أبو عامر المدني . ضعيف من السابعة . مات سنة خمسين . أو إحدى و خمسين . وقال الشيخ مأمون شيحا : قال أبو حاتم : متروك . قال ابن معين : ليس بشئ . قال ابن سعد : كان يقلب الأسانيد)[٣] .

و بهذا التقرير عن حالة أحد رواة الحديث . يتبين لنا أن الحديث ضعيف

(و الضعيف في اصطلاح المُحَدِّثين هو : ما فقد شرطا أو أكثر من شروط الحديث الصحيح و الحديث الحسن . و هذه الشروط هي : اتصال السند و عدالة الراوى و ضبطه و عدم الشذوذ و عدم العلة)[٤] .

و لقد سبق معنا من قبل حكم العمل بالحديث الضعيف حتى في فضائل الأعمال .

فكيف إذا كان يؤدى إلى التطاول على المعصوم – صلى الله عليه وسلم – ؟

---

[١] الإمام ابن جرير الطبرى – تاريخ الأمم و الملوك جـ٣ صـ٨٩ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

[٢] د/ محمد حسين الذهبي – التفسير و المفسرون – جـ١ صـ٢٠٨ الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩ م – مكتبة وهبة – القاهرة .

[٣] ابن حجر – تقريب التهذيب – تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا جـ١ صـ٤٠٢ الطبعة الثانية ١٤١٧هـ١٩٩٧م دار المعرفة بيروت لبنان .

[٤] د/ محمد محمود أحمد هاشم – تيسير مصطلح الحديث صـ١٠٢ ١٤١٧هـ ١٩٩٧ م النجوم الماشية – الزقازيق – مصر .

وقد نسجت باقي الروايات المذكورة على نفس المنوال . فيقول الزمخشري : (وذلك أن رسول الله ﷺ أبصرها بعد ما أنكحها إياه – أي زيدا – فوقعت في نفسه فقال : سبحان الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك – لا تريدها – و لو أرادتها لاختطبها . و سمعتْ زينب التسبيحة فذكرتُها لزيد . ففطن و ألقى الله في نفسه كراهة صحبتها . و الرغبة عنها لرسول الله)[1]

و اتفق الخازن في الرواية مع نفس المضمون غير أن فيه (ثم إن رسول الله – صلى الله عليه و سلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة . فأبصر زينب في درع و خمار . و كانت بيضاء جميلة . ذات خلق . من أتم نساء قريش . وقعت في نفسه و أعجبه حسنها . فقال : سبحان الله مقلب القلوب و انصرف)[2] .

إن بطلان هذه الروايات ظاهر . ولايخفى على مدقق محقق في رجال السند . وفي مقام النبوة الكريم وقد عقب الخازن على ما ورد من تلك الرواية قائلاً : (هذا إقدام عظيم من قائله . وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله . وكيف يقال : رآها فأعجبته . وهي بنت عمته . ولم يزل يراها منذ ولدت ولاكان النساء يحتجبن منه – صلى الله عليه وسلم – ؟! وهو زوجها لزيد . فلا يشك في تنزيه النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أن يأمر زيدا بإمساكها . وهو يحب تطليقه إياها . كما ذكر جماعة من المفسرين .

وأصح ما في هذا الباب ما روى عن سفيان بن عيينة عن زيد بن جدعان قال : سألني زين العابدين بن علي بن الحسين قال : ما يقول الحسن في قوله تعالى : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ قلت : يقول : لما جاء زيد إلى رسول الله فقال يا رسول الله : إني أريد أن أطلق زينب . أعجبه ذلك . وقال : أمسك عليك زوجك واتق الله . فقال علي بن الحسن : ليس كذلك . فإن الله عزوجل ، قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه . وأن زيداً سيطلقها . **فلما جاء زيد قال :إني أريد أن أطلقها ، قال له أمسك عليك زوجك . فعاتبه الله تعالى . وقال : لم قلت أمسك عليك زوجك ، وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك .**

---

[1] الإمام محمود بن عمر الزمخشري – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل جـ٣ صـ٢٣٧ المطبعة الأولى المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة .

[2] العلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن – لباب التأويل في معاني التنزيل جـ٣ صـ٦٠٨ .

وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء : وهو مطابق للتلاوة . لأن الله تعالى أعلم أنه يبدى ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى :ـ ﴿ زوجناكها ﴾ فلوكان الذى أضمره – رسول الله – صلى الله عليه وسلم – محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك . لأنه لايجوز أن يخبر أنه يُظهره . ثم يكتمُهُ ولايظهره)[1] .

قال أبوحيان :(وهذا المروى عن على بن الحسين هو الذى عليه أهل التحقيق من المفسرين كالزهرى وبكر بن العلاء والقشيرى والقاضى أبى بكر بن العربى وغيرهم ...

ولبعض المفسرين كلام فى الآية يقتضى النقص من منصب النبوة ضربنا عنه صفحاً)[2] .

وقال الإمام القرطبى : (وربما أطلق بعض المُجَّان لفظ "عَشِقَ" .فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبى – صلى الله عليه وسلم – عن مثل هذا . أو مستخفٍ بحرمته .

قال الترمذى الحكيم فى " نوادر الأصول" . وأسند إلى على بن الحسين قوله :فعلى بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهراً من الجواهر . و درًّا من الدرر . أنه إنما عتب عليه فى أنه قد أعلمه أن ستكون هذه من أزواجك . فكيف قال بعد ذلك لزيد : ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ و أخذتك خشية الناس أن يقولوا : تزوج امرأة ابنه . و الله أحق أن تخشاه)[3] .

و فصّل الخطاب ما ذكره ابن حجر فى الفتح :(وقد أخرج ابن أبى حاتم ... من طريق السدى " بلغنا أن هذه الآية ﴿ و تخفى فى نفسك ... ﴾ نزلت فى زينب بنت جحش ... و كان رسول الله أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه . فكرهت ذلك . ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله فزوجها إياه . ثم أعلم الله نبيه بعدُ . أنها من أزواجه . فكان يستحى أن يأمر بطلاقها . و كان لا يزال يكون بين زيد و زينب ما يكون من الناس . فأمره رسول الله أن يمسك عليه زوجه . و أن يتقى الله . و كان يخشى الناس أن يعيبوا عليه . و يقولوا : تزوج امرأة ابنه ....

ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبى حاتم و الطبرى و نقلها كثير من المفسرين . لا ينبغى التشاغل بها و الذى أوردته منها هو المعتمد . و الحاصل أن الذي كان يخفيه رسول الله هو إخبار الله إياه أنها ستكون زوجته)[4]

---

[1] السابق صـ٦٠٩.

[2] ابو عبد الله محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى الحيانى . التفسير الكبير المسمى البحر المحيط جـ٧ صـ٢٣٤ .

[3] القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – جـ٨ صـ٥٢٧٣ ، طبعة دار الريان للتراث ، القاهرة .

[4] الإمام ابن حجر ، فتح البارى جـ٣ صـ٤٢٥ الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

هذه الجملة . هي عذر المفسرين . الذين أوردوا الرواية الضعيفة . التي لا تليق و مقام العصمة النبوية فإن على الباحث . أن ينقب عن رجال السند . ليحكم على درجة الرواية .

و إن من أمانة البحث . التي خانها المستشرقون . أن يبينوا درجة تلك الرواية . التي أعملوا فيها أقلامهم . طالما ذكروها . و أن يعرضوا وجهات النظر المختلفة . حول هذه المسألة . و أن لا يقفوا في الرواية عند ما يُرضي أنفسهم .

فأين ما قاله الأئمة الأعلام : ابن حجر . أبو حيان . القرطبي . الخازن و غيرهم . و أين الموازنة بين الصحيح و السقيم ؟ لقد ذهب كل هذا أدراج الإجحاف و الإغماط .

و أعجب من ذلك أن يقول الدكتور عبد الرحمن عميرة :(تقول أوثق المصادر من كتب السير و التفاسير و كتب الحديث)[1] .

ثم ذكر رواية الإمام ابن جرير الطبري التي أسلفتُ ذكرها .

و هل تاريخ الطبري هو أوثق كتب السير ؟ و هل كتابه في التفسير أوثق كتب التفسير ؟ إن الإمام الطبري هو شيخ المفسرين . ما في ذلك شك . و نسأل الله أن يجزيه لقاء ما قدم لكتاب الله و دينه . و لكنا قد بينا آنفا موقفه من الأسانيد ، و كان على مَن ينقل عنه أن يعرف ذلك . قبل أن يوثِّق ما أورد من روايات أو يضعِّفها .

و عليه فالقصة ساقطة سندا و عقلا .

أ- أما سندا فبما فيها من ضعف . و لِمبادئ علم الحديث . التي تقضي بعدم العمل بالحديث الضعيف في تحليل أو تحريم ، فضلا عن العمل به فيما يقدح في عصمة الأنبياء . و لِما يعارضها من أقوال الراسخين في العلم .

و رواية ابن أبي حاتم عن السدى . و التي قدَّمها الإمام ابن حجر على رواية على بن الحسين .

ب- و أما فسادها عقلا، إذ (ليس من المعقول الادعاء - كبعض الكتاب الغربيين - أنه استسلم فجأة لإغراءات الجنس في المدينة . بل أصبح على رأس مجتمع ينمو تأثيره بقوة . فكانت أكثر زيجاته تقوية لبناء المجتمع .

و كانت زيجات سعيدة استمتع بها ، و شكر الله ، فكل حياته كانت امتثالا لله ...

---

[1] د/ عبد الرحمن عميرة - رجال أنزل الله فيهم قرآنا ، مجلد ١ جـ٣ صـ١٣٧ .

و للأسف يجب أن يُقِرَّ المرء بما قاله المستشرق " مونتجمري وات " : " لم يُبْخس أحد من عظماء العالم حقه مثل " محمد " قال المستشرق البريطاني : " إنه من الصعب معرفة سبب هذا . التبريرُ الوحيدُ القابلُ للتصديق . هو أن المسيحية عاملت الإسلام على مدى قرون . على أنه أسوأ أعداءها . و مع أن الأوربيين أصبحوا ينظرون للإسلام بصورة أكثر موضوعية . فما زال هناك كثير من التعصب القديم)[1] .

و إنني معه في أن الذي يحكم المسيحية في نظرتها للإسلام . هو التعصب و الهوى . و لستُ معه في أن هذه العصبية خفَّتْ حِدَّتُها . بل إن الناظر يرى . أن هذه النظرة التعصبية الكارهة للإسلام ازدادت شراسة . باستعمالها التقنيات الحديثة في حرب الإسلام .

---

[1] روجية دوباسكوية – إظهار الإسلام صـ٦٣، ٦٤ – مكتبة الشروق – القاهرة .

المبحث الثاني

قصة الغرانيق

و هي إحدى حلقات سلسلة البحث في سلال المهملات . التي وضعها أسلاف المستشرقين من اليهود و النصارى . و قام " صيارفة الحديث " بتنقية السنة النبوية منها . ووضعوها في سلال المهملات.

(و قد حاول أحد أعداء الدين و هو " سير موير " المستشرق الذى طبَّل لهذه القصة و زمَّر أن يدعمها بما يزعم أنه صحيح . و هو ما روى : أن النبى لما قال ذلك . تهادن المسلمون و المشركون . و ترامى الخبر إلى مهاجرى الحبشة . فرجعوا إلى وطنهم . و هو باطل . و السبب في رجوع مهاجرى الحبشة . هو إسلام السيد الهمام " عمر بن الخطاب " رضى الله عنه . فقد أعز الله به الإسلام . وقوى شوكة المسلمين فخفف المشركون من غلوائهم . مما رغَّب مهاجرى الحبشة . في الرجوع إلى وطنهم . و انضم إلى ذلك حدوث ثورة في بلاد النجاشي)[١] .

(و قد توجهتُ ها هنا لبعض الطاعنين سؤالات . منها ما روى من أن النبى – صلى الله عليه و سلم – لما قرأ سورة " النجم " . و قال ﴿ أفرأيتم اللات و العزى و مناة الثالثة الأخرى ﴾ النجم ١٩ ، ٢٠ .

قال : تلك الغرانيق العلى . و إن شفاعتهن لترتجي . و يروى " ترتضى " .

و في رواية " إن شفاعتهن لترتجى . و إنها لمع الغرانيق العلى " .

و في أخرى " تلك الغرانقة العلاى . تلك الشفاعة ترتجي " فلما ختم السورة سجد . و سجد معه المسلمون و الكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم)[٢] .

قال الحافظ بن كثير :(قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا : قصة الغرانيق . و ما كان من رجوع كثير من المهاجرة من أرض الحبشة . ظنا منهم أن مشركى قريش قد اسلموا . و لكنها من طرق كلها مرسلة . و لم أرها مسندة من وجه صحيح و الله أعلم .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة . عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله بمكة " النجم" فلما بلغ هذا الموضع ﴿ أفرأيتم اللات و العزى و مناة الثالثة الأخرى ﴾ النجم ١٩ ، ٢٠ .

---

[١] د/ محمد بن محمد أبو شهبة – الإسرائيليات و الموضوعات فى كتب التفسير صـ٣٢١ ، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ :لبة السنة ٠– القاهرة .

[٢] القاضى عياض – الشفاء جـ٢ صـ١٠٦ ،١٠٧ . ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م مصطفى البابى الحلبى – القاهرة .

قال : فألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى . و إن شفاعتهن لترتجي " قالوا : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم . فسجد و سجدوا . فأنزل الله عز وجل هذه الآية :﴿ و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبي إلا إذا تمني ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته و الله عليم حكيم﴾ الحج ٥٢ . و رواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة به بنحوه . و هو مرسل و قد رواه البزار في مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب – الشك في الحديث – أن النبي قرأ بمكة سورة النجم ... و ذكر بقيته ثم قال البزار :لا نعلمه متصلا إلا بهذا الإسناد . تفرد بوصله أمية بن خالد . و هو ثقة مشهور . و ذكر الحافظ ابن كثير أسانيد أخرى . ثم قال : و كلها مرسلات و منقطعات و الله أعلم)[١] .

و قال القاضي عياض :(فقد بين لك أبو بكر – ابن العربي – رحمه الله أنه لا يُعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا و فيه من الضعف ما نبه عليه مع وقع الشك فيه ....

و أما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه . و لا ذكره لقوة ضعفه و كذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله)[٢] .

و الغريب أن الحافظ ابن حجر رحمه الله وقف من هذه الرواية موقف المؤيد . فقال بعد أن ذكر طريق أمية بن خالد عن سعيد بن جبير الذى سبق ذكره (مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين . أحدهما : ما أخرجه الطبرى من طريق يونس بن زيد عن ابن شهاب حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فذكر نحوه .

و الثاني : ما أخرجه أيضا عن طريق المتعمر بن سليمان و حماد بن سلمة فرقهما عن داود بن أبي هند عن أبي العالية . و قد تجرأ أبو بكر بن العربي كعادته فقال : ذكر الطبرى في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها ، و هو إطلاق مردود عليه ، و علق على كلام القاضي عياض السالف ذكره ثم قال :

---

(١) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ ٣ صـ٢٣٩ ، ٢٤٠ بتصرف ، مرجع سابق .

(٢) القاضي عياض – الشفاء جـ٢ صـ١٠٨ . مرجع سابق .

" و جميع ذلك لا يتمشى على القواعد . فإن الطرق إذا كثرت و تباينت مخارجهـا . دل ذلك على أن لها أصلا . و قد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح . و هي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل . و كذا من لا يحتج لاعتضاد بعضها ببعض)[1] .

و بناء على احتجاجه بالرواية . فقد كان لا بد و أن يؤول آية سورة الحج لامتناع حملها على الظاهر و ذكر في ذلك وجوها . و رجح منها الوجه التالى :(كان – صلى الله عليه و سلم – يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات . و نطق بتلك الكلمة محاكيا نغمته . بحيث سمعه من دنا فظنها من قوله . و أشاعها . و هذا أحسن الوجوه . و يؤيده تفسير ابن عباس : تمنى : بـ : تلا)[2]

و لقد سبق ذكر حكم العمل بالحديث الضعيف . فلا حاجة لإعادته . و المرسل من أقسام الضعيف (و صورته أن يقول التابعي : قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – كذا . أو فعل كذا . أو فعل بحضرته كذا . أو نحو ذلك . و إنما ذكر – أي المرسل – في قسم المردود للجهل بحال المحذوف . لأنه يحتمل أن يكون صحابيا . و يحتمل أن يكون تابعيا ...

فإن عرف من عادة التابعي . أنه لا يرسل إلا عن ثقة . فذهب جمهور المحدثين إلى التوقف لبقاء الاحتمال و هو أحد قولي أحمد .

و ثانيهما : قول المالكيين و الكوفيين يقبل مطلقا .

و قال الشافعي رضي الله عنه : يقبل إن اعتضد بمجيئه من وجه آخر . يباين الطريق الأول . مسندا كان أو مرسلا . ليترجح احتمال كون المحذوف ثقة في نفس الأمر . و نقل أبو بكر الرازي من الحنفية و أبو الوليد الباجي من المالكية ، أن الراوي إذا كان يرسل عن الثقات و غيرهم لا يقبل مرسله اتفاقا)[3]

و قد رجح الإمام مسلم رأي الجمهور حيث قال : مذهب الشافعي و المحدثين أو جمهورهم . و جماعة من الفقهاء أنه لا يحتج بالمرسل – و ذكر الآراء الأخرى – ثم قال : و الصواب الأول)[3]

---

(1) ابن حجر العسقلاني – فتح البارى جـ٨ صـ٣٥٥ مرجع سابق .

(2) المرجع السابق جـ٨ صـ٣٥٥ .

(3) أحمد بن حجر العسقلاني – شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر صـ٦٦ ، ٦٨ . راجعه و قدم له د/ محمد عوض – و علق عليه محمد عياش الصباغ ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م – مكتبة الغزالي ، دمشق . سوريا .

(3) الإمام مسلم – صحيح مسلم بشرح النووي مجلد ١ صـ٣٠ . مرجع سابق .

(و قال ابن الصلاح : و ما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل . والحكم بضعفه . هو الذى استقر عليه أراء جماعة حفاظ الحديث ونه اد الأثر وتداولوه فى تصانيفهم)[1] .

فكيف إذا كان العمل بالضعيف أوالمرسل . يقدح فى عصمة النبى – صلى الله عليه وسلم – بل يخالف صريح القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾ النجم ٣ .

وقال تعالى : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ الحاقة ٤٤ : ٤٦ .

كما (أن هذا التأويل الذى ارتضاه ابن حجر - ما أضعفه عند التأمل والنظر . فهو يوقع متأوله فيما فرّ منه . وهو تسلط الشيطان علي النبى . فالتسلط عليه بالمحاكاة . كالتسلط عليه بالإجراء على لسانه)[2]

هذا و نحاكم الإمام ابن حجر إلى ما ذكره هو فى مقدمة " لسان الميزان " : (روى عن شيخ من الخوارج أنه قال بعد ما تاب : " إن هذه الأحاديث دين . فانظروا عمن تأخذون دينكم . فإنا كنا إذا هوينا أمرا سيرناه حديثا " قال الحافظ : و هذه و الله قاصمة الظهر للمحتجين بالمراسيل . إذ بدعة الخوارج كانت فى الصدر الأول و الصحابة متوافرون . ثم فى عصر التابعين . و من بعدهم . و هؤلاء كانوا إذا استحسنوا أمرا جعلوه حديثا . و أشاعوه . فربما سمعه الرجل السنى فحدث به . و لم يظهر من حدث به . فيحمله عنه غيره . و يجيئ الذى يحتج بالمقاطيع . فيحتج به . و يكون أصله كما ذكرت)[3] .

هذا من ناحية نقض القصة سندا ، و أما من ناحية المعنى . فلو كان الوحى القرآنى حسب ما أوردت تلك الرواية (لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام . ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف و النظم ... و هذا لا يخفى على أدنى متأمل ، فكيف بمن رجح حلمه . و اتسع فى باب البيان و معرفة فصيح الكلام علمه ..

و قد علم من عادة المنافقين ، و معاندى المشركين . وضعفة القلوب و الجهلة من المسلمين . نفورهم لأول وهلة . و تخليط العدو على النبى – صلى الله عليه و سلم – لأقل فتنة . و تعييرهم المسلمين و الشماتة بهم ... و ارتداد من فى قلبه مرض ، ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة . و لم يحْكِ

---

(1) شرح نخبة الفكر فى مصطلح اهل الأثر هامش صـ٦٨ . مرجع سابق .

(2) د/محمد بن محمد ابوشهبة - الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ٣١٩ مرجع سابق .

(3) المرجع السابق هامش صـ٣١٨ .

أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية . و لو كان . لوجدتْ قريش على المسلمين الصَوْلة .
و لأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا ... في قصة الإسراء ... و لا فتنةَ أعظم من هـذه البلية
لو وجدت . و لا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت . فما روى عن معاند فيها
كلمة . ولا عن مسلم بسببها بنت شفة . فدل على بُطْلِهَا و اجتثاث أصلها)[1] .

لقد (أولع المستشرقون و الطاعنون في هذا الدين . بذلك الحديث . و أذاعوا به . و أثاروا حوله
عجاجة من القول . و الأمر في هذا كله . لا يثبت للمناقشة . بل لا يصح أن يكون موضوعا
للمناقشة)[2].

و إذا كانت هذه الرواية باطلة ولا يصح الاحتجاج بها . فما تفسير قوله تعالى : ﴿ و ما أرسلنا من قبلك
من نبي ولا رسول إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته و الله
عليم حكيم ﴾ الحج ٥٢ ؟

يقول العلامة التفتازاني في شرح المقاصد يقول :

(معنى تمنى النبي حديث النفس و كان الشيطان يوسوس إليه غير الهدى فينسخ الله وساوسه من
نفسه و يهديه إلى الصواب و القرآن الكريم يقول : " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك
من الغاوين " الحجر ٤٢

٣- و يقول ابن كثير : إن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم و ليس الأمر كذلك بل إنما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الرحمن صلى
الله عليه و سلم .

و الخلاصة أن الله تعالى ما أرسل رسولا و لا نبيا إلا وقف الشيطان في طريقه يصد الناس عما يتمناه
الرسول صلى الله عليه و سلم من إيمان الناس بإلقاء الوساوس و الشبهات فيما جاء به من آيات
و لكن الله يزيل تلك الوساوس و تلك الشبهات من صدورهمو يرفع هذه الشكوك التي فينفوسهم
بالنسبة لتلك الآيات فيقوى إيمانهم بها و لا يتطرق إليها شك أو يطرأ على إيمانهم بها وهن)[3] .

---

[1] القاضي عياض - الشفاء جـ٢ صـ١٠٩ ، ١١٠ .
[2] أ/ سيد قطب - في ظلال القرآن جـ١ صـ٢٤٣٣ . مرجع سابق .
[3] التفتازاني ، شرح المقاصد صـ

يقول الأستاذ سيد قطب :(إن الرسل عندما يكلفون حمل الرسالة إلى الناس . يكون أحب شئ إلى نفوسهم . أن يجتمع الناس على الدعوة . و أن يدركوا الخير الذى جاءوهم به من عند الله فيتبعوه . و لكن العقبات فى طريق الدعوات كثيرة . و الرسل بشر محدودو الأجل . و هم يحسُّون هذا و يعلمونه فيتمنون لو يجذبون الناس إلى دعوتهم بأسرع طريق ..

يودون مثلا لو هادنوا الناس . فيما يعز على الناس أن يتركوه من عادات و تقاليد و موروثات . فيسكتوا عنها مؤقتا . لعل الناس أن يفيئوا إلى الهدى . فإذا دخلوا فيه . أمكن صرفهم عن تلك الموروثات . و يودون مثلا لو جاءوهم فى شئ يسير من رغبات نفوسهم . رجاء استدراجهم إلى العقيدة على أمل أن تتم فيما بعد تربيتهم الصحيحة . التى تطرد هذه الرغبات المألوفة ! و يودون . و يودون من مثل هذه الأماني و الرغبات البشرية المتعلقة بنشر الدعوة و انتصارها ...

ذلك على حين يريد الله أن تمضى الدعوة على أصولها الكاملة . وفق موازينها الدقيقة . ثم من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر . فالكسب الحقيقى للدعوة فى التقدير الإلهى الكامل غير المشوب بضعف البشر و تقديرهم ...

و لو خسرت الأشخاص فى أول الطريق . فالاستقامة الدقيقة الصارمة على أصول الدعوة و مقاييسها . كفيل أن يُثني هؤلاء الأشخاص . أو من هم خير منهم إلى الدعوة إلى نهاية المطاف . و تبقى مثل الدعوة سليمة لا تخدش ، مستقيمة لا عوج فيها و لا انحناء .

و يجد الشيطان فى تلك الرغبات فرصة للكيد للدعوة . و تحويلها عن قواعدها . و إلقاء تلك الشبهات حولها فى النفوس ..

و لكن الله يحول دون كيد الشيطان . و يبين الحكم الفاصل فيما و قع من تصرفات أو كلمات . و يكلف الرسل أن يكشفوا للناس عن الحكم الفاصل . وعما يكون قد وقع منهم من خطأ فى اجتهادهم للدعوة ... بذلك يبطل الله كيد الشيطان . و يحكم الله آياته . فلاتبقى هنالك شبهة فى الوجه الصواب و الله عليم حكيم)[1] .

و لعل من أمثلة ذلك قول الله تعالى :﴿ و إذ تقول للذى أنعم الله عليه و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى فى نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه ﴾ الأحزاب٣٧ .

---

[1] المرجع السابق صـ٢٤٣٣ بتصرف .

و قوله تعالى : ﴿ و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ و ما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ الأنعام ٥٢ .

و ذلك حينما (قالت قريش لرسول الله – صلى الله عليه و سلم – : إنا لا نرضى أن نكون أتباعا لهؤلاء فاطردهم . فدخل قلب رسول الله من ذلك ما شاء الله أن يدخل فأنزل الله تعالى عليه)[1] هذه الآية .

و هكذا كما رأينا (يعتمد المستشرقون على الروايات الضعيفة التى أسقطها علماء المسلمين . و بينوا ضعفها بعد دراسات مستفيضة . و تَقَصٍّ للحقيقة فى شأنها ...

و ما من شك فى تضلع هؤلاء المستشرقين من كتب رجال الحديث . و الكتب التى تولت بيان الحديث الضعيف أو الموضوع أو الصحيح . و لكنهم مع سبق الإصرار على الجناية و الخيانة العلمية ينقلون ما ينقلون ... ذكر الأمريكى " جوستاف فوم جرونباوم "* (أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – قال : اختلاف أمتى رحمة ، و حقيقة هذه الجملة . أن عمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنه – قال فى مجال الحديث عن اختلاف بعض الصحابة فى اجتهادهم : " ما يسرنى باختلافهم حمر النَّعم . و لو كان رأيا واحدا لكان الناس فى ضيق " ...

و هكذا قلْ فى المستشرق الأمريكى الآخر الذى نسب إلى النبى هذه العبارة " تتغير الأحكام بتغير الزمان " و هى فى الحقيقة ... كلمة للإمام مالك : " يجدُّ للناس من الأقضية بمقدار ما يُحدثون من أحداث "

و الفرق بين المعنيين واضح و عظيم ، إذ أن مبادئ الإسلام . يجب أن تبقى حاكمة للزمان و ليست محكومة بالأزمان)[2] .

فهل هذه موازين تحترم فى مجال البحث العلْمى ، و هل هذه أنفس تجردت للبحث الموضوعى . أم أنها تجردت للغض من شأن الإسلام . و للنيل من قممه السامقة ؟

إنها أيدى الباحثين فى سلال المهملات و النفايات .

---

[1] أسباب النزول للنيسابورة على هامش المسحف المفسر للإمام الطبرى صـ١٨٥ . ١٩٩٣م دار الغد العربى – القاهرة .

* غوستاف جرونباوم " ١٩٠٩–١٩٧٢م " مستشرق نمساوى ولد فى فيينا فى أول سبتمر ١٩٠٩م و تعلم فى مدارس فيينا و فى جامعتها ثم فى جامعة برلين ، من أسرة يهودية و إن كان اعتنق الكاثوليكية ، من أهم أعماله " الإسلام فى العصر الوسيط . طبقات المستشرقين صـ١١٢ .

[2] د/ عبد المتعال الجبرى – الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى – صـ٢٣١ ، ٢٣٢ بتصرف . مرجع سابق .



الفصل السابع

التوســـع فـى الافتـراضـات و المجــازفــات

الفصل السابع

التوسع في الافتراضات و المجازفات

يقال : (افترض الجند : أخذوا عطاياهم . و افترض الشئ : فرضه : أوجبه . و افترض فلانا : أعطي فريضة . و افترض الباحث : اتخذ فرضا ليصل إلى حل مسألة)[١] .

و (جزف له في الكيل جزفا : أكثر . و جازف : باع الشئ لا يعلم كيله أو وزنه . و جازف بنفسه : خاطر بها . و جازف في كلامه أرسله إرسالا على غير روية . و الجزاف : الشئ لا يعلم كيله أو وزنه[٢]) .

و كلمة المجازفة بهذا المعنى . من أدل المعاني على حال المستشرقين مع الإسلام خاصة . فهم يكيلون له الاتهامات و الافتراءات بسخاء .

و الافتراضات أو الفرض . وسيلة يلجأ إليها العالم التجريبي . كتصور يطرحه . لعله يصل من خلاله إلى حقيقة علمية . أو ما يوصل إلى حقيقة علمية .

و لا ينبغي أن يلجأ إليه الباحث التاريخي . و يلحق به الباحث في علم مقارنة الأديان . فإن الحقائق التاريخية . مسطورة في مصادرها . التي ينبغي على الباحث أن يرجع إليها . و أن يستوثق من صحتها و نسبتها إلى من نقلت عنه . و كلها خطوات ينبغي أن يقطعها كل باحث عن الحق و الإنصاف.

أما المستشرقون أصحاب النفوس المدخولة . فلا عليهم أن يفترضوا ما يشاءون . و يثبتوها كحقائق تكون ركائز النظرة و الثقافة الغربية عن الإسلام و حقائقه . و عن نبي الإسلام و حياته .

و على الرغم من أن " الفرض " من خصائص البحث التجريبي . إلا أن له شروطا و حدودا ينبغي أن لا يتعداها . حتى يكون فرضا علميا سليما .

غير أننا نَجدُ على طائفة من المستشرقين . استخدامهم الفرض في غير موضعه . و على الرغم من ذلك فهو فرض خيالي ، لا تتوفر فيه شروط الفرض العلمي :

---

[١] المعجم الوسيط جـ٢ صـ٦٣٨ .
[٢] المرجع السابق جـ١ صـ١٢١ .

لقد (نفى " نولدكه " المستشرق الألماني في كتابه " تاريخ القرآن " أن تكون فواتح السور من القرآن . مدعيا أنها رموز لمجموعات الصحف . التي كانت عند المسلمين الأولين . قبل أن يوجد المصحف العثماني . فمثلا : حرف الميم كان رمزا لصحف المغيرة .
و الهاء لصحف أبي هريرة . و الصاد لصحف سعد بن أبي وقاص . و النون لصحف عثمان . فهي – عنده – إشارات للكية الصحف . و قد تركت في مواضعها سهوا . ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآنا)[1] .

بهذه الحجة الدامغة – بزعمهم–!!!والبرهان القاطع !!! والافتراض العلمي السليم !!! يدمغنا " نولدكه " بشئ من عبقريته الفذة وبحثه الموضوعي النزيه !!!.

و بهذه السهولة تندك حصون الإسلام ، أمام أسلحة الاستشراق الصدأة . وبهذا الافتراض الخيالي الزائف يُشَوِّه "نولدكه " سماوية القرآن . ويدعي علينا المجهود البشرى في آيات القرآن الكريم .
وذلك الادعاء يعني أن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور . لم تكن موجودة في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – وفي بداية عصر صدر الإسلام ، ثم لما تطاول الزمان . واختلط الأمر على الناس . أدخلوها في القرآن الكريم . وأدعو فأكرر قول القائل "

رمتني بدائها وانسلَّت

فـ " نولدكه " يستعيد في ذاكرته صورة كتابة الإنجيل ، الذي كتبه مَنْ كتبه . بعد فترة طويلة من وفاة المسيح ـ بزعمهم ـ ، فأدخلوا فيه من أهوائهم ما شاءوا . وضاع إنجيل المسيح وسط ركام الأوهام . التي صنعها البشر ، ويريد " نولدكه " أن يلصق بالإسلام عَدْوَى ما يدين به . لِيَسُبَّ به الإسلام .

رأي علماء الإسلام في الحروف المقطعة

للعلماء المسلمين في الحروف المقطعة قولان : قول يعدها سرا من أسرار الله استأثر الله تعالى بعلمه . و قول آخر يرى أن لها معاني و أسرارا يدركها الراسخون في العلم .
أما القول الأول : (أن هذا علم مستور و سر محجوب استأثر الله تبارك و تعالى به .
قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لله في كل كتاب سر . وسره في القرآن أوائل السور .
و قال علي رضي الله عنه :" إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي .

---

(١) د/ التهامي نقرة – القرآن و المستشرقون ، بحث في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية و الإسلامية جـ١ صـ٢٣ . ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م . المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم . مكتب التربية العربي لدول الخليج .

و سئل الشعبي عن هذه الحروف فقال : سر الله فلا تطلبوه .

و روى أبو ظبيان عن ابن عباس قال : عجزت العلماء عن إدراكها .

و قال الحسين بن الفضل : هو من المتشابه)[١] .

(و ذكر أبو الليث السمرقندي عن عمر و ابن مسعود أنهم قالوا : الحروف المقطعة من المكتوم الذى لا يفسر ... و من هذا المعنى ما ذكره أبو بكر الأنبارى بسند عن الربيع بن خيثم قال : " إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء و أطلعكم على ما شاء . فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بنائليه . فلا تسألوا عنه . و أما الذى أطلعكم عليه فهو الذى تسألون عنه . و تخبرون به . و ما بكل القرآن تعلمون و لا بكل ما تعلمون تعملون)[٢] .

و أما القول الثانى :

فقد (قال جمع من العلماء كبير : بل يجب أن نتكلم فيها و نلتمس الفوائد التى تحتها ، و المعانى التى تتخرج عليها . و اختلفوا فى ذلك على أقوال عديدة فروى عن ابن عباس و على أيضا : أن الحروف المقطعة فى القرآن اسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها .

و قال قطرب و الفراء و غيرهما : هى إشارة إلى حروف الهجاء . أعلم الله بها العرب ، حين تحداهم بالقرآن ، أنه مؤتلف من حروف هي التى منها بناء كلامهم ليكون عجزهم عنه أبلغ فى الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم .

قال قطرب :كانوا ينفرون عند استماع القرآن فلما سمعوا :" آلم " و " المص " استنكروا هذا اللفظ . فلما أنصتوا له صلى الله عليه و سلم . أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته فى أسماعهم و آذانهم و يقيم الحجة عليهم .

و قال جماعة : هى حروف دالة على أسماء أخذت منها ، و حذفت بقيتها كقول ابن عباس و غيره : الألف من الله . و اللام من جبريل، و الميم من محمد ﷺ .

و قيل " الألف مفتاح اسم الله ، و اللام مفتاح اسمه لطيف ، و الميم مفتاح اسمه مجيد .

و روى أبو الضحى عن ابن عباس فى قوله :" الم " قال : أنا الله أعلم ، " الر " أنا الله أرى ، المص " أنا الله أفصل)[٣] .

---

[١] الإمام الرازى ، مفاتيح الغيب مجلد ١ صـ٣٥٦ ، ٣٥٧ بتصرف ، مرجع سابق .

[٢] الإمام القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن جـ١ صـ١٣٤ بتصرف ، مرجع سابق .

[٣] المرجع السابق جـ١ صـ١٣٤ ، ١٣٥ بتصرف .

كلام العرب بالحروف المقطعة

تكلمت العرب بشئ من الحروف المقطعة فى أشعارها من ذلك قول الشاعر :

(قلنا قفي لنا قالت قاف   لا تحسبى أنا نسينا الإيجاف

تعنى : وقفت . و قال الآخر :

بالخير خيرات و إن شرا فا   و لا أريد الشر إلا أن تـ

يقول : و إن شرا فشر . و لا أريد الشر إلا أن تشاء .

يقول الإمام ابن كثير : مجموع الحروف المذكورة فى أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا و هى ﴿ ا ل م ص ر ك هـ ى ع ط س ح ق ن ﴾ يجمعها قولك " نص حكيم قاطع له سر " و هى نصف الحروف عددا و المذكور منها أشرف من المتروك .

قال الزمخشرى: و هذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعنى من المهموسة و المجهورة . و من الرخوة و الشديدة ، و من المطبقة و المفتوحة و من المستعلية و المنخفضة . و من حروف القلقلة ... و خلاصة القول أن العلماء لم يجمعوا فيها على شئ معين . و إنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه و إلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام)[1]

روى الإمام الترمذى فى سننه قال :(حدثنا محمد بن بشار أخبرنا أبو بكر الحنفى أخبرنا الضاحك بن عثمان عن أيوب بن موسى قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة . والحسنة بعشر أمثالها ، لاأقول :الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف " هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ......

ويعلق شارح الترمذى الإمام الحافظ أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى بقوله : وفى رواية ابن شيبة والطبرانى : من قرأ حرفاً : من القرآن كتب له به حسنة . لاأقول ." ألم ذلك الكتاب " ولكن الألف واللام والميم والذال واللام والكاف "

وفى رواية البيهقى :لاأقول : بسم الله ولكن : باء وسين وميم ولاأقول : ألم " ولكن الألف واللام والميم) [2] .

---

(١) الإمام ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ١ صـ٣٩ ، ٤٠ ، بتصرف ، مرجع سابق .

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى جـ٨ صـ١٨٢ . مرجع سابق .

فليست إذاً " ألم " من خلط المسلمين بين ما هو قرآني . وما هو رموز أصحاب الصحف . وإنما ذلك الادعاء من تخليط " نولدكه " وتابعيه على هذا الدرب المظلم .

يقول الأستاذ / سيد قطب رحمه الله وهو يتحدث عن " ألم " في أول سورة البقرة :(و الشأن في هذا الإعجاز . هو الشأن في خلق الله جميعا . و هو مثل صنع الله في كل شئ و صنع الناس ...
إن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات . فإذا أخذ الناس هذه الذرات . فقصارى ما يصوغونه منها لبنة أو آجرة . أو آنية أو أسطوانة . أو هيكل أو جهاز . كائنا في دقته ما يكون ...
و لكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة . حياة نابضة خافقة . تنطوي على ذلك السر الإلهي المعجز .. سر الحياة .. ذلك السر الذي لا يستطيعه بشر . ولا يعرف سره بشر ..
و هكذا القرآن .. حروف و كلمات يصوغ منها البشر كلاما و أوزانا . و يجعل الله منها قرآنا و فرقانا و الفرق بين صنع البشر . و صنع الله من هذه الحروف و الكلمات . هو الفرق ما بين الجسد الخامد و الروح النابض .. هو الفرق ما بين صورة الحياة و حقيقة الحياة)[١] .

أقول : والفرق بين افتراء " نولدكه " وبين الحقيقة . هو الفرق بين الجسد الخامد والروح النابض . هو الفرق بين صورة الحياة . و حقيقة الحياة .

والمستشرق " كازانوفا " في كتابه : محمد ونهاية العالم " يخرج علينا (بأغرب رأى في عالم الدراسات القرآنية ، فيذهب إلى أن جمع عثمان للمصحف . ما هو إلا قصة وهمية . أحكم نسجها في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان . توطئة للمبالغة في شأن التحسينات التي أدخلت على رسم المصاحف في عهد الخليفة المذكور . ولا يتورع هذا الرجل عن القول بأن الحجاج بن يوسف الثقفي . هو أول جامع للقرآن . ونحن بطبيعة الحال في غنى عن التدليل على فساد هذا الرأى . ويكفينا رداً عليه ما يقول به المستشرق " بلاشير " * من أنه لايمكننا قط أن نتابع " كازنوفا " على هذا الزعم الجرئ ، الذى تنقصه النصوص التاريخية)[٢] .

---

[١] في ظلال القرآن جـ١ صـ٣٨ . مرجع سابق .

* بلاشير ،ر.ل "١٩٠٠-١٠٧٣م" ولد في مون روج بالقرب من باريس تخرج بالعربية من كلية الآداب بالجزائر ، نال الدكتوراه ١٩٣٦م و عين أستاذا محاضرا بالسربون ١٩٣٨م و من آثاره المتنبي الشاعر العربي الإسلامي .

[٢] راجع لطفي جمعة – القرآن و المستشرقون صـ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، نقلا عن بلاشير في كتابه المدخل إلى القرآن صـ٥ .

و لا شك أن هذه المجازفات . لا يصح أن تصنف ضمن البحوث العلمية . و إنما ينبغي أن تصنف ضمن الأوهام المنطلقة عن خلفية الحقد الموروث على الإسلام . أو انطلاقا من الفروض الخالية من العلمية.

يقول المستشرق الألماني " هربرت جريمه* " في كتابه " محمد " :" لم يكن محمد في بادئ الأمر يبشر بدين جديد . بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية . فالإسلام في صورته الأولى الأصيلة . لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه . ذلك لأننا إذا نظرنا إليه عن كثب . نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية . بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعي . تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة . و على الأخص إلى إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين . و الفقراء المضطهدين ... لذلك نراه يفرض ضريبة معينة . لمساعدة المحتاجين . و هو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي و تأييد دعوته)[1] .

و هكذا يخرج علينا " جريمة " بهذا الفرض الواهم . و المجازفة الفارغة .

(قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة . و كان سيدا . قال : في نادي قريش - و رسول الله - صلى الله عليه و سلم - جالس في المسجد وحده -: يا معشر قريش . ألا أقوم إلى محمد . فأكلمه . و أعرض عليه أمورا . لعله يقبل بعضها . فنعطيه أيها شاء ، و يكفّ عنا ؟ و ذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه . و رأوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يكثرون و يزيدون .

فقالوا : بلى . يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة . حتى جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث . قد علمت من السطة - المنزلة الرفيعة - في العشيرة و المكان في النسب ، و إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم . فرقت به بين جماعتهم . و سفهت به أحلامهم . و عِبت به آلهتهم و دينهم . و كفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع مني أعرضْ عليك أمورا ، تنظر فيها لعلك تقبلُ منها بعضها .

قال : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قل يا أبا الوليد أسمع .

قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى

---

* هربرت جريمه " ١٨٦٤-١٩٤٢م " ألماني ، أستاذ اللغات الشرقية في مونستر . من آثاره : محمد في جزأين " مونستر" ١٨٩٢م .. و ترجمة القرآن ١٩٢٣م ، و عرّب الشعر قبل الإسلام ١٩٢٩م و الإسلام و اليهودية ١٩١٠م . العقيقي جـ٢ صـ٤١٤ .

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية و الإسلامية جـ١ صـ٢٧ ، مرجع سابق .

تكون أكثرنا مالا . و إن كنت تريد به شرفا سودناك علينا . حتى لا نقطع أمرا دونك . و إن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا . و إن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه . لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب . و بذلنا فيه أموالنا حتى تبرئك منه . فإنه ربما غلب التابع على الرجل . حتى يداوى منه . أو كما قال . حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه .

قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاسمع منى . قال : أفعل . فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا و نذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون و قالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه .... ﴾ فصلت ١ : ٣

ثم مضى رسول الله فيها يقرأها عليه . فلما سمعها عتبة أنصت لها و ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما . يسمع منه . ثم انتهى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – إلى السجدة منها فسجد ... و فى رواية أخرى أن عتبة استمع حتى جاء الرسول – صلى الله عليه و سلم – إلى قوله تعالى : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود ﴾ فصلت ١٣ فقام مذعورا ، فوضع يده على فم رسول الله يقول : أنشدك الله و الرحم ! و ذلك مخافة أن يقع النذير . وقام إلى القوم . فقال ما قال)[1].

ماذا يريد محمد – صلى الله عليه و سلم – لو كان مصلحا اجتماعيا . حسب ما قال " جريمة " أكثر من أن يتوج ملكا على مكة . فيُقَعِّد القواعد ، و يسن القوانين ، التى تحقق له ما يبتغيه من الإصلاح الاجتماعى ، بدلا من أن يكلف نفسه ، و أصحابه عناء المواجهة مع قريش ، و هول التغذيب الذى سامه و أصحابه المشركون .

لماذا لا يقبل أن يتوج ملكا ، أو سيدا لا يُقطع أمر دونه . إن القضيه إذا ليست إصلاحا اجتماعيا . و لكنها نبوة و رسالة ، التى يجحدها المستشرقون .

إنها المصارحة و المفاصلة مع المشركين (إنه – صلى الله عليه و سلم – لم يتملق عقائدهم و تصوراتهم و لم يداهن مشاعرهم و عواطفهم ، و لم يهادن آلهتهم و قيادتهم .. لم يتمسكن حتى يتمكن .. إنه أمر أن يقول لهم منذ الأيام الأولى ، و هو فى مكة تتألب عليه جميع القوى : ﴿ قل يا أيها الكافرون لا

---

[1] الشيخ / صفى الرحمن المباركفورى – الرحيق المختوم صـ٩٣ ، ٩٤ . مرجع سابق .

أعبد ما تعبدون و لا أنتم عابدون ما أعبد و لا أنا عابد ما عبدتم و لا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم و لى دين ﴾ سورة الكافرون)[١] .

(مفاصلة كاملة شاملة . و تميز واضح دقيق .. و لقد كانت هذه المفاصلة ضرورية لإيضاح معالم الاختلاف الجوهرى . الذى يستحيل معه اللقاء على شئ فى منتصف الطريق . الاختلاف فى جوهر الاعتقاد . و أصل التصور . و حقيقة المنهج . و طبيعة الطريق ... إن الجاهلية جاهلية .. و الإسلام إسلام . و الفارق بينهما بعيد . و السبيل هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته . هو الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها . و الهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه . و أول خطوة فى الطريق هى تمييز الداعية و شعوره بالانعزال التام عن الجاهلية . تصورا و منهجا و عملا . الانعزال الذى لا يسمح بالالتقاء فى منتصف الطريق . و الانفصال الذى يستحيل معه التعاون . إلا إذا انتقل أهل الجاهلية بكليتهم إلى الإسلام . لا ترقيع و لا أنصاف حلول . و لا التقاء فىمنتصف الطريق .. مهما تزيت الجاهلية بزى الإسلام . أو ادعت هذا العنوان)[٢] .

إن الفرق واضح و شاسع بين الإصلاح الاجتماعى – الذى قد يلتقى مع الأنظمة الأخرى فى وسط الطريق . و لا ضرورة للعقيدة فى جو هذا الإصلاح الاجتماعى . فهى ليست حجر الزاوية فى هذا الإصلاح – و بين الدين الذى يملك حقيبة العمل الكاملة التامة . التى يسوس بها حياة مجتمع كامل بل الدنيا كلها عقيدة و عبادات و معاملات و أخلاقا .

فى السنة العاشرة من البعثة كان رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فى موسم الحج . يعرض نفسه على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله تعالى ، و أثناء ذلك (أتى إلى بنى عامر بن صعصة فدعاهم إلى الله . و عرض عليهم نفسه . فقال بحيرة بن فراس – رجل منهم – و الله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب . ثم قال : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك . ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله . يضعه حيث يشاء .
فقال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك . فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا . لا حاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه)[٣] .

---

[١] أ/ سيد قطب – هذا الدين صـ٥٢ ، الطبعة السادسة عشرة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م ، دار الشروق ، القاهرة .

[٢] أ/ سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، جـ٦ صـ٣٩٩٢ ، بتصرف ، مرجع سابق .

[٣] صفى الرحمن المباركفورى ، الرحيق المختوم صـ١١٤ ، ١١٥ ، مرجع سابق .

و ما يضير المصلح الاجتماعي أن يخلفه آخرون بعد موته ؟

غير أن النبي – صلى الله عليه و سلم – لم يكن مصلحا اجتماعيا . بل كان نبيا رسولا . أمره الله أن يبلغ الناس أن الأمر لله يضعه حيث يشاء . و أن هذا الدين هو المظلة الوارفة الظلال التي تسع الجميع . و تستوعب الجميع . تسع البشر . بأهواء البشر و ضعف البشر و قصور البشر و عجزهم .

فالمسألة ليست مسألة مغانم . و لا أهدافا مادية أو ميولا سياسية . و لكنها قضية تدين لا بد و أن يضرب بجرانه* على الأرض . و يغمر الدنيا بنوره . و يخرجها من مضايق الشرك و التبديد إلى واحات الإيمان و التوحيد .

* جرن جُرونا : تعوّد أمرا و مرن عليه ... و الجران باطن العنق من البعير و غيره ، و جمعه : أجرنه ، و جُرُن ، و يقال : ألقى فلان على هذا الأمر جرانه : و طن نفسه عليه ، و ضرب الإسلام بجرانه : ثبت و استقر . و في حديث عائشة : " حتى ضرب الحق بجرانه " . و ألقى عليه جرانه : ثقله . المعجم الوسيط جـ١ صـ١١٩ .

الفصل الثامن

بشرية الإسلام

تمهيد

المبحث الأول

الإسلام اختراع بشرى فى نظر الحاقدين

المبحث الثانى

ادعاء الضالين أن القرآن الكريم جهد إنسانى

المبحث الثالث

ادعاء المستشرقين أن السنة النبوية من وضع الصحابة

المبحث الرابع

ادعاء المستشرقين أن الفقه الإسلامى من وضع الفقهاء

المبحث الخامس

المستشرقون و الحضارة الإسلامية

المطلب الأول : الطعن فى أصالة الحضارة الإسلامية

المطلب الثانى : أصالة الحضارة الإسلامية و عظمتها

المطلب الثالث : عظمة الإسلام سر تقدم الإنسانية

المبحث السادس

نيل المستشرقين من اللغة العربية

المطلب الأول : أهمية اللغة

المطلب الثانى : تشجيع المستشرقين للهجة العامية

المطلب الثالث : قضية انتحال الشعر

الفصـــل الثـــامـــن

بشـــريـــة الإســـلام

تمهيد

هذه خلفية ينطلق جُلُّ المستشرقين – إن لم يكن كلهم – منها في دراستهم للإسلام . فالإسلام – بزعمهم – إنتاج بشري . أنشأه محمد – صلى الله عليه و سلم – لتحقيق طموحاته و تطلعاته الإصلاحية – كما يدعي قوم – أو لتأثره بمعطيات الديانتين اليهودية و النصرانية . كما يدعي آخرون أو غير ذلك . فالإسلام نزل من أي مكان إلا من عند الله .

و هذه الخلفية أو المنهج . الذي ينطلق منه . و في ضوئه المستشرقون في دراستهم للإسلام . يفسر لنا ما نراه كثيرا من التخليط و الاضطراب . في آراء كثير منهم . فأحيانا نلمس موضوعية و إنصافا . و أحيانا تحاملا و إجحافا ، تارة نلمس استقامة في البحث . و بعدها بقليل . نرى ارتكاسة في حمأة التعصب و الهوى .

المبحث الأول

الإسلام اختراع بشرى فى نظر الحاقدين

يقول " سفارى " فقد أدى تشتت اليهود بعد هدم أورشليم . و اشتعال الحروب الدينيـة بين الروم . إلى أن زخرت رحاب الجزيرة العربية باليهود و النصارى . فـدرس محمـد عقـائدهم . و ضمَّ إلى هـذه المعارف تاريخ بلاده)"[١] .

فالإسلام فى نظر سفارى . منتخبٌ من المعارف اليهودية و النصرانية . ممزوجة بتاريخ بلاد العرب . أو بمقتضيات حياتهم . التى صاغها محمد فى صورة قوانين للاعتقاد و قواعد للسلوك .

و كثيرا ما يطلقون على النبى "مؤسس العقيدة الإسلامية " يقـول " واشنجتون أرفنج " (ولد محمد مؤسس العقيدة الإسلامية فى مكة فى أبريل سنة ٥٦٩)"[٢] .

و فى دائرة المعارف البريطانية :

(Mahomet “ strictly Muhammed , commonly olso Mohammedn, founder of the religious system called in europe after him [٣]Mahommedanism,)

ففى هذا النص من دائرة المعارف البريطانية . بعد أن أوضحت الدائرة الاختلاف الحرفى فى كتابة الكلمة قالت عن النبى – صلى الله عليه وسلم – :" مؤسس – موجد – نظام دينى يطلق عليه فى أوربا بعده " محمدية " .

و ذلك يشى بما يعتقده القوم عن الإسلام . و أنه إنتاج بشـرى . دعـا محمدا إلى اختراعه ضروراتٌ اجتماعية . أو طموحات شخصية .

و لأن اختراع دين متكامل الأركان . يحتاج إلى طاقة بشرية فوق العادة . كما يحتـاج إلى قـوة عقلية عبقرية . و ثقافة موسوعية . و عقل قادر على الاستيعاب العميق . و التحليل و التركيب . من أجل هذا أخذ المستشرقون يمهدون الطريق .

يقول " واشنجتون أرفنج " :(أصبح محمد فى الثانية عشرة من عمره . و لكنه ... كان علـى جـانب كبير من الذكاء بالنسبة لعمره ، فقد تأثر بقدوم الحجاج من جميع أرجاء بلاد العرب . فـأصبح ميـالا

---

(١) اد/ عبد المتعال الجبرى ، السيرة النبوية و كيف حرفها المستشرقون صـ٤٣ ، نقد و تحقيق و تصويب مقدمة سفارى لترجمته القرآن الكريم ، ترجمة محمد عبد العظيم على ، مرجع سابق .

(٢) واشنجتون أرفنج ، حياة محمد ، صـ٣٣ ، مرجع سابق .

(٣) دائرة المعارف البريطانية حرف الميم صـ٣٩٩ . نيويورك .

إلى المعرفة ... و قد وعى ذهن محمد كثيرا من القصص التي تدور حول الصحراء . و لا شك أنها ظلت عالقة بذاكرته . و أثرت في قوة خياله . و نخص بالذكر من هذه القصص روايتين (فذكر " أرفنج " قصة سيدنا صالح مع قومه ثمود . و قصة الذين اعتدوا في السبت من اليهود " ذكرنا هاتين الروايتين . لأن محمدا كان يرويهما كمثالين لعقاب الله على إثم الكفر . و هكذا شغل الشاب عقله بمثل هذا الموضع الهام)[1] .

يقول " جب " : (إن محمدا ككل شخصية مبدعة . قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة . ثم هو من جهة أخرى . قد شق طريقا جديدا بين الأفكار و العقائد السائدة في زمانه و الدائرة في المكان الذى نشأ فيه)[2] .

يقول جوستاف "جوستاف .ا.جرونباوم " في إطار حديثه عن هذه النبوة (فأيد – أى النبي – صلى الله عليه و سلم – قضيتهم – يعني الروم – و تنبأ في زمن ما بين ٦١١ : ٦١٦ م بنصرهم النهائي . على أعدائهم الفرس . و لم تنشب نبوءته أن تحققت في "٦٢٧م . عندما أوغل " هرقل " بجنده في الأراضي الساسانية . و عندى أن تنبؤه بذلك النصر . إنما هو أدنى إلى المشايعة المتوقدة بالتحمس منه إلى التقدير المتزن للقوى المتحاربة . ذلك التقدير الذى كان من المحال الحصول على المعلومات الضرورية الخاصة به في مكان منعزل كمكة)[3] .

و لماذا تكون تلك النبوة مشايعة متوقدة بالتحمس . و لا تكون وحيا إلهيا يكشف الله به لرسوله . طرفا من مكنونات الغيب . يثبت به قلوب أصحابه . و يضفى على رسالته بها من التقديس و الصلة العلوية السماوية .

و يقول " جرونباوم " (و كان مصدر الجاذبية الحقة في الكعبة للمتعبد التقي . حجرا عتيقا أسود لاصقا ببعض جدرها . و قد شعر النبي أنه مكره أن يدخل شعيرة ذلك الحجر في مناسك الإسلام . حيث لا يزال متلبثا ، كأنما هو شاهد عجيب على عجز الإسلام عن التخلص مما يحيط بأصله من أمور قديمة فجة)[4] .

---

[1] واشنجتون أرفنج ، حياة محمد صـ٤٤ ، ٤٧ ، بتصرف ، مرجع سابق .

[2] د/ التهامي نقرة ، القرآن و المستشرقون جـ١ صـ٢٧ ، ٢٨ ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، مرجع سابق .

[3] جوستاف .ا.جرونباوم ، حضارة الإسلام صـ٩٣ . ١٩٥٦م مكتبة مصر ، القاهرة .

[4] جوستاف .ا. جرونباوم ، حضارة الإسلام صـ٩٤ . ١٩٥٦ م مكتبة مصر ، القاهرة .

فهل الإسلام يقدس الحجر الأسود . أو حتى يقدس الكعبة كبناء ؟ أم أنه تقديس لأمر الله تعالى و لسان حال المسلم سمعنا و أطعنا . تلك الكلمة العزيزة التي عز على اليهود و النصارى قولها فقالوا سمعنا و عصينا ؟!

و يقول " ول ديورانت " :(و تقول إحدى الروايات : إن عمه أبا طالب قد أخذه معه . و هو في الثانية عشرة من عمره . في قافلة إلى بصرى ببلاد الشام . وليس ببعيد أن يكون قد عرف في هذه الرحلة قليلا من القصص الشعبية اليهودية و المسيحية ...

و كان في بلاد العرب كثيرون من المسيحيين . و كان منهم عدد قليل في مكة . و كان محمد على صلة وثيقة بواحد منهم على الأقل " ورقة بن نوفل " ابن عم خديجة . الذى كان مطلعا على كتب اليهود و المسيحيين المقدسة . و كثيرا ما كان محمد يزور المدينة التي مات فيها والده . و لعله قد التقى هناك ببعض اليهود و كانوا كثيرين فيها)[١] .

و يقول " أرفنج " :(استقبل الرهبان أبا طالب و ابن أخيه بترحيب عظيم . تحدث أحد الرهبان . و يسميه البعض " سرجيوس " و يسمية البعض الأخر " بحيرى " مع محمد .

و أعجب كثيرا بعقليته و رغبته في الاستزادة من العلم ، و بخاصة في المسائل الدينية . و تبادل الراهب مع محمد الحديث في عدة مواضيع . و لا شك أن الراهب . قد وضع همه في القضاء على تعاليم الكفر . التي تلقنها الشاب .

و كان النساطرة المسيحيون ينهون عن الصور و التماثيل ، بل إن الصليب و هو شعار المسيحية . كان ضمن ما ينهى النساطرة عنه .

و ينسب الكثيرون معلومات محمد عن الدين المسيحي إلى محادثاته مع ذلك الراهب . و قد لعبت هذه المعلومات دورا كبيرا في حياة محمد فيما بعد)[٢] .

---

[١] ول ديورانت ، قصة الحضارة جـ٢ من المجلد الرابع صـ٢٣ ، ٢٤ ، بتصرف ، ترجمة محمد بدران ، الطبعة الثالثة ١٩٧٤م لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، القاهرة .

[٢] واشنجتون أرفنج ، حياة محمد صـ٤٧ ، ٤٨ . مرجع سابق .

و هكذا يبحث المستشرقون عن تعليل لرسالة محمد ﷺ . إما عن طريق محاوراته مع الرهبان وإما عن طريق المعارف التى اكتسبها من أسفاره . إما و إما . و كلها مقبولة فى العقل الاستشراقى . أما أن تكون الرسالة المحمدية وحيا إلهيا . فذلك أمر يعز على البحث الاستشراقى النزيه !

إن كل الذين بحثوا فى حياة النبى ﷺ بموضوعية رسموا بأيديهم صورة للكمالات الإنسانية التى حباه الله بها تلك الكمالات التى لا يمكن أن تجتمع إلا فى نبى رسول .

المبحث الثانى

ادعاء الضالين أن القرآن الكريم جهد إنسانى

و إذا كانت الدافعية وراء ظهور رسالة الإسلام على يد محمد – صلى الله عليه و سلم – كما يدعى المستشرقون – ضرورات اجتماعية و طموحات شخصية . و ليست وحيا إلهيا . بل هى مقطوعة الصلة بالسماء . فإن القرآن بناء على هذا مجهود بشرى . اختلقه النبى –حاشاه– صلى الله عليه و سلم – من عند نفسه . معتمدا على معارفه القديمة . و ثقافته الواسعة . التى حصلها من لقاءاته باليهود و النصارى فى مكة و المدينة – حيث قبر أبيه – و الشام – حيث كان تاجرا – و يظهر فى القرآن – بزعمهم – تأثره بهذه الثقافات اليهودية و المسيحية .

(و تدل كثير من آيات القرآن على إعجابه بأخلاق المسيحيين . و بما فى دين اليهود من نزعة إلى التوحيد . و بما عاد على المسيحية و اليهودية من قوة كبيرة . لأن لكلتيهما كتابا مقدسا تعتقد أنه موحى من عند الله)[1]

و لعله –ول ديورانت – يعنى بالإعجاب بأخلاق النصارى قوله تعالى : ﴿ و لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين و رهبانا و أنهم لا يستكبرون و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ المائدة ٨٢ ، ٨٣ .

و قد زعم " ول ديورانت " فى تخرصاته ، و ادعى علم مالا يدرى عنه شيئا . و كان أحرى به أن يسأل من يدرى ، و أن يستطلع ما فى مصادر المسلمين ، إذا كان يريد الموضوعية . و احترام تراث الشعوب و معتقداتهم ، أما إذا كان يريد غير ذلك فعندئذ نقول له :: شاهت وجوه الحاقدين .

فى تفسير هاتين الآيتين يقول (عطاء بن أبى رباح : هم قوم من أهل الحبشة أسلموا حين قدم عليهم مهاجرى الحبشة من المسلمين .

و قال قتادة : هم قوم كانوا على دين عيسى ابن مريم ، فلما رأوا المسلمين سمعوا القرآن أسلموا . و لم يتلعثموا .

و اختار ابن جرير أن هذه الآيات ، نزلت فى صفة أقوام بهذه المثابة سواء كانوا من الحبشة أو غيرها)[2]

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ـ٢ مجلد ٤ صـ٢٣ ، مرجع سابق .

(٢) الإمام ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ٢ صـ٨٨ . مرجع سابق .

و لست أدرى أى تأثر من الإسلام بهاتين الديانتين . اللتين ينعت المسلمون أصحابهما كل يوم بالمغضوب عليهم والضالين سبع عشرة مرة كحد أدنى ؟

و يقول " جولد زيهر " : (فقد كان وحي النبي حتى في حياته . معرضا لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص . و كان عدم الاستقرار . و الطابع المتناقض البادى فى تعاليمه موضع ملاحظات ساخرة . ولهذا فبالرغم من إصراره على القول بأن ا لله أوحى ﴿ قرآنا عربيا غير ذى عوج ﴾ الزمر ٢٨ ...

فقد اضطر إلى الاعتراف فى الوحى المدنى أن القرآن ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب و أخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله إلا ا لله و الراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ آلعمران ٧ ")[1] .

و هكذا يتحفنا " جولدزيهر " بهذه الاتحافات العقلية السنية !!! و تتجلى لنا عبقريته الفذة !!! حيث استطاع بعد أربعة عشر قرنا من الزمان . أن يكشف في القرآن اضطرابا . عجز أبناء اللغة – و راضعوا لبانها الصافية النقية من دخيل الألفاظ و العبارات – و أساطين البلاغة و فصحاء العرب قديما و حديثا . عجزوا أن يكتشفوها ، و اكتشفها السيد " جولدزيهر" !!!

و لا كبيَر على نفس إذا هديت و لا صغيَر على قوم مضلينا *

يقول تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير ا لله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ النساء٨٢ .

نعم لو كان من عند غير ا لله ، لوجدوا فيه أهواء البشر ، و عجز البشر و أوهام البشر . كما فى توراة اليهود التى اختلط فيها الحق و الباطل ، و كمثل الأناجيل المنحولة . و المنسوبة كذبا إلى عيسى عليه السلام .

فأين هذا الاضطراب الذى يُدعيه " جولدزيهر " و غيره . أين هو إلا فى عقله المترع حقدا على الإسلام ؟

و كما ادعى المستشرقون اليوم ، أن القرآن رسالة مصادرها التوراة و الإنجيل . و منوعات الثقافة التي حصلها محمد من مجالساته مع اليهود و النصارى فى مكة . و من زياراته إلى المدينة و بلاد

---

[1] جولدزيهر ، العقيدة و الشريعة فى الإسلام صـ٦٩ ، مرجع سابق .

* بيت من قصيدة للشاعر محمد إبراهيم العشماوى بمناسبة ذكرى ليلة النصف من شعبان ، من مجلة الأزهر الشريف صـ١٢٩٤ عدد شعبان ١٤١٨ هـ ديسمبر ١٩٩٧ م ، الجزء الثامن ، السنة السبعون .

الشام يخبرنا الله تعالى . أنهم ليسوا بدعا في هذا القول . فيقول تعالى : ﴿ و لقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى و هذا لسان عربى مبين ﴾ النحل ١٠٣ .

و لقد كان ذلك إحدى وسائل التشويش التى استخدمها المشركون ضد الإسلام . و لقد حكى الله عنهم قوله : ﴿ و قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ فصلت ٢٦ .

و ذلك من باب قوله تعالى : ﴿ و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا ﴾ النمل ١٤ .

(و اليوم بعدما تقدمت البشرية كثيرا . و تفتقت مواهب البشر عن كتب و مؤلفات . وعن نظم و تشريعات . يملك كل من يتذوق القول . و كل من يفقه أصول النظم الاجتماعية . و التشريعات القانونية . أن يدرك أن مثل هذا الكتاب . لا يمكن أن يكون من عمل البشر)[1] .

إلا أن المستشرقين يتغافلون عن الإعجاز العلمى فى القرآن . و الإعجاز الطبى فى القرآن . و لن نقول : الإعجاز البلاغى و البيانى . فإن المستشرق مهما تضلع من العربية . فإنه لن يرزق ملكه الإحساس بالذوق البلاغى و البيانى فى كتاب الله تعالى .

ذلك الإحساس الذى هزَّ أركان أعمدة الكفر في مكة – الوليد بن المغيرة – حتى قال :(و الله إن لقوله لحلاوة . و إن أصله لعذق و إن فرعه لجناة ...

و هزَّ أركان " عتبة بن ربيعة " المفاوض القرشى . الذى ذهب يعرض على رسول الله السيادة أو المال أو الملك . مقابل تخليه عن دعوته . فتلا عليه رسول الله القرآن . فرجع بغير الوجه الذى ذهب به . فقال لقومه " ورائى . أنى سمعت قولا . و الله ما سمعت مثله قط . و الله ما هو بالشعر و لا بالسحر . و لا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعونى . و اجعلوها بى . و خلوا بين هذا الرجل . و بين ما هو فيه فاعتزلوه . فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ عظيم)[2] .

اضطراب المستشرقين حول القرآن الكريم

فـ (فى مؤتمر المستشرقين علم ١٩٥٤م كانت دعواهم أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عمل فرد واحد هو محمد ، بل من عمل جماعة كبيرة ، و أنه لا يمكن أن يكون قد كتب فى الجزيرة العربية

---

[1] أ/ سيد قطب ، فى ظلال القرآن جـ١ صـ٢١٩٥ .

[2] صفى الرحمن الباركفورى – الرحيق المختوم ، صـ٧٢ ، ٩٤ ، مرجع سابق .

بل إن بعض أجزائه قد كتب خارجها * ...

و يعلل القرآن هذه المقولات الضالة فيقول : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله و لهم عذاب أليم ﴾ النحل ١٠٤ .

و لما كان من المحال عقلا أن يتعلم محمد صلى الله عليه و سلم القرآن من العبيد النصارى أو اليهود عُجْم اللسان . الذين كانوا في مكة . فقد (زعموا أنه – صلى الله عليه و سلم – استقى مصادره من التوراة و الإنجيل و الهاجاداة** و الأبوكريفا*** و المشناة**** و التلمود*****)(١).

و انطلاقا من هذه الفرية . التي تولى كبرها . في عصرنا هذا المستشرقون . بدأوا يعملون أفكارهم في توجيه قراءات القرآن الكريم .

يقول " جولد زيهر " في قوله تعالى : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ البقرة ٥٤ .

(و هذا في الواقع ينطبق على ما جاء في سفر الخروج فصل ٣٢ . فصلة ٢٧ الذى هو مصدر الكلمات القرآنية .

و ربما كان مفسرون قدماء معتد بهم – و ذكر قتادة البصرى المتوفى ١١٧هـ حجة على ذلك – قد وجدوا هذا الأمر . بقتل أنفسهم أو بقتل الآثمين منهم أمرا شديد القسوة . و غير متناسب مع الخطيئة . فآثروا تحلية الحرف الرابع من هيكل الحروف الصامتة " فاقتلوا أنفسكم : بنقطتين من أسفل بدل التاء المثناة من أعلى فقرأوا " فأقيلوا أنفسكم " بمعنى " حققوا الرجوع عما فعلتم . أى بالندم على الخطيئة المقترفة و هذا المثال يدل فعلا على أن ملاحظات موضوعية . قد شاركت في

---

* لقد ظن هؤلاء الأدعياء على العلم أن الأمر في الوحي ، مثلما يحدث في عالم السينما حيث تحجز شركات السينما و القصصيين أجنحة فاخرة في دول أوربا و غيرها من المنتجعات و المصايف ليصفو لهم جو الكتابة ، و لينزل عليهم و حي الشعر و النثر . و يخرجوا على الناس بإنتاجاتهم .

** الهاجاداه : اسم للقصص و الحكايات اليهودية ، و هي قصص خرافية ، ضمنت كتب اليهود . و هذه القصص تستنبط منها الأحكام . التلمود تاريخه و تعاليمه صـ٢٥-٢٦ . لـ ظفر الإسلام الإسلام خان . دار النفائس .

*** الكتب المزورة أو الغير معتمدة عند اليهود .

**** و كلمة "مشنا" معناها الشريعة المكررة ، أما الغرض من المشنا فهو إيضاح و تفسير ما التبس في شريعة موسى ، و تكملة الشريعة على حسب ما يدعون . د/ عبد العظيم المطعني ، المسيحيون و المسلمون في تلمود اليهود صـ١٢ . مكتبة وهبة .

***** التلمود هو روايات شفوية تناقلها الحاخامات حتى جمعها الحاخام " يوضاس " سنة ١٥٠ م في كتاب أسماه " المشنا " ثم شرحت هذه المشنا فيما عرف باسم الجمار و من المشنا و الجمارا تكون التلمود ، و كلمة تلمود معناها : كتاب تعليم ديانة و آداب اليهود . الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة صـ٥٩٩ ، و المسيحيون و المسلمون في تلمود اليهود صـ١٣ . و كتاب اليهودية د/ أحمد شلبي صـ٢٧٠

(١) أ/ رابح لطفي جمعة ، القرآن و المستشرقون صـ٥١ ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣ م ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .

سبب اختلاف القراءة خلافا للأمثلة السابقة . التى نشأ الاختلاف فيها من مجرد ملابسات فنية ترجع إلى الرسم ...

ثم ذكر " جولدزيهر " أمثلة للقراءات الناشئة من خلو المصاحف من الشكل و الحركات . فذكر آية ٨ من سورة الحجر ﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق و ما كانوا إذا منظرين ﴾ الحجر ٨ .

ثم قال " فتبعا لاختلاف القُرَّاء في قراءة اللفظ الدال على نزول الملائكة . هل هو " نُنَزِّل . أو تَـنَزَّلُ . أو تُنْزَلُ " كل هذه القراءات ممثلة في الأقاليم المختلفة . تفيد المعنى كل كلمة بما يناسبها . نحن ننزل الملائكة . أو الملائكة تنزل .

ثم قال : بيد أن هذا الاختلاف في الحركات . قد يدعو إلى تغييرات أبعد مدى من حيث المعنى . مثل آية ٤٣ من سورة الرعد " و مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكتاب " فقد وردت هذه الجملة بالقراءة التالية :" و مِنْ عِنْدِهِ علم الكتاب " كما أن تغييرا زائدا على هذا في تحريك لفظ " علم" سمح بالقراءة التالية :" و مِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكتاب "[1]

و هكذا فإن القراءات . إنما كانت بسبب الاختلاف في الرسم أو الخط العربي . أو بسبب عدم شكل الحروف و نقطها .

و بهذه التخرصات . تخر قواعد علم القراءات هدًا . في نظر هؤلاء المستشرقين .

و تجاهل " جولد زيهر " الأحاديث الواردة ، في نزول القرآن على سبعة أحرف .

عند الإمام البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما (أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – قال : أقرأني جبريل على حرف . فراجعته . فلم أزل أستزيده . و يزيدني . حتى انتهى إلى سبعة أحرف ...

و عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله – صلى الله عليه و سلم – . فاستمعت لقراءته . فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فكدت أساوره في الصلاة . فتصبرت حتى سلم فَلَبَّبْتُهُ بردائه . فقلت : من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟

قال : أقرأنيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

---

(1) الشيخ عبد الفتاح القاضي – القراءات في نظر المستشرقين و الملحدين صـ٢٢ : ٢٥ , ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م ، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة

فقلت : كذبتَ . فإن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – قد أقرأنيها على غير ما قرأت .

فانطلقت به أقوده إلى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – .

فقلت : إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ .

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : كذلك أنزلت . ثم قال : اقرأ يا عمر . فقرأت القراءة التي أقرأني . فقال رسول الله : كذلك أنزلت . إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف . فاقرأوا ما تيسر منه"[1] .

إن المستشرقين ينطلقون في دراستهم للإسلام من الاعتقاد المسبق ببشريته . و أنه من اختراع محمد ﷺ و أصحابه من بعده . و من هذا المنطلق المكب على وجهه يدعون أن اختلاف القراءات كذلك من وضع الرسول و أصحابه خروجا من المآزق التي يدعو إليها عدم دقة القرآن بزعمهم !!!

و في البداية فإن هناك حقيقة ينبغي أن نلمح إليها و هي (أن ما كتب في عصر النبي صلى الله عليه و سلم قد سلم من التغيير ، و لم تجر عليه الحروف السبعة التي كانت في قراءته دون كتابته .

و الغرض تيسير قراءة القرآن على القبائل العربية المختلفة اللغات و اللهجات . كالمضرية و النزارية و الهذلية . فتلين به ألسنتهم . كرخصة مؤقتة اقتضتها ظروف الدعوة ريثما تستقيم الألسن على النطق باللغة التي اختارها الله لقرآنه و هي لغة قريش فيصبح القرآن على حرف واحد هو الذى كتب عثمان عليه و لم يأت فيه ما يخالف المصحف الأم الذى كان محفوظا عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها و الذى كتب في عصر النبي ﷺ ... أما القراءات السبع فهي ثابته بالتواتر عن النبي ﷺ . و قد ساعد على احتمال هذه القراءات المروية انعدام الشكل و النقط في مصحف عثمان . كاختلاف القراءة في مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ و معناها واحد . يقال : تثبت في الشئ تبينه)[2] .

إن الأمر في كتاب الله ليس كما اتفق كما يظن المستشرقون . و قد ظنوا أن القرآن كان على منهاج التوراة و الإنجيل المحرفين و الذين عملت فيهما الأيدى البشرية كما تريد .

بل إن قدسية القرآن و سلامته من التغيير أمر شهد به كل منصف من الغربيين .

---

[1] صحيح البخارى ، جـ٣ صـ٢٢٦ ، ٢٥٧ . مرجع سابق .

[2] د/ التهامى نقرة ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية جـ١ صـ٤٦ ، ٤٧ ، مرجع سابق .

(ضابط قبول القراءات :

لعلماء القراءات ضابط مشهور . يزنون به الروايات الواردة فى القراءات فيقول : كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية و لو تقديرا . ووافقت العربية و لو بوجه . و صح إسنادها و لو كان عمن فوق العشرة من القراءة . فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها و لا يحل إنكارها . بل هى من الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن ...

و ليس الأمر على الرغم من ذلك على حسب الهوى . بل إن العلماء قد حصروا وجوه الاختلاف فى سبعة مواضع و هى :-

الأول : اختلاف الأسماء من إفراد و تثنية و جمع . و تذكير و تأنيث .

كقوله تعالى ﴿ و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون ﴾ فقد قرئ ﴿ لأمانتهم ﴾ بالإفراد .

الثانى : اختلاف تصريف الأفعال . من ماض و مضارع و أمر .

كقوله تعالى ﴿ ربَّنا باعدْ بين أسفارنا ﴾ فقد قرئ ﴿ ربُّنا باعدَ بين أسفارنا ﴾ .

الثالث : اختلاف وجوه الإعراب .

كقوله تعالى ﴿ و لا يضارَّ كاتب و لا شهيد ﴾ قرئ بفتح الراء و ضمها فالفتح على أن لا ناهية فالفعل مجزوم و الفتحة الملحوظة فى الراء هى فتحة إدغام المثلين . أما الضم فعلى أن لا نافية .

الرابع : الاختلاف بالزيادة و النقص .

كقوله تعالى ﴿ و ما خلق الذكر و الأنثى ﴾ فقد قرئ ﴿ و الذكر و الأنثى ﴾ بنقص ﴿ و ما خلق ﴾

الخامس : الاختلاف بالتقديم و التأخير .

كقوله تعالى : ﴿ و جاءت سكرة الموت بالحق ﴾ فقد قرئ ﴿ و جاءت سكرة الحق بالموت ﴾

السادس : الاختلاف بالإبدال .

كقوله تعالى ﴿ و انظر إلى العظام كيف ننشزها ﴾ فقد قرأت ﴿ كيف ننشرها ﴾ بالراء .

السابع : اختلاف اللهجات .

كقوله تعالى ﴿ و هل أتاك حديث موسى ﴾ فقد قرئ بالفتح و الإمالة فى لفظ ﴿ أتى ﴾ و ﴿ موسى ﴾)[١] .

---

[١] الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقانى ، مناهل العرفان جـ١ صـ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٤١٨ بتصرف الطبعة الثالثة بدون ت ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة

إن للرسم القرآنى قواعد و أصولا ، و ليست الأمور اجتهادية ، بل إن الرسول ﷺ كان يعلم كتاب الوحى كيف يكتبون بل كيف يمسكون بأقلامهم (و من ذلك قوله ﷺ لسيدنا معاوية و هو من كتبة الوحى : " ألق الدواة و حرّف القلم و انصب الباء و فرّق السين ، و لا تُعَوِّر الميم و حسن الله و مُدُ الرحمن الرحيم . و ضع قلمك على أذنك اليسرى ، فإنه أذكر لك " .

ثم يأتى هؤلاء الحفنة من المستشرقين ليشككونا ليس فى كتابة القرآن فقط بل فى القراءات التى وردت إلينا متواترة عن المعصوم ﷺ .

و لسنا ندرى من أى مستنقع آسن علُ المستشرقون بعد نهل ثم استقاءوا ذلك علينا .

إنها تخرصات القوم التى ما برحوا يرمون بها الإسلام ، ظانين أنها تكيده ، و ما يكيدون إلا أنفسهم و حاشا لضوء الشمس .أن تحجبه أكُفُّ الجاحدين .

الإعجاز العلمى فى القرآن

يقول الشيخ محمد رشيد رضا :(و من دقائق تعبير القرآن فى النوع الأول " التكوين " التى اختلف فى فهمها الناس . أن مادة الخلق " دخان " و هو عين ما يسمى " السديم " و أن السموات و الأرض كانتا رتقا . أى مادة واحدة متصلة . ففتقهما الله و جعل كلا منهما خلقا مستقلا ، و بث فيها أنواع الدواب

و لم يكن أحد يعتقد أو يتصور أن فى شئ من هذا الأجرام السماوية حيوانا ، و أنه جعل من الماء كل شئ حى . و أنه خلق جميع الأحياء النباتية و الحيوانية أزواجا ، فجعل فى كل منهما ذكرا و أنثى . و أنه جعل كل نبات موزونا – يعنى أن عناصره متوازنة على نسب مقدرة – ، و أنه أرسل الرياح لواقح . و أنه ﴿ يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل ﴾ الزمر ٥ ، و التكوير هو اللف على الجسم المستدير . و هو صريح فى كروية الأرض و دورانها ...

و أمثال هذا فيه كثيرة ، حتى إن بعض آياته فى الشمس و القمر و النجوم – و سبحها فى أفلاكها و جريانها إلى أجل مسمى و فى تناثر الكواكب عند خراب العالم – لا تفهم فهما صحيحا إلا فى ضوء علم الفلك الحديث)[1] .

---

[1] أ/ محمد رشيد رضا . الوحى المحمدى ص٢٤٢ ، الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ ، ١٩٣٣م ، طبعة الزهراء للإعلام العربى ١٤٠٨ه ، ١٩٨٨م ،القاهرة

و لو أننا أردنا استقصاء مواطن الإعجاز العلمى فى القرآن أعيانا الطلب ، و لم ندرك ما نريد فى تلك الصفحات مهما كان عددها ، فإن العلماء فى كل بقاع الدنيا - رضوا أم أبوا - يشيدون عرش العظمة الإلهية ، متمثلة فى وحى القرآن الكريم .

﴿ قل أرأيتم إن كان من عند ا لله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط ﴾ فصلت ٥٢ : ٥٤ .

و صدق ا لله العظيم الذى يكشف للناس كل يوم عن طرف من قدرته ، و عن ربانية هذا القرآن و أنه لا محالة من عند ا لله .

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ فصلت ٥٢ .

و صدق ا لله ﴿ أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير ا لله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ النساء ٨٢ .

(حدث فى القرن الماضى أن جمع بعض كبار قسس ألمانيا جميع مخطوطات الأناجيل التى باليونانية - و هى الأصل عندهم كالعربية للقرآن الكريم - من العالم كله و قارنوها سطرا سطرا . و حرفا حرفا فوجدوا بينها من الاختلافات حوالى " ٢٠٠ ألف " مائتى ألف اختلاف فى الرواية . فأرادوا تطبيق ما فعلوه بالنسبة للقرآن الكريم . .

فأسسوا معهد البحوث القرآنية فى جامعة ميونيخ . و صاروا يجمعون نسخ القرآن الكريم من جميع أنحاء العالم . و لمدة ثلاثة أجيال متوالية .

و فى سنة ١٩٣٣-١٩٤٣ م . قرر مدير ذلك المعهد . و هو الأستاذ " بريستل " علنا فى جامعة السوربون بفرنسا - عند زيارته لها لتصوير مخطوطات القرآن . حيث كان فى المكتبة الأهلية فى باريس نسخة من القرآن ترجع إلى القرن الثانى للهجرة - فقال :

" لقد جمعنا حتى هذا الوقت اثنين و أربعين ألفا من مخطوطات القرآن كاملة و جزئية و عمل المقارنة جار" .

و قبيل الحرب العالمية الثانية نشر المعهد تقريرا مؤقتا فيه الآتى :-

" لم نجد إلى الآن أى اختلاف فى الرواية سوى بعض أخطاء الكتابة . و الفرق بينها أن الاختلاف فى عدة نسخ . بينما سهو الكاتب يتعلق بنسخة واحدة .

و من المؤسف له أن هذا المعهد وقعت عليه خلال الحرب العالمية الثانية قنبلة من طائرة أمريكية فلم يبق له عين و لا أثر ، إذ دمرت المكتبة ، و قتل العمال ، و باد كل شئ فى المعهد ، إلا أن أصول المخطوطات موجودة ، و فى الإمكان جمعها من جديد و الوصول إلى نفس النتيجة السابقة)[1] .

إلا أن هذه الأبحاث و الأعمال الموضوعية من المستشرقين المعتدلين ، لا ترضى أصحاب النفوس المريضة من المستشرقين المجحفين ، الذين ينطلقون فى أحقادهم للقرآن الكريم من ميراث عتيق ، يرجع فى أغوار التاريخ إلى نصارى الروم ، و يهود المدينة الذين كانوا يتربصون بالإسلام و أهله الدوائر .

---

[1] المستشار محمد عزت الطهطاوى . الميزان فى مقارنة الأديان صـ٤١٠ ، ٤١١ ، بتصرف الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م ، دار القلم ، دمشق . الدار الشامية بيروت .

المبحث الثالث

ادعاء المستشرقين أن السنة النبوية من وضع الصحابة

و إذا كانت الدافعية وراء ظهور الإسلام بشرية ، و القرآن إنتاج بشرى ، وضعه محمد – ﷺ – فإن السنة التي تُعزى إليه في معظمها ، من وضع أصحابه و من جاء بعدهم ، دعاهم إلى ذلك اتساع رقعة الإسلام . و عجز القرآن و ما ورد عن الرسول ، عن مجاراة احتياجات الناس . هكذا يعتقد المستشرقون .

يقول " جولدزيهر " (و لا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها . بل هناك أحاديث عليها طابع القدم .

و هذه إما قالها الرسول . أو من عمل رجال الإسلام القدامى ، و لكن من ناحية أخرى . فإنه ليس من السهل تبين هذا الخطر المتجدد عن بُعد الزمان و المكان من المنبع الأصلى ، بأن يخترع أصحاب المذاهب النظرية و العملية أحاديث ، لايرى عليها شائبة فى ظاهرها ، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه . فالحق أن كل فكرة . وكل حزب ، وكل صاحب مذهب ، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل . و أن المخالف له في الرأى . يسلك أيضا هذا الطريق . ومن ذلك لايوجد في دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية ، مذهب أو مدرسة ، لاتعزز رأيها بحديث . أو بجملة من الأحاديث . ظاهرها لا تشوبه شائبة)[1].

وقد يظن ظان أن "جولدزيهر" يقصد بذلك الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة . ولكن هذا الظن يتلاشى عندما نقرأ من كتاب المرحوم الشيخ محمد الغزالى " دفاع عن العقيدة والشريعة " قوله ناقلاً عن "جولدزيهر" : (إن تعاليم القرآن تجد تكملتها واستمرارها . فى مجموعة من الأحاديث المتواترة . وهى وإن لم ترو عن النبى مباشرة . تعتبر أساساً لتمييز روح الإسلام " أى أن الأحاديث المتواترة لم تصدر عن الرسول .. الطعن ليس فى حديث ما إذن . أو فى جملة أحاديث عليها اعتراض قوى أو ضعيف . كلا . إن الطعن فى السنة كلها : المتواتر منها والمشهور والصحيح . ويستأنف المستشرق دعواه فيقول : إن هذه الأحاديث وغيرها من النصوص المماثلة لها ، والتى يسهل علينا جمعها .

---

[1] جولدزيهر ـ العقيدة والشريعة فى الإسلام صـ٤١ .

لاتمثل وجهات نظر خاصة بطبقة سامية الأخلاق فحسب ، بل إنهـا لتُعبر عـن العاطفـة العامـة لفقهاء الإسلام "

....فالقرآن نقله الرسول عن الأوائل ، والسنة التى تنسب إليه ، نقلها أتباع الرسول عن الأجانب ، والإسلام صفر !! هذه نهاية المطاف للتفكير الاستشراقى النزيه جداً ، أو هى بتعبيرنا ثمرات التفكير البقرى التافه الشرود ..

إذا كان التواتر يجئ بالكذب . فمن أين نعلم أن "جولدزيهر" هذا موجود ، وأنه ألف هذا الكتاب ؟؟ لماذا لايكون شخصية خرافية . وتكون نسبة هذا الكتاب إليه ، من اختلاق بعض الخبثاء أو الظرفاء ؟؟! إننا لم نعرف وجوده إلا بالتواتر ، فإذا كانت السنة المتواترة مكذوبة ، فلماذا ننكرها ونعترف بحياته هو ؟؟) [1].

هل هذا منهج تدرس من خلاله موروثات الأديان وتاريخ الأمم ؟؟ أم أنـه تخليط ، وافتراضات كاذبـة ومجازفات واهمة .

إننا بهذا المنهج الذى يطبقه على ديننا ، نستطيع أن ننكر طائفة المستشرقين ونقول : إنهم كابوس مزعج أتى شخصاً فى منامه . فسطر أوراقاً من خياله المكدود ، يصور فيها بشاعتهم ، التى أقلقت نومه وجفت به عن مضجعه .

و لقد (زعم المتسشرق الفرنسى " جوزيف شاخت " أن السنة النبوية – بأنواعها الثلاثة : القولية و العملية و التقريرية – ظلت بمنأى عن التشريع الإسلامى ، لا يلتفت إليهـا ، و لا يعمـل بهـا ، و ليست معدودة مصدرا للتشريع لا فى عهد النبى و لا عهد الخلفاء الراشدين الأربعـة ، و لا فـى عهـد كبار التابعين و إنما يرجع الفضل فى جعل السنة مصدرا ثانيا للتشريع إلى الإمـام " الشـافعى" رضـى الله عنه . ثم أدرجها الفقهاء . بعد الشافعى ضمن مصـادر التشـريع بعـد أن ظلـت نحـو قرنيـن مـن الزمان من ظهور الإسلام أمرا معدوما لا وزن له ...

و يستطرد " شاخت " فيتهم الإمام " الشافعى" بعدم الأمانة العلمية . و هذا مسـلك كـان ضروريـا أن يسلكه " شاخت " للطعن فى الإمام " الشافعى " نفسه . حتى يظهره فى صورة الأفاق المزوّر فى نظـر المسلمين .... و مزاعم " شاخت " هذه قد تأثر بهـا بعـض المفتونيـن ، مـن أبنـاء المسـلمين . مثـل "

[1] أ/الشيخ / محمد الغزالى . دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين . صــ٥٨، ٥٩ . بتصرف . مرجع سابق .

محمود أبو رية " الذى أكثر الطعون فى السنة فى كتابه " أضواء على السنة المحمدية " ثم "حسين أحمد أمين" ، فى مقالاته الصحفية و غيرهما ...

و ها نحن أولاء نتعرض لهذا الهراء ، الذى تفوّه به هؤلاء من حزب الشيطان)[١] .

(قال الإمام الشوكانى : إن ثبوت حجية السنة المطهرة ، و استقلالها بتشريع الأحكام . ضرورة دينية و لا يخالف فى ذلك ، إلا من لا حظّ له فى الإسلام " ....

و قد استفاض القرآن و السنة الصحيحة الثابتة بحجية كل ما ثبت عن الرسول – صلى الله عليه و سلم –

قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ آلعمران ٣١ .

و قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ﴾ النساء ٥٩ .

قال ميمون بن مهران : الرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه ، و الرد إلى الرسول . هو الرجوع إليه فى حياته . و إلى سننه بعد وفاته .

و قال سبحانه : ﴿ فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما ﴾ النساء ٦٥ ..

وقال : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ النور ٦٣ ....

و أما الأحاديث فكثيرة . منها :–

ما رواه أبو داود فى سننه عن المقداد بن معد يكرب أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – قال :" ألا إنى أوتيت الكتاب و مثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان . متكئ على أريكته يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه . و ما وجدتم من حرام فحرموه . ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى . و لا كل ذى ناب من السباع . و لا لُقطة معاهد . إلا أن يستغنى عنها صاحبها . و من نزل بقوم . فعليهم أن يقرود . فإن لم يقروه . فعليه أن يعقبهم بمثل قراه)[٢] .

---

[١] أد/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى . افتراء المستشرقين على الإسلام صـ١٩٣ ـ ١٩٤ بتصرف ، مرجع سابق .

[٢] د/ محمد محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة صـ٢٤ ; ٢٧ ، بتصرف . ١٤١٠هـ ١٩٩٠ م ، سلسلة البحوث الإسلامية . مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة .

لقد تنبأ المصطفى – صلى الله عليه و سلم – بهؤلاء الجاحدين المنكرين ، لما هو أضوأ من الشمس في رائعة النهار ، و يمارس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما شرفه الله به من تبليغ الشرع الإلهي ، على لسانه هو دون سند في القرآن – اللهم إلا الآيات العامة التي تبين أن طاعة الرسول طاعة الله – فيحرم لحم الحمار الأهلي ، و كل ذي ناب من السباع .

لقد ولد الإمام الشافعي سنة ١٥٠ هـ في نفس العام ، الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنهما . فكيف كان يصلي المسلمون طوال هذه المائة و الخمسين عاما ؟

و كيف كانوا يحجون ؟ و كيف كانوا يُزكُّون أموالهم ؟ و كيف و كيف ... إلخ .

و هل كانوا يأكلون لحوم الحُمر الأهلية ، و كل ذي ناب من السباع . حتى جاء الإمام الشافعي . فجعل السنة مصدرا للتشريع ؟!

أي عقل هذا الذي ينضح بهذا الترهات* ، و هل هذه بحوث علمية نزيهة ؟

أم أنه الخطل في الرأي . و الكيد الأحمق لدين الله ؟

لقد أرسل رسول الله – صلى الله عليه و سلم – سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن فقال له : (بم تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي و لا آلو .

فضرب رسول الله صدره . و قال : الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي الله و رسوله)[1]

فلا سبيل لمتقول على دين الله . و ما أعجز هؤلاء المتسلقين الذين لا يكيدون إلا أنفسهم .

---

* ترِهَ ترْهًا : وقع في التُّرَّهات . و التُّرْهَة : الباطل . المعجم الوسيط جـ١ صـ٨٨ .

[1] المرجع السابق صـ٢٩ .

المبحث الرابع

ادعاء المستشرقين أن الفقه الإسلامي وضع الفقهاء

وسيراً في خبطه ، وتعمده إنزال المقدسات الإسلامية في نفوس المسلمين ، عن عروش جلالها وهيبتها . ينطلق " جولدزيهر " على غير هدى نحو الفقه الإسلامي ، ليدعي بكل بساطة . أنه من وضع الفقهاء المسلمين الذين عمدوا في القرآن والسنة ما يساير تطورات الزمان ، واتساع رقعة الدولة الإسلامية . وظهور مستجدات حياتية ، تتطلب الحكم الشرعي فيها .

يقول : (وبالجملة فإن الحياة الفقهية الإسلامية ، سواء في ذلك ما يتعلق بالدين أو الدنيا أصبحت خاضعة للتقنين . والقرآن نفسه لم يعط من الأحكام إلا القليل . ولا يمكن أن تكون أحكامه شاملة لهذه العلاقات غير المنتظرة كلها مما جاء من الفتوح ، فقد كان مقصورا على حالات العرب الساذجة . ومعنياً بها . بحيث لايكفي لهذا الوضع الجديد ...

أما في الأمور الدينية الخاصة بالحياة اليومية فقد اكتفوا في ذلك بعادات قانونية . وأخذوا في الوقائع المتنازع فيها بما يوحيه إليهم الذكاء ، وأستطيع أن أقول : بأنهم أخذوا في ذلك بمقتضى ما يريدون . وزيادة على هذا ، فإنهم لم يأخذوا بدقة بتلك القواعد ، التي كانت وضعت في عهد الخلفاء الراشدين)[1] لن نجد أنفسنا في الرد على هذه الافتراءات والتخرصات . فلقد كُفينا بغيرنا من إخوان المستشرقين و من أبناء جلدتهم ممن هو على مثل رأيهم في دين الإسلام . إلا الإنصاف دعاهم إلى أن قول ما قالوا .

ففي (المؤتمر الدولي للقانون المقارن المنعقد في "لاهاي" عام ١٩٣٥ م أعلن على لسان الفقيه الفرنسي "لامبير" تقديره للفقه الإسلامي ثم قرر المؤتمر ما يلي : —

أولاً : اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً هاماً من مصادر التشريع العام .

ثانياً : اعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور .

ثالثاً : اعتبار الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها وليست مأخوذة عن غيرها .

وفي عام ١٩٤٨ م قرر مؤتمر المحامين الدولي المنعقد في " لاهاي "أهمية التشريع الإسلامي . وأوصى بتبني الدراسة المقارنة لهذا التشريع .

---

(١) جولدزيهر ـ العقيدة والشريعة في الإسلام صـ٣٩-٤٠ بتصرف .

وفى يوليو عام ١٩٥١م ، عقدت شعبة الحقوق الشرقية ، من المجمع الدولى للحقوق المقارنة ، مؤتمراً فى كلية الحقوق من جامعة "باريس" للبحث فى الفقه الإسلامى باسم " أسبوع الفقه الإسلامى .. وبعد الانتهاء من تقديم الأبحاث ، وقف نقيب المحامين فى باريس ، ليقول بصراحة أمام المؤتمرين بأنه كان يسمع بأن الفقه الإسلامى ، لايصلح أساساً لتشريع يفى بحاجات المجتمع . ثم عقب على هذا بأن ما سمعه من أبحاث ، تثبت خلاف ذلك)[1] .

إن نقيب المحامين الفرنسى كان يفهم خطأ عن الشريعة الإسلامية ، وفهمه الخاطئ . كان نتيجة لنضج فكرى مشوه .تسلل إليه من أمثال "جولدزيهر "الذين لايرقبون فى البحث العلمى النزيه . عهداً ولا موضوعية .

و يقول (العلامة " شبرل " عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا فى مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧م : " إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم إليها . إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتى بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى سنة "

و يقول المؤرخ الإنجليزى " ويلز " فى كتباه ملامح تاريخ الإنسانية : " إن أوربة مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية و التجارية ".

أما المؤرخ الفرنسى " سيديو " فيؤكد : " أن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهى فى مذهب الإمام مالك هو شرح الدردير على متن خليل

و يقول " أدموند بيرك " إن القانون المحمدى قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه . و هذا قانون نسج بأحكم نظام حقوقى . و شريعة الإسلام هى أعظم تشريع عادل لم يسبق قط للعالم إيجاد نظام مثله و لا يمكن فيما بعد .

و قال القانونى الكبير " فمبرى " : " إن فقه الإسلام واسع إلى درجة أننى أعجب كل العجب كلما فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة و الأحكام الموافقة لزمانكم و بلادكم)[2] .

---

[1] أ / محمد محمد الدهان . قوى الشر المتحالفة . صـ١٧٥، ١٧٦ . بتصرف مرجع سابق .

[2] د/ عبد ا لله ناصح علوان . الإسلام شريعة الزمان و المكان صـ٧٨ . ٨٠ بتصرف . الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م ، دار السلام . القاهرة .

إن هذه النقول عن هؤلاء المنصفين على الرغم من بعد التجاوزات التي لا تقبلها فـي حـق المعصـوم صلى الله عليه و سلم ، إلا أنها تشهد بعظمة هذه التشريعات التي هي تنزيل من حكيم حميد .

وهكذا ينطلق كثير من المستشرقين، بل معظم المستشرقين في دراستهم للإسلام من هذا المنطلـق ، وهـو أن الإسلام نتاج بشري ، وضعه محمد لأي سبب أرضي ، إلا أن يكون سبباً إلهياً.

هذا وإن القرآن معجزة الإسلام الخالدة تدمغ هؤلاء بالحجة ، فإن ما أظهرته نتائج التقدم العلمـي مـن مصداقية هذا الكتاب في كل ما جاء فيه من حقائق النفس البشرية والكون ، يدل علـى أن لـه مصدراً علوياً وأنه ﴿ لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فصلت ٤٢

المبحث الخامس

المستشرقون والحضارة الإسلامية

المطلب الأول

الطعن فى أصالة الحضارة الإسلامية

الحضارة الإسلامية فى مفهوم طائفة من المستشرقين ، ليست إلا معبراً ، عبرت من خلاله الحضارات القديمة اليونانية والرومانية والهندية وغيرها . إلى الوريث الشرعى - بزعمهم - وهو الحضارة الغربية الحديثة (ويستهدف القول فى مجموعه بأن هناك حضارة واحدة عرفتها البشرية . بدأت فى أرض اليونان ، وانتهت اليوم فى الحضارة الغربية ، وإن كل حضارة ظهرت بين ذلك ، فهى امتداد لهذه الحضارة . وجزء منها . وأن الحضارة الإسلامية ، ما هى إلارافدة من روافد الحضارة الغربية)[١]

يقول فيليب حِتّى :(ننتهى الآن فى بحثنا هذا إلى الناحية الرئيسية فى التاريخ الإسلامى . وننتقل من سرد أحداث المعارك والفتوح ، إلى ماهو أكثر خطورة . أعنى التقدم الفكرى والتطور الثقافى فى الامبراطورية الإسلامية نفسها ، وما رافقهما من نهضة أدبية فى العلم والطب والفن والهندسة والبناء . فى هذا الطور كانت فتوح العرب عن طريق العقل لاعن طريق السيف . وذلك بالاستعانة بذخائر الآداب والعلوم اليونانية والسريانية والفارسية والهندية منقولة إلى العربية ...

فنحن إذا ذكرنا " الطب العربى "أو " الفلسفة العربية " أو " الرياضيات العربية " فلسنا نقصد بذلك أن هذه العلوم بكليتها . كانت من نتاج العقل العربى . أو أن الذين وضعوها ورقُوها . هم من أبناء الجزيرة بل نعنى مجموعة تلك العلوم . التى وضعها فى اللغة العربية . رجال نشأ جُلهم فى عصور الخلافة . وهم فرس ومصريون وعرب من نصارى ويهود ومسلمين . وقد استمد بعضهم معلوماته . من مصادر يونانية والبعض الآخر من مصادر آرامية أو هندية فارسية أو غيرها)[٢] .

فالمسلمون فى حضارتهم ناقلون ليس إلا . و لا أصالة فى حضارتهم . إن هى إلا فترة انتقالية . أو حلقة فى سلسلة التاريخ الحضارى على الأرض . حفظت مبادئ الحضارات القديمة . و سلمتها

---

[١] أ/أنور الجندى .سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية صـ١٦٣.مكتبة التراث الإسلامى .القاهرة .

[٢] د/ فيليب حتى .العرب تاريخ موجز صـ١٠٢،٩٧ . مرجع سابق .

إلى ورثتها الشرعيين من الغربيين .

يقول " إدوارد .ج.براون " (و نحن إذا تكلمنا عن العلم العربى أو الطب العربى ، نعنى بذلك الطائفة من المذاهب العلمية ، و التعاليم الطبية المودعة بطون الكتب المؤلفة باللغة العربية ، و التى يرجع معظمها ... إلى أصل يونانى مضافا إليه زيادات هندية و فارسية و سورية ، و قدر ضئيل جدا من إنتاج العقل العربى)[1] .

و لقد عرفت طائفة من المستشرقين بتعصبهم ضد الحضارة الإسلامية ، و كراهتهم لها و إنكارهم لمنجزاتها منهم " رينهارت دوزى " الهولاندى الذى كان (مريض التكوين حاقدا على تلك الحضارة الوافدة من غير بلاده ...

إن " دوزى " صاحب جهد كبير . فى الدراسات الإسلامية الأندلسية ، و جهوده طيبة فى نشر ما تعهده من كتب التراث . و لكنه أفسد كل جهده ، بما كانت تحفل به مقدماته من أخطاء . و بالأحكام الفاسدة التى أصدرها ضد الحضارة الإسلامية . و الاستنتاجات الخاطئة التى توصل إليها ... و نذكر فى هذا السياق أيضا واحدا من المستشرقين الأسبان ، لم يشهد الاستشراق مثيلا له فى كراهية الإسلام . و الحقد على المسلمين و عقيدتهم و حضارتهم ...

هذا المستشرق هو " فرانسسكو جافير سيمونيت " الذى ألف كتابين كبيرين . استهدف منهما الهجوم على الإسلام و المسلمين . و إنكار أيه منجزات قام بها المسلمون الأندلسيون .

الكتاب الأول : أقرب إلى أن يكون قاموسا يحمل اسم Glosario " قاموس لشرح الكلمات العويصة " يضم الكلمات الأيبيرية و اللاتينية . التى كان يستخدمها المستعربون الأندلسيون . و يهدف المؤلف من وراء ذلك . إلى إثبات أن المسلمين فى الأندلس . كانوا متأثرين بالحضارة اللاتينية أكثر من كونهم مؤثرين فيها ...

و الكتاب الثانى: خصصه للتعريف بالمستعربين . و هو تاريخ المستعربين فى أسبانيا ...

وكتاب المستعربين هذا يحمل شحنة كبيرة من الكراهية للإسلام و حضارته مع إنكار لمنجزاتها ...

يقول " سيمونيت " هذا :(إذا كان العرب الذين أخضعوا الشام و مصر و غيرهما . من بلاد الشرق لم يستطيعوا أن يدخلوا أية ثقافة ذات قيمة . بحكم كون نصارى هذه البلاد . كانوا أرقى منهم فى

---

[1] إدوارد . ج . براون . الطب العربى صـ١٨ . ترجمة أحمد شوقى حسن ، مراجعة د/ محمد عبد الحليم الفقى . مؤسسة سجل العرب . القاهرة .

المستوى الحضارى ، فإنهم من باب أولى ، لم يكونوا قادرين على أن يقدموا شيئا لنصارى بلاد المغرب ، ورثة الحضارة الرومانية ...

و إذا كان أهم ما قدمته الحضارة الإسلامية لتاريخ البشرية ، ما تم فى ظل الخلافة العباسية من نهضة فلسفية و علمية ، فإنه علينا أن نذكر ، أن هذه النهضة إنما تمت بفضل الرهبان النصارى ، الذين قاموا بنقل علوم الإغريق و فلسفتهم و ثقافتهم إلى العربية)[1] .

المطلب الثانى

أصالة الحضارة الإسلامية و عظمتها

(الواقع أن الحضارة الإسلامية ، بالرغم من أنها أخذت الخيوط الأولى لما كان معروفا فى العالم القديم من علوم ، فإنها أبدعت حضارة ، جديدة لها ذاتيتها الخاصة ، و طابعها المتميز ، و أن الإسلام قد قدم مفهوما جديدا " للتحضر " يختلف عن مفهوم المدنية المادى المرتبط بالعمارة و الصناعة , الرياضيات و الفلك و الجغرافيا . ذلك الذى قدمه الإسلام ، إنما هو بمثابة الوعاء الذى تصاغ فيه المدنية من بعد و تصهر فيه العلوم . ذلك هو التوحيد و الإيمان)[2] .

لقد سلف معنا من قبل أن المنهج التجريبى الذى نقله " ديكارت " عن العرب المسلمين هو الأساس الذى نهضت عليه الحضارة الحديثة ، هو من المعطيات الخالصة للحضارة الإسلامية .

(يقول الأستاذ " ليوبولدفايس* " إن الحضارات المختلفة قامت ، و نشأت رويدا رويدا من تراث الماضى بما حوى من ضروب الرأى و تيارات الفكر ، التى استغرقت فى تبلورها – إلى شكلها الخاص و كيانها المحدد – آمادا طويلة من الزمن ، و قد انفردت حضارة الإسلام وحدها ، بانبجاثها إلى الحياة ، دون سابق عهد أو انتظار ، و قد جمعت فى فجر نشأتها ، كل المقومات الأساسية لحضارة

---

(1) د/ مصطفى الشكعة ، مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية ، بحث ضمن كتاب مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية جـ١ صـ٢٨٠، ٢٨١، ٣٢٣ ، بتصرف

(2) أ/ أنور الجندى ، سموم الاستشراق و المستشرقون فى العلوم الإسلامية صـ١٩٤ ، مرجع سابق .

* ليوبولد فايس ، نمساوى ، أشهر إسلامه ، و تسمى بـ"محمد أسد وايس ، و أنشأ بمعاونة بكتول الذى أسلم أيضا مجلة الثقافة الإسلامية فى حيدر آباد ... و له أصول الفقه و الطريق إلى مكة ، و الإسلام على مفترق الطرق ، العقيقى جـ٢ صـ٢٩١ .

متكاملة شبكة متماسكة في مختلف مناحي الحياة ، له نظراته الخاصة إلى الحياة ، و له نظامه التشريعي الكامل ، و له قيمه المحدد لعلاقات الأفراد بعضهم ببعض داخل هذا المجتمع) .

و يقول " جورج سارتون* " : (حقق المسلمون عباقرة الشرق ، أعظم المآثر في القرون الوسطى .
فكتبت أعظم المؤلفات قيمة ، و أكثرها أصالة و أغزرها مادة ...
و يقول " ريتشارد كوك " (تدين أوربا بالشيء الكثير لأسبانيا العربية ، إذ حملت قرطبة مصباح العلم وضاءً في زمان كان العلم فيه في بلدان أخرى خافتا كبصيص نار مختنق ، إن التصور الخلاق الذي استطاع أن يقيم صرحا كالحمراء** ، و يبني مسجدا للعبادة كجامع قرطبة . إنما يعطينا مثلا للفارق البعيد بين هؤلاء ، و الهمجية الطليقة ، التي كان يتردى فيها الفرنجة و النورمان ، بما فيها من غليظ الأخلاق ، و فظاظة المزاج ، و الميل الشديد نحو القذارة و خشونة العيش .
و لقد استطاع نظام الحكم العربي ، أن يخلق طرازا من المدنية ، كان نسيجا وحده في أوربا . حتى لقد هيأ لأسبانيا أن تكون الدولة الوحيدة في أوربا ، التي أفلتت من عصور الظلام)[٢] .

لقد أقام الإسلام حضارة متوازنة ، تفي بحاجات الكائن البشري كله .
إن الإسلام ليس روحا فقط ، و لا هو جسد فحسب . فهو حفنة من تراب ، صورها الله تعالى في أحسن تقويم ، ثم أودعها تلك النفحة العلوية ، التي هي مناط تكريم الإنسان . فالإنسان جسد و روح ، و لا بد لكل منهما من غذاء ، و لا بد من التوازن في هذا النوع من الإشباع . فإن الإسراف في المتاع المادي يخلد بالإنسان إلى الأرض ، و يتعارض مع قول الله ﴿ و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون ﴾ الذاريات ٥٦ .

---

[١] المرجع السابق صـ١٦٥ ، ١٦٦ .

* جورج سارتون "١٨٨٤-١٩٥٦م" ولد في بلجيكا ، و حصل على الدكتوراه في العلوم الطبيعية و الرياضية ١٩١١م . و تجنس بالجنسية الأمريكية . عين محاضرا في تاريخ العلم بجامعة واشنطن ١٩١٩م ثم في جامعة هارفارد . أكب على دراسة اللغة العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت ١٩٣١م و من آثاره : المدخل إلى تاريخ العلم من ثلاثة أجزاء في خمسة مجلدات . أنصف فيه الشرق و العرب و الإسلام . العقيقي جـ٣ صـ١٤٧ .

** الحمراء : قصر من عيون الآثار الإسلامية بمدينة غرناطة بالأندلس . أقيم أيام دولة بني الأحمر . بناه أبو الحجاج يوسف بن الأحمر ، و يتكون القصر من عدة منشآت . أهمها قاعة العدل و ميدان السابع و عز فناء مكشوف مغطى بالرخام . ميدان الريحان . و قاعة السفراء أعظم منشآت القصر و بها قباب مذهبة ذات نقوش جميلة . و الحمام و هو أجمل الأبنية ذات النقوش الإسلامية النادرة . دائرة المعارف الإسلامية للناشئين صـ١٤٠ .

[٢] أ/ جلال مظهر ـ مآثر العرب على الحضارة الأوروبية صـ١٣ ، ١٦ ، ١٧ . الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة .

و الإسراف في الروحانيات و إهمال حاجات البدن غلو مذموم ، و مجافاة لقول الله تعالى ﴿ و لا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ القصص ٧٧ . ﴿ هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها ﴾ هود ٦١ .

إن الله تعالى خلق الإنسان لعبادته ، و للاستخلاف ، و لعمارة الأرض ، ولا بد من التوازن في إشباع هذه الثلاثة ، و لا بد من أن تسير جميعا في خطوط ، متوازية ، متساوية ، و الغلو في أحدها إجحاف بالآخر . و خروج على مراد الله تعالى .

إن الحضارة الإسلامية أشبعت هذه الثلاثة ، ففجرت في الناس طاقات العمل والعبادة . وأشعرتهم بلذة الطاعة ، ومتاع الحياة الدنيا ، وكشفت عن سنن الله تعالى في الأنفس وفي الآفاق على السواء . وأحدت للإنسانية جناحين . تتوازن بهما في سيرها إلى الله ، وفي عمارة الأرض .

أما تلك الحضارة الحديثة . التي تشبه أمًّا ترضع وليدها ، وهي تكتم أنفاسه ، حتى يلقى حتفه اختناقاً أو غُصَّةً بهذا الحنو القاتل ، لقد سيرت هذه الحضارة المركبات ، على الأرض ، وتحت الماء ، وفوق زينة السماء ، واصطنعت للإنسانية من المتع الحسية والملذات البدنية ، ما يفوق الحصر ، إلا أنها عجزت أن تشبع الروح الإنساني . ذلك البائس الذى لاوجود له في قاموس الحضارة الغربية . تلك الحضارة التى أسست على اللادينية من أول يوم . وأفلتت من زمام الكنيسة ، التي كانت تكبل يديها ورجليها . وتكمم فاها ، وتعد منجزات العلم هرطقة* وكفراً بعيسى .

لقد هادنت تلك الحضارة الغربية الدين حتى تمكنت منه . ثم سجنته في الكنيسة إلى الأبد . وحكمت عليه بـ " أن لاسياسة في الدين ولادين في السياسة " وإن صح التعبير . فإن الدين التزام شخصي لاينبغي أن يكون له حكم في حركة الحياة ، وسحبت هذا الحكم على جميع الأديان . إن نسب الانتحار في العالم المتمدن الغارق في متع الحياة . التي أسبغتها عليه الحضارة الغربية . توحي بفشل تلك الحضارة في مجال الآفاق الإنسانية .

وإن التقاطع والتدابر والإباحية في المجتمعات الغربية . أقوى دليل على هذا الفشل . ولَحَى الله أقواماً يجروننا إلى اتباع سنن الغرب وتقاليدهم في علاقاتهم الإنسانية . في أى وادٍ يهيمون . وفي أى مستنقعات آسنة يسبحون .

---

* هرطق في الكلام هرطقا : خلط و سفسف . و هرطق الشئ مزقه . و هرطق عرض أخيه : تنقصه و طعن فيه . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٩٨٢ .

المطلب الثالث

عظمة الإسلام سر تقدم الإنسانية

إن هذا السؤال يجيب عليه " روم لاندو* " في نقاط فيقول :

١- إنها رغبة متقدمة في اكتساب فهم أعمق للعالم كما خلقه الله .

٢- قبول للعالم المادى بوصفه صنواً للعالم الروحى .

٣- واقعية تعكس - في صدق - طبيعة العقل الإسلامى اللاعاطفى .

٤- نهمٌ طبيعى إلى المعرفة لكل ما صدر عن الله ، و دليل قدرته ، فهو جديرٌ بالتأمل و الدرس تنفيذاً لآيات التأمل . و لذا كشف " الطاعون " أولا علماء المسلمين المغاربة كما فى " ابن الخطيب الغرناطى "١٣١٣هـ -١٣٧٤م " و هو مؤرخ و سياسى أيضا ، و كذلك ابن خاتمة "١٣٢٣هـ-١٣٦٩م" و كان شاعرا و مؤرخا و طبيبا . و كتابه الأول هو " فى الطاعون " و كتابه الثانى سماه " الموت الأسود " و قد لاحظ هذا فى الطاعون العالمى الذى اجتاح الهند ، سنة ١٣٣٣م متجها إلى روسيا الشرقية .. هذا بينما كان الفرنجة يُرجعون سرَّه إلى ولادة عجل برأسين اثنين . أو إلى اليهود أو إلى الثوران البركانى)[1] .

لقد ربط الإسلام المسلم بالله و بكون الله ، ووطد العلاقة بين الإنسان المسلم ، و بين الطبيعة فى أخشن صورها . حينما قال النبى صلي الله عليه و سلم :" أُحُد جبل يحبنا و نحبه "
و احترم الإسلام الكائنات الأخرى غير الإنسان . و لم يجعلها عرضة للامتهان . فنهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم عن تهارش الديكة . و عن سب الديك ، و نهى أن تقتل الحيوانات صبرا . و أمر بالإحسان فى الذبح . بأن يحد الذابح شفرته و أن يريح ذبيحته . هذا فضلا عن الإحسان للإنسان كل الإنسان أيًّا كان لونه أو جنسه أو دينه فالكل فى ميزان التكريم الآدمى سواء .

فأى مستوى هذا الذى بلغه الإسلام فى احترام الإنسان وسائر المخلوقات .

---

* روم لاندو = روم لانداو . إنجليزى نحات و ناقد فنى . زار زعماء الدين فى الشرق الأدنى ١٩٣٧ . و عين قائد اتصال فى القوات الجوية الملكية ١٩٣٩م . و خبيرا فى وزارة الأنباء . و أستاذا للدراسات الإسلامية و شمال أفريقيا فى المجمع الأمريكى للدراسات الآسيوية فى سان فرانسيسكو . و من آثاره : الفن العربى . و عالم الإسلام و جامع القرويين . المعقيقى جـ٢ صـ ١٣٤ ، ١٣٥ .

(١) د/ عبد الفتاح الجيرى -الحضارة و التمدن الإسلامى صـ١١٦ ، ١١٧ ، بتصرف ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م . مكتبة وهبة - القاهرة .

لقد نأوا بنا عن ديننا ، ونفثوا فينا أن كل سَنِي من الأخلاق والعادات ليس من شيمنا ، وإذا ذكر العربى ذكر الحنث بالعهد والخيانة والكذب والغدر والرجعية و التخلف ، وأننا لانصلح إلا لرعى الأبقار والأغنام أو حراثة الأرض ، فعقولنا ساذجة ، ليست قادرة على التحليل الواعى والاستنباط الدقيق ، ولا هَمَّ لنا إلا إشباع الشهوات والاعتداء على المحرمات .

أما العلم والتقدم . أما الابتكار والتجديد والتطور ، أما تفجير طاقات الكون الهائلة ، والغوص فى أعماق النفس الإنسانية وسبر أغوارها . أما ما ينفع الناس فى الأرض ، أما الصدق والأمانة وإتقان العمل . والاحتراف فى الصناعات والأعمال ، أما كل صالحة من العادات والأعمال . فذلك من شيم الغربى . الناصح الأمين . القادر على قيادة البشرية إلى شاطئ الأمن .

لقد أُريد لنا فانصعْنَا . وخدعونا فانخدعنا لهم ، وأودعونا فى أودية التخلف والنسيان فاستنمنا لمخططاتهم . وأوحوا إلينا أن نبكى الديار والأطلال إذا شعرنا بأدوائنا ، حتى نعود إلى مضاجعنا خاملين .

والعجيب أن روح الاستخذاء والشعور بالضعف . أصبح يتناقلها الناس وكأنها مواريثنا . ولاريب أن الواقع غير هذا . يشهد بذلك الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس .... ﴾ آلعمران ١١٠

إن الإسلام قادر على اصطناع العباقرة . وإنجاب الأَلِبَّاء " .

تحدث " جيمس إيروين " قائد سفينة الفضاء الأمريكية "أبوللو" عام ١٩٧١م فقال : "إن الدكتور فاروق الباز " لعب دوراً هاماً فى الإعداد لرحلة الفضاء . وقام بتدريب " إيروين " ضمن من دربهم من رواد الفضاء على الهبوط على سطح القمر . وحدد لهم الأماكن . التى سينزلون عليها وشرح لهم طبيعتها .

ثم قال إن دهشته كانت كبيرة . عندما وجد أن الأماكن التى هبط عليها . كانت بنفس المواصفات التى حددها له الدكتور " الباز " على الأرض . كما دربهم على التقاط الصخور من على ظهر القمر . وكيفية انتقائها .

وقال : إن الدكتور " الباز " كان يُمضى ساعات طويلة من الليل فى الاتصال برواد الفضاء ، أثناء رحلتهم إلى القمر ، بينما هو جالس فى مركز المراقبة الأرضية فى قاعدة " كيب كندى* ".

وهنالك فى أمريكا وأوربا من الأساتذة المسلمين كثيرون ، لو أنهم سحبوا من مواقعهم العلمية الهامة . لاختل الكيان العلمى والاقتصادى هناك .

و لقد أثبتت (الإحصائيات أن أكثر من ٥٠٪ من حملة شهادات الدكتوراه فى المجالات الهندسية فى القارة الأمريكية هم من أبناء العالم الإسلامى . و كثير من العلماء البارزين فى شتى فروع العلوم الطبيعية و التقنية فى الجامعات الأمريكية هم من المسلمين)[1] .

وعلى سبيل المثال – فى المجالات النادرة و الحيوية فى تشييد الحضارة – :ـ الدكتور – مراد أبوسبع .أستاذ علم الميكروبولوجيا بإحدى الجامعات الأمريكية ، والدكتور سعد الدين حافظ . وقد نجح فى أبحاث نقل الجنين الإنسانى من رحم الأم ، وعمل على تربيته فى " أنابيب الاختبار " فترة من الوقت . وهو صاحب مشروع " طب الرجال "بإحدى جامعات ألمانيا .

الدكتور محمد الوكيل . أستاذ الهندسة النووية والكهربائية فى جامعة وسلكنس الأمريكية . والدكتور محمد عبد الهادى : رئيس الاستثمار بجامعة " أوكلاهوما " الأمريكية)[2] .

وغيرهم كثيرون أسهموا فى منجزات الحضارة الغربية الحديثة ، فقط نريد العودة لديننا . لنعتز بالله ونطرد عنا أوهام الحاقدين . ونمارس مهمتنا فى التعرف على كون الله . فنحن أحق الناس به . إذ إننا أعرف الناس بالله . ونحن وهذا الكون كله . نسير فى اتجاه واحد إلى الله ﴿ وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم ﴾ الإسراء ٤٤ .

فالإسلام هو الذى حفزنا للتعرف على آيات الله فى أنفسنا . وفى هذا الكون ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ الذاريات ٢٠ . ٢١ .

*كيب كندى . كانت تعرف باسم " كيب كانا فيرال " حتى عام ١٩٦٣م موقع ساحلى بارز بولاية فلوريدا الأمريكية يطل على المحيط الأطلسى . اشتهرت بأنها مركز أبحاث الفضاء الأمريكية ، و منها انطلق أول قمر صناعى فى ٣١ يناير ١٩٥٨م . و أول سفينة فضاء فى ٥ مايو ١٩٦١م .أطلق عليه الاسم تكريما للرئيس الأمريكى " جون كيندى " بعد وفاته فى يونيه ١٩٦٣م ، و ذلك للخدمات التى أداها فى سبيل تنشيط بحوث الفضاء . القاموس السياسى . أحمد عطية الله صـ١٠٢٦ .

[1] د/ باسم خفاجى . الإعلام الغربى و تشويه حقائق الصراع . مجلة البيان صـ٦٤ عدد ١٢٦ صفر ١٤١٩هـ يونيو ١٩٩٨م ، المنتدى الإسلامى . لندن

[2] المرجع السابق صـ١٧ . ٢٠ بتصرف .

غير أننا نجد بعض المستشرقين ، حتى مـن نعدهـم منصفـين ، يطفئـون علينـا هـذا السـراج ، الـذى نستضئ به فى عالم الغربة الحالك ، الذى جرّنا إليه أعداؤنا ، تقـول المستشـرقة الألمانيـة " زيغريـد هونكه* " فى كتابهـا " شمـس العـرب تسـطع علـى الغـرب " : (إن هـذا الكتـاب يتنـاول العـرب والحضارة العربية ، ولا أقول الحضارة الإسلامية ، ذلك أن كثـيراً مـن المسـيحيين واليهـود والمزديـين والصابئة . قد حملوا هم مشاعلها أيضاً ، وليس هذا فحسب ، بل كثيرا من تحقيقاتها العظيمة الشأن كان مبعثها احتجاجاً على قواعد الإسلام القويمة) [1].

فهل عارضت قواعد الإسلام القويمة منجزات الحضارة العربية ـ حسب تعبيرها ـ ؟

إن الإسلام هو الذى انتظم كل الأجناس البشرية فى عقده ، فصاروا بنعمة الله إخواناً ، من يوم أشـار سلمان الفارسى رضى الله عنه بحفر الخندق ، إيذانا بأن الإسلام جنسية جديدة ، يتحول إليهـا مـن يعتنق الإسلام عقيدة وشريعة . وعبادات وأخلاقاً.

ولولا الإسلام لما كان لهؤلاء شأن .. ولما قامت لهم قائمة فى تاريخ الحضارات الإنسانية .

---

* د/ زيغريد هونكه . مستشرقة ألمانية ذائعة الشهرة زوجة المستشرق الألمانى "شولتزا" تناولت فى أطروحتها للدكتوراه " أثر الأدب العربى فى الآداب العربية . و لها كتاب " الرجل و المرأة " زارت و زوجها كثيرا من الدول العربية ، و قضيا فى المغرب سنتين . شمس العرب تسطع على الغرب صـ٧ .

(١) زيغريد هونكه . شمس الإسلام تسطع على الغرب .صـ١٣ الطبعة الثامنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ترجمة /فاروق بيضون ـكمال دسوقى . دار الآفاق الجديدة . بيروت . لبنان .

المبحث السادس

نيل المستشرقين من اللغة العربية

وإذا كان المستشرقون ، قد شككوا فى مصدرية القرآن الكريم ، وقالوا : إنه اختراع بشرى ، وغضوا الطرف عن أنواع الإعجاز فيه . إذا كان الأمر كذلك ، فلابد من السطو على اللغة العربية ، بالتهوين من شأنها . والادعاء بأنها جامدة ، لاتساير ركب التطور ، والسخرية والاستهزاء بالمتحدثين بها . وإظهارهم فى وسائل الإعلام المختلفة ، فى صورة مزرية ، هيئة وملبساً وتخلفاً وشراهة . وربطهم فى أذهان الناس بصورة المسخ . الذى يتفكه بمنظره وبكلامه الناس .

وإذا كان القضاء على اللغة العربية ، يؤدى خدمة جليلة للاستشراق والاستعمار وللتبشير . حيث يستعجم القرآن على أبناء المسلمين ، وكذلك السنة ، ويزهدون فى اللغة - التى هى مثار السخرية حينئذ - إذا كان الأمر كذلك . فلا بد من هجمة شرسة ، تسقط هذه اللغة عن عرشها .

المطلب الأول

أهمية اللغة فى حياة الأمم

تشكل اللغة عنصراً أساسياً ، من عناصر الحفاظ على هوية الأمة . لأنها هى المعبرة عن تراث الأمم وحضارتها . يقول المفكر الألمانى " هيردر" هل للقومية أى شئ أعز من لغة الآباء ؟

إن فى اللغة . تكمن أفكار الأمة وتقاليدها وتاريخها ودينها وأسس حياتها وقلوب أبنائها وأرواحهم . وهكذا يكشف لنا هذا النص . عن أثر اللغة وأهميتها فى الحفاظ على البناء القومى للأمة . ومن هنا نلاحظ أن كثيراً من الأمم . حينما أرادت أن تنهض . وأن يكون لها كيانها المستقل . حاولت أن تحيى لغتها . وأن تنقيها من مزاحمة اللغات الأجنبية .

ولذلك قام الألمان ... فى أواخر القرن التاسع عشر . وأوئل القرن العشرين ، بتطهير لغتهم من الكلمات الفرنسية . التى كانت قد دخلت إليها فى الفترات السابقة .

كما قام زعماء الجماعة الهندوسية ، بعملية مماثلة فى معارضتهم للغة " الأوردو* " ذات الارتباط الوثيق باللغة العربية والعقيدة الإسلامية ، حيث جردوا لغتهم من الألفاظ ذات الأصول الإسلامية ، وحينما أراد أتاتورك** قطع صلة تركيا بالعربية والإسلام ، قام بنفس العملية)[1].

فاللغة هى " الأنا " التى تعبر عن هوية الشعوب ، واللغة العربية هى الرابطة ، التى تجمع العرب والمسلمين فى بوتقة واحدة ؛ ولقد خطط الاستشراق لطَىِّ صحف هذه اللغة ، وقذفها فى عالم النسيان حتى تنقطع صلة المسلمين بمصدر عزهم ونهضتهم ، ويطرقوا أبواب الثقافات الغربية . فيلبسوا ثيابها ويتخلقوا بأخلاقها .

و قد وجد من الزعماء الوطنيين – كما سُمُّوا – من كان يطالب بإحلال الإنجليزية محل العربية فى التعليم إنه زعيم الأمة " سعد زغلول" الذى وقف فى الجمعية العمومية يوم ١٩٠٧/٣/٣م قائلا: (إن مركز الأمة – يعنى مصر – من الأمم الأخرى . و اختلاطها بالأجانب ، و اشتباك المصالح الأجنبية

* أردو اللغة المشتركة فى شبه القارة الهندية بين سكانها على اختلاف دياناتهم و لغاتهم المحلية ، و هى اللغة الرسمية لجمهورية باكستان . أردو فى الأصل كلمة تركية بمعنى معسكر أو جيش ، ذلك لأن هذه اللغة نشأت بسبب اختلاط الجيوش الإسلامية المغيرة على الهند من طريق أفغانستان بالماطنين الهنود فكان السلاطين يتكلمون الفارسية فى بلاطهم . بينما الرعايا يتكلمون إحدى اللغات الهندية ، و بعض القوات من الأتراك يتكلمون التركية . و فى نفس الوقت كانت أحكام الدين و الشريعة مقتبسة من اللغة العربية فتكون من كل هذا الخليط لغة الأردو . دائرة المعارف الإسلام للناشئين صـ١٩ .

** مصطفى كمال أتاتورك "، مؤسس تركيا الحديثة و رئيس الجمهورية " ١٩٢٣-١٩٣٨م " ألغى الخلافة الإسلامية ١٩٢٤م . وولد فى سلانيك عام ١٨٨٠ " من امرأة اسمها زبيدة . و لقد قام أحد الضباط الأتراك السابقين بتأليف كتاب عن " أتاتورك " أثبت فيه أنه ليس ابنا شرعيا لمن نسب إليه كأب . و هو كتاب " الرجل الصنم " و هو كتاب من مجلدين " تناول فيه هذا الضابط سيرة " أتاتورك " الذى كان أنكى لعنة رُزأ بها العالم الإسلام فإنه كان أنكى من التتار و المغول و من كل أعداء الله الذين لم يستطيعوا أن ينثروا عقد الخلافة الإسلامية . و جاء ابن الشر هذا فأسقطها . عليه لعائن الله و الملائكة و الناس أجمعين . تراجم أعلام المورد صـ١٥ ، و كتاب الرجل الصنم جـ١ صـ٤٥ .الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م . مؤسسة الرسالة . بيروت سوريا .

[1] أ.د/سعد الدين السيد صالح . أساليب وشبهات الاستشراق فى مجال التعريب صـ٦ بتصرف . المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م - العدد الثامن - المجلد الأول - المكتبة العلمى الحديث للطباعة . الزقازيق .

بالمصالح الوطنية كل ذلك أوجب أن يكون تعليم العلوم باللغة الأجنبية ، لكى يتقوى الطلاب فيها كما ينبغى و يمكنهم بها أن يستفيدوا من المدنية الأوربية و يفيدوا بلادهم بها)[1] * .

إن القضية فى أذهان الزعماء : كانت قضية وطنية و أرض و تراب ، أما الدين فليس له من نصيب و ليس معنى ذلك أننا ضد الوطنية و تحرير أرض الوطن و ترابه من يد الغاصبين . و لكننا نعنى أن الإسلام هو الذى كرس هذه المشاعر و أحياها ، و أى معالجات لمشاكل الأمة بعيدا عن ساحته . إنما هو جلب لداءات جديدة . و قد دلت التجربة . أن الذين ذهبوا ليتعلموا لغة الغرب ليفيدوا أوطانهم جاءوا صفر اليدين من المعمليات المفيدة . و جاءوا معبئين بفلسفات الغرب اللادينية . و ثقافته الإباحية .

إن تركيا – التى كان الغرب يخايل لنا بها ، من خلال تجربتها العلمانية ، و أنها هى السياسة الوحيدة للسير فى طريق الغرب المتمدن – لم تتقدم ، و تقدمها الحالى . لا يعدو أن يكون أبجديات التقدم التى أخذت بها كثير من دول العالم ، و لا زالت ترتكس فى أودية المشاكل الاقتصادية والسياسية . و لم تزدها اللادينية و الانفلات من حمى العربية إلا شقاء .

---

(1) أ/ فتحى رضوان مشهورون منسيون . ص٤٥ . الطبعة الثانية ١٩٩٨م . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .

* جدير بالذكر أن الشعب المصرى أصيب بخيبة أمل لموقف " سعد زغلول " من العربية . و هاجمه الزعيم الوطنى مصطفى كامل فى جريدة اللواء حينئذ و التى كانت تمثل صوت الحزب الوطنى فى هذا الوقت . كما رد عليه الشيخ عبد العزيز جاويش "١٨٧٢-١٩٢٩م " فى مقالات له فى المؤيد تحت عنوان "ظلموك ياسعد " و الشيخ عب العزيز ليبى الأصل . هاجر والده إلى الإسكندرية حيث نشأ الشيخ و تعلم و تقلب فى مناصب حكومية و كان له دور فى الرد على المستشرقين . منها رده على المستشرق الألمانى " فولرس" الذى زعم أن القرآن أول كتاب عربى كتب بالعامية . و كان ذلك فى مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة ١٩٠٥م . مشهورون منسيون ص٤٣، ٤٤، ٤٩ . بتصرف .

المطلب الثانى

تشجيع المستشرقين للهجة العامية

قد كان لزاماً على قراصنة الاستشراق ، أن يعملوا على تفريق حبات العقد العربى المسلم ، فدعوا أولاً إلى الكتابة بالعامية ، حيث يكتب كل قطر من الأقطار العربية الإسلامية بعاميتها ، وتولى كبر هذه الدعوة الشخصيات التالية : ــ

١ـ المستشرق الفرنسى " لويس ماسينيون " وكان يعمل فى قسم الشئون الشرقية . بوزارة الخارجية الفرنسية . وقد حاول الترويج لدعوته فى المغرب العربى ، وفى مصر وفى سوريا ولبنان .

٢ـ الأب "روفائيل نخلة"* . وقد وضع مؤلفاً باللغة الفرنسية ، وطبع فى المطبعة اليسوعية بلبنان . واسم هذا المؤلف " قواعد اللبنانية السورية ".

٣ـ "شكرى الخورى" وضع كتاباً دعاه " التحفة العامية فى قصة فينانوس " وقد نشرها الآب " لاى اليسوعى " وقد ألف بلغة لبنان العامية ، وطبع فى المطبعة اليسوعية بلبنان .

٤ـ الخورى مارون غصن . وهو أحد المدرسين ، فى مدرسة شطورا ، بلبنان وضع مؤلفا دعاه " فى متلو هلكتاب "

٥ـ الدكتور " أنيس فريحة " وهو أحد أساتذة التاريخ واللغات السامية . فى الجامعة الأمريكية ببيروت . وضع كتاباً دعاه " تبسيط قواعد اللغة العربية وتبويبها على أساس منطقى جديد " ويدعو فى كتابه إلى الكتابة باللغة العامية والحرف اللاتينى)[1] .

أما فى مصر " أرض الكنانة " فقد كانت الحملة على أشدها . وقد قام بهذا الدور (المندوب السامى البريطانى " ا فيلنج يارنج كرومر* " وكان دبلوماسيا بارعا . فضلاً عن أنه كان من دعاة تغريب الفكر الإسلامى ......

ومن جملة آرائه التى كان شديد التحمس لها . دعوته إلى إلغاء العربية الفصحى . والاعتماد على اللغة العامية ....

---

* روفائيل نخلة "١٨٩٠-١٩٧٣م " انضم إلى الرهبانية ، من آثاره قواعد العامية اللبنانية ، و غرائب اللغة العربية . المعيقى جـ٣ صـ٣١٣ .

(1) المستشار / محمد عزت إسماعيل الطهطاوى ــ التبشير والاستشراق أحقاد وحملات صـــ١١٣ . مرجع سابق .

* ولد ببلدة كرومر الإنجليزية عام ١٨٤١م عين عضوا إنجلزيا فى صندوق الدين فى مصر ... ثم عين عضوا فى لجنة فحص الميزانية . ثم عين قنصلا عاما و معتمد أساسيا لمدة ٢٤ سنة عمل خلالها على تثبيت دعائم الاحتلال البريطانى . توفى عام١٩١٧م صـ٩٧١موس السياسى أحمد عطية الله ..

ثم جاء المستر " ولمر " وكان قاضياً فى محكمة الاستئناف الأهلية ، فألف كتاباً أسماه " لغة القاهرة " ووضع فيه قواعد اللهجة العامية ، ودعا إلى أن تكون لهجة القاهرة لغة العلم والأدب .... وجاء من بعده " وليم ولكوكس " وكان مهندساً للرى فى مصر ، ومن أعمدة الاستعمار البريطانى الذين يعول عليهم ، فدعا إلى هجر اللغة العربية)[١] .

وجدير بالذكر . أن الرأى العام فطن لهذه الخطط الماكرة ، فحاربها وثار عليها ، إلا أن البذرة كانت وضعت ـ للأسف الشديد ـ حيث أريد لها من قِبَل الاستعمار والاستشراق .

فتولى كبر هذه الدعوة أبناء المسلمين والعرب ، وبدأوا فى تنفيذ هذا المخطط الآثم ومن هؤلاء : ـ توفيق الحكيم . ولويس عوض . وسلامة موسى . وأحمد لطفى السيد " وكانت دعوة هؤلاء . انطلاقا من الأحبولة المتمثلة فى هذا القول الخادع (تيسير اللغة العربية الفصحى ، وقام بهذا الدور أحمد لطفى السيد وكانت فكرته تعتمد على عدة محاور أبرزها اثنان : ـ

المحور الأول : يتعلق بالكتابة نفسها . وظهر فى هذا الصدد اقتراحان :

أحداهما : ـ هجرُ الرسم العربى والاستعاضة عنه بالحروف اللاتينية ... وقد وُئِد هذا الاقتراح وعورض حتى يئس المطالبون به .

ثانيهما : ـ الدعوة إلى كتابة الكلمة العربية ، حسب النطق بها ، لاحسب القواعد الإملائية . والضبط بالشكل لكل حروف الكلمة . ماعدا الحرف الأخير ، الخاضع لعوامل الإعراب "

المحور الثانى : ـ كان يسعى للتخلص من حركات الإعراب . التى يخضع لها الحرف الأخير من الكلمة القابل لظهور تلك الحركات)[٢] .

وقد تضمن هذا الاتجاه . الدعوة إلى كتابة الحركات الإعرابية حروفاً (والعجيب أن الدكتور طه حسين فى حملته على اللغة العربية فى كتابه " مستقبل الثقافة فى مصر " يقرر أن هذه الطريقة التى دعا إليها أستاذه أحمد لطفى السيد ، توفر الوقت والجهد والمال فى الكتابة باللغة العربية . وتضْمَنُ صحة الكلام بدون الاحتياج إلى قواعد النحو والصرف)[٣] .

---

[١] ا / محمد محمد الدهان ـ قوى الشر المتحالفة صـ٧٦ ـ ٧٨ بتصرف . مرجع سابق .

[٢] ا . د/عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى . أوربا فى مواجهة الإسلام الوسائل والأهداف صـ٢٢١ بتصرف الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م مكتبة وهبة القاهرة .

[٣] المرجع السابق صـ٢٢٢ .

وكل منصف يقرأ ما يكتب هؤلاء يوقن بفساد ما يدعون ، فإنها خسارة فى المال ، وإفراط فى الجهد الضائع بلا طائل ، وتعقيد للغة التى اختارها الله تعالى بياناً لكلمته الخاتمة إلى يوم الدين .

يقول الأستاذ الشيخ / محمد الغزالى رحمه الله : (ونجح الاستعمار فى إبعاد الفصحى من لغة التخاطب ليستأنف إبعادها عن لغة التأليف والإذاعة ، وأطلعنى أحد الأصدقاء ، على مجلة أسبوعية أخرجت لسانها لى ، لأنى أنطق الجيم جيماً والقاف قافاً .

إن محرر المجلة " رئيكدا " بلغة الرعاع ، أو " رقيق جداً " بلغة العرب !!!

للقاف والجيم رنين ، يرتطم بقفاه كأنه صنعة مزعجة !! ، إن الغريب ليس إفلاح الاستعمار فى خلق هذا المخنث المسخ ، ولكن الغريب أن يتسلل هذا المسخ إلى وسائل الإعلام ، ليكون له حق توجيه الجماهير!! توجيهها إلى أين ؟؟ إلى مواطن الخزى والندامة ، وموطن الارتداد والنكوص !!!!)[٢] .

ومن إفك المزيفين ، ادعاؤهم أن العربية لغة جامدة لا تساير التطور الحديث ، وعلى هؤلاء يرد الأستاذ ناصر الدين دينيه قائلاً :(لقد حقق القرآن معجزة ، لاتستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها ، ذلك أنه مكن للغة العربية فى الأرض ، بحيث لوعاد أحد أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلينا اليوم لكان ميسوراً له أن يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية ، بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد ، وهذا عكس ما يجده مثلاً أحد معاصرى " رابيليه* "– من أهل القرن الخامس عشر ، الذى هو أقرب إلينا من عصر القرآن – من الصعوبة فى مخاطبة العديد الأكبر من فرنسيى اليوم .

وإن لغة القرآن ، وإن كانت تَمُتُّ فى أصولها إلى عصور بعيدة قديمة ، فهى مرنة طَيِّعَةُ ، تسع التعبير عن كل ما يَجِدُّ من المستكشفات والمخترعات ، دون أن تفقد شيئاً من رونقها وسلامتها .

---

[٢] الشيخ /محمد الغزالى ، معركة المصحف صـ١٨٥ مرجع سابق .

* فرانسو رابليه "١٤٩٣-١٥٥٣م " كاتب فرنسى بدأ حياته راهبا ، ثم انصرف إلى الطب و التربية و الأدب ، المورد٧٤ .

وأما ما نراه من المولدَات ، التى تستعملها الجرائد اليومية العربية بنفس أصولها الأجنبية ، فليس ذلك عن ضرورة ، وإنما هو نوع من التكاسل والتهاون والتساهل ، الذى نجد مثله عندنا نحن الفرنسيين فى استعاراتنا الاصطلاحات الخاصة بالألعاب الرياضية من أصولها الأنجلوسكسونية*)[1] .

إن ما قاله " ناصر الدين دينيه " نابع عن دراسة عميقة ، وموضوعية ، وهو يلقم الأدعياء من أبناء المسلمين أحجاراً فى أفواههم ، بما نطق به من الحق .

إن أبناء المسلمين الذين حملوا على لغة القرآن ، ورموها بكل باطل من القول . ليقوموا بواجبهم تجاه أساتذتهم من المستشرقين وأولياء نعمهم من المستعمرين ، أو لمرض فى قلوبهم و هوى فى أنفسهم . يمثلون دور المنافقين ، الذين يهدمون جدار الإسلام من داخله ، فى حين غفلة من الناس عنهم .

﴿ و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يوسف ٢١ .

---

* نسبة إلى قبائل الإنجلز و السيوت و الساكسون التى غزت بريطانيا قادمة من شمال ألمانيا و من جتلند التابعة للدانمرك و طردوا أهل البلاد الأصليين إلى أقاليم كمبرلاند و ويلز وكورنوول ، و أبحر بعضهم إلى مقاطعة " بريتانى " فى فرنسا .دائرة معارف الناشئين صـ٥٢ أ/فاطمة محمد محجوب . دار الهلال .

[1] أ/ناصر الدين دينيه . أشعة خاصة بنور الإسلام صـ٣٤:٣٥ . ترجمة راشد رستم ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م المطبعة السلفية . مصر .

المطلب الثالث

قضية انتحال* الشعر

ليس من الغريب على تراث أى أمة من الأمم ، أن يوجد فيه جوانب منتحلة علـى أصحابهـا . لغير واحد من الأمر :

١- اتساع ذلك التراث و صعوبة ضبطه . ٢- رغبة بعض أبناء هذا التراث أن يزيدوا من مفاخرهم . لا سيما فى مجالات الشعر و الأدب . ٣- خطأ بعض الرواة فى النقل و هذا أمر مشهود فى تـاريخ أمم وحضارات و فى أدب مفكرين و أدباء .

فلقد (تعرضت أعمال " شكسبير** " للنقد . و قيل إنه لم يكتبها هو بل كتبها فلان . فهل يمكـن بعد ذلك أن نشكك فى شعر شكسبير كله و نطرحه كله ؟

و فى زماننا هذا جمع شعر الدكتور ناجى ثم تبين لبعض البـاحثين أن فـى ديوانـه قصـائد ليسـت لـه فهل يجوز أن نشكك فى شعر ناجى كله و نقول إنه مصنوع كله ، و نضم إليه شعر على محمود طه و محمود حسن إسماعيل ثم نرتفع بهذا الشك إلى شوقى و حافظ و البـارودى ؟ هـذه أسـاليب عجيبـة تأتى فى زمان عجيب)[1] .

فليس غريبا أبدا أن يوجد فى تراث العرب الجاهلى الذى يشـهد خبراؤه و الراسـخون فيـه . أنـه لم يصلنا منه إلا القليل – على ضخامة هذا القليل – أما أن يُدّعى أن ذلك التاريخ و التراث منحـول كلـه . بزعم الزاعمين . بلا سند من دليل يحترم أو حجة دامغة ، اللهـم إلا الشـك و الظـن . فذلـك و لا شك سوء القصد و التخرصات الفارغة عن مضمون .

إن المستشرقين كعادتهم فى التشكيك لأجل التشكيك . و كعادتهم فى أن يجعلوا من " الحبة قبة . و من القبة حبة " . خرجوا علينا يزعمون أن هذا التراث الذى يحكى لنا تاريخ أمة و مجدها و سؤددها و الذى نفاخر به . و الذى كان أساس التحدى الإلهى لهؤلاء العرب صناع الفصاحة

---

* انتحل الشئ : ادعاه لنفسه و هو لغيره . يقال : انتحل فلان هذا الشعر و هذا الرأى . و انتحل مذهب كذا : انتسب إليه و دان به المعجم الوسيط جـ٢ صـ٩٠٧ .

** شكسبير "١٥٦٤ – ١٦١٦ م " شاعر إنجليزى ، يعتبر أعظم الشعراء الإنجليز بلا استثناء ، وضع عددا من المسرحيات الشعرية الخالدة . أعلام المورد صـ٧٩ .

[1] أ/ أنور الجندى . محاكمة فكر طه حسين صـ١٦٠ بتصرف . بدون ط ، بدون ت ، دار الاعتصام المغرب .

و البيان ، كل هذا ما هو إلا زيـف و بهتـان ، و أضغـاث أحـلام ، و مـا هـو إلا تـراث منتحـل انتحله المسلمون من بعد ليثبتوا به عربية القرآن ، و ليكون للتحدى الإلهى للعرب محل من الإعراب و هى قضية جديرة بالطرح لأنها تمثل أحد وجهات النظر الاستشراقية المعتدية و أحد الموازين الجائرة لدى طائفة من المستشرقين ، و فيما يلى عرض هذه القضية .

أولا : قضية الانتحال فى نظر العرب الأقدمين

إن (الشعر معدن علم العـرب . و سفر حكمتهـا و ديـوان أخبارهـا ، و مسـتودع أيامهـا . و السـور المضروب على مآثرها . و الخندق المحجوز على مفاخرها و الشاهد العدل يوم النفار و الحجة القاطعة عند الخصام و من لم يُقم عندهم على شرفه ، و مـا يدعيـه لسـلفه مـن المنـاقب الكريمـة . و الفعـال الحميدة بيتاً منه شذت مساعيه . و إن كانت مشهورة ، و درست على مرور الأيام و إن كانت جساما و مَنْ قيَّدَهَا بقوافى الشعر و أوثقها بأوزان و أشهرها بالبيت النـادر و المثـل السـائر و المعنـى اللطيـف أخلدها على الدهر و أخلصها من الجحد و رفع عنها كيد العدو ، و غض عين الحسود)[1] .

يقرر لنا ابن سلام * قضية الانتحال من خلال عدة أقوال له أنقلها فيما يلى :

(و فى الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير . لا خير فيه . و لا حجية فى عربيته . و لا أدب يستفاد و لا معنى يستخرج . و لا مثل يضرب و لا مديح رائع لم يـأخذوه عـن أهـل الباديـة . و لم يعرضـوه على العلماء و ليس لأحَد إذا أجمع أهل العلم و الرواية الصحيحة على إبطال شئ منه أن يقبـل مـن صحيفة و لا يروى عن صحفى)[2] .

و هذا – لعمرى – أوضح الصور التى تعبر عن حقيقة قضية انتحال الشعر . فإن النقـود الأصيلـة هـى الأصل و هى الأكثر فى سوق المال . و لا يمنع ذلك من وجود نقود زائفة مـزورة غـير أنهـا لا تخفـى

---

[1] أبو محمد عبدا لله بن مسلم بن قتيبة الدينورى . عيون الأخبار . مجلدا جـ٢ صـ١٨٥ ، إعادة طبعة إدارة الكتاب العربى . ١٣٤٣هـ =١٩٢٥م . دار الكتب المصرية . القاهرة .

* هو أبو عبد ا لله محمد بن عبيد ا لله بن سالم الجمحى البصرى ، مولى قدامة بن مظعون الجمحى ، و كان مولده بالبصرة ١٣٩هـ و وفاته ٢٣١هـ ببغداد . ولد هذا العالم فى بيت علم و جاه . فأبوه : سلام بن عبيد ا لله بن سالم الجمحى ، روى عنه فى مواضع كثيرة من كتابه . و أخوه عبد الرحمن بن سلام الجمحى أحد رواة الحديث . تاريخ الأدب فى العصر الجاهلى للدكتور : عبد الرحمن عبد الحميد على .هامش صـ٢٣٤ .

[2] أ.د/ عبد الرحمن عبد الحميد على . تاريخ الأدب فى العصر الجاهلى صـ٢٣٥ ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م . كلية اللغة العربية . الزقازيق .

على صيارفة الأموال كما لا يخفى الشعر المنتحل على صيارفة الأدب ، و إذا خفيت حقيقة الأموال الزائفة على العاديين من الناس فإن مرجعية الحكم عليها إلى أهل الذكر و هم صيارفة الأموال .

و (يقول ابن سلام : فلما راجعت العرب رواية الشعر و ذكر أيامها و مآثرها استقل بعض القبائل شعر شعرائهم ، و ما ذهب من ذكر وقائعهم ، و كان قوم قلّت وقائعهم و أشعارهم و أرادوا أن يلحقوا بمن لهم الوقائع و الأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الرواة بعد تزاد فى الأشعار التى قيلت و ليس يَشْكُل على أهل العلم زيادة الرواة و ما وضعوا ، و لا ما وضع المولدون و إنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشْكُل ذلك بعض الإشكال .

و لا يترك ابن سلام ما قاله بدون دليل ، بل استدل بما ذكره ، قال : أخبرنى أبو عبيدة أن ابن داود متمم بن نويرة ـ قدم البصرة فى بعض ما يقدم له البدوى من الجلب و الميرة* ، فنزل " النحيت " – اسم مكان – فأتيته أنا و ابن نوح العطاردى فسألناه عن شعر أبيه و قمنا له بحاجته ، و كفينا ضيعته فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد فى الأشعار و يضعها لنا ، و إذا كلام دون كلام " متمم " و إذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التى ذكرها متمم و الوقائع التى شهدها ... و يذكر أيضا ملاحظة " خلف الأحمر " على ولد الأغلب العجلى . قال : كان ولده يزيدون فى شعره حتى أفسدوه)[1] .

فالمسألة إذا لا تعدوا أن تكون أمرا طبيعيا كما يحدث فى تراث أى أمة من الأمم من حدوث بعض التزييف الذى لا يخفى على أهل الصنعة و سدنتها .

أما أن تأخذ طائفة من المستشرقين من قضايا تراثنا الأدبى من أفواهنا . ثم يُغلِّبون جانب السلب – المتلاشى – حتى يبدو كأنه الأصل و أن الجانب الإيجابى لا وجود له إلا فى خيالنا . فذلك تطاول بغير حجة . و اتهام بغير دليل .

إن (قضية الشك فى الشعر الجاهلى ليست جُديدة . و لا مبتكرة . و ليست من وضع المستشرقين . و لا من اكتشافات الدكتور طه حسين – الذى طرح هذه القضية على أنها من بنات أفكاره – بل لقد تنبه إليها العرب فى حينها و نبذوا أنواع التزييف بين كل الرواة و كل المولدين)[2] .

---

* امتار لأهله أو لنفسه : جمع الميرة . و الميرة : الطعام يجمع للسفر و نحوه . و الميار : جامع الميرة . المعجم الوسيط جـ٢ صـ٨٩٣ .

(1) المرجع السابق صـ٢٤٠ .

(2) أ/ أنور الجندى . محاكمة لفكر طه حسين صـ١٥٦ ، بتصرف ، مرجع سابق .

و لكن السادة المستشرقين – دأبهم في دراساتهم للتراث الإسلامى العربى – يُنَصِّبُون أنفسهم حكاما على ما لا علم لهم به ، و لا تساندهم فيما ذهبوا إليه بخصوصه حجة ، و لا دليل اللهم إلا سوء الظن بالإسلام و ما يترتب عليه من أحكام جائرة .

ثانيا : قضية انتحال الشعر عند المستشرقين

(يعتبر " نولدكه " أول مستشرق بذر بذور الشك فى الشعر الجاهلى و ذلك فى سنة ١٨٦٤م ثم جاء بعده " أهلوارد " فوافق على كل ما ذهب إليه " نولدكه " و زاد عليه فى توسيع دائرة الشك ، و دفعها إلى من جاء بعده مثل " بروكلمان " و " موير " .

و مجمل ما ذهب إليه " إهلوارد " يتلخص فى الآتى :-

الشك فى الكثير من النصوص الجاهلية . أن هناك حالات قليلة يمكن فيها تمييز الشعر الصحيح من المنحول . و لكن الشك يدوم فيما يعود إلى ترتيب الأبيات و شكل كل واحد منها ، و أما بقية الآثار فإن الشك فيها محتوم لا مناص فيه .... سار فى نفس الاتجاه " كليمان هيار " سنة ١٩٠٤م حيث ألقى ظلال شكه على كثير من النصوص الجاهلية و نظر إليها بالشك و الارتياب الكثير .

جاء بعد هذا " مرجليوث " المستشرق الإنجليزى الذى ألف كتابا عن الشعر الجاهلى نشره فى سنة ١٩٢٥م بعنوان " منشأ الشعر الجاهلى " و قد ألح مرجليوث فى كتابه على الطعن و التجريح للشعر العربى و القرآن الكريم)[1] .

إن مرجليوث (يفترض أن القرآن جاء بلغة جديدة لا صلة لها بالشعر الجاهلى . و كأن القرآن لم يكن من بيئة العرب و لم يتحدث بلغتهم .

فإذا ذكر شاعر جاهلى عادات العرب فى الحج أو الصوم أو ذكر الأفكار السائدة فى الأديان و جاء القرآن بهذه الألفاظ . فإن مرجليوث سرعان ما يحمل ذلك على أن هذا الشعر قيل بعد نزول القرآن و على نسقه و هذا معنى الانتحال و قد مضى يثير الطعن فى القرآن و فى الشعر الجاهلى و يهدم كل شئ فشكك فى بداية الشعر و فى تدوينه و فى لغته و فى روايته و طعن فى الإسلام و فى وحيه و عقائده و إعجازه)[2]

---

[1] أ.د/ عبد الرحمن عبد الحميد على . تاريخ الأدب فى العصر الجاهلى صـ١٧٧ ، ١٧٨ بتصرف .

[2] أ/ أنور الجندى . قضايا الأدب و الثقافة و الفن صـ١٢٣ بدون ط بدون ت ، دار الفضيلة ، القاهرة .

و سنترك المجال هنا فى الرد على " مرجليوث " و سلفه للمستشرق " تشارلس جيمس* ليال " و الذى ينقد مذهب مرجليوث فيقول : " إن ما ذهب إليه مرجليوث من أن الشعر القديم موضوع منحول فهو مذهب مخالف لجميع وجوه هذه القضية و احتمالاتها لأنه اعتمد على القصص التى تروى عن " حماد* و خلف " ، و هى فى الحقيقة لا تمثل الواقع فى شئ ... أما الشعر الجاهلى فربما حاكاه حماد و خلف ، و لكن هذه الحقيقة نفسها " المحاكاة " تدل على وجود أصل يحاكى ..

أما أن نذيع أن ما بين أيدينا لا يعدو أن يكون الصورة المحكية ، و أنه لم يبق شئ من الأصل نفسه فذلك أمر لا يقره الفهم السليم على ضوء هذه الظروف ...

و لو أننا رجعنا إلى القصائد نفسها و تأملناها مليا ، لتبين لنا أنها تحتوى على مذاهب شعرائها فهى تدل عليهم من جهة و من جهة أخرى أن شعراء العصر الإسلامى لا بد أنهم اعتمدوا فى شعرهم على أصل يأخذون عنه ، ثم هناك أمر آخر ألا و هو هذه الألفاظ العزيزة المتينة و الصور البدوية الجافة الموجودة فى الشعر ، و كل هذا يبرز لنا أصالة الشعر الجاهلى و أنه موجود رغم ما ذهب إليه مرجليوث "[1] .

و قال " آربرى ** " فى كتابه المعلقات السبع بخصوص هذه القضية (إن السفسطة و أخشى أن أقول الغش فى بعض الأدلة التى ساقها مرجليوث لا تليق البتة) [2]

و قد نسج على منوال المستشرقين مرجليوث فى هذا الانحراف عن الجادة الدكتور طه حسين الذى عرض هذه القضية فى كتابه " فى الشعر الجاهلى " على أنها من بنات أفكاره غير أن الله تعالى

---

* تشارلس جيمس ليال إنجليزى ١٨٤٥-١٩٢٠م " تخرج من كمبريدج . و عمل فى الهند و رأس ديوان الهند فى لندن ١٨٩٨-١٩١٠ . و درس العربية وأتقنها و عنى بشعرها الجاهلى عناية خاصة فذهب له فى نقده صيت بعيد . و رفع لواء الدراسات الشرقية فى وطنه خمسين عاما . من آثاره شرح المعلقات السبع للتبريزى . المستشرقون جـ٢ صـ٩٨ .

* حماد الراوية . ولد بالكوفة عام ٧٥هـ = ٦٩٤-٦٩٥م . و فى رواية ابن خلكان سنة ٩٥هـ . اختلف الرواة فى اسم أبيه فقيل : هرمز . و قيل : ميسرة و قيل سابور . و كنيته أبو ليلى . ذاع صيته لعلمه الوافر بأشعار العرب ما نظم منها فى الجاهلية أو فى الإسلام و بأيام العرب و لغاتهم . و قد قيل عنه : إنه يستطيع أن ينشد على كل حرف من حروف المعجم قصائد طوالا من شعر الجاهلية . دائرة المعارف الإسلامية جـ٨ صـ٩٣ .

(١) أ.د/ عبد الرحمن عبد الحميد على . تاريخ الأدب فى العصر الجاهلى صـ٢٥٧-٢٥٨ . بتصرف . مرجع سابق .

** آربرى . ا.ج إنجليزى ولد عام ١٩٠٥م تعلم فى مدرسة اللغات الشرقية فى بورتسمارت . و كلية بمبروك كمبريدج . و عين أستاذا للغة الفارسية فى مدرسة الدراسات الشرقية و الأفريقية . و هو يتقن اللغة العربية . و ينشئ فيها مصنفات متنوعة خصيبة رفعت من قدره و ذهب له بها صيت بعيد من آثاره التوهم للحارث المحاسبى و خمسون غزلا لحافظ و رباعيات جلال الدين رومى . المستشرقون جـ٢ صـ١٣٧ .

(٢) أ/ أنور الجندى . محاكمة فكر طه حسين صـ١٥٨ ، مرجع سابق .

كشف بأيدى المفكرين المسلمين زيفه و تضليله و ترديد دعاوى فاسدة و بضاعة مزجاة

(و قد يقول قائل : و ما صلة هذه القضية بافتراءات المستشرقين ضد الإسلام ... و نحن إذا و قفنا عند حد مزاعم " مرجليوث " بأن الشعر الجاهلى مكذوب مزور فإن الكذب و التزوير لا بد لهما من فاعل و الفاعل لا بد له من هدف ابتغاه من الكذب و التزوير ... و الفاعل ... يحدده الدكتور طه حسين فى كتابه المعروف " فى الشعر الجاهلى " بأنهم المسلمون الأوائل رجال القرون الثلاثة الأولى الذين شهد لهم صاحب الدعوة بأنهم خير الأجيال إلى قيام الساعة فى قوله " خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "

و هو حديث صحيح . فهؤلاء الذين يتهمهم الدكتور طه حسين ، و أستاذه مرجليوث هم الذين وضعوا أسس النهضة العلمية فى الإسلام و سار عليها من جاء بعدهم و هم الذين فسروا كتاب الله و جمعوا أحاديث رسول الله . ووضعوا علم أصول الفقه ، و هم الذين جمعوا اللغة العربية و استنبطوا قواعدها نحوا و صرفا و بلاغة و هم الذين نقحوا القول فى العقائد و دافعوا عن الإسلام وردوا كيد الطاعنين فى القرآن هؤلاء البررة الأطهار هم الذين رماهم طه حسين و أساتذته المستشرقون بالكذب و التزوير و الافتراء المتعمد؟! .

و الهدف من التزوير كما يرى طه حسين و مستشرقوه أن يستدل علماء الإسلام الأوائل على عروبة القرآن و عروبة الحديث ؟! هكذا يزعم هؤلاء فى غير حياء و لا خجل)[1] .

لقد تحدى الله تعالى العرب بالقرآن فى غير موضع من القرآن الكريم .

﴿ و إن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ البقرة ٢٣ .

﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله و ادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ يونس ٣٨ .

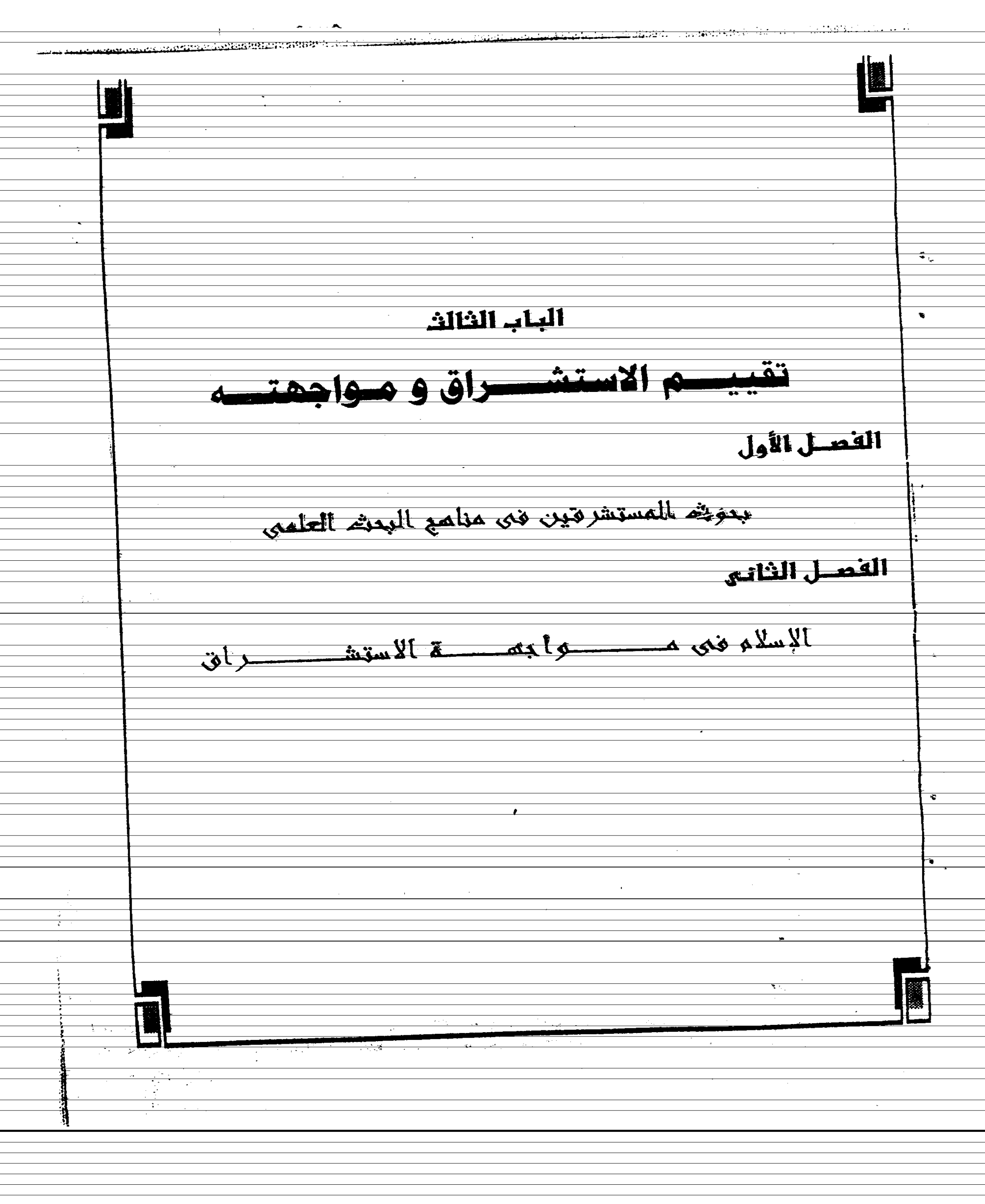
﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ هود ١٣ .

و محال أن يكون هذا التحدى من رب الأرباب و خالق الخلق و بارئهم لقوم لا تراث لهم فى موضوع ما تحداهم فيه . أو أن يكونوا فقدوا نماذج صنعتهم التى يتحداهم الله فيها .

و أى عقل يقبل مثل هذا الادعاء إلا عقل سيطر عليه الهوى و سوء الظن و فساد النية ؟!

---

[1] د/ عبد العظيم المطعنى . افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض و نقد صـ١٨١ ، ١٨٢ ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٢م . مكتبة وهبة ، القاهرة .



الباب الثالث

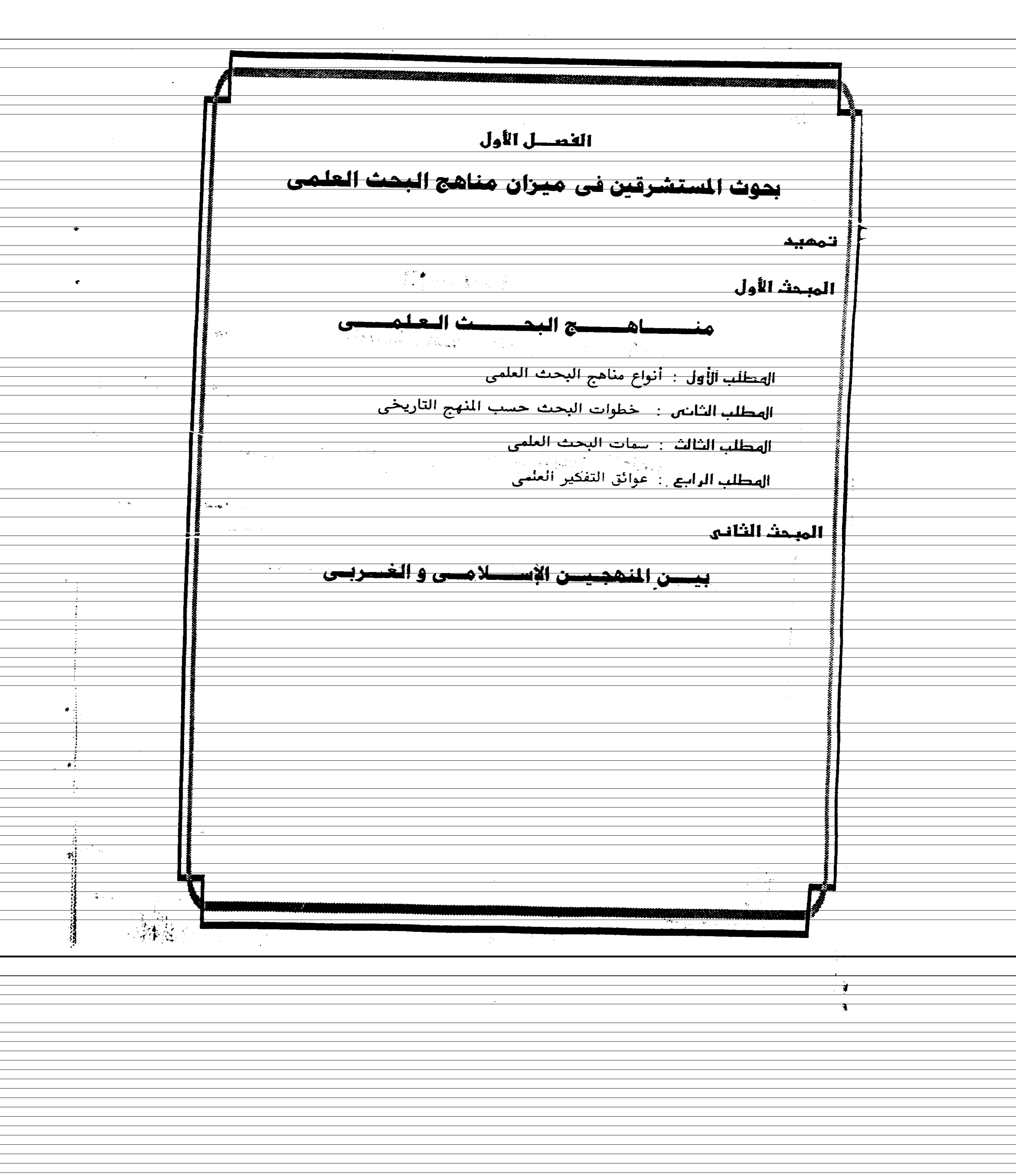
تقييم الاستشـــراق و مـــواجهتــــه

الفصـل الأول

بحوث المستشرقين فى مناهج البحث العلمى

الفصـل الثانى

الإسلام فى مـــــواجهـــــة الاستشــــراق



الفصـــل الأول

بحوث المستشرقين فى ميزان مناهج البحث العلمى

تمهيد

المبحث الأول

منـــــاهـــج البحـــث العـلمـــى

المطلب الأول : أنواع مناهج البحث العلمى

المطلب الثانى : خطوات البحث حسب المنهج التاريخى

المطلب الثالث : سمات البحث العلمى

المطلب الرابع : عوائق التفكير العلمى

المبحث الثانى

بيـــن المنهجيـــن الإســـلامـــى و الغـــربـــى

الباب الثالث

تقييم الاستشراق و مواجهته

الفصل الأول

بحوث المستشرقين فى ميزان مناهج البحث العلمى

تمهيد

قد مر معنى كلمة الموازين فى بداية الحديث عن موازين البحث عند المستشرقين ، و إنما أعنى بكلمة الموازين : المناهج التى استخدمها المستشرقون فى دراسة الإسلام ، والتى قيّموا من خلالها هذا الدين عقيدة وشريعة ومعاملات وعبادات وأخلاقاً ، وحتى نستطيع أن نقيّم موازين البحث عند المستشرقين ونقف على مدى موافقتهم للمناهج العلمية أو بعدهم عنها ، كان لا بد أن نتحدث عن مناهج البحث العلمية . حتى يتم الوزن بالقسط . فإن وضوح الحق تعرية للباطل ولاشك ، و لِنقفَ على مدى المنهجية العلمية التى يتبعها هؤلاء .

و من ثم كان حريا بنا أن نتحدث عن المناهج العلمية فى البحث . حتى نقف على الصبغة الشرعية للبحث .

المبحث الأول

منــاهج البحــث العلمــى

يحسن بنا أولا أن نقف على معانى هذا الكلمات " المنهج ، العلمى ، " فى اللغة ، فإن الدلائل اللغوية : سبب للوقوف على مرامى الألفاظ ، و من روافد الفهم الدقيق .

يقال : (نَهَجَ الطريق نهْجاً ونُهُوجاً : وضح واستبان)[1] و (طريق نهج : بيِّنٌ واضح .. وطرق نَهْجَةُ . وسبيل منهج : كَنَهْج . ومنهج الطريق : وضَحُهُ ، والمنهاج : كالمنهج . وفى التنزيل : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ المائدة ٤٨... والمنهاج : الطريق الواضح ...

وفى حديث العباس : " لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تركم على طريق ناهجه أى واضحة بينة)[2] .

و (انتهج الطريق :استبانه وسلكه "…. والمنهاج : الخطة المرسومة . ومنه : منهاج الدراسة . ومنهاج التعليم ونحوهما . جمعه مناهج)[3] .

فكلمة المنهج تعنى إذاً : الوضوح والاستبانة والبيان .

وإذا جئنا لكلمة " العلمى " وجدنا أن العِلْمَ (إدراك الشئ بحقيقته . والعلم : اليقين . والعلم : نور يقذفه الله فى قلب من يحب . والعلم : المعرفة . وقيل : العلم : يقال لإدراك الكلى والمركب . و المعرفة : تقال لإدراك الجزئى أو البسيط ...

و يطلق العلم على مجموعة مسائل و أصول كلية تجمعها جهة واحدة ...

و يطلق العلم حديثا على العلوم الطبيعية . التى تحتاج إلى تجربة و مشاهدة و اختبار)[4] .

فكلمة العلم تعنى : إدراك الحقائق ، و اليقين ، و النور الإلهى ، و المعرفة .

فالمنهج العلمى فى البحث يعنى إذا : الطريقة الواضحة الناصعة المستبينة أشد البيان فى إدراك الأشياء على حقيقتها ، و الوصول إلى درجة اليقين فى معرفتها .

فهل كان منهج المستشرقين فى دراسة العلوم الإسلامية و العربية وفقا لهذه المقاييس ؟

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ صـ٩٥٧ .

(٢) لسان العرب المحيط جـ٣ صـ٧٢٥ .

(٣) المعجم الوسيط جـ٢ صـ٩٥٧ .

(٤) المعجم الوسيط جـ٢ صـ٦٢٤ . مرجع سابق .

هل كان منهجهم طريقة واضحة مستبينة لإدراك الأشياء على حقيقتها ، و الوصول إلى درجة اليقين في معرفتها ، و بذل المجهود في موضوع الدراسات الإسلامية ، و جمع كل ما يتصل بفرع معين للوصول إلى نتائج سليمة و أحكام عادلة ؟؟؟

إن الواقع المؤسف أن كلمات : المنهج ، العلمى ، من الكلمات عزيزة النوال فى حقل الاستشراق . الذى انتهج الهوى و الوهم . و التحريف . و تعمد الغض من جلال الإسلام و عظمته و مصداقيته و صلاحيته . و هيمنته على الوجود الإنسانى ، بشموله و عموميته و ربانيته .

المطلب الأول

أنواع مناهج البحث العلمى

تتعدد أنواع مناهج البحث العلمى ، تبعا لنوع العمليات العقلية التى توجهها أو تسير على أساسها . و تبعا لنوع أو أسلوب الإجراء *.

فأما من حيث نوع العمليات العقلية فهى :-

أولا – المنهج الاستدلالى أو الاستنباطى .

و فيه يربط العقل بين المقدمات و النتائج . أو بين الأشياء و عللها ، على أساس المنطق . و التأمل الذهنى . فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات)[1] .

و يطلق عليه أيضا (الرياضى . و هو الذى نسير فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة دون التجاء إلى التجربة . و هو منهج العلوم الرياضية خصوصا)[2] .

و كلمة الاستدلالى من الفعل " دلّ " يقال :(دُل عليه و إليه دلالة : أرشد . و يقال : دله على الطريق و نحوه سدده إليه ... و استدل بالشئ على الشئ اتخذه دليلا عليه)[3] .

* أما من حيث أسلوب الإجراء فهى : المنهج التجريبى ، و منهج المسح و يعتمد على جمع البيانات ميدانيا ، و المنهج التاريخى . د/محمد زيان عمر ، البحث العلمى مناهجه تقنياته صـ٣٣ .

(١) د/ محمد زيان عمر – البحث العلمى مناهجه و تقنياته صـ٣٢ ، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ، جدة ، السعودية .

(٢) أ/ عبد الرحمن بدوى ، مناهج البحث العلمى صـ١٨ ، مرجع سابق .

(٣) المعجم الوسيط جـ١ صـ٢٩٤ . مرجع سابق .

و كلمة " الاستنباطى " من الفعل " نَبَطَ " يقال :(نبط الشئ نُبُوطًا و نَبْطًا : ظهر بعد خفائه .
يقال : حفر الأرض حتى نبط الماء ....
و انتبط الكلام : استخرجه ، و استنبط الشئ : استخرجه مجتهدا فيه ، و يقال : استنبط الفقيه الحكم و استنبط الجواب : تلمسه من ثنايا السؤال .
و استنبط من فلان خبرا : استخرجه بمحاولة)[1] .

ثانيا : المنهج الاستقرائى :

و هو على العكس من المنهج الاستدلالى ، حيث يبدأ بالجزئيات ، ليصل منها إلى قوانين عامة . و يعتمد على التحقق بالملاحظة المنظمة ، الخاضعة للتجريب ، و التحكم فى المتغيرات المختلفة)[2] .
و كلمة " الاستقرائى " من الفعل " قرأ " يقال (قرأ الكتاب قراءة : تتبع كلماته نظرا . و نطق بها ... و استقرأ : طلب إليه أن يقرأ .
و الاستقراء : تتبع الجزئيات للوصول إلى نتيجة كلية)[3] .

ثالثا : المنهج الاستردادى :

يقال :(رَدَّهُ رَدًّا و تَرْدَادًا و رِدَّةً : منعه و صرفه ، و رده : أرجعه ... و يقال : رده إليه : أجابه . ورده على عقبيه ...
و الاسترداد فى قانون المرافعات : دعوى استرداد الحيازة ، و هى دعو يرفعها الحائز الذى نزعت حيازته طالبا ردها إليه)[4] .
و هذا المنهج (يعتمد على عملية استرداد ما كان فى الماضى ، ليتحقق من مجرى الأحداث . و التحليل القوى للمشكلات التى صاغت الحاضر)[5] .

---

(1) المرجع السابق جـ٢ صـ٨٩٧ ، ٨٩٨ . بتصرف .
(2) د/ محمد زيان عمر ، البحث العلمى مناهجه و تقنياته صـ٣٢ . مرجع سابق .
(3) المعجم الوسيط جـ٢ صـ٧٢٢ ، مرجع سابق .
(4) المعجم الوسيط جـ٣٣٨ .
(5) د/ محمد زيان عمر ، البحث العلمى مناهجه تقنياته . صـ٣٢ ، مرجع سابق .

و يطلق عليه أيضا اسم (التاريخي و هو الذى نقوم فيه باسترداد الماضى ، تبعا لما تركه من آثار أيا كان نوع هذه الآثار ، و هو المنهج المستخدم فى العلوم التاريخية و الأخلاقية)[١] .

رابعا : المنهج الجدلي :

من الفعل " جَدِلَ " يقال :(جَدِلَ جَدَلاً : اشتدت خصومته ، فهو جَدِلٌ ، و جَدَلَ الشئ : أحكم جَدْلَهُ ... و جادله مجادلة وجدالا : ناقشه و خاصمه .

و فى القرآن الكريم :" و جادلهم بالتى هى أحسن " النحل ١٢٥ .

و الجدَلُ : طريقة فى المناقشة و الاستدلال ، صوَّرها الفلاسفة بصور مختلفة . و هو عند مناطقة المسلمين مؤلف من مشهورات أو مسلَّمات ، و الجدلى : المنسوب إلى الجدل .

و الجدلى : عند المنطقيين : من يستخدم الجدل .

و الجدليون : من اشتهروا بالجدل . كالسوفسطائيين بين اليونان ، و المعتزلة من المسلمين)[٢] .

و هذا المنهج (يحدد منهج التناظر و التحاور فى الجماعات العلمية ، أو فى المنافسات العلمية على اختلافها ، و لا يمكن لهذا المنهج أن يأتى بثمار حقيقة إلا إذا أسعدته المناهج الثلاثة السابقة)[٣]

و كل ما يتعلق بالديانات و المذاهب و التيارات الفكرية ، من تاريخ أو مقارنة بغيرها . يدخل تحت المنهج الاستردادى أو التاريخى .

و إذا كنا نتحدث عن الاستشراق . أو إذا كان المستشرقون يتحدثون عن الإسلام . فإننا و هم الآن داخل أسوار المنهج الاستردادى . الذى هو طريقنا إلى تاريخ الأديان و مقارنة الأديان .

---

(١) أ/ عبد الرحمن بدوى ، مناهج البحث العلمى ، صـ٦٨ ، مرجع سابق .

(٢) المعجم الوجيز صـ٩٥ ، ٩٦ . بتصرف . مجمع اللغة العربية ، طبعة خاصة بوزارة التربية و التعليم . ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

(٣) أ/ عبد الرحمن بدوى ، مناهج البحث العلمى صـ١٨ . مرجع سابق .

المطلب الثانى

خطوات البحث حسب المنهج التاريخى

و أول خطوة فى المنهج التاريخى فى البحث :-

١- (إيجاد الوثائق الكافية ، أو الممكن إيجادها المتعلقة بحادث من الأحداث التاريخية ....

٢- خطوة النقد ... و النقد التاريخى ينقسم إلى قسمين:

أ- النقد الخارجى : إنه الوثائق التى لدى الباحث التاريخى ، ليست كالمواد الطبيعية التى يجرب فيها الفيزيائى أو الكيميائى ، لأن هذه الوثائق التى لديه ليست كالمواد الطبيعية التى يجرى فيها لفيزيائى أو الكيميائى . لأن هذه الوثائق ليست هى الأحداث الواقعة ، و إنما هى تقريرات و أوصاف عنها .

و روايات متصلة بها ... و النقد الخارجى ينقسم إلى نوعين :-

النوع الأول: نقد الاستعادة : يقوم هذا النقد على أساس التحقق من الوثائق التى لدينا عن الحادث .

النوع الثانى : نقد المصدر .. لا يكفى أن تكون لدينا الوثائق صحيحة . و كما كتبها واضعها . و إنما يجب أن يضاف إلى هذا أن نعرف **أولا** . ما مصدر الوثيقة ، **ثانيا** : من مؤلفها ، **ثالثا** : ما تاريخها

ب- النقد الداخلى : و نقون فيه بالمرحلتين التاليتين :-

أولا : يجب أن نقوم بما يسمى التحليل الباطن analys interne و معناه أن ننظر أولا: فى الوثيقة من حيث الخط الذى كتبت به .... ثانيا : علينا أن ننظر فى اللغة التى كتبت بها . فبعض العصور له ألوان من الخصائص النحوية و أنواع من العبارات و المجازات و منحنيات التعبير . لا توجد إلا فى عصر دون عصر آخر ...

ثانيا : علينا أن ننظر فى الوقائع التى ترد فى الوثيقة من حيث إمكان حدوثها فى الزمان المنسوبة إليه أو فى المكان الذى تزعم الوثيقة أنها جرت فيه)[1] .

نحن الآن أمام آليات العمل داخل إطار المنهج التاريخى . بيد أن هناك أمراً ينبغى علينا أن لا نغفله فإنه حجر الزاوية فى التعامل مع الدراسات التاريخية المتعلقة بالأديان .

ألا و هو الجانب الغيبى . أو الميتافيزيقا = ماوراء الطبيعة .

---

(١) أ/ عبد الرحمن بدوى ، مناهج البحث العلمى ص١٤٨: ٨٦، ٩٤: ٩٨ . بتصرف . مرجع سابق .

إن أهل الأديان و المذاهب يحدثوننا عن اتصال بالعالم الآخر . و لقد أثبتت الدراسات أن هناك قوى خفية غير القوى التى ندركها بأحد الحواس الظاهرة . فالحسد و أثره المشهود . و الرؤى التى تتحقق . و التليباثى أو " التخاطر عن بعد " كل هذه حقائق وقف العالم على إمكانيتها . مما يؤكد وجود قوى خفية وراء هذا الكون المنظور .

كما أن هذا الكون بما فيه من أسرار و مشاهدات . أكبر دليل على وجود المبدع الذى صدر عنه الوجود و كلما زاد العالم تقدما . ازداد يقينا . أن شيئا مما فى هذا الكون لا يمكن أن يكون مصادفة . أو أوجد نفسه .

و من ثم فإن اشتراط إمكانية حدوث الحدث فى عصر من العصور بالقياس إلى حدود الإمكان البشرى . كما ورد فى شروط البحث التاريخى . ينبغى أن يستثنى منه البحث فى دراسة الأديان .

ثم السؤال بعد ذلك عن الشخص الذى يدعى النبوة . هل هو رسول حقا ، أم أن الباب سيكون مفتوحا لكل دعى متقول على الله ؟

و من ثم كانت هناك شروط معينة ينبغى أن توضع فى الاعتبار ، للحكم على شخص ما بأنه رسول حقا . و الحكم من خلالها أيضا على آخر بأنه دجال كذاب .

و هذه الشروط تتمثل فى (صفات الرسول و المعجزات التى جاء به من عند الله . و النبوءات و الثمرات و البشارات)[1]

هذه الخمسة . هى الميزان الذى نزن به كل مدع للرسالة . حتى نقف على مدى صدقه أو كذبه فيما ادعى .

و لا ريب أننا ، لو طبقنا ، مبادئ المنهج التاريخى على اليهودية و النصرانية ، فإننا سوف نسقطهما من الحساب مباشرة .بناء على عجزنا عن التحقق بشخصية كاتب هذه الكتب . و متى كتبت . و لفقدان الصلة الحقيقية بين هذه الكتب و أصحابها الأصليين الذين نسبت إليهم .

و هلم جرا بالنسبة لسائر النحل الأخرى ، و لن يبقى معنا إلا الإسلام الذى سيصمد للنقد . و ستشهد المعايير التى أسلفت ذكرها أن محمدا – صلى الله عليه وسلم رسول الله – و لقد سبق فى الدافع العلمى أن السادة المستشرقين رسموا بأيديهم صورة الكمالات الإنسانية مجتمعة فى شخص النبى – صلى الله عليه و سلم –

---

[1] أ/ سعيد حوى ، الرسول صلى الله عليه وسلم صـ١١ . بتصرف .مرجع سابق .

و ليس المقام هنا مقام التفصيل في هذه النقاط . و لكن الذى يعنينا هنا . أنه من الخطأ . أن نقف موقف المعارض من أحداث التاريخ التى تخبرنا عن معجزات المرسلين . لأنها غير ممكنة بالنسبة لإمكانيات العصر الذى حدثت فيه . غير ممكنة بمقاييس البشر فى العصر الذى نعيش فيه . فإن الرسول لا يقول صنعتُ كذا . أو فعلتُ كذا . و إنما يقول : فعل الله كذا . و صنع الله لى كذا .

و لذلك فإن السادة المستشرقين الذين يدرسون الإسلام انطلاقا من بشريته . و انطلاقا من خطوات المنهج التاريخى . الذى يقرر عدم الاكتفاء بوجود المصادر و عزوها الفعلى إلى أصحابها . بل لا بد أن يضيف إلى ذلك . مدى إمكانية الحدث بالقياس للقوى البشرية المتاحة فى هذا العصر . أقول : هؤلاء قد أخطأوا الطريق . فإن الدراسات التاريخية الإنسانية . تختلف اختلافا كبيرا عن الدراسات المتصلة بالأديان . التى يمثل الجانب الميتافيزيقى أفعل جوانبها .

المطلب الثالث

سمات البحث العلمى

كلمة السمات من (سوم – السُّومة بالضم : العلامة تُجعل على الشاة . و فى الحرب أيضا . تقول منه : تسوَّم . و فى الحديث :" تسوموا فإن الملائكة قد تسومت ")[1] .

و (السِّيما : العلامة و فى التنزيل : ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾ [2] الفتح ٢٩ .

للبحث العلمى سمات و خصائص ، ينبغى أن تتحقق ، فى كل من انتصب ليعالج قضية من القضايا العلمية . ليجلِّيها بموضوعية و حيدة و نزاهة .

و من هذه السمات :

---

(١) مختار الصحاح صـ٣٢٢ ، مرجع سابق .

(٢) المعجم الوسيط جـ١ صـ٤٦٩ . مرجع سابق .

١- الموضوعية :-

كلمة الموضوع تعنى (المادة التى يبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه ... و الموضوعية فى الفلسفة : منحى فلسفى يرى أن المعرفة إنما ترجع إلى حقيقة غير الذات المدركة)[١] .

(و هى تعنى أن يقوم الباحث بدراسة الظاهرة باعتبارها خارج وجود الفرد . و بالتالى يبعد عنها أهواءه الذاتية . و انطباعاته الخاصة . و آراءه الفردية . مثال ذلك : لو أن البحث يتعرض لظاهرة الطلاق . وكان الباحث قد مر بتجربة خاصة أدت إلى الطلاق . فيجب أن يبعد انطباعاته الخاصة عن موضوع الدراسة حتى يتوصل إلى نتائج واقعية)[٢] .

و غير خاف أن الموضوعية ، غريبة كل الغرابة عن مساحة واسعة من حقل الاستشراق ، فإن الذى يفترى الكذب . و يدعى على الخصم غير الحق ليشوهه ، ليس موضوعيا . و الذى ينطلق من خلفية بغض موروث ، أحكام مسبقة ، تشكل هى أسلوبه فى طرحه الفكرى . و نتيجة هذا الطرح الفكرى . ليس موضوعيا ، و الذين يتعمدون البحث فى سلال المهملات ، ليشينوا أصحاب العقائد بسلوك أفراد خارجين على الدين ، ليسوا موضوعيين ، و هلم جرا من صور التعدى المتعمد على المنهجية و الموضوعية .

٢- التراكمية :-

و هى تعنى (ضرورة الرجوع للدراسات العلمية السابقة)[٣] .

و كلمة التراكمية من (ارتكم : اجتمع ، و تراكم : ارتكم . يقال : تراكمت الأشغال . و الرُّكام : ما اجتمع من الأشياء ، و تراكم بعضه فوق بعض)[٤] .

و هى تعنى البناء على قواعد السابقين (و المعرفة العلمية بهذه السمة تختلف عن المعرفة الفلسفية . فالعلماء يبنون ... من نهاية ما توصل إليه غيرهم ، أما الفيلسوف فيبدأ من نقطة البداية . بغض النظر عما توصل إليه فلاسفة آخرون)[٥] .

---

(١) المرجع السابق جـ٢ صـ١٠٤٠ ،بتصرف .

(٢) د/ محمد سمير الجوهرى – البحث العلمى الأسس و القواعد صـ٢١ ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م وكالة الشركة التجارية ، القاهرة .

(٣) المرجع السابق صـ٢١ .

(٤) المعجم الوسيط جـ١ صـ٣٧٠ .

(٥) د/ ذوقان عبيدات و آخرون ، البحث العلمى مفهومه أدواته أساليبه صـ٤٩ بتصرف ١٩٩٧م ، دار أسامة للنشر و التوزيع – الرياض ، السعودية .

و لعل من هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى و لكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل كل شئ و هدى و رحمة لقوم يؤمنون ﴾ يوسف ١١١ .

فإن أخبار السابقين تمثل ركائز معرفية . ينبغي أن تمثل ضوءا ساطعا . يحكم الإنسان من خلاله على ما يجدُّ من قضايا و أحداث . و قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم و الذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم و مما تعبدون من دون الله كفرنا بكم و بدا بيننا و بينكم العداوة و البغضاء أبدا حتى تؤمنوا با لله وحده ... ﴾ الممتحنة ٤ .

و لقد عاب الله على قوم فقال : ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ الأعراف ٣٨ . حيث الشقاق و التقاطع و التدابر بين أصحاب المناهج الباطلة

٣. النضوج والتحلي بصفات أخلاقية :.

جاء ذلك في توصيات اليونسكو بشأن أوضاع المشتغلين بالبحث العلمي :

(إن البحث العلمي يتطلب النضوج والتحلي بصفات أخلاقية وفكرة عالية ...لذا كان هناك حاجة إلى إدخال مبادئ العلوم الاجتماعية والبيئية في مناهج الدراسة واستخدام التقنيات التربوية الهادفة إلى تقوية صفات معينة ، مثل النزاهة والأمانة وحسن الحكم السليم ، ونفاذ البصيرة..

ومن الجانب المدني والأخلاقي للبحث العلمي ..العمل بروح حرية الفكر من أجل البحث عن الحقائق العلمية وتفسيرها والدفاع عنها)[1] .

وكلمة النضج تعني الإحكام في تناول الأشياء يقال (نَضِج الرأى ونَضج الأمر : أحكم)[2] .

فالباحث ينبغي أن يتحلى بتلك الصفة التي تمكنه من الإحاطة بموضوع الدراسة ونقده على الأسس العلمية و أن يتحلي كذلك بالنزاهة والأمانة . و لا شك أن أضداد هذه الصفات . يعود سلبا على منهجية البحث و النتيجة التي يتصل إليها الباحث ، و إن الباحث الذي يسطو على مقام المنهجية العلمية فيشوهه بأساليبه الملتوية ، و استنتاجاته الباطله ، و بحثه العابث بمواريث الأمم و الحضارات لا يمكن أن ننتظر من نتائجه ما يحترم ، و يصنف حسب المنجزات العلمية السليمة الهادفة .

---

[1] د/جون .ب.ديكنسون . العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث صـ٢٧٣ .بتصرف .ترجمة شعبة الترجمة باليونسكو. عالم المعرفة عدد ١١٢ شعبان ١٤٠٧هـ .ابريل ١٩٨٧م .الكويت .

[2] المعجم الوسيط جـ٢ صـ٩٢٧ .

٤.الدقة والتجرد .

(لابد للحقيقة العلمية أن تجئ مستقلة بقدر المستطاع عن قائلها ، فلا يمازجها شئ من ميوله وأهوائه ونزعاته الذاتية وقيمه التي يُقَوِّمُ بها الأشياء)[1].

والدقة : يقال " دق الشئ دِقَّة : صغر ... ودق : خفي وغمض معناه . فلا يفهمه إلا الأذكياء فهو دقيق ......وأدق :تتبع الدقيق من الأمور)[2].

فالدقة تعنى في المسائل العلمية :استجلاء الغوامض فضلاً عن الجليات . وتَقَصِّى الحقائق البعيدة فضلاً عن القريبة . والوقوف في المسألة الواحدة على كل ما يتعلق بها ويندرج تحتها .

والتجرد يعنى الحيدة والانطلاق من أمانة البحث وليس من خلفيات سابقه .

٥.الشمولية واليقين :.

(يتصف التفكير العلمي بالشمولية واليقين . فالباحث العلمي لا يدرس مشكلة محددة كهدف . بل ينطلق من دراسة المشكلة المحددة أو الموقف الفردى .للوصول إلى نتائج وتعميمات تشمل الظواهر المشتركة أو المواقف المشتركة مع موضوع دراسته)[3].

وكما أن هذه السمة من ضرورات البحث العلمي في التجريبيات ، فإنها كذلك من ضرورات البحث العلمي في الإنسانيات ، إذ لابد من النظر للمسائل ـ موضوع البحث ـ نظرة شاملة تستقصى جوانبها المختلفة للوصول إلى اليقين .

وغنى عن الذكر أن هذه السمة تتعارض مع الانشطارية وتجزئة المفاهيم ومذهب الشك اللتين يتصف بهما المنهج الغربي .

وبصفة عامة فإن هذه السمات التي ينبغي أن يترسمها الباحث . من الموضوعية والتحلي بصفات أخلاقية كالأمانة والنزاهة والدقة والتجرد والشمولية واليقين . كانت أبعد ما يكون عن المنهجية الغربية في دراستها للإسلام ، فالتحامل وخيانة المنهج والهوى وخلط الأوراق والانطلاق من خلفيات كنسية واستعمارية ، وتقطيع أوصال الإنسان ، وبلبلة الأفكار ، كانت بديلاً عن السمات الحقة للبحث العلمي .

---

(١) المعجم الوسيط جـ١ صـ٧. بتصرف

(٢) المرجع السابق جـ١ صـ٢٩٠،٢٩١ . بتصرف

(٣) د/ ذوقان عبيدات وآخرون . البحث العلمي مفهومه أدواته أساليبه صـ٥٣ . مرجع سابق .

المطلب الرابع

عوائق التفكير العلمى

يواجه التفكير العلمى معوقات شتى . تحول بينه وبين المأمول من الوصول إلى نتائج موضوعية فى القضايا المطروحة للبحث . والذى يعنينا هنا ما يختص بمعوقات البحث النزيه فى كتابات المستشرقين فى الدراسات العربية و الإسلامية :-

أولاً : . التبعية للدوائر الكنسية و الاستعمارية .

إن خضوع طوئف كبيرة من المستشرقين للكنيسة . والأغراض الاستعمارية . والمخططات السياسية . والأطماع الاقتصادية . يقطع الآمال فى إنتاج علمى موضوعى نزيه . ينشد الحقائق . ويبرزها فى صورتها المضيئة .

ولقد كانت هذه الطوائف من المستشرقين ، يمثلون أبواقا تنشر مفتريات الكنيسة . وتوهن قوى المسلمين وتَفُتُّ فى عضدهم . بتنفيذ المخططات الاستعمارية . وتربية الكوادر ، التى تحمل رسالة الاستشراق وتسيطر على أزِمَّة التوجيه فى عالمنا العربى والإسلامى .

(فالحملة الصليبية الفرنسية التى استجابت لنذير الاستشراق ، كان الاستشراق مستكناً فى أحشائها وأحشاء قائدها .... يرشده الاستشراق ويهديه ، وهى لم تُقْدِم على اختراق دار الإسلام فى مصر . إلا وهى مزودة بأدق التفاصيل عن هذه الأرض وسكانها ومداخلها ومخارجها ومشايخها وعلمائها وعامّتها وسوقتها ونسائها ورجالها وجيشها وشعبها ....أما المنشور الذى سبق نابليون إلى القاهرة آخر المحرم ١٢١٣ هـ فقد كتبه المستشرقان " فانتور " و " مارسل ")[1] .

والأمثلة كثيرة على ذلك ، يزخر بها تاريخ الاستشراق ، وتشهد على ذلك السفارات والملاحق الثقافية . ومن المستبعد بل من المستحيل أن ينصف هؤلاء المغرضون تراثاً جاءوا ليهدموه . أو ينصفوا حضارة وديناً جاءوا ليجتثوا جذورهما .

---

(١) أ/ محمود محمد شاكر - رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا صـ١٥٣ ، ٢٠٠ بتصرف كتاب الهلال العدد ٤٤٢- صفر ١٤٠٨هـ أكتوبر ١٩٨٧ م ، دار الهلال ، القاهرة .

ثانياً (انتشار الفكر الأسطورى والخرافى)[1]

ذلك الفكر الواهم الذى يشبع خرافات وأوهاماً فى أذهان الناس حول قضايا ومسائل يصدرون من خلالها أحكاماً جائرة أو تصورات كاذبة .

وذلك مثل الأساطير التى كان يتناقلها النصارى فى العصور الوسطى عن الإسلام والمسلمين من أنهم عباد أصنام وأن لهم ثلاثة آلهة : ماهون . أوبلين . ترماكان . وأن محمدا حمل المسلمين على عبادة هيكله المصنوع من الذهب . وغيرها من الأوهام والخرافات التى كان النصارى يتناقلونها قديماً .

وجدير بالذكر كذلك أن صورة الإسلام إلى يومنا هذا . لاتزال يعكر صفوها . ويشوه معالمها أوهام الغربيين عن الإسلام . فالإسلام فى نظرهم هو اللحية والجلباب . وخمار الوجه للمرأة . وتقطيع الأيدى . والجلْد وغيرها من الصور المنكرة . التى أوحتها إلى الغربيين الكتابات الاستشراقية المغرضة والصور السيئة التى نعرضها لأنفسنا ولديننا فى الغرب .

منذ عدة سنوات كانت تُعلَّق فى القاهرة لافتة كبيرة فى الميادين العامة عليها صورة مصر فى هيئة سيدة وصورة ملتحى كَشَّر عن أنياب الغدر ، وبيده خنجر وقد كتب على اللافتة بالعربية والإنجليزية " لا للإرهاب " وتوالت مسلسلات تصور الجماعات المتطرفة فى صورة الملتحين . الذين يسفكون دماء الناس ويُكفِّرونهم . ويتميزون بالخسة والدناءة والغدر والمكر والختل . ويستحلون فيما بينهم فروج النساء بصورة غير شرعية . وأصبحت اللحية فى أذهان الناس سِمَةً للإرهابى الذى يطعن بلاده فى ظهرها بخنجر الغدر

إن أحداً من العقلاء لايرضى أبداً عن الأحداث الدامية والانفجارات . التى تسبب فيها مجموعة من الخونة الذين تزيوا بأزياء المسلمين . وشوهوا صورة الإسلام المضيئة . وإن حكم الله فيهم : ـ

﴿ إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أويصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ المائدة ٣٣ .

و لكن هل هذه صورة نقدمها لشعائر الإسلام فى أجهزتنا الإعلامية . هل نقدم للناس شارات الإسلام على أنها شعارات الإرهاب ، إن الذين قاموا بهذا الدور الأثيم مجموعة من سفاكى الدماء ، اختبأوا

---

[1] المرجع السابق صـ٥٦ .

و لكن هل هذه صورة نقدمها لشعائر الإسلام فى أجهزتنا الإعلامية . هل نقدم للناس شارات الإسلام على أنها شعارات الإرهاب . إن الذين قاموا بهذا الدور الأثيم مجموعة من سفاكى الدماء . اختبأوا خلف شعائر الإسلام . ليصيدوا عصفورين بحجر واحد – كما يقال – ليضربوا مصالح البلاد الاقتصادية . و ليشوهوا صورة الإسلام فى أنفس الغربيين . و لا نستبعد أبداً أن يكون هؤلاء عملاء لقوى خفية . تسعى إلى تقويض الأمن فى هذه البلاد . أفنشوه صورة ديننا . ونهدف إلى شعيرة من شعائر الدين كاللحية ونجعلها سمة للخائنين . ونشوه بذلك ديننا ؟ وندعم لدى المستشرقين الخرافة التى تقول : إن الإسلام دين العنف والقتال ؟!!

إن الإرهاب الذى تمارسه إسرائيل فى قلب العالم العربى الإسلامى ، وكذلك الإرهاب الذى تمارسه أمريكا فى العالم ، والعنصرية التى يمارسها الأوربيون ضد الرعايا العرب . والتصفية الجسدية التى تُمَارَس ضد المسلمين ، أليس كل هذا إرهاباً !!!

ولم نسمع أن اليهود أو غيرهم من سدنة الإرهاب فى العالم ، شوهوا صورة بلادهم فى العالم . وخرجوا على أعرافهم كما صنعنا على الرغم من أنهم هم الإرهابيون حقاً .

و كما نفث فى روعنا المستشرقون من قبل ، بأن تاريخنا ليس إلا الخوارج والشيعة والقرامطة والحشاشون* وغيرهم من شذاذ الفرق ، يوسوسون إلينا اليوم بأن ديننا ليس إلا هؤلاء الإرهابيون . ليخلقوا فينا روح الاستخذاء والذل ، وليدفعونا إلى الاعتذار ، فى صورة الهجوم غير الواعى . الذى تمارسه وسائل الإعلام ضد هؤلاء الخارجين ، حتى نكمل بأيدينا مسلسل طمس هوية هذا الإسلام.

ثالثاً : التقليد الأعمى

يرسم الغربيون صورة معينة للإسلام فى أذهانهم وصورة المسلم كذلك . وهى ــ للأسف صورة مزرية بالإسلام وأهله ، والقوم يتوارثون بُغْضَ الإسلام كما يتوارثون لون العين والبشرة . ولسان حالهم فى ذلك من تصريح " جيبير النوجنتى " الذى سبق ذكره بأنه لا يعتمد فى كتاباته عن الإسلام على أية مصادر مكتوبة ، و أشار فقط إلى آراء العامة ، و أنه لا يوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ

---

* الحشاشون طائفة إسماعيلية فاطمية نزارية مشرقية انشقت عن الفاطميين لتدعو إلى إمامة نزار ابن المستنصر بالله و من جاء من نسله ، أسسها الحسن بن الصباح الذى اتخذ من قلعة الموت مركزاً لنشر دعوته ، و ترسيخ أركان دولته ، و قد تميزت هذه الطائفة باحتراف القتل و الاغتيال لأهداف سياسية و دينية متعصبة و كلمة الحشاشين " Assassin دخلت بأشكال مختلفة فى الاستخدام الأوربى بمعنى القتل خلسة أو غدراً ، أو بمعنى القاتل المحترف المأجور . الموسوعة الميسرة فى الأديان و المذاهب المعاصرة صـ٢٠٣ .

و الصواب . ثم قال مبررا كتاباته غير العلمية عن الإسلام و نبيه : لا جناح على المرء إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء .

و لئن كان هذا الفكر المنحرف مضى عليه مئات السنين . إلا أنه ما أشبه الليلة بالبارحة . فلا يزال سوء القصد موفورا . و ليس أدل على ذلك من صور التحريف العمد . و اختلاق الأكاذيب التي مرت بنا من أمثال " جولدزيهر" و غيره .

و فى اعتقادى أن هجمة الاستشراق اليوم أشرس منها قديما . إن الهجمة الأولى كانت بسيطة ساذجة أما الهجمة الحالية فهى عميقة و معقدة . ليست مجرد إلقاء افتراءات . و الصياح بها فى أندية المسلمين فتُحدِث أثرا وقتيا . لا يلبث أن يزول أمام حجج الراسخين فى العلم و ربانية هذا الدين . بل تهدف إلى وضع صياغة ثقافية جديدة . و صناعة كوادر تتبنى هذه الاتجاهات . و تطرحها بديلا عما يستهدف المصالح الغربية المتنوعة .

فالتقليد الأعمى صنع اتجاها واعيا الآن يواجه الإسلام مواجهة شرسة . و إن كانت صامتة هادئة . لا يُسمع لها قعقعة و لاجلجلة . و لكن فقط صريف الأقلام التى تقطر سُمّاً ناقعا .

المبحث الثانى

بين المنهجين الإسلامى و الغربى

خلافُ الضدين . هو ذلك الخلاف الذى بين المنهج الإسلامى و المنهج الغربى . و ثمة فوارق شاسعة بين المنهجين . و فيما يلى عرض لبعضها :-

أولا : الاستعلاء بالعنصر :

ذلك أن هذا المذهب يصدر عن روح الغرب . التى تمثل الاستعلاء بالجنس . و النظر إلى الشعوب غير البيضاء و شعوب أفريقيا و آسيا ، نظرة لا توازى النظرة إلى أوربا و الجنس الأبيض . و هى نظرة تقوم على تاريخ أوربا ، و التى تعتقد – عن غير حق – من التاريخ أو المنهج العلمى الأصيل . بوجود حضارة واحدة هى الحضارة الغربية . وليدة الحضارة الإغريقية ، و هى نظرة متعصبة . ترى ظلما أن الحضارة الإسلامية كانت جزءا منها ، و من خلال التفوق العنصرى و السيطرة الاستعمارية على العالم الإسلامى . تصطبغ النظرة إلى هذا العالم الإسلامى و فكره بصبغة فيها شئ غير قليل من الانتقاص[1]

بهذا الإحساس بالاستعلاء ، ينطلق المستشرقون فى دراستهم للإسلام . ناقدين (و للنقد آفة يؤتى الناقد من قِبَلِها ، إن لم يفطن لها ، هى شعور الإشراف و الاستعلاء على المنقود . هذه الآفة يصبح قليلها كثيرا و صغيرها كبيرا ، حين يتعرض الناقد للموضوع العظيم الخطير . فإذا كان الموضوع هو أعظم المواضيع الإنسانية . كموضوع تناول حياة الرسول بالوزن . و شخصيته الكريمة بالتحليل – زعموا – و بالنقد ، فإن الغرور القليل المعفو عنه فى غير هذا . يصبح عنتا جرما و إثما . و يفضى إلى الباطل حتما .

فإذا اقترن غرور الاستشراق هذا ، باعتقاد المستشرق من البداية دعوى النبى المخالفة لدين المستشرق . فقد ركب الباطل ...ركوبا يحول بينه و بين لقاء الحق)[2] .

إن علماء الغرب بصفة عامة ، يريدون أن يعمموا منهج البحث الغربى . فيصبح منهجا عالميا . يهيمن على ثقافات الأمم ، فيدرس و يحكم ويقرر ، و تخضع ثقافات الشعوب لأحكامه و تقريراته .

---

(١)/ أنور الجندى – أخطاء المنهج الغربى الوافد فى العقائد و التاريخ و اللغة و الأدب و الاجتماع صـ٢١ الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م دار الكتاب اللبنانى بيروت .

(٢) اد/ محمد احمد الغمراوى – الإسلام فى عصر العلم صـ١٤٣ بتصرف ، ١٣٦٣هـ ، ١٩٧٣م ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

و لاريب أن منهجا بتلك الصفة – صفة الاستعلاء – عاجز منذ البداية عن بلوغ هذا الأفق من العالمية حتى وإن فرض نفسه فرضا . و مارس دراساته . انطلاقا من روح الاستعلاء . فهو عاجز و قاصر . و لن تكون أحكامه عادلة منصفة . بل ستتأثر بروح الاستعلاء الذميمة . التي ينطلق من خلالها .

أما منهج البحث الإسلامي . فإنه يتأثر بروح الإسلام العامة . روح التواضع في غير ذله . و الشموخ في غير استعلاء . ينظر إلى الأمم كلها على السواء : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ الحجرات١٣ .

و قال تعالى : ﴿ و لقد كرمنا بنى آدم و حملناهم فى البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ الإسراء ٧٠ .

و انطلق الإسلام فى تعامله مع الشعوب المختلفة من هذا التكريم الإلهى لبنى آدم جميعا . فدعاهم إلى الإسلام . ووفى لهم وعودهم ، أسلموا أم لم يسلموا ، و لم يقهر أمة من الأمم على اعتناق الإسلام ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ البقرة ٢٦٥ .

بل إن الإسلام يذهب إلى أفق أعلى و أرحب (قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبى الطفيل عامر بن وائلة أن نافع بن عبد الحارث لقى عمر بن الخطاب بعسفان . و كان عمر استعمله على مكة ، فقال له عمر : " استخلفتَ مَن على أهل البوادى ؟ قال استخلفت عليهم " ابن أبزى " رجل من موالينا .

فقال عمر : استخلفت عليهم مولى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاص فقال عمر رضى الله عنه : أما إن نبيكم – صلى الله عليه و سلم – قال : إن الله يرفع بهذا الكتاب قوما و يضع به آخرين ، و هكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهرى به)[1] .

إن لحمل التبعات فى الإسلام مؤهلاتها . فمتى توفرت تلك المؤهلات فى أحد ، فهو أهل للأمانة . و الكل عند الله تعالى سواء ، فالكل لآدم و آدم من تراب .

إن منهج الإسلام أن (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)[2] .

---

[1] الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٣ صـ٣٤٩ .

[2] الإمام محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى – تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى جـ٧ صـ٣٨١ .

و عند الإمام مسلم – رضي الله عنه – بسند إلى أبي ذر رضي الله عنه قال : (إن خليلي أوصاني أن أسمع و أطيع و إن كان عبدا مجدع الأطراف " و عنده بسند إلى يحيى بن حصين قال : سمعت جدتي تحدث أنها سمعت النبي – صلى الله عليه و سلم – يخطب في حجة الوداع و هو يقول : و لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له و أطيعوا)[1] .

و الإسلام هو الذي حفز المسلمين إلى إسداء العلم لكل الناس . فقد أخرج الإمام البخاري بسند إلى أبي بردة عن أبيه قال : (قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم –: ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه و آمن بمحمد – صلى الله عليه و سلم – . و العبد المملوك إذا أدى حق الله و حق مواليه . و رجل كانت عنده أمَةٌ . فأدبها فأحسن تأديبها . و علمها فأحسن تعليمها . ثم أعتقها فتزوجها فله أجران)[2] .

فالكل سواء في ميزان الإسلام . و لا طبقية مذمومة في دين الله . و كل الناس سواء في حفنة التراب الأرضية . نفحة التكريم العلوية . و البيان الإلهي في تكريم بني آدم جميعا دليل على هذا .

يقول الله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله و لا تكن للخائنين خصيما و استغفر الله إن الله كان غفورا رحيما و لا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس و لا يستخفون من الله و هو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول و كان الله بما يعملون محيطا ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ﴾ النساء١٠٩ .

إن (البشر مهما ارتفع تصورهم ، و مهما صفت أرواحهم ، و مهما استقامت طبائعهم . لا يمكن أن يرتفعوا بأنفسهم إلى هذا المستوى ، الذي تشير إليه هذه الآيات إلا بوحي الله ..
هذا المستوى الذي يرسم خطاً على الأفق لم تصعد إليه البشرية إلا في ظل هذا المنهج . و لا تملك الصعود إليه أبدا إلا في ظل هذا المنهج كذلك

و القصة التي رويت من عدة مصادر في سبب نزول هذه الآيات أن نفرا من الأنصار – قتادة بن النعمان و عمه رفاعة ، غزوا مع رسول الله في بعض غزواته ، فسُرقت درع لأحدهما "رفاعة

---

[1] صحيح مسلم جـ١٢ صـ٢٢٥ . مرجع سابق .
[2] صحيح الإمام البخاري جـ١ صـ٢٩ ، مرجع سابق .

" فحامت الشبهة حول رجل من الأنصار من أهل بيت يقال لهم : بنو أبيرق .

فأتى صاحب الدرع رسول الله . فقال : إن طعمة بن أبيرق سرق درعى . و فى رواية : إنه بشير بن أبيرق ..و فى هذه الرواية : أن بشيرا هذا كان منافقا يقول الشعر فى ذم الصحابة . و ينسبه لبعض العرب ! فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فألقاها فى بيت رجل يهودى اسمه " زيد بن السمين " وقال النفر من عشيرته : إنى غيبت الدرع . و ألقيتها فى بيت فلان .. و ستوجد عنده فانطلقوا إلى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – : فقالوا : يا نبى الله إن صاحبنا برئ . و إن الذى سرق الدرع فلان . و قد أحطنا بذلك علما .

فاعذر صاحبنا على رؤس الناس . و جادل عنه . فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك .

و لما عرف رسول الله أن الدرع وجدت فى بيت اليهودى . قام فبرأ ابن أبيرق . و عذره على رؤس الناس قال قتادة : فأتيت إلى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فكلمته . فقال : عمدت إلى أهل بيت يذكر منهم إسلام و صلاح ، و ترميهم بالسرقة على غير ثبت و لا بينة ؟
قال فرجعت . ولوددت أنى خرجت من بعض مالى ، و لم أكلم رسول الله فى ذلك ... فلم نلبث أن نزلت : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ... ﴾ إلخ " النساء ١٠٥ .

إن المسألة لم تكن مجرد تبرئة برىء ... إنما كانت أكبر من ذلك . كانت هى إقامة الميزان الذى لا يميل مع الهوى ، و لا مع العصبية ، و لا يتأرجح مع المودة و الشنآن . أيا كانت الملابسات و الأحوال)[1] .

إن هذا المنهج الفريد ، هو الذى ينبغى أن يوزن عليه تراث الأمم و الشعوب . الذى يعدل فلا يجور . و الذى لا يعرف القصور و لا الهوى ، و لا الكبر ولا الاستعلاء . و لا يغضى من شأن الناس . إنه الدين الذى يقول للمحسن : أحسنت ، و يقول للمسئ : أسأت . مهما اختلفت الأجناس و الألوان و الأديان كذلك . و الذى يضع الحق فى نصابه ، أياما كان صاحب الحق .

---

[1] أ/ سيد قطب – فى ظلال القرآن جـ٢ صـ٧٥١ ، ٧٥٢ . بتصرف . مرجع سابق .

ثانيا : التعصب في الحكم على تراث الشعوب

و بناء على الشعور الغربي بالاستعلاء . فإنهم يبحثون في عقائد و حضارات الأمم الأخرى من هذا الشعور بالاستعلاء . فليس الشعور بالاستعلاء إحساسا ذاتيا منفصلا عن ممارسات العقل الغربي المصاب بهذا المرض . بل إنه يمثل الروح التي ينطلق منها في دراساته لتراث الشعوب الأخرى .
و من جملة هذا التراث الذي ينصبه المنهج الغربي للحكم عليه الدين . (ومن هنا فإن المؤرخين من أمثال " توينبي " تحكمهم نزعة الاستعلاء بأوربا و حضارتها . و سيطرتها على العالم الثالث . كما تحكمهم فكرة إعلاء العقيدة الدينية . التي يؤمنون بها في مواجهة الأديان الأخرى ...

و مثل هذا برز في اتجاه كاتب أو مؤرخ مثل " لودفنج أوشبنجلر " فإن غلبة الإيمان بالعنصرية اليهودية تؤثر تأثيرا كبيرا في حكمه على الإسلام و على العرب . و يتجلى هذا واضحا في كتابات " ماركس* " و " رودنسون " و " جاك بيرك " ... أنصار التفسير المادي للتاريخ . أو المدرسة الاجتماعية الفرنسية . فهو يُكوّن رأيهم في الإسلام و في العرب و في حضارتهم و تاريخهم)[1] .

و لا يَعْزُبَنّ عن الفكر ، الانتماءات المتعددة للمستشرقين . فمنهم الكنسيون . و منهم السائرون في ركب الاستعمار بأشكاله المتعددة . و قد سلف ذكر الدوافع . التي ينطلق منها المستشرقون . و التي يكون لها بلا ريب الأثر الأكبر في توجيه أحكامهم (و من هنا فإن أحكام الغرب في الأغلب كلها لا تستطيع أن تحتفظ بأمانتها لأصول المنهج العلمي في البحث دون أن تتأثر بالأهواء أو العنصر أو الدين

و الكتاب الغربيون يعملون في مجالين :-

أولا : مجال الدراسات الإنسانية

ثانيا : مجال التاريخ و الدراسات الإسلامية .

أما مجال الدراسات الإنسانية ، فإن منهج البحث فيه يتأثر بالنظرية التي تحاول أن تحاكم الدراسات الإنسانية إلى منهج التجريب المادي ، و ذلك أخطر مَقاتل هذه الدراسات)[2] .

---

* كارل ماركس "١٨١٨-١٨٨٣م" فيلسوف اجتماعي ألماني ، اشهر آثاره " رأس المال " ١٨٦٧-١٨٩٥م . المورد ٥٩ .

[1] أ/ أنور الجندي – أخطاء المنهج الغربي الوافد صـ٢٢ ، ٢٣ . مرجع سابق .

[2] المرجع السابق صـ١٤ . بتصرف .

إن المادة إذا أخضعت لظروف بحثية معينة أعطت استجابات تتكرر هذا الاستجابات كلما تكررت تلك الظروف أو التجارب . خلافا للإنسان الذى تحكمه رغبات و رهبات و مطامع و مطامح تغير اتجاهاته و سلوكياته و انطباعاته . و من ثم فإن إخضاع الدراسات الإنسانية لمنهج التجريب من سوءات المنهج الغربى .

أما المجال الثانى لدراسات الغربيين (فإنه دراسات التاريخ العام . و الذى تحكمه نظرية اعتبار تاريخ أوربا هو تاريخ العالم . و أن الجنس الأبيض سيد الأجناس .
أما فى مجال الدراسات الإسلامية . فإن الأمر يختلف تماما . و تسيطر عليه روح أخرى من التعصب و الهوى و الانحراف . بحيث لا يمكن إخضاعه لروح البحث العلمى الصحيح)[1] .

و لقد نتج هذا الشرود عن مقتضيات البحث العلمى النزيه . عن التعصب و الهوى و عدم التجرد للحقيقة و الانطلاق من خلفيات كنسية أو استعمارية أو غيرها .
أما المنهج الإسلامى . فهو المنهج الذى تعبر عنه هذه الآية :﴿ و لا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ المائدة ٨ .

إنه المنهج الذى تعلمه " ديكارت " من أساتذة المسلمين فـ (نصح أن لا يبدأ المرء من معان سابقة حتى لا تقوده هذه المعانى إلى افتراض ما ليس بموجود)[2] .

وهو المذهب الذى يعلمنا أن (أول ما ينبغى أن يتحرر المرء منه : تعصبه لرأيه الشخصى . بحيث لا ينزل عنه ولو ظهر له خطؤه ...
ورضى الله عن الإمام الشافعى الذى قال : والله ما أبالى أن يظهر الحق على لسانى أو على لسان خصمى
.... و لا عجب أن رأينا المحققين المنصفين من العلماء يدعون مذهبهم . ويرجحون غيره إذا تبين قوة دليل المخالف . وضعف حجة المذهب ...
فنجد الإمام القاضى أبا بكر ابن العربى ، يرجح مذهب أبى حنيفة . فى القول بوجوب الزكاة فى كل ما أخرجت الأرض ، ويضعف مذهبه مذهب مالك وغيره لما أداه الدليل إلى ذلك ....

---

[1] نفس المرجع السابق و نفس النقل .
[2] أ/عبد الرحمن بدوى . مناهج البحث العلمى صـ١٤٥ .١٩٦٣م دار النهضة العربية القاهرة .

وكذلك نجد الإمام النووى ....يرجح أحياناً غير الراجح فى المذهب " الشافعى " حسبما يلوح له من الدلائل .... أما الإمامان ابن تيمية وابن القيم . فموقفهما من مذهبهما الأصلى . وهو المذهب الحنبلى معروف غير مجهول . وكثيراً ما تركا المذاهب الأربعة جميعا . واعتمدا على اجتهادهما المطلق فى مسائل غير قليلة)[1] .

ثالثاً : منهج الشك الغامض .

(من أخطر المذاهب التى اعتنقها المنهج العلمى الغربى فى البحث . مذهب الشك على النحو الذى أقامه من خلال المفهوم المادى الخالص أو مفهوم التوقف بـه عند " اللأدرية " الغامضة . فقد كان للمذهب المادى أثره فى ظهور موجة الشك وتفشيها فى الفكر الغربى كله .. ومذهب الشك يتصل بالفكر إذ أسقط من حسابه عامل الدين . وهو ميراث قديم للفكر اليونانى . جاء نتيجة إعلاء شأن العقل وحده . مع عجز العقل عن أن يقول الكلمة الأخيرة فى أدق الأمور وأخطرها أثراً فى النفس الإنسانية . ومن هنا ظهر طابع التردد والحيرة)[2]

(ففى القرن الخامس قبل الميلاد . سيطرت على الفكر اليونانى موجة من الحيرة والارتياب وبلبلة الفكر نتيجة للسفسطة والجدل وتضارب الآراء فى قضايا الفلسفة . وانتهت بهم إلى إنكار جميع الركائز الفكرية للإنسان ، وإنكار المحسوسات والبديهيات .

وقد صور أحد فلاسفة ذلك العهد ، وهو الفيلسوف اليونانى (جورجياس .ت ٣٨٠ق.م) حالة الشك فى الوجود حين قال فى مقدمة كتاب وضعه لدعم مذهب الشك : لايوجد شئ . وإذا وجد شئ فالإنسان قاصر عن إدراكه . وإذا فرضنا أن الإنسان أدركه . فلن يستطيع أن يبلغه لغيره ...

ويقول بيرون ت ٢٧٥ق.م : يجب أن لانثق فى الحس . ولا فى العقل ، وأن نبقى من غير رأى ، و يجب أن ننفى ونثبت معاً ، أو لا ننفى ولانثبت ..

وجاء السوفسطائيون فردوا المعرفة إلى الحس وحده ، حيث انتهوا إلى القول بأن الفكر لايقع على شئ ثابت . ومن ثم امتنع إصدار الأحكام ، وبطل القول بوجود حقيقة مطلقة . ونَحَتْ الأكاديمية

---

[1] أ .د/ يوسف القرضاوى . الصحوة الإسلامية بين الإختلاف المشروع والتفرق المزموم صـ١٩٩:٢٠٥ بتصرف . الطبعة الثانية ١٤١١هـ =١٩٩١م دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة .

[2] أ / أنور الجندى . أخطاء المنهج الغربى الوافد صـ٢٤،٢٥ . مرجع سابق .

الجديدة – وهى مدرسة فلسفية غربية . تتبنى فكرة الاحتمال وتحكم باستحالة اليقين – منحى السوفسطائية .... ولكنها لم توغل فى الشك إيغال السوفسطائية . بل قالت بمبدأ الترجيح والاحتمال الذى يقوم على النظر فيما يقال فى الموضوع تأييداً أو عتراضاً . ثم يؤثر الترجيح . ولا يتجاوزه إلى اليقين)[1] .

ماذا لو هيمنت تلك الأفكار المشؤمة . على عقول البشر فى شتى مجالات الحياة ؟؟
إذا ما كان تقدم ولا كانت حضاراة . ولتحطمت طموحات البشرية على صخور الشك الأبله : يقول الله تعالى ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ النساء ١٤٣ .

وحينما تحدث القرآن فى أول سورة البقرة عن طوائف المجتمع المدنى . وهى كذلك الطوائف التى توجد فى أى مجتمع . تحدث الله تعالى عن صفات المؤمنين فى ثلاث آيات . وعن صفات الكافرين فى آيتين . وتحدث عن صفات المنافقين فى ثلاث عشرة آية .. وثمة وجه شبه بين أصحاب مذهب الشك والمنافقين وهو : التأرجح والتردد وعدم الثبات على مبدأ (ولاريب أن السكون . هو الموت ولابد للإنسان أن يختار موقفا ، وأن يحسم أمره . وقد ورث الفكر الغربى ظاهرة الشك واللاأدرية من الفكر اليونانى على هذا النحو الذى يعلق الأشياء . ولايحكم فيها . وهو مفهوم يختلف عن مفهوم الشك فى سبيل الوصول إلى الحقيقة ، والكشف عن قوانين العلوم وتنبعث ظاهرة الشك ...من الوقوف عند انتظار الدليل الذى يقدمه العقل البشرى دون تقدير لحجم العقل ومهمته ومجال قدرته الحقيقى)[2] .

وحتى مع ظهور الشك المنهجى ، الذى يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة . فإن الفكر الإنسانى ظل يحلق فى أجواء الخيال والعقلانية المحلقة . حتى كانت الحضارة الإسلامية . التى أهدت للإنسانية المنهج التجريبى الذى نلمس آثاره فى كل ما يحيط بنا من التقنيات الحديثة . وذلك المنهج الإسلامى . الذى وجدت بذوره فى آيات القرآن الكريم : ﴿ قل سيروا فى الأرض ثم انظروا ﴾ الأنعام ١١ ﴿.. إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ الرعد ٣ .. ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ الرعد ٤ .. ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق .. ﴾ العنكبوت ٢٠ .
﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ﴾ ... فصلت ٥٣ .

---

[1] أ.د / عبد الرحمن زيد الزنيدى ـ مصادر المعرفة فى الفكر الدينى الفلسفى صـ٦٠ ، ٦١ بتصرف الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م مكتبة المؤيد السعودية .

[2] أ/ أنور الجندى ـ أخطاء المنهج الغربى الوافد صـ٢٥ ، ٢٦ بتصرف .

﴿ وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ الذاريات ٢٠ ـ ٢١ .

هذه الآيات وغيرها كثير . يدعم العقل والنظر والتفكير . ويحفز على البحث واستكناه أسرار الكون للوقوف على حكم الله فى خلق الأنفس وفى إبداع الكون .

و (لهذا كانت معرفة الموجودات فى الإسلام ممكنة متهيئة . وعليه تواطأ العلماء . قال " نجم الدين النسفى " : ـ حقائق الأشياء ثابتة . و العلم بها متحقق خلافا للسوفسطائية . و هذا الإمكان للمعرفة شامل للموجودات بنوعيها . من عالم الشهادة و الغيب . فليست خاصة بالموجودات المادية المحسوسة بل يدخل فى ذلك أيضا موجودات العالم الغيبى . فقد أمرنا المولى بأن نؤمن بغيبيات معينة . و الإيمان لا يكون إلا من خلال معرفة بما يؤمن به الإنسان)[1] .

و ينبغى هنا الإشارة إلى الاتجاه المادى لدى الغربيين و من شايعهم . و الذى اعتمد الشك المنهجى فى الماديات . و أنكروه فى الغيبيات .و أنكروا ما لم يقع عليه الحس . و اتجهوا بذلك إلى الإلحاد .
و الاتجاه الآخر . الذى اعتمد الشك المنهجى فى الماديات و فى الغيبيات . مما يتصل بعقائدهم . أما عقائد مخالفيهم . فيسلطون عليها أضواء أو ظلمات المنهج التجريبى . الذى لا يصلح بحال للبحث فى مجال الإنسانيات و تفسير الوجود .

(إن المذهب المادى وحده يعجز عن تفسير الوجود . و كذلك المذهب الروحى وحده لا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة . و لكن المنهج المتكامل الذى رسمه القرآن . ربط بين العقل و الحواس و الوحى و النظر فى الكون و التفكير و التدبر . كل هذه العوامل مجتمعة . هى أساس المنهج الذى يحقق اليقين . و يدفع الإنسان فى الحياة قادرا على الحركة و البناء)[2] .

لقد أزاح الإسلام عوائق التفكير التى تقطع على العقل طريقه إلى الله . و طريقه إلى إعمار الحياة . ووردت النصوص (واضحة صريحة فى النهى عن كل ما يعطل الفكر عن العمل من أوهام و أغاليط و مزاعم لا يؤيدها دليل)[3] .

---

(١) د/ عبد الرحمن بن زيد الزنيدى – مصادر المعرفة فى الفكر الدينى الفلسفى صـ٦٩ . مرجع سابق .
(٢) ا/ انور الجندى أخطاء المنهج الغربى الوافد صـ٢٦ . مرجع سابق .
(٣) ا/ عبد الحليم الجندى : القرآن و المنهج العلمى المعاصر صـ٥٠ . ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م . دار المعارف ، القاهرة .

رابعا :-الانشطارية و تجزئة المفاهيم.

يقال (شَطَرُ الشئ : نصّفه .. و الشّطر : نصف الشئ . و يستعمل فى الجزء منه)[١] .

فالانشطارية وتجزئة المفاهيم . تعنى عدم التناول المتكامل لحقائق الأشياء و (إن من أبرز خصائص الفكر الغربى . التى تحول بينه وبين القدرة على أن يكون فكراً عالمياً إنسانيا . هو تجزئة المفاهيم أو الانشطارية ذلك أن طبيعة الفكر الغربى . تتمثل فى تجزئة الأمور لافى تكاملها ...

فهو يقبل العلم ويرفض الدين . ويقبل المادة ويرفض الروح . ويقر المحسوس ويرفض الغيبيات .

بينما يقف الفكر الإسلامى على قاعدة أرحب . ويتحرك فى أفق أوسع . حيث يزاوج ويوازن فى دقة وإحكام . بين القيم التى تتلاقى ، بحكم أنها تشكل طبيعة الإنسان نفسه) و من ثم جاء المنهج القرآنى موجها إلى الإنسان بجمعه ، فطرته وبديهته وأحاسيسه ومداركه وعقله)[٢] .

إن الإنسان كل لايتجزأ . وليس من المعقول أن يتخم أحد أجزائه على حساب الآخر ، بل لابد من التوازن فى إشباع رغبات الإنسان روحاً وجسداً . أما أن يتخم الجسد الإنسانى وتهمل الروح حتى ينحدر الإنسان فى أسفل من دركات الحيوانية . فذلك ولاشك ، تحقير للإنسان الذى كرمه الله .

وفى المقابل ، فإن إشباع الروح عبادياً ، وتعذيب البدن وإهماله كما حدث عند بعض طوائف الهنود وعند الرهبان النصارى قديماً فقد (ظل تعذيب الجسم مثلاً كاملاً فى الدين والأخلاق ....

حدثوا عن الراهب " ماكاريوس " أنه نام ستة أشهر فى مستنقع ليقرص جسمه العارى ذباب سام ..

وقد عبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة ، لم ينم ولم يقعد طوال هذه المدة . فإذا تعب أسند ظهره إلى صخرة ...

وأزهد الناس عندهم ...أبعدهم عن الطهارة ...يقول الراهب " اتهليس" إن الراهب " أنتونى" لم يقترف إثم غسل الرجلين طوال عمره ... وكان الراهب إبراهام لم يلمس بوجهه ولارجله الماء خمسين سنة)[٣] .

إن هذه المناهج المتطرفة تخلق إنساناً مشوهاً ، إما إلى اليمين المتطرف ، أو الشمال المنحرف .

---

[١] المعجم الوسيط جـ١ صـ٤٨٢ .

[٢] أ/ عبد الحليم الجندى : القرآن و المنهج العلمى المعاصر صـ٤٩ .

[٣] أ/ أبو الحسن الندوى ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ١٦٨ بتصرف ـ مكتبة الدعوة القاهرة.

لقد فقد الأوربيون (تعادل القوة والأخلاق والتوازن بين العلم — بظاهر من الحياة الدنيا — والدين منذ قرون . فلم تزل القوة والعلم فى أوربا بعد النهضة الجديدة ينموان على حساب الدين والأخلاق ...

ونشأ جيل كأنه ميزان لصقت إحدى كفتيه بالأرض وهى كفة القوة والعلم . وخفت الثانية . وهى كفة الأخلاق والدين . حتى ارتفعت جداً .

بينما يتراءى هذا الجيل الناظر فى خوارقه الصناعية وعجائبه الكونية وتسخيره للمادة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه . كأنه فوق البشر . إذا هو لا يتميز فى أخلاقه وأعماله . فى شرهه وطمعه . فى طيشه ونزقه . وفى قسوته وظلمه عن البهائم والسباع . وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة ، إذا هو لايدرى كيف يعيش !! وبينما هو قد بلغ الغايات ووراء الغايات فى الكماليات وفضول الحياة ، إذا هو لم يعرف المبادئ الأولية والبديهيات للحياة الإنسانية والمدنية والأخلاق)[١] .

أما منهج الإسلام ، فهو المنهج الذى يوازن بين متطلبات المادة وغذاء الروح . هو المنهج الذى يعبر عنه قوله تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا .. ﴾ القصص٧٧.

فيصعد الإنسان ويسمو بروحه وجسده ، كما يرفرف طائر بجناحيه ، إلى حيث يريد فى إطار المشيئة الإلهية .

---

[١] المرجع السابق صـ٢١٧، ٢١٨ .بتصرف .

الفصل الثاني

الإسلام في مـــــــواجهـــة الاستشــــراق

تمهيد

المبحث الأول

مواجهة الاستشراق على مستوى الجماهير الإسلامية

المطلب الأول : إزالة روح الاستخذاء

المطلب الثاني : تحطيم الرموز الزائفة

المطلب الثالث : إحياء روح العزة الإسلامية

المبحث الثاني

المـــــواجهــــة العلميـــــــة

المطلب الأول : إعداد الكوادر العلمية

المطلب الثاني : موسوعة الرد على المستشرقين

المبحث الثالث

المـــــواجهـــة الإعــــلاميـــة

المطلب الأول : أهمية الإعلام

المطلب الثاني : واقع الإعلام العالمي

المطلب الثالث : التبعية للإعلام الغربي

المطلب الرابع : ضرورة الاهتمام بالإعلام الإسلامي

المطلب الخامس : مسئوليات الإعلام الإسلامي

المطلب السادس : خطوات إلى الأمام

المطلب السابع : الإنترنت

الفصـــل الثـــانـى

الإسلام فى مـــواجهـــة الاستشـــراق

تمهيد

إن الإحساس بالألم أولى مراحل العلاج ، لا سيما إذا كـان هـذا الألم مؤرقاً ، وفـى طريقـه لأن يقطـع طريق العافية تماماً عن الإنسان .

إن الاستشراق المغرض داء عضال . ويمكن تشبيهه بعملية " غسيل المخ " .

وفى عالم الكمبيوتر يشبه " الفيروس " الذى يمسح ذاكرة الجهاز تماماً ، حيث يتلف كل ما فيها مـن معلومات . ويتحتم إعادة تشكيل الجهاز وتعبئته بالبرامج المناسبة .

وليست خطورة الاستشراق . فى كونه اتجاها فكريا مضاد للإسلام ، بل خطورته فى أنه صاغ اتجاهـاً خاطئا وثقافة ملوثة مرتبطة بالإسلام ... وصنع لها الكوادر التى عبأها بهـذه الاتجاهـات الجديـدة . ومكن لها فى كل أقطار العالم العربى الإسـلامى ، حتـى سيطرت علـى مواقـع التوجيـه ، فطرحـت أضاليل الاستشراق بألسنتها تحت مسميات : التنوير ، الحرية الفكرية ، التقدمية .

وصارت الأطروحات الفكرية لهذه الكوادر التى اصطنعت على عين الاستشراق ، تمثل عصب الثقافـة أو الثقافة الرسمية . التى تشكل الطرح الإعلامى فى شتى صوره ، ومختلـف وسـائله ، والتـى تؤثـر تأثيراً سلبيا على الفرد والمجتمع وتمثل النسبة المرتفعة جداً فى ثقافة جميع أفـراد المجتمـع . وكمـا كان التأثير السلبى للغزو الفكرى – والاستشراق رأسه المفكر– على مستويات الفرد والجماعـة . وعلـى مستوى الجنبات العلمية والإعلامية . كان لزاماً أن تكون مواجهته على نفس هذه الجبهـات وبقـوة . لكشف أباطيله وتفريغها من مضمونها المدمّر فنحن بحاجة إلى مجتمع مسلم رشيد . يعرف دينه . و يعتز به . و بأصالة حضارته .

و نريد الجهود العلمية الدقيقة . لرد أباطيل المستشرقين . و إظهار حقائق الإسلام . نقية من غشـاوة الاستشراق المغرض .

و نريد إعلاما ضخما . يقوم بدوره المأمول فى صياغة الأمـة المسلمة صياغـة جديـدة . حسـب تعـاليم الدين الذى شرفنا الله به . و جعل شرفنا و عزتنا مرتبطين بتمسكنا به . و التزامنا بتعاليمـه ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾ الأنبياء ١٠ .

هذا و إن الحرب ضد الإسلام مستمرة إعلاميا و علميا ، و لا بد أن تكون المواجهة كذلك علمية إعلامية ، على نفس المستوى من القوة و الكفاءة ، و تتميز بعد ذلك بأننا أهل الحق ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾ يونس ٣٢ .

المبحث الأول

مواجهة الاستشراق على مستوى الجماهير الإسلامية

لقد استطاعت حملات الغزو الفكرى متمثلة فى المستشرقين المغرضين و المنصرين . أن تحقق نتائجها فى الحقل الإسلامى . فباء المسلمون من جرائها بأمراض و انحرافات ، أثرت تأثيرا بالغا فى مصائر الأمم الإسلامية و العربية .

و يمكن تلخيص هذه الأمراض و الانحرافات فيما يلى :-

(١- مفاهيم غير صحيحة مسيطرة على أفكار كثيرين منهم ، منها مستحدث ، و منها موروث من عصور الانحطاط .

٢- الانبهار بظواهر الحضارة المادية الحديثة ، و هذا الانبهار يسوق إلى التقليد الأعمى . الذى تغدو فيه القوى الفكرية و النفسية و الإرادية معطلة مشلولة ، و تغدو فيه القوى الجسدية المختلفة مندفعة اندفاعا أرعن وراء جهة الانبهار ، إلى غير حد الاكتفاء .

٣- التخلف العلمى و العملى ، عما يجب أن يكونوا عليه ، حيث كان ينبغى أن نكون نحن السابقين إليه قبل كل أمم الأرض ، بموجب قوة الدفع الحضارى الموجودة فى تعاليم الإسلام ...

٤- تلقى الضربات المتتاليات من قبل أعدائهم و أعداء دينهم)[1] بروح الاستخذاء التى تمنع من اتخاذ موقف إيجابى ضد اللكمات التى تكال للدول الإسلامية .

(٥- تأثر معظم طلائع الأجيال الحديثة بحملات الغزو الفكرى و النفسى و الاجتماعى و السياسى و السلوكى . الذى غزانا به أعداء الإسلام من مختلف الأشكال و الأجناس و الألوان ...

٦- تخلى معظم المسلمين عن التطبيقات الإسلامية . و ارتداد كثيرين من أبناء المسلمين عن العقيدة و المفاهيم الإسلامية ارتدادا كليا .

---

(١) أ/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ، أجنحة المكر الثلاثة ، ص٦٧٧ . مرجع سابق .

٧- انتشار الجهل بالمفاهيم و التعاليم الإسلامية الصحيحة ، و انشغال النفوس و الأفكار بمطالب الأجساد و الأهواء و الشهوات)[1] .

و مواجهة نتائج الاستشراق السلبية ، تتطلب مواجهة هذه الأمراض ، التى تنخر فى عظام الأمم الإسلامية و ذلك من خلال ما يأتى :-

المطلب الأول

إزالة روح الاستخذاء :

تلك الروح المقيته . التى تشعرنا بأننا دون الجميع . فالعالم الغربى هو صانع الحضارة . و هو العالم المتقدم و المتمدن . و هو صاحب علامات الجودة فى كل ما يدع و يأخذ .

أما نحن . فنمثل العالم الثالث ، أو النامى ، أو العالم المتخلف ، الذى يتبع فى مجال الابتكارات و لا يبتدع . بل و أصبحنا نتبع فى مجالات النفس و الأخلاق كذلك ، فنأخذ عاداتنا و أخلاقنا من عادات الغرب و أخلاقه و لو كانت منافية لديننا .

و لا شك أن هذه الروح . تخالف روح العزة التى خص الله بها المسلمين ، لقد ذل المسلمون عندما ابتعدوا عن منهج الله . ذلك المنهج ، الذى يصل المسلم بمصدر الوجود . وواجب الوجود سبحانه و تعالى . فيستمد عزته من عزة الله . و يشعر بمعية الله ، فلا يخضع لسلطان بشرى خارج عن ناموس الله تعالى .

و الحق أن روح الاستخذاء هذه . يتلازم وجودها مع فقدان الالتزام بديننا فى أى زمان و مكان .

(حكى " الجاحظ " فى كتاب " البخلاء " الحكاية التالية عن طبيب عربى مسلم . هو " أسد بن جانى " يقول الجاحظ : و كان طبيبا فأكسد مرة . فقال له قائل : السنة وبيئة . و الأمراض فاشية . و أنت عالم و لك صبر و خدمة . ولك بيان و معرفة . فمن أين تؤتى فى هذا الكساد ؟

قال أما واحدة فإنى عندهم مسلم . و قد اعتقد القوم قبل أن أتطبب . لا . بل قبل أن أخلق . أن المسلمين لا يفلحون فى الطب . و اسمى " أسد " و كان ينبغى أن يكون اسمى " صليبا " و " مرائيل " و " يوحنا " و " بيرا " . و كنيتى " أبو الحارث " . و كان ينبغى أن تكون " أبو عيسى "

---

(1) المرجع السابق صـ٦٧٨ . بتصرف .

، و " أبو زكريا " ، و " أبو إبراهيم " ، و عليٌ رداء قطن أبيض ، و كان ينبغى أن يكون على رداء حرير أسود ، و لفظى عربى ، و كان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل جند يسابور*)[1] .

نعم حيثما فقدت روح الإسلام و تعاليم الإسلام ، حلت روح الاستخذاء و الشعور بالضعة و الدونية من دون الناس ، و فقدنا قدرتنا على الثقة فى أنفسنا .

تعاقدتُ منذ بضع سنوات إحدى الدول العربية (مع أحد الأساتذة الأمريكيين ، للتدريس فى جامعاتها . و قد كان لدى هذا البلد العربى – حينذاك – جدول غريب للمرتبات لأعضاء هيئة التدريس فى الجامعة ، فى قمته الأوربيون و الأمريكيون ، و فى أوسطه الآسيويون من الهند و باكستان . و فى أسفله العرب ، وعندما حضر الأستاذ الأمريكى ، تبين أنه يتحدث العربية بطلاقة . وأنه أصلا عربى ، تجنس بالجنسية الأمريكية ، و عندئذ أصر هذا البلد العربى ، على وضع هذا الأستاذ – لأنه أصلا عربى – فى أسفل جدول المرتبات مع الأساتذة العرب ، و لكن الأستاذ رفض و لجأ إلى السفارة الأمريكية ، لتحمية من الظلم العربى ، واستطاعت السفارة أن ترغم البلد العربى على دفع التعويض . الذى ينص عليه العقد لهذا الأستاذ . الذى عاد إلى بلاده الجديدة . التى تقدر كفاءته . كيف ننتصر فى قضية الصراع الحضارى بمثل هذه العقليات المتخلفة ؟)[1] .

فهل نستطيع أن نواجه توجها فكريا يحترم القدرات العلمية ، و يقدرها بصرف النظر عن جنسياتها و ألوانها . بمثل هذه اللوثات العقلية . و العقم العقلى ، و التخلف اللامجدود .

و كل ذلك يقينا يخالف روح الإسلام العامة الذى نادى فى الناس " يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا " الحجرات ١٣.

و الذى قال رسوله " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها "

---

* جند يسابور / مدينة فارسية شاع اسمها فى التاريخ الإسلامى ينسب بناؤها إلى الملك سامور الأول و استمدت منه اسمها ، فتحها المسلمون فى خلافة أبى موسى الأشعرى ، و إلى جانب صلتها بالتاريخ الإسلامى اشتهرت بوجود أول بيمارستان " مستشرفى " عام كان يعمل به معظم المشاهير من أطباء ذلك العصر و منهم بختيشوع و أبناؤه . دائرة المعارف الإسلامية للناشئين . القاهرة للصحافة و الترجمة و النشر .

[1] أد/ محمود حمدى زقزوق – الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضارى صـ١٢٨ ، ١٢٩ : مرجع سابق .

[1] المرجع السابق صـ١٢٩ .

المطلب الثاني

تحطيم الرموز الزائفة .

القدوة في حياة الناس من الضرورات ، التي ترسم للإنسان هدفا أسمى يطمح إليه ، و يعمل ليرقى في مراقي الصعود و التقدم حتى يرد موردها و يزيد عليه .

و إن تاريخنا يزخر بالقدوات و الرموز التي زكاها الله تعالى ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ الفتح ٢٩ .و زكاها رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فقال " خير القرون قرني ثم الذي يلونهم ثم الذين يلونهم". *

و هذه القدوات القدسية . في شتى ميادين الحياة فمنهم العلماء و الفقهاء و القرّاء ، و منهم الشجعان و الزهاد إلخ ...

و هم في كل ذلك بلغوا القمم السامقات في كل ما تجشموه من طرق الخير .

و كأن الله تعالى اختار هؤلاء الصفوة ، ليكونوا من بعد رسول الله مثلا يحتذى .

إلا أننا قد أريد لنا أن نتخذ رموزنا ، ممن يعارضون الدين الإسلامي تلميحا أو تصريحا . أو تلميحا و تصريحا معا . بل ممن كانوا عملاء للاستعمار في حينه . و يعجب المرء . حينما يقرأ في سير هذه الشخصيات . فيرى عجبا من القول و الفعل . بل يرى عبثا من القول و الفعل .

فـ " سعد زغلول " و " لطفي السيد " و " قاسم أمين " و " طه حسين " و " سلامة موسى " و " على عبد الرازق " و " محمد التابعي " و " عبد الرحمن بدوى " و " لويس عوض "و زكي نجيب محمود .

و غيرهم كثير من أمثالهم . هؤلاء هم عصب الطرح الإعلامي على مستوياته المختلفة . إما بإخراج المادة العلمية . و إما بالسير على مناهجهم . التي لُقنوها من أسيادهم المستعمرين و المستشرقين .

(فأحمد لطفي السيد أو أستاذ الجيل . كما يسمى زورا . هو الذي دعا إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان و قاوم تعليم سواد الأمة . و عارض مجانية التعليم .

و كان البوق الذي ردد دعاوى المستشرقين للعامية . و قاوم التضامن العربي الإسلامي . و عارض مساعدة المصريين للمغاربة . إبان الغزو الاستعماري الإيطالي للمغرب .

---

* أخرجه الإمام البخاري في كتاب الشهادات . بسند عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :" خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه و يمينه شهادته " .التجريد الصريح للإمام الزبيدي صـ ٢٧٠ .

أما زعيم الأمة " سعد زغلول " فيخبرنا هو في مذكراته عن إدمانه لعب القمار ، حتى وقع تحت طائلة الديون ، حيث باع سنة ١٩١٠م ضيعة بالبحيرة مقابل ١٢٠٠٠ جنيه ، يقول : بعت هذه الأطيان و ذهب كل ثمنها أدراج الرياح ، فلم أستفد منه فائدة ، و باع سنة ١٩١٨م ضيعة أخرى مقابل ١٦٠٠٠ جنيه ، و ضاع كل إيرادات سعد في مدى عامين ، و كانت ٣٠٠٠ جنيه ، مرتب الناظر " الوزير " و ١٥٠٠ جنيه ، إيجارات باقي أطيانه ، و أصبح مدينا بمبلغ ٦٥٥٠ جنيها ... كانت ثروته لا تقل عن ٤٠٠ فدان و ١٨ ألف جنيه ، فضلا عما ورثه من صهره " مصطفى فهمي " الذى كان يملك ٦٤٨ فدانا . و كانت صفية زغلول التى أطلق عليها " أم المصريين " واحدة من ثلاث بنات خلفها مصطفى فهمي .

أما الدكتور " طه حسين " عميد الأدب العربي و الذى أعلن أن العرب استعمروا مصر تماما مثل الرومان و هاجم المجاهدين من أهل المغرب ، وصور استعمار فرنسا للمغرب بأنه خدمة عظمى ، و يرى أن القرآن الكريم كتاب بلاغة ، و أن البطولات الإسلامية نتاج البيئة ، و لا يرى في النبوة إلا أنها قدرة رجل عظيم استوعب فكرة عصره .

و هو الذى ألقى عمامته في البحر أول رحلة له إلى أوربا .

أما سلامة موسى ، الذى قال :" ليس علينا للعرب أى ولاء ، و إدمان الدرس لثقافتهم مضيعة للشباب ، و بعثرة لقواهم ، و كيف يمكننا أن نعتمد على جامعة دينية ، بينما في العالم نظرية تقول : إن الإنسان لم يكن راقيا فانحط ، كما تقول الأديان ، بل هو كان منحطا فارتقى ، نعنى بها نظرية " التطور" .

و يقول : لا عبرة بما يقال من أن الإسلام أمر بالشورى ، فإن خطب جميع الخلفاء ، تثبت أنهم كانوا ينظرون إلى أنفسهم نظرا " بابويا " بل البابا نفسه إذا قيس إليهم في بعض الأشياء يعد دستوريا)[1] .

و هو أيضا القائل :(صلاح الدين الأيوبي كان رجلا كرديا غير مثقف ، فاستطاع الفقهاء أن يؤثروا فيه " " الإسلام دين بدوى يتسم بكراهة الترف و بشدة الإيمان بالوحدانية)[2] .

---

[1] أ/ أنور الجندى – رجال اختلف فيهم الرآى صـ٤،٥،٢٠، ٢١ ، ٤٣،٤٤ ، ٥٣ . بون ت ، بدون ط ، دار الأنصار ، القاهرة .

[2] أ/ زغلول عبد الحليم عبدالله ، شعربية سلامة موسى تطل برأسها من جديد . مجلة التوحيد صـ٤٨،٤٩ . بتصرف .السنة ٢٧ العدد١١ ذو القعدة ١٤١٩هـ جماعة أنصار السنة المحمدية . القاهرة .

و من المؤسف أن تتولى الهيئة المصرية العامة للكتاب نشر كتاب " حرية الفكر " له و الذى ضمنه سوءاته و مخازيه ، و ذلك ضمن سلسلة المواجهة التى صدرت عنها ، ولسنا ندرى أى مواجهة تلك ، و مواجهة مَن بهذا الأفكار الضالة ، و أى حرية فكر تلك التى تندرج تحتها هذه الترهات.

و أما زكى نجيب محمود : فيسخر من الدين كوسيلة للمعرفة و يضعه جنبا إلى جنب مع الخرافة و أن بلاد (اليونان كانوا يستخدمون العقل كوسيلة للمعرفة فى حين كانت بلادنا أى بلاد الشرق تستخدم الخرافات و الدين بدلا من استخدام العقل ... هذا فى الوقت الذى يقول فيه الماركسى " مكسيم رودنسون" : " القرآن كتاب مقدس ، تحتل فيه العقلانية مكانا جد كبير . فى مناسبات عديدة . يكرر لنا أن الرسل جاءوا بالبينات ، وهو لا يألوا يتحدى معارضيه أن يأتوا بمثله . كما أنه ما ينفك يقدم البراهين العقلانية على القدرة الإلهية ... كما أن المؤرخ "جوستاف لوبون" يقول بأن العرب هم الذين علَّموا العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين)[1] .

إن مَن ليسوا من جلدتنا و لا من أبناء وطننا و لا ديننا ، يقفون أحيانا موقف الإنصاف ، لأن الحقيقة تكون أضوء من أحجبة الإجحاف المتعمد ، غير أننا نجد من أبناء الشرق و المسلمين . من يبلغ فى العَمَهِ حدا يفوقون فيه أعداء الإسلام جهالة وضلالا .

هذه بعض مخازى الذين يراد لنا أن نتخذهم واجهتنا الثقافية ، و لو شئت أن أسهب فى إظهار عوارهم لأسعفتنى كتابات الغيورين من أبناء الأمة الإسلامية .

إن المرء ليعجب . هل هؤلاء عرب مسلمون . أم صليبيون . أم صهيونيون حاقدون ؟؟

إن هؤلاء هم الذين تُسَبِّح وسائل الإعلام بحمدهم هم و تلاميذهم و أساتذتهم .

و هم قدوة الكُتَّاب و الأدباء . الذين يراد بهم توجيه الدفة الفكرية للأمة . إننا لكى نواجه الاستشراق بجيل يفهم دينه و يحترم حضارته . و يعتز بإسلامه . لا بد من تحطيم هذه الهياكل الزائفة . لا بد من تحطيم هذه الأصنام الفكرية . هذه الأصنام التى فرَّغت ساحتنا الثقافية من المضامين الإسلامية . التى هى صبغة الله لهذه الأمة و جوهر حياتها .

---

[1] د/ شوقى إبراهيم على عبدالله، فى الغزو الفكرى و التيارات المعادية للإسلام صـ٢٦٥ بتصرف ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، دار الطباعة المحمدية القاهرة .

يبحث الشباب اليوم عن قدوته فى الممثلين و لاعبى الكرة ، و قد يذكر لك الشاب تأريخا كاملا تاما عن حياة كثير من الممثلين و اللاعبين ، و لكنه قد لا يعرف متى كانت غزوة بدر الكبرى ، و لا متى ولد رسول الله – صلى الله عليه و سلم – و لا متى توفى ، و لا يعرف عدد سور القرآن ، بل لا يعرف كيف يتوضأ ، و غير ذلك من أبجديات الإسلام ، التى لا غنى للمسلم عنها ، و لا يعذر فيها بالجهل .

ما أحوجنا إلى كشف عوار هذه الهياكل الكاذبة الزائفة ، و نصب القدوات الحقة ، متمثلة فى سير الصحابة و التابعين . و الأئمة الأعلام ، و أبطال الإسلام على مر التاريخ . و فيها بلا ريب شفاء العليل للشباب الظامئ إلى القدوة .

إن فى تاريخنا الإسلامى القديم بطولات حقيقية تزخر بها حياة الصحابة و التابعين . أسد الله و أسد رسوله " حمزة بن عبد المطلب " و سيف الله المسلول " خالد بن الوليد " وأمين الأمة " أبو عبيدة عامر بن الجراح . و خال رسول الله " سعد بن أبى وقاص " ، و من قبلهم صديق الأمة و فاروقها . و أبو الحسنيين " على بن أبى طالب " ، و ذو النورين " عثمان بن عفان " رضوان الله عليهم أجمعين و ألحقنا بهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

و ليس المجال هنا مجال استقصاء شخصيات التاريخ الإسلامى ، و إلا فإن سيرهم و أخبارهم دونها جهود المجتهدين . و فيها بفضل الله ما يروى ظمأ الشباب .

إن عشرات الآلاف من البطولات الحقيقية الحقيقة بأن تبرز للشباب ، و تصبح مثلا أعلى فى شتى ميادين الحياة . بدلا من قصص الخلاعة . التى يطفحها علينا أذناب المستشرقين . و بدلا من البطولات الزائفة التى يعيش بها الشباب فى وُهم الخرافات التى تخرج به عن واقعه . و إمكاناته من أفلام العنف و الجريمة . التى تشمخ بأهل العرى و الفجور . إلى سماء النجومية . حيث البريق المصطنع . الذى يخطف أبصار الشباب السكارى من رهق الحياة و قلة ذات اليد . فيلجئون إلى كهوف الظلام . بعيدا عن معترك الحياة .

هذا و إن الإسلام الذى أخرج الله به للبشرية كنوز الرجال و كنوز المعارف . و درر الأخلاق و السلوكيات قادر بإذن الله . أن يعيد هذه الصياغة . إذا عاد الناس إلى ربهم . و عقلوا عن الله مراده من الحياة .

المطلب الثالث

إحياء روح العزة الإسلامية .

فى غزوة مؤتة من السنة الثامنة للهجرة ، تهيأ الجيش المسلم للخروج ، و خرج الناس لتوديع الجيش و عندئذ بكى أحد أمراء الجيش ، و هو سيدنا عبد الله بن رواحة (فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : أما و الله ما بى حب الدنيا . و لا صبابة بكم ، و لكنى سمعت رسول الله – صلى الله عليه و سلم – يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ و إن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ مريم ٧١ . فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ؟

فقال المسلمون : صحبكم الله بالسلامة ، و دفع عنكم ، و ردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفـــرة و ضـربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهــــزة بـحربة تنفذ الأحشاء و الكبدا
حـتـى يـقـال إذا مـروا على جدثى أرشـده الله من غاز و قد رشدا

... و نزلت الأخبار للمسلمين بخروج هرقل* فى مائتى ألف مقاتل ، و لم يكن المسلمون أدخلوا فى حسابهم لقاء مثل هذا الجيش ...

حار المسلمون و أقاموا فى " معان " من أرض الشام ليلتين يفكرون فى أمرهم ، و ينظرون و يتشاورون ثم قالوا : نكتب إلى رسول الله ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، و إما أن يأمرنا بأمره . فنمضى له . و لكن " عبدالله بن رواحة " ، عارض هذا الرأى . و شجع الناس قائلا : يا قوم و الله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون : الشهادة ، و ما نقاتل الناس بعدد و لا قوة و لا كثرة . ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا . فإنما هى إحدى الحسنيين . إما ظهور و إما شهادة و أخيرا استقر الرأى على ما دعا إليه عبدالله بن رواحة)[1] .

إن تلك الصورة المبهرة أوسع من كل معانى العزة و الأنفة والتوكل التى تخطر على قلب بشر . من أين لثلاثة** آلاف جندى مهما كانوا أن يواجهوا مائتى ألف جندى . يفوقونهم عتادا . وفى أى

---

* هرقل ٥٧٥- ٦٤١ م امبراطور بيزنطى ٦١٠- ٦٤١ م . المورد صـ٤٤ .

(١) صفى الرحمن المباركفورى – الرحيق المختوم صـ٣٤٠ ، ٣٤١ . بتصرف ، مرجع سابق .

** الإمام ابن حزم ، جوامع السيرة النبوية صـ١٦٥ ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤ م ، دار الفتح ، الشارقة ، الإمارات .

قاموس حربى يمكن لثلاثة آلاف أن تنجو – و لا أقول تهزم – مائتى ألف .

فقط قاموس الإيمان ، الذى لا قيمة فيه للعدد ولا العتاد ، إذا استجمع المسلمون أسباب النصر ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن ا لله و ا لله مع الصابرين ﴾ البقرة ٢٤٦ .

إن الإسلام و فقط هو الدين الذى يدفع المسلم دفعا ، لا يتوجس خيفة من بشر . إذا كان سيره لله تعالى فإن لديه ميزانا لا يختل أبدا ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب ا لله لنا هو مولانا و على ا لله فليتوكل المؤمنون ﴾ التوبة ٥١ .

إن العزة من اللبنات الأولى . التى يضعها الإسلام فى صياغته الجديدة للآدميين . فحيث يضع العقيدة فى ا لله . الذى له أحدية الوجود و أحدية الفاعلية ، عندئذ لا مجال للخوف من بشر . مهما كان هذا البشر . و مهما أوتى من سلطان زمانى أو مكانى ، يقول الحق سبحانه و تعالى : ﴿ و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون ﴾ المنافقون ٨ .

﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ﴾ النساء ١٣٩

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ... ﴾ آلعمران ١١٠ .

هذه الروح التى تدفع المسلم أن لا يرضى الدنية فى دينه . و لا يرضاها فى دنياه كذلك . فإن الإسلام الذى ندين لله به . يأبى للمسلم أن يكون ضعيفا أو مستضعفا ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض ا لله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيرا ﴾ النساء ٩٧ .

هذه الروح الوثابة التى تربأ بالمسلم أن يكون ذَنَبا . بل لابد و أن يكون فى المقدمة ، أليس هو الشهيد على الناس يوم القيامة . و من أين لخامل أن يتسنم هذا الشرف ﴿ و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ البقرة ١٤٣ .

إنها الروح التى دفعت الصحابة إلى محاسبة الفاروق عمر على ثوبه الطويل من دونهم . و التى دفعت المصرى قديما أن يقطع آلاف الكيلو مترات من مصر إلى المدينة المنورة . متظلما من ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه . إذ ضربه حينما سابقه المصرى فسبقه .

و من أين لهذا المصرى هذا الأمل فى نصرة الخليفة له على واليه . و يقطع تلك المسافة الشاسعة طالبا حقا قد يُعد فى أعين بعض الناس . لا يستأهل ذلك الترحل البعيد .

كم عُذِّب المصريون على أيدى الرومان و اضطُهِدوا ؟ فلماذا – اليوم – تظهر روح الإباء بهذه الصورة ؟

إنها الروح الجديدة ، التى بثها المسلمون فى نفوس رعاياهم ، روح الإباء و الانتفاضة ضد الظلم ، و رفض الاستعباد ؛ و يحقق الفاروق ذلك المعنى الراسخ فى نفس المصرى بقوله لعمرو " متى استعبدتم الناس و قد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟!

دخل " ربعى بن عامر " رضى الله عنه – على " رستم " قائد الفرس فى معركة " القادسية " ، و قد عملوا على زينتهم محاولين إبهار رسول " سعد بن أبى وقاص " ، و إدخال الرعب فى قلبه ، و قد فرشوا البسط ، ووضعوا النمارق ؛ و جلس " رستم " على سرير له ذهبى (فأقبل " ربعى " يتوكأ على رمحه ، و زُجُّه نصل ، يقارب الخطو ، و يزج النمارق و البسط ، فما ترك لهم نمرقة و لا بساطا إلا أفسده ، و تركه متهتكا مخرقا ، فلما دنا من " رستم " تعلق به الحرس ، و جلس على الأرض ، و ركز رمحه بالبسط .

فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه ، فكلمه فقال : ما جاء بكم؟ قال : الله ابتعثنا ، و الله جاء بنا ، لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام)[1] .

هذا التصور الشامل لرسالة الإسلام ، و هذا الثبات الذى هز أركان " رستم " و مَن حوله ، و أتاهم من حيث لا يحتسبون ، إنما هو روح الإسلام الوثابة ، التى حولت العرب من أمة ممزقة متناحرة ، إلى أقوام يحملون أشمل و أكمل و أتم تصور ، يكفل للبشرية الهداية و الأمن و السعادة .

ما أحوجنا إلى هذه الروح ، إزاء المواقف المخزية ، التى نقفها من قضايانا المعاصرة ، كموقفنا من الاعتداءات الإسرائيلية على جنوب لبنان ، و موقفنا من احتلال إسرائيل لهضبة الجولان السورية ، و موقفنا من ضرب الأمريكيين و الإنجليز لشعب العراق البائس فى شهر ديسمبر ١٩٩٨ م .

و يكاد الغيور يبكى دما ، حينما يرى بعض المستشرقين ، يشعر بآلامنا و يبرأ من مواقفنا أن تكون نابعة من روح الإسلام ، ففى مؤتمر المستشرقين الألمان فى برلين أبريل ١٩٨٠م (وقف الدكتور " فرتزشتيبات " الأستاذ بجامعة برلين الغربية ، و رئيس قسم الدراسات الإسلامية بها ، أخذ

---

(١) أ/ أبو الفضل إبراهيم ، على محمد البجادى – أيام العرب فى الإسلام صـ٢٦١ ، ٢٦٢ ، بتصرف ، مرجع سابق .

يحلل مواقف المسلمين المعاصرين من قضاياهم السياسية و الاجتماعية و الثقافية ...

ثم قال في نهاية بحثه : " أيها السادة العلماء ، أرجو أن تفرقوا بين المسلمين المعاصرين المتخبطين في مواقفهم و تصرفاتهم . و بين الإسلام و استطرد قائلا : فالإسلام دين الفكر و العلم و الثقافة و العدل و الحضارة و التقدم . و لكن المسلمين لم يستمسكوا بـه ، و هـم مدعـوون لأن يسلموا . حتـى يصلـح حالهم و تستقيم شؤونهم . و يصبحوا جديرين بحمل الراية من جديد) [١] .

فلا نامت أعين الذين يحملون شارة الإسلام من أبناء المسلمين و هم يهدمون حصون الإسلام من داخلها

---

[١] د/ مصطفى الشكعة – الحضارة الإسلامية في الأندلس ، بتصرف . مناهج المستشرقين في الدراسات العربية و الإسلامية جـ٢ صـ٢٧٧، ٢٧٨ . مرجع سابق .

المبحث الثاني

المواجهة العلمية

و لن يقوم بهذه المواجهة إلا (مثقفون ثقافة إسلامية واعية ، متسمة بعمق التفكير ، و سعة الأفق . و رحابة الصدر . وقوة الحجة و الفاعلية الدائبة)[1] .

فإنه على قدر خطورة الاستشراق . لا بد من أن يكون المضطلعين بمهمة المواجهة ، على نفس المستوى بل أرقى و أرفع .

يقول الإمام الغزالي – رحمه الله – : (إنه لا يقف على فساد نوع من العلوم . مَن لا يقف على منتهى ذلك العلم . حتى يساوى أعلمهم من أهل ذلك العلم . ثم يزيد عليه . و يجاوز درجته . فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم . و إذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقا)[2] .

إذ لا يصح أن نلقى بالتهم جزافا . و نسير سيرة المغرضين من المستشرقين . بعيدا عن هذا المنهج العلمى السليم .

المطلب الأول

إعداد الكوادر العلمية

و قد يكون هذا عن طريق دعم الدراسات الاستشراقية بالجامعات . عن طريق تدريس مادة الاستشراق من السنة الأولى الجامعية . و تكثيف الدراسة فيه . و العناية بطرح الأبحاث المختلفة . عن المدارس الاستشراقية و مناهجها فى البحث . و المنصفين و المجحفين من المستشرقين .

و بيان أهم المصادر الاستشراقية . و المجلات و الدوريات . الصادرة عن الهيئات الاستشراقية . و تمكين الطلاب من الاطلاع على هذه الكتب . أو إنشاء مكتبة خاصة بقسم الاستشراق تدعمها الجامعات .

و لكننى أعتقد أن هذا لن يكون كافيا لأسباب منها :

١- أن معظم الطلاب فى الكليات الشرعية . ليسوا على المستوى المطلوب من الكفاءة العلمية .

فمعظمهم من أصحاب التقديرات الضعيفة فى الثانوية الأزهرية . و التى أجبروا بسببها على دخول

---

(١) أ/ عبد الرحمن حبنكة الميدانى – أجنحة المكر الثلاثة ، صـ٦٧٩ . مرجع سابق .

(٢) د/ محمود حمدى زقزوق – الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضارى صـ١٢٥ . مرجع سابق .

الكليات الشرعية التى تقبل أضعف المستويات .

٢- الإمكانيات الضعيفة بل المعدومة ، و التى لا تكفى أبدا لإنشاء مكتبات خاصة بهذا القسم - أعنى قسم الاستشراق - و الذى ينبغى أن تكون ثقافته متجددة ، و أن يكون مطلعا على أى إنتاج غربى مسيحى أو يهودى عن الإسلام .

٣- الوظائف الحكومية التى يشغلها الطلاب الشرعيون ، و الذين يدرسون التيارات المعاصرة . و الملل و النحل و الاستشراق . حيث يعملون أئمة و خطباء أو مدرسين . و هى وظائف و إن كانت تتيح الفراغ الكافى للبحث . و الاستزادة من الجديد فى عالم الدراسات الغربية . إلا أن عائدها المادى لا يسعف فى الإنفاق على متطلبات الحياة . فضلا عن متطلبات الدراسات الاستشراقية المتجددة .

هذه الأسباب و غيرها يعوق الطريق أمام النتائج الإيجابية لهذه الطريقة من المواجهة .

و لذا فإنى أقترح فى هذا الصدد إنشاء قسم خاص بالدراسات الغربية عن الإسلام . و هو قسم الاستشراق

قسم الاستشراق بكلية الدعوة الإسلامية

أولا : أساتذة القسم :-

تزخر كليات الدعوة الإسلامية و أصول الدين و الدعوة و الشريعة و القانون و الحقوق و كليات الآداب قسم اللغة العربية و دار العلوم .بالأساتذة الذين احتكوا بالاستشراق فى دراساتهم المختلفة . و الذين أثروا الجامعات بكتاباتهم القيمة فى أفرع الثقافات المختلفة . مفندين مزاعم الاستشراق .

و يمكن أن يكون هؤلاء الأساتذة المؤسسين لقسم الاستشراق .منتدبين . أو مشاركين بالجهد العلمى .

ثانيا : طلاب الكلية :-

يختار لهذا القسم أصحاب التقديرات المرتفعة من طلاب الثانوية الأزهرية . و كذلك الثانوية العامة .

و أقترح ألا يقل مجموع الطالب الأزهرى المتقدم للقسم عن ٧٠٪ . كما أقترح أن يفتح الباب لطلبة الثانوية العامة الراغبين فى هذا المجال . و ألا يقل مجموع المقبول عن ٨٠٪ .

ثالثا : التهيئة الإعلامية لهذا القسم :-

أذكر سنة ١٩٨٨م عندما أعلن فى الجرائد الرسمية اليومية . عن تطورات جديدة فى كلية الدعوة الإسلامية . حيث تقام مسابقة يختار من خلالها الطلاب المتقدمين للكلية . و يختبروا فى القرآن

و الثقافة الإسلامية و يمتاز الطلاب المقبولون ، حسب هذه الشروط ، بأنهم يقبولون بالمدينة الجامعية بمجرد قبولهم فى الكلية . بعد اجتياز الامتحان بنجاح ، و كان بالفعل لطلبة كلية الدعوة ميزة فى تقديم الأوراق بالمدينة الجامعية ، حيث خُصوا بشباك لتقديم الأوراق خاص بهم . دون غيرهم .

و قد كان لهذه التهيئة عامل كبير . فى قبول أعداد كبيرة من أصحاب التقديرات العالية فى هذه السنة كلية الدعوة الإسلامية .

و لا شك أن هذه الامتيازات لو تحققت لطلاب قسم الاستشراق . لحققت جاذبية كبيرة للمصطفين من أبناء الأزهر و غيرهم .

و يضاف إلى هذا المستقبل المضئ الذى يتحقق للخريجين من هذا القسم .

ثالثا : مواد الدراسة بهذا القسم .

يقترح لتكوين اللبنات الأولى و القوية لمواجهة الاستشراق تدريس المواد التالية :-

١- القرآن الكريم :

يقرر سبعة أجزاء و نصف سنويا . و تدرس فى السنة الأولى أحكام التلاوة دراسة شاملة .

٢- علوم القرآن :

يدرس الطلاب كل ما يتصل بكتاب الله من مباحث علوم القرآن مثل : المحكم و المتشابه . و الناسخ و المنسوخ . و المطلق و المقيد . و العام و الخاص . و المفصل و المجمل . و يقترح محاولة استقصاء ما كتب فى علوم القرآن من كتابات قديمة و حديثة ليعرفها الطالب اسما و مؤلفا . و منهج المؤلف فى البحث .

٣- الحديث و علومه :

حيث يدرس ما تيسر من أحاديث المصطفى – صلى الله عليه و سلم – و أقل ما يقال فى ذلك أن يدرس كتاب " التجريد الصريح للزبيدى " حفظا و دراسة . أو اللؤلؤ و المرجان فيما اتفق عليه الشيخان . . و يدرس مناهج أصحاب الكتب التسعة . و يدرس تخريج الحديث .

٤- اللغة العربية :-

و يقترح فيها أن تشتمل على فصول من البلاغة و الأدب و النصوص النثرية و الشعرية التى تهذب الأسلوب و تسمو به . هذا بجانب دراسة النحو و الصرف دراسة تقوم اللسان . و تقف

بالدارس على أسرار اللغة العربية .بجانب الإلمام بأنواع المعاجم العربية و طريقة البحث فيها و مناهج مؤلفيها .

٥- تاريخ الاستشراق :

و فيه يدرس الطالب متى بدأ الاستشراق . و أطواره ، و مدى التطور الذى طرأ على الدراسات الاستشراقية فى القديم و الحديث .

٦- العقيدة فى المنظور الاستشراقى :

و يختار لذلك أهم الكتب أو أمهات كتب المستشرقين ، و التى تبرز النظرة العامة للمستشرقين عن العقيدة الإسلامية .

٧- القرآن و المستشرقون :

و هذا العنوان يمثل معركة متوقدة الأوار . لما تزل مضطرمة . تلفحنا بلهيبها كل حين . و كان آخرها ما جاء فى إحدى المجلات الفرنسية . و سوف أشير إليه عقب الحديث عن " الانترنت و مواجهة الاستشراق " و للمستشرقين فى دراستهم للقرآن دراسات وافرة . منها ما ترجم و هو قليل . و كثير جدا لم يترجم . و منها مادة القرآن فى دائرة المعارف الإسلامية . و التى لم تترجم إلى اليوم - حسب ما أدانى إليه بحثى- . و هذا الدراسة ينبغى أن تكون شاملة مشفوعة بردود مستفيضة عن شبه الاستشراق . و لا ريب أنه يكفى أن يعطى الطلبة مفاتيح العمل . و بعد ذلك يستفاد منهم هم أنفسهم بالرد على شبه الاستشراق عن طريق الأبحاث التى يقوم بها الطلاب فى هذا الصدد .

٨- السنة النبوية فى المنظور الاستشراقى .

حظيت السنة باهتمام المستشرقين كذلك باعتبارها المصدر الثانى للإسلام . و كان من هذه الجهود الإيجابى . و الذى نفع الله به المسلمين . و منها السلبى بأيدى المستشرقين كدراسات المستشرقين المشككين فى حجية السنة و نسبتها إلى أبى القاسم - صلى الله عليه وسلم - و بأيدى أبناء المسلمين مثل " محمود أبو رية " الذى هاجم السنة هجوما ضاريا . جاريا فى مضماره بما سبق إليه من أضاليل المستشرقين .

٩- الفقه فى المنظور الاستشراقى .

١٠- الفرق الإسلامية فى المنظور الاستشراقى .

١١- الرسول فى كتابات المستشرقين .

١٢- المدارس الاستشراقية .

١٣- المناهج العلمية فى البحث .

١٤- اللغات الأوربية :-

و هذه ينبغي أن تكون دراسات جادة و قوية . تربي متحدثا بإحدى اللغات ، التي تمثل عصب الدراسات الاستشراقية ، و هي الإنجليزية و الفرنسية و الألمانية و الأسبانية و الروسية و الإيطالية حيث يقسم الطلاب إلى مجموعات ، تختص كل مجموعة بإحدى هذه اللغات ، و يقترح التنسيق مع كلية اللغات و الترجمة بالأزهر . أو كليات الآداب ليدرس طلاب كلية الدرسات الغربية بهذه الكليات . كما هو كائن الآن من التنسيق بين كليات التربية . و كليات الآداب . حيث يتلقى الطلاب محاضراتهم هنا أو هناك . و ذلك لصعوبة تخصيص كرسي لكل لغة من اللغات الست في كلية واحدة .

رابعا : مستقبل الخريجين :-

يمكن أن يضطلع هؤلاء الخريجون بمهمة إنشاء موسوعة الرد على المستشرقين . و دائرة معارف إسلامية جديدة . و اللتين اقترحهما الأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف الحالي في كتابه " الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري .

ينبغي أن يلتحق هؤلاء الخريجون بمجمع البحوث الإسلامية . و يلحقوا بالمراكز الإسلامية . في جميع الدول الأوربية و أمريكا . و بكل دولة أجنبية بها مركز إسلامي .

و لسوف تكون مهمتهم في هذه البلاد ذات شقين :

الشق الأول : تفقيه المسلمين في هذه البلاد في أمور دينهم . و دفعهم إلى التمسك بأهداب الدين و الابتعاد عما حرم الله . و إعطاء صورة حسنة لدين الله تعالى . لا سيما و نحن نسمع عن مخاز تلصق بالمسلمين و تنسب إليهم بهدف تشويه الإسلام في نفوس الغربيين .

الشق الثاني : عرض صورة الإسلام الصحيحة الرائقة الرائعة التي تجذب بذاتيتها أصحاب الفطر السليمة و تدخلهم حظيرة الإسلام . و العمل على نفي ما يلصق بالإسلام من قبل المغرضين من المستشرقين .

و ينبغي أن تفتح وسائل الإعلام أحضانها للأطروحات العلمية التي يقدمها هؤلاء . و أن يقدروا ماديا و أدبيا . حتى يتمكنوا من التفرغ لهذه المهمة . التي يمكننا أن نلخصها في عبارة واحدة و هي :

" صياغة الأمة الإسلامية و مستقبلها من جديد "

و فى رأيى أن هذا الجيل لو رُبى على هذه الكيفية ، فسوف تتكون لنا على المدى القريب و البعيد كوادر علمية ، يمكنها أن تواجه خطر الاستشراق ، و تطرح القضايا الإسلامية طرحا جيدا خاليا من شوائب الاستشراق و التبشير و التغريب .

المطلب الثانى

موسوعة الرد على المستشرقين

و قد كانت تلك الموسوعة المنشودة موضوع التقرير الختامى . الذى أعده الأستاذ الدكتور " محمود حمدى زقزوق " فى نهاية الندوة التى دعت إليها " المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم فى القاهرة فى نهاية ١٩٧٩م لمناقشة موضوع إعداد هذه الموسوعة ، و فيما يلى عرض لهذا التقرير :-

(أ – أسلوب التناول :-

١- تناول الموضوعات تناولا موضوعيا مدعما بالحقائق العلمية و الشواهد التاريخية و البراهين العقلية و كذلك بالأسانيد الدينية . فيما يتعلق بالعلوم النقلية . التى يعترف المستشرقون بالمناهج التى استخدمت فيها .

٢- عرض شبهات المستشرقين ، و الرد عليها تفصيليا بعيدا عن النزعات الهجومية . حتى يكون لهذا العمل العلمى أثره الإيجابى لدى المثقفين من كل الطبقات من المسلمين و غير المسلمين . و حتى يكون دافعا للمستشرقين إلى ... تصحيح اتجاهاتهم حول الإسلام و تاريخه و حضارته .

٣- الاقتصار على الموضوعات التى كانت مثار أخذ و رد و جدل لدى المستشرقين . و بصفة أساسية فى القرنين التاسع عشر و العشرين .

٤- إبراز ردود المستشرقين على بعض . بصدد الشبهات التى أثاروها حول الإسلام و الحضارة الإسلامية .

٥- تصدر الموسوعة بدراسة عن الاستشراق . أهدافه . مناهجه . اسبابه)[1] .

لا شك أن هذا التناول . سيكون له أبلغ الأثر فى صياغة جديدة لأفكار المثقفين . والذين ورثوا سوء الظن عن دينهم بسبب التنشئة الخاطئة .أو الثقافة التنويرية – بزعمهم – التى تفصل الإسلام عن واقع الحياة.

---

[1] أ.د/ محمود حمدى زقزوق – الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضارى صـ١٣٩ ، ١٣٣ ، بتصرف .

تيسير الحصول على هذه الموسوعة

إن هذا الإنتاج الموسوعى الضخم . من العسير جدا أن يكون فى متناول يد المسلم . الذى لا يهتم بالقضايا الإسلامية لزهده فيها . و انشغاله بالفنون و الموسيقى و الثقافة الغربية . فى شتى صورها . بعيدا عن مجال الدين .

غير أن طرح هذه الموسوعة من خلال " شبكة الانترنت " و هى إحدى طفرات التقدم البشرى المذهل و التى يمكن من خلالها أن تدخل على الأوروبى بيته . أو يطّلع هو عليها بأيسر سبيل . كذلك يمكن للمسلم البعيد عن ثقافة دينه . أن يطلع عليها من خلال هذه الشبكة . و منَ المعروف أن معظم الذين لا يهتمون بالثقافة الإسلامية من المسلمين من أبناء رجال الأعمال و أصحاب الأموال فى بلادنا . كما أنهم كذلك أكثر المستخدمين لهذه الشبكة ، أخذا بوسائل التقدم العلمى .

كما أن التهيئة الإعلامية المناسبة محليا و عالميا . ستدفع هؤلاء دفعا . إلى الاطلاع على تلك الموسوعة التى لا تكلف أحدهم إلا الضغط على مفتاح تشغيل جهاز الحاسوب و لو من باب الفضول .

(ب - خطوات تحضير المادة :

١- الحصر الشامل لكتابات المستشرقين - فى فروع العلوم الإسلامية و الفكر الإسلامى و العلوم الإنسانية - فى القرنين التاسع عشر و العشرين . باللغات الإنجليزية و الفرنسية و الألمانية و الأسبانية و الإيطالية و الروسية . و يشمل هذا الحصر الكتب و المجلات و الدوريات....إلخ

٢ - توفيركل الأعمال الاستشراقية . المشار إليها عن طريق الشراء . أو عن طريق التصوير . إذا لم يمكن شراؤها . و تشكل هذه الأعمال مكتبة استشراقية . تكون تحت أيدى الخبراء و العلماء . الذين يشتركون فى إعداد الموسوعة .

٣- يقوم جهاز من الخبراء فى اللغات الست المشار إليها . بتحضير المادة . و تصنيف الموضوعات . و ضم المادة التى يتكرر الحديث عنها فى لغات مختلفة .

٤- تقديم المادة للعلماء . الذين سيقومون بإعداد الردود العلمية . و يراعى عند تقديم هذه المادة لهم . أن تترجم الأفكار الأساسية للقضايا المطلوب الكتابة فيها من اللغات التى لا يجيدون القراءة بها .

حتى يكون لديهم تصور شامل لكل ما قيل حول القضية المطروحة ، و حتى يغطى التناول وجهات النظر التى قيلت فيه)[١] .

إن هذا العمل الموسوعى الضخم سيكون له – بعون الله – أثر فعال فى تغيير الصورة الغربية عن الإسلام وحضارته . تلك الصورة المظلمة التى رسمتها أقلام مسمومة . و ساعد على رسوخها صمتنا – دوليا – عما يفتريه المجحفون من المستشرقين على الإسلام و حضارته .

و لا شك أن هذا العمل يحتاج إلى دعم مادى و إعلامى على أضخم و أوسع مستوى . حتى يحقق ثمرته المرجوة . فما لهذا العمل قيمة . إذا لم ينشر على أوسع نطاق فى شتى أنحاء العالم .

و إن من الحق الذى ينبغى أن نصدح به . أن الدول الغربية فيها قدر من الحريات كبير . و يمكن للغربى أن يختار ما يشاء من المعتقدات التى يراها هو حقا .

و يكفى للتدليل على تلك الحريات . تلك المحاكمة التى تعرض لها الرئيس الأمريكى " بيل كلينتون " إثر الفضيحة التى أثارها المحقق الأمريكى " كينيث ستار " من علاقة الرئيس بإحدى المتدربات فى البيت الأبيض . و بعيدا عن تفاصيل القضية التى لا تهمنا هنا . فإن هذه الحريات – التى تدفع بأعلى سلطة فى أقوى دول العالم فى العصر الحالى إلى ساحات القضاء – أقوى دليل على مدى الحريات المتاحة فى تلك البلاد .

و الذى يعنينا هنا أنه لو وجد للإسلام صوت قوى فى هذه الدول . فإن النتيجة و لا شك سوف تكون مُرْضية بإذن الله .

و قد ذكر أحد الدعاة السعوديين و هو الشيخ " عائض بن عبد الله القرنى " فى رسالة له مسموعة بعنوان " أمريكا التى رأيت "* ذكر أن أحد الدعاة الليبيين و يسمى " مختار المسلاتى " يمارس الدعوة إلى الإسلام عن طريق استئجاره لأحد القاعات فى الجامعات الأمريكية . ثم يدعو الطلاب الأمريكيين على مشروب . و يحدثهم عن الإسلام و حقائقه . و يرفع عن أعينهم الصورة القاتمة التى تصلهم عن الإسلام – إن كان لهم به علم – و ذكر الشيخ " عائض القرنى " أن لعمل " المسلاتى " هذا رد فعل إيجابى . حيث يُسْلم على يديه أعداد من الأمريكيين و الأمريكانيات .

---

(١) المرجع السابق صـ ١٣٤ . بتصرف .

* هذا الشريط من إصدار تسجيلات التقوى الإسلامية ، و قد كان ذلك عقب زيارة الشيخ عائض القرنى إلى أمريكا ، و قد استوحى اسم الشريط من كتيب للشيخ الأستاذ / سيد قطب بعنوان " أمريكا التى رأيت " .

و هذا يلقى فى روعنا أن هذه الموسوعة لو وجدت طريقها إلى عقول الأمريكيين و الأوربيين . فإن أثرها سيكون فعالا بإذن الله تعالى .

إنه لا شك عند كل مسلم . أن الإسلام هو الدين الذى تلقى مبادئه تأييدا عقليا ، و معجزته الخالدة التى نخاطب بها العالمين هو القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الذى يسبق الإنسانية فى طريقها إلى التطور و التقدم و لم توجد أبدا -- إلى اليوم -- و لن توجد حقيقة علمية تخالف مقررات هذا الكتاب العزيز .

و صدق الله العظيم ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فصلت ٤٢ .

و (عن أبى هريرة -- رضى الله عنه -- قال : قال النبى -- صلى الله عليه و سلم -- : " ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر . و إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى . فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)[1] .

و حرى بنا إذا وصلنا حقائقه إلى الناس و خاطبنا به أمم الغرب . أن يثمر هذا الخطاب نظرة موضوعية لتراثنا و حضارتنا . إن لم يثمر تأييدا و إسلاما .

---

[1] مختصر صحيح البخارى المسمى " التجريد الصريح " صـ٤٤٥ . مرجع سابق ، و عند الإمام مسلم بلفظه حديث رقم ١٥٢ ، و عند مسلم " أوحى الله إلى ..." و باقى الحديث بلفظه . الإمام مسلم جـ١ مجلد ١ صـ١٨٦ . مرجع سابق .

المبحث الثالث

المواجهة الإعلامية

تمهيد

يقال : (علم فلان الشئ علما : عرفه ... و أعلم فلانا الخبر ، أخبره به) [١] .

فالإعلام (هو الإخبار الصادق المؤيد بالحقائق . جماعه الصدق و أمانة العرض و مخاطبة العقل) [٢] .

و يقال (هو تزويد الجمهور بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة . أو الحقائق الواضحة . و بقدر ما تكون هذه الصحة أو السلامة فى المعلومات أو الحقائق . يكون الإعلام فى ذاته سليما قويا " أو هو " علم الاتصال بالجماهير أو هو " العلم الذى يدرس اتصال الإنسان اتصالا واسعا بأبناء جنسه اتصال وعى و إدراك . و ما يترتب على عملية الاتصال هذه من أثر و رد فعل . و ما يرتبط بهذا الاتصال من ظروف زمانية . و مكانية و كمية و نوعية و ما شابه ذلك) [٣] .

و يتميز الإعلام الإسلامى بأنه (تزويد الجماهير بحقائق الدين الإسلامى المستمدة من كتاب الله و سنة رسوله بصورة مباشرة أو غير مباشرة . من خلال وسيلة إعلامية إسلامية . أو وسيلة إعلامية عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة و متعمقة فى موضوع الرسالة التى يتناولها . و ذلك بغية تكوين رأى عام صائب يعى الحقائق الدينية . و يترجمها إلى واقع فى سلوكه و معاملاته ...

و لعل الإعلام الإسلامى يشترك مع الفلسفات و الأيديولوجيات الأخرى فى الجوانب الفنية . و فى استخدام نفس الوسائل . و فى توظيف التكنولوجيا المعاصرة . و القوالب الفنية الحديثة فى كثير من الأحوال . ولكن تظل منطلقاته و توجهاته و تقنياته متميزة . سواء اتفقت أو اختلفت معها النظم و النظريات الأخرى) [٤] .

فالإعلام الإسلامى . هو الذى يضطلع بالجانب الأهم و الأفعل فى مواجهة الاستشراق . سواء سلبا أم إيجابا . أما إيجابا فبنشر الأطروحات العلمية للرد على مفتريات المستشرقين . و تجليته حقائق الإسلام و تنقيتها من شوائب الجهل و الكيد .

---

[١] المعجم الوجيز صـ٤٣٢ .

[٢] أ/ محمد غريب البغدادى – العلاقات العامة ووسائل الاتصال بالجماهير صـ٢٥ . بدون ت بدون ط مطابع الطنانى – القاهرة .

[٣] د/ على جريشة نحو إعلام إسلامى صـ٢٣ ، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

[٤] أد/ محى الدين عبد الحليم – الإعلام الإسلامى الأصول و القواعد و الأهداف صـ٨٠ . بحث ضمن كتاب الإعلام الإسلامى ، مطابع وزارة الأوقاف ، القاهرة.

و أما سلبا . فبالكف عن نشر أو إذاعة ما من شأنه أن يشوه الإسلام و حضارته . إنه من الواجب على الحكومات و المؤسسات الإسلامية القادرة ضرورة (التحكم فيما تبثه وسائل الإعلام المرئية و المسموعة من مواد فكرية متنوعة معادية للفكر الإسلامي ، و مساعدة تسرب الفكر الغربي المنحرف إلى المجتمعات الإسلامية . ومطالبة الجهات الإعلامية المختلفة . و بخاصة الصحافة . بضرورة وضع رقابة صارمة على ما يُنشرفي الجرائد اليومية من أفكار استشراقية .

و نذكر في هذا الخصوص بدور الصحافة العربية غير المسئولة في استخدام و نشر بعض المصطلحات الاستشراقية . دون وعي و معرفة بدلالة هذه المصطلحات . و نضرب مثلا بمصطلح " الأصولية " الذى ذاع و انتشر استخدامه المغلوط . في وسائل الإعلام العربية و الإسلامية مما أحدث نوعا من الخلط و الغموض و التشويه "للمصطلح الإسلامي الصحيح . و ساد استخدام المصطلح بدلالته الاستشراقية على " الإرهاب الديني " و " التزمت " و " الجمود " و " التخلف " و غير ذلك من المعاني التي ألصقها الاستشراق بالمصطلح الإسلامي)[1] .

إن الغرب يريد أن يرمينا بداءاته . إذ من المعلوم أن كلمة الإرهاب بمعناه الاصطلاحي لم تظهر إلا في الغرب و من فترات الحكم الإرهابي المعروفة في التاريخ (الفترة في فرنسا التي حكمت فيها " لجنة الأمن العام بزعامة روبسبير* " بعد إعدام الملك " لويس السادس عشر** " و استمرت من عام ١٧٩٣م و حتى إعدام " روبسبير " يوم ٢٧ / ٧ / ١٧٩٤م)[2] .

و ما حوادث الإرهاب المزعوم في بلادنا إلا حالات فردية . لا تحتاج أبدا إلى هذا القدر من التعميم الفاسد المقصود . الذي يريد أن يصور بلادنا الآمنة في صورة بلاد الفوضى و الاضطراب .

---

(١) د/ محمد خليفة حسن . آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية صـ١٤٢ : ١٤٣ ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م . الناشر عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية . القاهرة .

* مكسيميليان روبسبير "١٧٥٨-١٧٩٤م" أحد أبرز رجال الثورة الفرنسية . بدأ عهد الإرهاب فقضى على معظم خصومه السياسيين . المورد ٧٥

** لويس السادس عشر "١٧٥٤- ١٧٩٣م" ملك فرنسا " ١٨١٤- ١٨١٥م " في عهده نشبت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م أعدم عام ١٧٩٣م . المورد ٥٦ .

(٢) نخبة من الأساتذة العرب المتخصصين ، معجم العلوم الاجتماعية صـ٢٧ ، بدون ط ١٩٧٥م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .

و يعلم الراسخون في أحوال البلاد الأوربية و الأمريكية . أنها لا يطمئن المرء فيها أن يغلق بابه على نفسه – و لا أقول يفتح – بأساليب الإغلاق البدائية المعروفة عندنا . بل لا بد من الإغلاق المحكم و الحذر الدائم . فإن العصابات تسرق و تقتل الناس جهارا نهارا .

و هذا في عرفهم ليس إرهابا . إنما الإرهاب هو الحالات الفردية في بلادنا . و التي قد يكون خلفها قوى غربية تريد إشاعة الفوضى في أرض الكنانة و دار الأمان .

المطلـــب الأول

أهميـــة الإعـــلام

لقد حولت وسائل الإعلام العالم إلى قرية صغيرة . لا يكاد يحدث شئ في شمال الأرض و شرقها ، حتى يكون بالصوت و الصورة في الجنوب و الغرب على الهواء مباشرة أو بعده بقليل ، و في الحقيقة فإنه (مهما قيل عن دور السياسة و أدائها . و مهما قيل عن خطط القتال . و الأداء المعجز للسلاح و البشر . فإن الإعلام يظل هو الأداة و الوسيلة . و الفن الأكثر بروزا و تميزا) [1] في مجال التأثير الفكري و السلوكي ، و في تكوين الاتجاهات و تغييرها .

(إن الإعلام هو الوسيلة ... لتعريف المجتمعات الأخرى بمجتمعه . و التأثير على اتجاهات الرأى العام العالمي . و كسبه و شرح القضايا له . و توضيح مفهومها . و العمل على إقناعه بوجهة نظر مجتمعه . و تعريف العالم الخارجي ببلد غير بلدهم . لخلق صداقات بين أبناء الأمة الدولية . أو صداقات بين شعوب العالم ...

قال " هتلر " : الإذاعة أخطر سلاح يطلق تملكه الدولة . إذا سيطرت عليه عقول مفكرة . ووجهته أيد أمينة . و قال أيضا : إني أعلم أن تأثير كلمة مكتوبة ... أقل بكثير من تأثير كلمة يسمعونها ... و أن كل حركة كبيرة على الأرض . تدين بنموها لكبار الخطباء و ليس لكبار الكتاب) [2] .

---

[1] د/ كرم شلبي – الإعلام و الدعاية في حرب الخليج وثائق من غرفة العمليات صـ٨ . الطبعة الأولى ١٩٩٢م ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة

[2] أ/ محمد غريب البغدادي ، العلاقات العامة ووسائل الاتصال بالجماهير صـ٣١ ، ٦٤ ، بتصرف ، مرجع سابق .

فماذا لو رأى هتلر تأثير " التلفزيون " الذى أصبح (يجمع و يشتمل على كل الوسائل الإعلامية الأخرى ... و لا يستطيع أحد أن ينكر أهميته الاجتماعية . و تأثيره فى العلاقات الاجتماعية . و كيف أنه أصبح من السلع الضرورية و ليست الكمالية ...

فقد تجد التلفزيون فى كوخ حشبى . وفى بيت من الطوب اللبن . و فى الأحياء الشعبية كأهمية أولى و أولوية أكيدة ... يقول " بيللى " الباحث الإنجليزى : إن التلفزيون استطاع أن يوقظ السواد الأعظم من الشعب الإنجليزى . و يوجهه نحو الثقافة بشكل كبير . و يضيف إلى أنه قد أصبح المربى الكبير للشعب الإنجليزى)[١] .

و هو كذلك لجميع شعوب العالم . فأصبحت سلوكيات الشباب . و اختيار القدوات و اكتساب العادات . استيحاء من الطرح الإعلامى للتلفزيون .

و لكن (هل أحسن التلفزيون استغلال سطوته و سلطانه . فى تدعيم القيم الدينية و الأخلاقية و الاجتماعية ؟

هل شعر المسؤولون عن الجهاز ، بضرورة تنقية الإنتاج التلفزيونى من كل ما يتنافى مع قيمنا الدينية و الأخلاقية قبل السماح بعرضه على الشاشة . حماية للنشء و الصغار . الذين يلتقطون و يتقمصون ما يشاهدونه ؟

ولقد أوضحت الدراسات . أن المشاهدين يتقمصون الشخصيات التلفزيونية . و أن الأطفال يكررون السلوك الذى يشاهدونه على الشاشة . حيث ثبت أن التلفزيون يؤثر فى مفهوم الأطفال عن أمور الحياة و قيمها . كما يؤثر على مشاعرهم و أحاسيسهم)[٢] .

إن الإحصائيات تخبرنا بأنه (يظهر خمسة آلاف عنوان كتاب تقريبا كل عام . بينما يتراوح مشاهدى السينما بين اثنى عشر و ثلاثة عشر ألف مليون . بينما جمهور الراديو ٤٠٠ مليون جهاز . و التلفزيون أكثر من ١٠٠ مليون جهاز . ملايين لا حصر لها .

و هذا التطور الخطير لوسائل نشر الانجازات الثقافية هو كسب عظيم للحضارات)[٣] .

---

[١] أ/ عبد العزيز صقر ، الإعلام الإسلامى صـ١٠،١ ، ١١ ، بتصرف بدون ط ١٩٧٩م ، دار الأنصار ، القاهرة .

[٢] يحى بن سليمان العقيلى ، العفة و منهج الاستعفاف صـ٥٢ ، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢م ، دار الدعوة للنشر و التوزيع ، الكويت

[٣] أ. كاراجانوف ، السينما و الأيدلوجية و شباك التذاكر ترجمة أسامة الغزولى صـ٥ .بدون ت بدون ط ، الناشر دار الثقافة الجديدة ، القاهرة

إن الهجمة الإعلامية على العالم الإسلامي أشرس ما تكون . و هي أقوى عناصر المواجهة الغربية للإسلام في العصر الحاضر . إذ أصبحنا نتلقى الطرح الإعلامي الغربي الخبيث رضينا أم أبينا بواسطة ظاهرة الأطباق التي انتشرت انتشارا فاحشا . و أصبحنا نبارز الله بالمعاصي من خلالها .

و هنا يأتي دور الدعوة الإسلامية متمثلة في دور أئمة المساجد و الوعظ و الإرشاد . و علماء الأزهر . أن يبينوا للناس حرمة هذا الإعلام الذي يفتك بدين الأمة و أخلاقها . و ينبغي أن تفسح أجهزة الإعلام مساحات إعلامية مناسبة تتناسب و الهجمة الشرسة التي لا ينكر عاقل أثرها الفعلي في شباب المسلمين .

إن المساحة المطروحة للبرامج الدينية هزيلة . و لا قيمة لها . فماذا تصنع دقائق معدودات لا تسمح حتي بتبين ملامح المتحدث . فضلا عن أن يُفهم ما يقوله . أو يتأثر به الناس . ماذا يصنع هذا أمام مشاهد العرى و الفجور التي تسلم الناس إلى رقادهم فارغين عن أخلاق الإسلام و مبادئه .

إن هذه الهيمنة الإعلامية على عقول الناس في شتي أنحاء العالم . يخطئ أو يخدعنا أو يخدع نفسه من يدعي أنها في جانب الحق . أو أنها تخدم الفضيلة و تنشر الأخلاق ، إن واقع الإعلام العربي اليوم واقع التبعية . التبعية للمجون و الإباحية . التي تلقى علينا من شتي نواحي الأرض مستهدفة ديننا و أخلاقنا

و لا يمكن أبدا لمثل هذا الإعلام . أن يعين على مواجهة الاستشراق . بل إنه يروج لسلع الاستشراق الرديئة . حتي تصبح اتجاهات توجه أخلاق الناس و سلوكياتهم .

المطلب الثانى

واقع الإعلام العالمى

(تدل الشواهد و الدراسات الاجتماعية . على ازدهار أجهزة الاتصال الدولية . التى تدعو إلى الرذيلة و تحمل دعاوى الشر . و تثير العنصرية . و تشعل الأحقاد بين الأمم و الشعوب . و تسهم فى تدمير العلاقات بين الإنسان بفعل ما تزرعه من بذور الفتن . و ما تبثه من الحقد و الكراهية . منطلقة فى ذلك من مفاهيم و عقائد و مذاهب منحرفة . مستهدفة من وراء ذلك تحقيق مصالح اقتصادية . أو مكاسب سياسية . و معتمدة على ما تملكه من أجهزة حديثة . ووسائل إليكترونية و تكنولوجيا متقدمة .... للسيطرة على الرأى العام وغسل الأدمغة . و تكوين الاتجاهات المتوافقة مع فكرها و أيديولوجيتها . مستندة فى ذلك إلى انعدام العدالة فى ملكية مصادر المعلومات . و فقدان السيطرة عليها . و عدم التوازن فى توزيعها . مما يؤدى إلى نقص المعلومات اللازمة عن الإسلام و المسلمين . أو تقديمها مبتورة مشوهة . لتحقيق الأغراض . التى تستهدفها أجهزة الاتصال المعادية . التى تمارس نشاطها الدعائى . منتهجة الأساليب غير الأخلاقية المعروفة فى هذا الصدد . كالكذب و المبالغة و التجاهل المتعمد للحقائق . و تقديم الرأى على أنه حقيقة)[1] .

ذلك واقع الإعلام الغربى و العالمى . الذى ينتهج منهج الاستشراق فى الدعاية ضد الإسلام . و يسير سيرة سيئة فى طرحه الإعلامى . الذى يدمر من خلاله الأخلاق . و يهدد قيمة الأديان و احترامها فى أذهان الناس .

و لقد (أولت الكنيسة و هيئات التنصير و مؤسساته العالمية اهتماما بالغا . باستخدام وسائل الاتصال الحديثة فى مجال عملها . و لم تعد تقتصر على أساليب الاتصال الشخصى . وبناء المدارس و المستشفيات و تقديم المنح و المساعدات ... بل استخدمت إلى جانب ذلك كله وسائل الاتصال الحديثة من كتب ومنشورات و نشرات . و كافة أنواع المطبوعات و المواد المكتوبة . و إلى جانب الوسائل السمعية . والسمعية البصرية . من أشرطة الكاسيت و الأفلام و أشرطة الفيديو . و إنشاء محطات للراديو والتلفزيون و إقامة مؤسسات كاملة للإنتاج الإعلامى)[2]

---

[1] أ.د/ محى الدين عبد الحليم – الإعلام الإسلامى الأصول و القواعد و الأهداف صـ٨٩ بتصرف . مرجع سابق .

[2] د/ كرم شلبى – الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب صـ٥٧ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١ م مكتبة التراث الإسلامى ، القاهرة .

(بل إن الأقمار الصناعية* . أصبحت وسيلة في خدمة التنصير . حيث وافق الفاتيكان مؤخرا على مشروع ضخم تقدم به الأب الكاثوليكي " جوساني " يتمثل في محطة تليفزيونية كبيرة . للبث في كافة أنحاء العالم . للتبشير بتعاليم الإنجيل . بواسطة ثلاثة أقمار صناعية . حيث سمي بمشروع " لومين ٢٠٠٠ " و الذي يعتبر الأول من نوعه . من حيث الحجم . و اتساع مساحة البث . و إمكانية السيطرة إعلاميا على كافة القارات . وبالخصوص قارتي أفريقيا و آسيا . التي يتواجد المسلمون فيها بشكل مكثف)[1] .

و لو أننا حاولنا البحث عن الإمكانيات المتاحة للإذاعات التنصيرية . لأذهلتنا نتائج البحث . فيكفي أن نعلم أن إذاعة راديو الفاتيكان (يذيع برامجه بأربع و ثلاثين لغة . و على مدى ما يقرب من ٢٥٠ ساعة** يوميا . فضلا عن عدة لغات أخرى يقتصر استخدامها على المناسبات)[2]

و في كتاب " الإعلام الأمريكي و الشرق الأوسط الصورة و الانطباع " يذكر مؤلف الكتاب سببين للتشويه المتكرر في الإعلام الغربي لصورة الإسلام و المسلمين :

السبب الأول : في نظر الكاتب . هو أن طبيعة الشرق الأسط و الإسلام . غير مفهومة بشكل صحيح لمن ينقلونها إلى الإعلام الغربي من مراسلين و محررين غربيين .

و السبب الثاني : هو أن هذه الوسائل الإعلامية . تنقل رسالتها من خلال منطلقات علمانية غربية . و هذه بالضرورة ليست أفضل وسيلة لنقل المعلومات عن العالم الإسلامي)[3] .

ذلك واقع الإعلام الغربي . و الحديث يستفيض و لا ينتهي . إذا أردنا أن نذكر إسهامات الإعلام الغربي في حرب الإسلام .

---

* القمر الصناعي تعبير استحدث منذ عام ١٩٥٧م بعد أن نجح الاتحاد السوفيتي في إطلاق جسم معدني باسم " سبوتنيك " إلى الفضاء الخارجي ليتخذ له مدارا حول الأرض ، و معنى " سبو تنيك " تابع الأرض أي أن مثله مثل القمر الذي يعتبر من توابع الأرض و من ثم انتشر هذا التعبير الاصطلاحي القاموس السياسي أحمد عطية الله دار النهضة العربية ١٩٦٨م .

[1] د/ عبد الله سمك ، الاستشراق بين الجحود و الإنصاف صـ٨٠ ، مرجع سابق نقلا عن المختار الإسلامي عدد ٧٣ رجب ١٤٠٩هـ فبراير ١٩٨٩م صـ٢٨ .

** المقصود أن البرامج المتعددة لهذا الراديو تعمل متصلة ، و مجموع الساعات التي تعملها مجتمعة في يوم واحد ٢٥٠ ساعة يوميا .

[2] د/ كرم شلبي – الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب صـ٨٥ ، بتصرف ، مرجع سابق .

[3] د/ باسم خفاجي ، الإعلام الغربي و تشويه حقائق الصراع ـ مجلة البيان عدد ١٢٦ صفر ١٤١٩هـ ١٩٩٨م صـ٥٩ ، ٦٠ ، المنتدى الإسلامي ، لندن .

المطلب الثالث

التبعية للإعلام الغربي

إن مقاليد الإعلام العالمي اليوم في أيدي اليهود . حيث يمثل اليهود (ربع العاملين في أهم الوسائل الإعلامية الأمريكية . و التي تسمى إعلام الصفوة . و يعمل هؤلاء محررين و كتابا و منتجين للبرامج في الشبكات الإخبارية . و أهم المجلات و الصحف الأسبوعية . مثل نيويورك تايمز وواشنطن بوست ووول ستريت جورنال .

و في عصر تضخمت فيه أعداد الشركات الإعلامية الكبرى . يبرز اليهود بعدد كبير . نشرت مجلة " فانيتي فير " تحقيقا صحفيا مطولا في أكتوبر ١٩٩٤م حول ملوك صفوة الإعلام . أو إعلام الصفوة . بعنوان " المؤسسة الجديدة " و جاء في التحقيق . أن نصف هؤلاء الملوك . و عددهم ١٢ من اليهود . ومن وجهة نظر محرري التحقيق . فإن هؤلاء يمثلون صفوة القوة الأمريكية الحقيقية . في مجال الإعلام الجماهيري ووسائل الاتصال و الترفيه و صناعة الكمبيوتر : رجال و نساء صنعوا بطموحهم من أمريكا قوة عظمى حقيقية في عصر المعلومات . و في مجالات بعينها للإعلام . مثل استوديوهات هوليوود* يرتفع عدد العاملين اليهود لدرجة تجعلنا نقول إنها صناعة سيطر عليها اليهود . و يقول " يوجين فيشر" مدير العلاقات الكاثوليكية اليهودية في المجلس القومي لأساقفة الكاثوليك : إذا كانت هناك قوة يهودية فهي قوة الكلمة)[1] .

إن اليهود هم الذين يسيطرون على الإعلام . في أقوى دول العالم . و من ثم يسيطرون على الطرح الفكري في العالم كله . و يستطيعون أن يزينوا من شاءوا تزيينه . و أن يشينوا من أرادوا انتقاصه . فهم الذين يصنعون عملاءهم بأيديهم . و يضعون من لا يستحق في أماكن الصدارة و التقدم .

و للأسف الشديد . فإن وسائلنا الإعلامية . تسير في ركاب هذا الإعلام . الذي يقف على النقيض من دين الإسلام . و الذي يمثل أشد الإيديولوجيات خصومة و حربا على الإسلام . بل و يتبنى النظرات الاستشراقية . التي تحدد لنا ما ينبغي أن نراه . مما يتلاءم مع النظريات الاستشراقية و المصالح الغربية .

---

* تطلق كلمة هوليوود Holy wood و معناها : الخشب المقدس و هو يطلق على المسرح خاصة و قد سميت به هذه المدينة الأمريكية و التي هي أضخم و أشهر مدن صناعة السينما في العالم .

[1] جوناثان جولد بيرج ، قوة اليهود في أمريكا ، ترجمة نهال الشريف ص٢٤٧-٢٤٨ . بدون ت بدون ط ، دار الهلال ، القاهرة .

في دراسة للمستشرق الأمريكي " ريتشارد دكمجيان "* بعنوان " الأصولية في العالم العربي " يصف شخصية الأصولي المسلم بالسمات الآتية :-

١- الميل إلى العزلة .

٢- الاكتمال قبل الأوان :

أي أن التزام الشباب المسلم بدينهم . يؤدي إلى الاكتمال قبل الأوان في سن مبكرة يتميز بتشدد متطرف في المعتقدات . و رفض لإدخال قيم جديدة إلى إطارهم المذهبي .

٣- الشعور بالدنية و الاستعلاء :

الشعور بالدونية نتيجة لعزلتهم . و عجزهم عن أن يجدوا البيئة الملائمة في المجتمع . و مشاعر الدونية هذه تتحول إلى مظاهر من الاستعلاء العدواني .

٤- الحركية العدوانية

يميل الأصوليون إلى العدوان في تعاملهم مع الكفار . و غالبا مع النمط السائد من المسلمين . كتعويض لحرمانهم من المجتمع . و لاعتقادهم بأن كل من ليس في جماعتهم إنما هو ضال .

٥- الفاشية :

أي الشخصية الاستبدادية لإحداث تحول جذري في ا لمجتمع .

٦- عدم التسامح .

ينبع عدم التسامح في زعمه من المحتوى المسلم به لعقيدتهم و التزامهم التام بمبادئها المتشددة .

٧- الارتيابية - الإسقاط -

التعصب ميال إلى رؤية القوى الشريرة تعمل في بيئة معادية . و يظهر عليه ارتياب عميق في الناس و في المؤسسات الحكومية . التي ينسب إليها نُواياحاقدة .

٨- نظرة تآمرية :

عن طريق التنظيمات السرية لمقاومة الأعداء . و قلب السلطة الشرعية . كذلك يأتي الاتجاه التآمري . كنتيجة لقمع الدولة للجماعات والمنظمات الإسلامية .

---

* ريتشارد دكمجيان . نصراني ولد و تربى في حلب بسوريا سنة ١٩٣٣م عمل استاذا للعلوم السياسية بجامعة نيويورك ، و محاضرا في شئون الشرق الأوسط في معهد الخدمات الخارجية بوزارة الخارجية الأمريكية .

٩- المثالية - الإحساس بالواجب -

يظهرون أرفع معنى للمثالية و الإخلاص لقضيتهم .

١٠- القسوة و الجرأة .

يرفضون الطريق السهل فى أنشطتهم الاجتماعية و الجنسية والسياسية . و يبدو عليهم تصلب فى الطاعة وتشدد فى طريقة الحياة . و استعداد للكفاح و التضحية .

١١- الطاعة و الالتزام .

يتعهد الأصولى عن طريق البيعة بالطاعة المطلقة لله و للرسول و لقائد الحركة - الأمير -)[١] .

لقد عرض التلفزيون المصرى لصورة الإرهابى فى عدة مسلسلات تلفزيونية . يتبين منها بوضوح أنها نفس الصورة التى طرحها " رتشارد دكمجيان " و للأسف الشديد . فإن القوم يمارسون معنا التعميمات الفاسدة حيث حكموا على جميع الأديان بعدم صلاحيتها لسياسة الحياة ، و ما ذلك إلا لأن المسيحية عجزت عن سياسة الحياة . بل وقفت متحجرة أمام كل بارقة تقدم أو رقى . فحكمت بعزل الأديان جميعا عن معترك الحياة . و كما يُصَدِّرون إلينا أحيانا المأكولات أو المعلبات الفاسدة ، يُصَدِّرون إلينا كذلك تيارات فاسدة . ليست وليدة مجتمعاتنا . و لا لها ضرورة عقلية أو شرعية ، اللهم إلا التقليد الأعمى . الذى دعا إليه من قبل أ مثال أذناب المستشرقين .

إن المسلسلات التلفزيونية التى تعرضت لمسألة الإرهاب . من أمثال " ليالى الحلمية " و " العائلة " و " الضوء الشارد " و " التوأم " و فيلم " الإرهابى " و غير ذلك من الأعمال التى انهال عرضها على شاشات التلفزيون . ما هى إلا تصوير متطابق تماما . مع نفس الطرح الذى عرضه علينا " ريتشارد دكمجيان " مما يدلنا على تأثر الإعلام بالطرح الاستشراقى . الذى يهدف إلى تشويه الإسلام . و كل ما يمت إليه بصلة .

و مما لا شك فيه . أن كل مسلم يحب وطنه . و يحرص على تقدمه و رفعته . يبغض هؤلاء الحفنة الخارجة على شرع الله بترويعهم للآمنين . و ينبغى أن يقام عليهم حد الحرابة .

و لكن ليس من الحق - بل من الباطل - أن نجرى خلف كل ناعق . و نشوه صورة ديننا و بلادنا . لمجرد حادث فردى يحدث أمثاله بصفة متكررة . فى أمريكا و جميع دول أوربا . و نعزف على أوتار هذا الحادث حتى يخيل للآخرين . أننا نعيش فى غابة . تسطو وحوشها على الآمنين .

---

[١] / أحمد غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق صـ١٥٦، ١٥٧ بتصرف .

أى منطق هذا . إن لم يكن منطق عملاء الغرب ضد مصالح بلادنا خاصة و جميع بلاد المسلمين عامة؟؟؟

المطلب الرابع

ضرورة الاهتمام بالإعلام الإسلامى

عندئذ سيقفز سؤال حار من نفس ملتاعة و هو : أين الإعلام الإسلامى ؟ و ما هو الدور الذى يضطلع به إزاء هذه الحملة الصليبية الشرسة . التى تغطى العالم كله إعلاميا ؟

إن المساحة التى تحتلها البرامج الدينية فى إعلامنا تدعو للأسى و الأسى . و هى فى معالجتها للقضايا الإسلامية . لا تتعدى النواحى الاجتماعية أو المعاملات فى أبسط صورها و العبادات . و هى أبعد ما يكون عن عرض الصورة المأمولة للإعلام الإسلامى الشامل الذى يمثل شمولية الإسلام .

فى حواره مع بعض المستشرقين طرح الأستاذ " أحمد الشيخ " هذا السؤال على المستشرق الفرنسى " فرانسوابورجا " :-

﴿؟﴾ المعرفة السائدة فى الغرب عن المجتمعات العربية و الإسلامية . و ما تتضمنه من تشويه فى أحيان كثيرة . هل تعود إلى نقص فى المعلومات الدقيقة . أم إلى سوء فهم . أم سوء نية ؟ و كيف تفسر هذا الابتعاد عن حقيقة ما يجرى فى مجتماتنا ؟

﴿؟﴾ بورجا : أعتقد أن أحد المصادر الرئيسية لهذا العماء الغربى فى إدراك أبعاد الفعالية السياسية فى العالم العربى اليوم . يكمن فى أن القوى السياسية الفاعلة فى هذا العالم العربى . غير موجودة بالنسبة إلينا . إلا بمقدار قدرتها على أن تقول لنا ما نريد أن نسمعه . و النتيجة المنطقية لهذه الحالة . أننا لا يمكننا التواصل إلا مع شريحة صغيرة هامشية من المجتمع السياسى و الثقافى العربى . تلك الشريحة التى تريحنا و تسمعنا ما نُريد سماعه . و تعمق أكثر فأكثر صعوبات إدراكنا الواقع العربى و الإسلامى فى جوانبه المختلفة

مَنْ تقصد بالحديث عن شريحة صغيرة و هامشية ؟

بورجا : أقصد الوسطاء الذين تتعامل معهم الدول الغربية . لفهم ما يجرى داخل بلدان الضفة الجنوبية لحوض البحر المتوسط)[1] .

---

[1] / أحمد الشيخ – حوار الاستشراق صـ١٢٨ . الطبعة الأولى ١٩٩٩ م المركز العربى للدراسات الغربية . ألف مسكن ، القاهرة .

و هذه شهادة لها قيمتها . فهى تبين لنا الواقع الحق لوسائلنا الإعلامية . التى تعرض للغرب ما يريد . وليس ما ينبغي أن يكون .

إن هذا الإعلام المتهافت وراء خطا الغرب اللاهثة خلف الرذيلة و الفواحش . لا يمكن بحال من الأحوال أن يسامي هذه الهجمة الصليبية الشرسة . التى كرست لها الدول الغربية عظيم الإمكانيات و ماكر التخطيطات .

ففى الوقت الذى يستنيم فيه المسلمون إلى الأفلام و المسلسلات . و الأحلام و الخيالات . إذا بأعداء هذا الدين – بلا مواربة – يعلنون خوفهم من الإسلام و عملهم الدائب لكفكفة نشاطاته و امتداد بقوته الذاتية .

إننا (نستطيع أن نقرر فى صراحة الواقع المشاهد الملموس أن وسائل الإعلام من تلفزيون و إذاعة و سينما و صحافة و مسرح هى فى كثير من البلاد الإسلامية لا تشجع على الفضيلة فضلا عن الإغراء بالرذيلة . و لا تساعد على التزام القيم الروحية و المثل العليا . و المفروض الذى يجب أن تكون وسائل الإعلام منبر دعوة إلى الخير و الإصلاح . و منار إشعاع الحق و الفضيلة ، بدلا من أن تكون صوت عذاب و فتنة و فساد ، و لكنها العلمانية . التى استطاعت أن تعمل عملها فى معظم أجهزة الدول الإسلامية)[1] .

تلك العلمانية . البنت اللعوب للاستشراق المغرض . الذى أنجبها من أرحام العقول الملتاثة . التى لقحها بأفكاره المسمومة . فأنجبت هذا الطلع الخبيث .

---

[1] د/ السيد محمد عقيل بن على المهدلى ، المذاهب المعاصرة صـ٩٢ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ = ١٩٩٣ م . دار الحديث ، القاهرة .

المطلب الخامس

مسؤليات الإعلام الإسلامى

إن المهمة التى ينبغى أن يقوم بها الإعلام الإسلامى . أضخم من المساحة الموضوعة للإعـلام الإسـلامى فى وسائلنا الإعلامية بمراحل عديدة .

هذه المهمة تتمثل فى النقاط التالية :-

(١- مواجهة الحملات الإعلامية المضادة للإسلام .

٢- تصحيح صورة الإسلام فى أذهان العالم .

٣- جمع شمل الأقليات المسلمة فى الخارج . و توحيد صفوفهم و تصفية الخلافات بينهم .

٤- تأهيل كوادر من القيادات المسلمة فى الخارج . و تكليفهم بمهمة الدعوة بين غير المسلمين .

٥- تصحيح الأخطاء و تقويم السلوك . الذى قد يصدر عن بعض المسلمين . ممن يسيئون إلى الإسلام فى الخارج .

٦- تزويد الرأى العام العالمى بالرؤية الإسلامية للقضايا المعاصرة .

٧- تعريف العالم بوقف الإسلام من ذوى العقائد و الأديان الأخرى .

٨- تقديم البديل الإسلامى للقضايا المعاصرة . التى استعصت على الحل فى المجتمعات المتقدمة .

٩- خلق جسور من التعاون مع أجهزة الإعلام و الدعاية و التربية والتعليم و قادة الفكر فى دول العالم المتقدم

١٠- إرساء نظام إسلامى قوى للاتصال الدولى .

١١- إقامة مراكز للدعوة الإسلامية فى الخارج تقوم بمهمة الإعلام عن الإسلام بمختلف الطرق و الأساليب المتاحة)[1] .

هل هذه البنود لمواجهة الاستشراق . يمكن أن تقوم بها المساحة الموضوعة للبرامج الدينية فى الإعـلام المصرى . أو الإعلام العربى ؟

إن الإجابة مُرَّة تغص منها حلوق الغيورين .

إننا بحاجة إلى إعلام إسلامى دولى . و إلى قنوات فضائية إسلامية . تجوب العالم . و تقدم الإسلام الذى جاء به المعصوم – صلى الله عليه و سلم – .

---

[1] أ.د/ محى الدين عبد الحليم – الإعلام الإسلامى الأصول و القواعد و الأهداف صـ٨٧، ٨٨ . مرجع سابق .

إن قناتنا الفضائية تباري القنوات الأجنبية . في المادة الإعلامية الفاسدة . التي تثير الرغبات الكامنة . و تحرك نوازع الشر في الأجساد .

. إن الهجمة الشارية متعددة الجبهات ضد الإسلام . لا يصلح لها إعلام هزيل . يمر على المشاهد كحلم لا يكاد يستبين صاحبه معالمه .

نريد إعلاما راسخا له أهدافه (من تحقيق الشرعية الإسلامية و مواكبة مرحلية الدعوة ودرء المفاسد . و له خصائصه . حيث تكون قاعدته الحرية . و قمته المسئولية . والتزام الأخلاق والإسلام . و له مصادره : كتاب الله و السنة النبوية و السيرة النبوية و التجارب و القصص . و له وظائفه : بيان الحق . التربية دفع الناس إلى المثل الأعلى . و الحفاظ على الأوقات و التنمية و الترويح)[1] .

هذا الإعلام يمكنه أن يتحمل تبعات المواجهة . مواجهة الاستشراق . و إبراز الحقائق الإسلامية . و أصالة حضارة الإسلام . كما ينبغي أن تكون . و تعريف العالم بحقيقة الإسلام . دون المسخ المشوه الذي تضافر على رسمه في أذهان الغربيين المغرضون من المستشرقين والمنصرون الذين جهدوا في طمس معالم هذا الدين و تمييع قضاياه .

---

[1] د/ علي جريشة- نحو إعلام إسلامي ، إعلامنا إلى أين ص٨٠ ، ٩٢ . بتصرف ، مرجع سابق .

المطلب السادس

خطوات إلى الأمام

و على الرغم من ندرة ما يمكن أن يسمى محاولات جادة في سبيل دعم فعالية الإعلام الإسلامى فى صد هجمات الاستشراق . المتمثلة في الطرح الفكرى المضاد للإسلام عقيدة و شريعة .

فإن هناك محاولات جادة و فعالة في هذا الصدد يمكن - لو دعمت و استمرت و أضيف إليها - أن تكون لبنات أساسية في مواجهة الاستشراق و الغزو الفكرى بصفة عامة .

أولا - حقائق تاريخية

ففى شهر رمضان الماضى " ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م " كان يعرض على شاشة القناة الثانية برنامج بعنوان " حقائق تاريخية " و استضيف فيه الأستاذ الدكتور " محمود حمدى زقزوق " وزير الأوقاف . و المفكر الإسلامى الأستاذ محمد عمارة .

وكان هذا البرنامج يعرض لشبه الاستشراق و الرد عليها .

ثانيا - دور إذاعة القرآن الكريم و قناة النيل الدولية

و كذلك تضطلع إذاعة القرآن الكريم بدور مشكور فى هذا الصدد . حيث تتعرض للقضايا الاستشراقية بالعرض و النقد و الرد المفحم . ففى يوم الأربعاء ٦/ ١ / ١٩٩٩م ١٨ رمضان ١٤١٩ هـ تمام الساعة التاسعة و النصف صباحا . استضاف الدكتور " فوزى خليل " معد و مقدم برنامج " الإيمان والحياة " المفكر الإسلامى الأستاذ " محمد عمارة " . و تحدث عن إحدى فرى الاستشراق . و التى تمثلت في الادعاء بأن غزوة بدر الكبرى كانت صياغة جديدة للإسلام . تحول من خلالها إلى اتجاه عسكرى مقاتل و ليس مجرد تيار وعظى يبشر بدين جديد .

إن هذه المحاولات الجادة يمكن مع مثيلاتها أن تكون حلمنا المأمول فى إذاعة أو قناة متخصصة تعرض لفرى الاستشراق و الرد عليها . حتى نقدم إسلامنا كما هو . و ليس كما يفتريه أعداء الإسلام

و مما يثلج الصدر و يبشر بخير جديد عميم . ما جاء فى إذاعة النيل الدولية . ذلك الحوار الذى يتكرر كل اثنين من كل أسبوع . و يدور حول قضايا الاستشراق . حيث يستضيف البرنامج أحد

المستشرقين و أحد علماء الإسلام . و يتم النقاش حول بعض المسائل المتعلقة بالإسلام و المسيحية و هو و لا شك خطوة فى قمة الإيجابية . حيث إن القنوات الدولية أوسع انتشارا و أكثر تأثيرا . و لا شك أن هذه المحاولات تلقى من كل مسلم غيور على دينه . كل تأييد و احترام . فهى أملنا المنشود فى صناعة تيار إعلامى . يهتم بقضايا الإسلام و حضارته . و يعيد صياغة هذه الأمـة . التى صيغت على مقررات الإعلام العلمانى المضاد لاتجاه الإسلام .

ثالثا – قناة اقرأ الفضائية

و هى من الإنجازات التى تثلج صدر كل مسلم . و تدفعنا إلى اللهج بالثناء المطلق على المنعم سبحانه و تعالى .

إنها قناة فضائية انطلقت من سماء " دولة الإمارات العربية المتحدة " ، و قد قامت مجلة " منار الإسلام" الإماراتية بعمل حوار مع نائب رئيس قناة اقرأ لشئون البرامج الدينية الدكتور " يحيى بسيونى "

(للتعرف على مفهوم الإعلام الإسلامى . و السبيل للحفاظ على الهوية الإسلامية ، و قد كان من كلامه . أن هذه القناة تقدم ما ينفع الناس فى دينهم و دنياهم . نمسك الدين بيد ، و الدنيا باليد الأخرى . نؤمن بالفنون الجادة التى تسعى إلى تنوير العقل البشرى فى ضوء الضوابط الإسلامية ، فهى قناة تدعو إلى الحياة الأجتماعية الرشيدة . و تتوجه إلى مختلف الأنماط البشرية بوسائل مشروعة مسترشدة بالكتاب والسنة النبوية)[١]

و لا ريب أن هذه القناة حلم كل مسلم . و أمله المنشود . و النواة الأولى فى صرح إعلام إسلامى متكامل يستطيع أن يهيمن بدوره على الأمة الإسلامية . و يستطيع كذلك أن يقف ندا للحملة الإعلامية الصليبية اليهودية . والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

---

[١] المسلمون فى أمس الحاجة إلى إعلام جاد ، طه عبد الرحمن ، مجلة منار الإسلام عدد ١٢ السنة ٢٤ ١٤١٩هـ مارس ١٩٩٩م ص٧٠ .

المطلب السابع

الإنترنت

ماذا تعني هذه الكلمة ؟

(طريق معلومات فائق السرعة . أو أسرع طرق المعلومات (Information superhighway)

و هو المصطلح الذى أطلق . على منظومة البنية الأساسية لشبكة المعلومات القومية الأمريكية)[1] .

لقد تم ابتكار (كلمة " انترنت " Internet من كلمة Interconnetion بمعنى" ترابط " و كلمة " network " بمعنى " شبكة "

و من ثم فإن هذه الكلمة ... تعني ترابط مئات و آلاف الشبكات معا . بأى وسيلة من وسائل الربط أو الاتصال الشبكي)[2] .

إن شبكة الانترنت يمكن أن تقدم أجل الخدمات لدين الله تعالى . حيث يمكن تحميل حقائق الإسلام جلية واضحة . بعيدا عن كدر الفهم الخاطئ و لوثة الاستشراق المغرض . و بعيدا عن التشويه العلماني بحيث تكون فى متناول العالم الغربى . الذى أصبح استخدام " الانترنت " فيه من ضرورات الأفراد فضلا عن الهيئات و الحكومات .

و يمكن أن يكون للطرح المضئ لحقائق الإسلام موقع على شبكة الانترنت ، و من المعلوم أن لكل موقع رقما كرقم الهاتف . و من ثم ينشر رقم موقع الحقائق الإسلامية ..حتى تكون فى متناول كل باحث عن الحقيقة فى كل مكان على ظهر الأرض .

لقد أصبح للأفلام و المسلسلات و الأغاني مواقع على هذه الشبكة . التى ربطت أطراف العالم ربطا محكما فلماذا لا يكون للدين موقع على هذه الشبكة . تعرض الإسلام كما جاء بـه المصطفى – صلى الله عليه و سلم ؟

لقد أصبح ميسرا الآن – من خلال الانترنت – أن أخاطب أى غربى أو غير غربى غير مسلم – بحقائق الإسلام و أشرحها له . و أمارس الدعوة إلى الله تعالى .

لماذا تكون الطليعة – دائما – فى مثل هذا الإعجاز البشرى – فى صالح الأفلام و المسلسلات و الأغانى و غير ذلك من لهو القول و الفعل . مما لا طائل من تحته .

---

[1] د.م / رافت الكمار ، نماذج أسئلة عن مقدمة الحواسيب نظم التشغيل ، لغة البيسك صـ٥٥،٥٦ . بتصرف . كلية الهندسة ، جامعة الزقازيق

[2] بهاء شاهين ، الدليل العملى لاستخدام الانترنت صـ١٤ ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ =١٩٩٧م ، كمبيوسانيس ، القاهرة .

إن الإسلام بحاجة إلى غيورين . يدافعون عنه . و يأخذون بأحدث تقنيات العصر في ذلك الدفاع . فإنه من العيب أن يحاربنا أعداؤنا من فوق الأقمار الصناعية . و نبقى نحن نتباحث فيما لا ينبني عليه عمل . أو نتبارى في صناعة الخلاعة . كما يتسابق فيها من لا خلاق له . و لا يرجو من الله ما نرجوا ؟

إن الاستشراق واقع كان و لا يزال . و هو يمثل معتقدات القوم عنّا . و للأسف الشديد فإن كثيرا من علماء الغرب المتصلين بدراسة الإسلاميات . لا يتصفون بالحيدة والموضوعية فهم يتبعون منهج " جيبير النوجنتي " قديما .

و يخطئ من يظن أن الاستشراق . قد اتخذ منحى آخر . بعيدا عن العصبية الهوى . فإنني أجزم أنه إلى يوم الناس هذا يوجد بين المستشرقين الكنسي الكهنوتي المتطرف . و منهم السياسي الذى يتبع الدوائر الحكومية الرسمية كالسفارات و غيرها من مواطن التمثيل الدوبلوماسي . و هناك الذي يبحث عن مواطن الذهب و الفضة لدى ذلك الشرق . الذى يزيده جهله بريقا لدى الغرب . و الصحف تطالعنا كل يوم بجديد من افتراءات القوم . وكما سلف معنا . فإن خيالهم في مجال الافتراء على الإسلام خصب واسع المحال .

لقد طلعت علينا إحدى الصحف الفرنسية بحملة صليبية جديدة . سطرت كلماتها بمداد من الحقد و الكراهية المتوارثة للإسلام .

إنها الصحيفة الفرنسية " لوفيجارو " و التي قدمت دراسة (أنهك أصحابها أنفسهم للبحث عن أي كلام يصلح للمزيد من الشتائم . و يصلح أيضا لإعادة قراءة التاريخ على المزاج ! !

الدراسة عبارة عن محاولة رخيصة لقراءة القرآن الكريم . و تقديم تفسير جديد تماما لآياته . و الوصول إلى عدة أحكام . أهمها أن الإسلام دين لم يعرف التسامح . و أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يحمل صفات سيئة . و أن كل من يدافعون عن الإسلام . و يؤمنون أنه دين التسامح . يغالطون و يحتالون لأنهم يستندون في دعواهم إلى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .... ﴾ .

تدعي الدراسة أنه لا ينبغي فهم القرآن . انطلاقا من نفس مفاهيم الإنجيل . فمثل هذا الفهم غير صحيح ذلك أن أكثر سور القرآن تضمنت آيات ملغاة " منسوخة " حيث تزعم الدراسة أنه هناك ٤٣

سورة لا تشتمل على إلغاء أو نسخ من أصل ١١٤ سورة . اشتمل عليها القرآن . الأمر الذى يعنى أن تلك الآية التى تنفى الإكراه فى الدين . ضمن جملة الآيات الملغاة . و من ثم فلا يعول عليها فى تقرير حرية العقيدة فى الإسلام .

و تزعم الدراسة ضمن ما تزعم . أن القرآن احتوى على العديد من الآيات . التى تقرر الجهاد ضد الكافرين لإجبارهم على اعتناق الإسلام .

و تشير أيضا إلى أن آية النهى عن الإكراه . وردت فى سورة البقرة . و هى مكية . نزلت فى وقت كان المسلمون فيه أقلية . و كان الرسول مهددا بالقتل . و تمضى الدراسة فى الهجوم على الإسلام و القرآن . فتقول : إن الإسلام قدم التسامح فى بداية ظهوره . بسبب ما كان عليه من ضعف . و لكن عندما قوى و أصبح قادرا على ذلك . خرج بما أسمته آية السيف فى قوله تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون با لله ولا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم ا لله و رسوله و لايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون﴾ التوبة ٢٩

و تصف الدراسة هذا النص بأنه الأكثر عنفا ضد أهل الكتاب – بما يعد تحريضا لأهل الكتاب على المسلمين – و تضيف أن أسلوب العنف المسلح . يحظى بالإجماع بين كل المشرعين و الأساتذة المسلمين . و تبرز الدراسة فى نهايتها ادعاءات عن جوانب الاحتيال فى الخطاب الإسلامى فى ثلاث نقاط :

١– إخفاء الآيات التى تدعو إلى التسامح

٢– إخفاء أن محمدا – صلى ا لله عليه وسلم – هو الذى نشر الإسلام بالسيف . و اعتمد القتل المبرمج لكل الذين رفضوا اعتناق الإسلام .

٣– إن فى الإسلام مصادر داعية إلى انتهاج العنف المسلح . ضد أهل الكتاب تم اخفاؤها . و إعلان الحرب المقدسة ضد كل من ليس بمسلم .)[1] .

هذا خلاصة ما جاء فى تلك الصحيفة . التى تمثل صورة من صور الحملة الشرسة على الإسلام ، و التى يظن البعض أنها قد انتهت . أو أنها كانت من ملامح عصر الجهالة الأوربية . التى كانت

---

[1] جريدة الأسبوع صـ١٩ بتصرف ، السنة الثالثة ، العدد ١٠٨ ، ٢٠ من ذى القعدة ١٤١٩هـ ، ٨ مارس ١٩٩٩م .

تتخيل الأشباح و الأوهام . و أنها تغيرت فى هذا العصر المتقدم . الذى تقدمت فيه إمكانيات الإنسان . و تطورت مناهجه . و اتسعت مداركه . و اطلع على حقائق المجتمعات و الأديان .

(أليس هذا هو التعصب الممقوت ؟ أليس هذا هو الغيظ الدفين المكتوم ؟ أليس هذا هو العناد العارم المحموم؟ و أى عقل أو عاقل يستسيغ هذه الدعايات المغرضة الرخيصة ؟

أى منصف أو داع يرضى عن هذا الخبط و ا لخلط و القلب للحقائق ؟ الإسلام الذى يجلجل قرآنه بقول الله :﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ البقرة ٢٥٦ . الإسلام الذى يهتف دائما بقوله تعالى :﴿ و قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا ﴾ البقرة ١٩٠. الإسلام الذى يدعو إلى التسامح و العفو و المغفرة و ينشر ألوية السلام فى العالم بقول الله تعالى :﴿ و لمن صبر و غفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ الشورى ٤٣

و ليس الذى يقول كما يقول الأنجيل :" ما جئت لألقى على الأرض سلاما بلا سيفا " .

هذا الإسلام الذى يدل على السلام يتقول عليه مرجف أو يتكره شانئ . أو يتهمه مبطل بأنه قام على السيف . و أخذ الناس بالإكراه اللهم إنها :﴿ لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ الحج ٤٦) [١] .

إن الذين يرموننا بداءاتهم هم الذين اعتنقوا العنف و الإرهاب مذهبا و طريقا . و هم الذين توارثوا بغض الإسلام و أهله . و ما زالوا يتربصون بالمسلمين الدوائر . حتى يثأروا لعارهم فى الحروب الصليبية . و يخطئ من يظن أن هذه مبالغة أو تزيد . ففى داخل أسوار هذا القرن العشرين الذى يلفظ أنفاسه الأخيرة (وقف اللورد " اللنبى "* ممثل الحلفاء " أنجلترا و فرنسا و إيطاليا و رومانيا و أمريكا يقول فى بيت المقدس حين استيلائه عليه فى أخريات الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م : اليوم انتهت الحروب الصليبية) [٢]

---

[١] السيد عبد الحافظ عبد ربه ،فلسفة الجهاد فى الإسلام ، صـ١٩٩ ، ٢٠٠ ، بتصرف ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ م ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت لبنان .

* اللنبى قائد و سياسى بريطانى ، و هو الفيكونت " لورد " أدموند هنرى اللنبى ، و لد عام ١٨٦١ م ... أقيم سنة ١٩١٧م قائدا عاما للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط . و كانت مهمته رد القوات التركية عن قناة السويس و الاستيلاء على فلسطين ، بمساعدة العناصر العربية الثائرة على الحكم العثمانى ... توفى عام ١٩٣٦م . القاموس السياسى ، أحمد عطية الله صـ١٠٩ .

[٢] المرجع السابق صـ٢٠٤ . بتصرف .

و يعلم الله . أن هذه العقلية التي ألقت علينا هذه الفرى . تتصل بسبب وثيق بالعقلية الغربية القديمة التي كانت تشيع بأن المسلمين يعبدون الأصنام . و أن إلههم احتقر احتقارا لم يحتقره أي إله من الآلهة و التي كانت تدعي – كذبا و زورا -- أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ترك بعد موته حتى يرفع إلى السماء .... و ما أعقب ذلك من جهالات ضربتُ عنها صفحا هنا . حيث ذكرت من قبل في معرض الحديث عن تحكيم الهوى و الوهم كأحد الموازين للاستشراق المغرض .

إن بغض القوم للإسلام جراح تنتقض حينا بعد الآخر . و كلما وهمنا أنها برؤوا من حمّاها . خيبت آمالنا أرحام الأيام و الليالي . التي تلقي علينا كل حين من أضغان القوم على الإسلام غير الذي نحتسب .

إن هذه الصور الجميلة ، التي تتغنى أمامنا بالمناهج و الموضوعية ، و أناشيد السلام ،و تأخذ بأيدينا إلى النوم وادعين و حالمين ، ما هي إلا أدوار مصطنعة ، لا تلبث أن توقظنا على كوابيس الاستشراق المغرض الذي يطل علينا كل حين بوجهه القبيح من نوافذ الإعلام الغربي ، التي لا تفتأ تفتح له أبوابها . ليلقي علينا ما علق بيده من سلال المهملات .

فها هي روح التعصب الصليبي ، و روح الجهل الأوربي في العصور الوسطى ، تسطر في جريدة من الجرائد الفرنسية . التي تحظى بانتشار واسع في كثير من دول العالم . و يتلقاها كثيرون من الغربيين بالقبول . فذلك يوافق الصورة التي شب عليها صغيرهم . و شاب عليها الكبير .

و يخطئ من يظن أن هذه الحرب الفكرية قد انتهت . و إني أعود في نهاية هذا البحث كما بدأت للتأكيد على أن الصراع الديني كان ولا يزال من أشرس الصراعات التي لا تنتهي أبدا . و إنما تتخذ صورا متعددة من صور الصراع الذي تحييه الفطر . و تباركه الجبلات البشرية . التي فطرت على التدين .

و صدق الله العظيم ﴿ و لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ البقرة ٢١٧ .

خاتمة

افتتح الله تعالى كتابه بالحمد فقال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ الفاتحة ١
و افتتح سبحانه خلقه بالحمد فقال : ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات و الأرض و جعل الظلمات و النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ الأنعام ١ .
و اختتم خلقه بالحمد . فقال تعالى : ﴿ و قُضى بينهم بالحق و قيل الحمد لله رب العالمين ﴾ الزمر ٧٥
﴿ فلله الحمد رب السموات و رب الأرض رب العالمين و له الكبرياء فى السموات و الأرض و هو العزيز الحكيم ﴾ الجاثية ٣٦ ، ٣٧ .

و بعد

فهذه نهاية هذا البحث الذى استعنت بالله تعالى فى إخراجه ، فى موضوع "
دوافع الاستشراق و موازين البحث عند المستشرقين بين الماضى و الحاضر "
و لقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة ما يلى :-

﴿•﴾ أن الاستشراق كمفهوم حضارى يعنى : دراسة تراث أمم الشرق عامة ، و الإسلام بصورة خاصة ، و لا بد أن نعلم أن الدراسات الإسلامية هى حجر الزاوية فى الدراسات الاستشراقية ، و إنما يشعر المرء بحرارة التناولات الاستشراقية فقط . إذا تعرضت للإسلام . أما إذا كانت الدراسة متعلقة بالنِحَل الأخرى كالبوذية و الكنفوشيوسية . أو فرق الضلالة . كالقرامطة و الزنوج و البهائية و القاديانية . فإننا نلمح الروح الموضوعية . التى لا تتعرض بتجريح و لا نقد . سواء كان نقدا بنَّاءً أو غير بنّاء .

﴿•﴾ أن الاستشراق قد بدأ بمفهومه الحضارى فى صورة اليهود الذين كانوا يشككون المسلمين فى دينهم . و النصارى الذين كانوا يحاجون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و يجادلونه . و إن كنا لا نستطيع أن نسميه استشراقا . إلا أنه بذور البحث و التنقيب للبحث عن النوافذ المهجورة . للتسلل منها إلى ساحات الإسلام .

﴿•﴾ و قد مر الاستشراق بأطوار تقلب فيها من مرحلة إلى أخرى . حتى بلغ هيئة العمل المؤسسى الذى يصل إلى حد الدوليّة فى العمل . بدءا من مرحلة الظهور . و انتهاء بمرحلة ازدهار الاستشراق .

{❁} و قد كان للاستشراق كتيار فكرى دوافعه المتعددة . فلم يكن المستشرقون أشقاء فيما هدفوا إليه من دراسة الشرق . بل كانت أمهاتهم شتى فى هذا المنزع . و إن كانوا يعودون جميعا إلى أصل واحد . هو الذى انطلقوا جميعا منه . و لا استثناء لهذه القاعدة . إلا لأولئك الذين أسلموا من المستشرقين .

{❁} كان الدافع الدينى من أقوى الدوافع التى أشعلت جذوة الاستشراق . فى صورة أولئك الهمج الذين أمُّوا الشرق الإسلامى الذى يفيض عسلا و لبنا ! . لقد كانت تلك الحروب أهم أدوار التاريخ الأوربى حيث احتك الغربيون بالشرق المتمدن . و حضارته الزاهرة . فوقف العالم الغربى على جهله و بربريته و اتضح له أن ما كان يسمعه من قبل عن هذا الشرق . من مفتريات و شائعات ، ما هو إلا خرافات أُتوا بها من قبل جهلهم ، و تصوراتهم المنحرفة . و عقولهم الفارغة عن أى من القيم الفاضلة .
و بدأ الغرب يوازن بين البربرية التى يعيشها . و بين الحضارة الوارفة الظلال التى ينعم فى ظلالها المسلمون .
و كانت هزيمة الغرب فى هذه الحروب . تعزيزا للدافع الذى بدأ ينمو قويا لدى الغرب ، إنه الدافع إلى دراسة هذا الشرق ، و استكناه مجاهله ، و سبر أغواره .
و من ثم بدأت الدراسة المنظمة المطردة لهذا الشرق . و بدأت هذه الدراسة من أديرة الرهبان . و بدأت عمليات الترجمة . و البحث عن أسرار الشرق و كنوزه .

{❁} و قد اتضح لنا كذلك أن دوائر الاستشراق و التنصير و الاستعمار دوائر متصلة . و أنها ليست منفصلة بعضها عن بعض . و لكنها تتكامل فى أعمالها تجاه هذا الدين . فكلهم أبناء ملة واحدة .
و كما يقولون : " تفرق شملهم إلا علينا " . و قد تبين لنا توقع التحالفات بين قوى الغرب المختلفة لمواجهة الخطر الإسلامى .
و من ثم فالاستشراق ليس هيئة مستقلة متجردة منفصلة عن أهداف الغرب و توجهاته و مصالحه فى الشرق . بل إنها كما أسلفت الدليل الخرّيت فى أرض الإسلام .

{❁} أما الدافع الاستعمارى . فيتجلى لنا أظهر ما يكون . خلال القرون : الثامن عشر و التاسع عشر و العشرين . حيث كانت السيطرة الفعلية للشرق على الغرب . و كان الاستشراق فى ركاب هذا الاستعمار و من بعده . ظهر ذلك جليا إبّان الحملة الفرنسية .

﴿●﴾ و كانت مهمة الاستشراق سابقة على مرحلة الاستعمار . حيث كان قد أعدَّ الخريطة الدقيقة لثروات هذا الشرق و كنوزه . من خلال الدراسات الاستشراقية .

﴿●﴾ أما الدافع السياسى فإنه يهدف إلى استبقاء الهيمنة و السيطرة السياسية و الاقتصادية و الثقافية على هذا الشرق . و لا شك أن هذا لا يتم إلا بجهود المستطلعين . الذين يوقفون الزعماء و القادة على دقائق الأخبار في الشرق و عالم الإسلام . و الذين يربضون فى الملاحق الثقافية و السفارات .

أما الدافع العلمى فإن له عدة ملامح :--

علمى متجرد :أدى بكثير من المستشرقين إلى الإسلام .

علمى متجرد : يهدف إلى إبراز الحقيقة جلية واضحة ، و إن لم يؤد ثمرته المرجوة ، و من أمثلة هؤلاء ، (بنى كوديرا " الأسبان و هم **طائفة من المستشرقين الأسبان الذين ارتبطوا معا بربـاط الإنصاف** التاريخى للعصر الإسلامى الإسبانى . **و تسموا بأسرة كوديرا نسبة إلى المستشرق الأسبانى فرانسيسكو** كوديرا المتوفى عام **١٩١٧م عن عمر تعدى الثمانين عاما . بل إنهم مبالغة منهم فى الحرص على** سمتهم و موضوعيتهم **استعاروا لأنفسهم الكلمة العربية " بنى " أى أبناء ، و أطلقوا على أنفسهم "** بنى كوديرا ") [1] .

علمى متحامل بدون قصد : و هذا بسبب عدم تمكن المستشرق من الوصول إلى دقائق المعانى . و أسرار البيان . فيما يقرأ عن الإسلام . و من ثم يقع فى خطأ غير مقصود . و هو أندر الاتجاهات العلمية للاستشراق .

علمى متحامل عن عمد : و صورته ذلك المستشرق الذى ينشر أو يطبع عملا إسلاميا . ثم يُذَيِّل له أو يقدم له بمقدمة أو تذييل . يتحامل فيه على الإسلام . و يدس و يحرف . و يخرج **أضغانه فى صورة** البحث العلمى . فإن إخراج العمل الإسلامى : **مخطوطةٍ أو كتابٍ قديم عملٌ مفيدٌ و لاشك . غير أن** التذييل أو المقدمة التى يشحنها المستشرق من غله على الإسلام تذهب ببهاء هذا العمل . **و تجعله** عملا مصلحيا مجردا عن القيمة .

﴿●﴾ و دوافع الاستشراق تعمل فى وقت واحد . فهى جميعا انبثقت عن أصل واحد . و تهدف إلى غاية واحدة .

---

[1] مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية و الإسلامية . جـ٢ صـ٢٧٧ . مرجع سابق .

﴿۞﴾ ثم تحدثت عن موازين البحث عند المستشرقين

و لم أعد الحديث عن القسم المعتدل من المستشرقين فلم أذكر مثلا : التجرد و الموضوعية كأحد موازين البحث عند طائفة من المستشرقين . و إنما اكتفيت بذكر ذلك فى الدافع العلمى .

و من موازين البحث عند المغرضين من المستشرقين :

تحكيم الهوى و الوهم .

التهويل والتهوين . و التصحيف . تعميم أمر خاص . أو تخصيص أمر عام .

و تصيد الأخطاء و الاعتماد على الروايات الضعيفة .

و التوسع فى الافتراضات و المجازفات . و نسبة الأقوال و الأفعال إلى غير أهلها .

﴿۞﴾ ثم تحدثت عن ميزان جامع عند القوم . ألا و هو القول " بشرية الإسلام "

﴿۞﴾ ثم تحدثت عن تقييم موازين البحث عند المستشرقين .

﴿۞﴾ و تقييم هذه الموازين يكون عن طريق إبراز المناهج العلمية فى البحث . التى ينبغى أن يسلكها الباحث المتجرد . حتى يصل إلى بغيته من العلمى الذى انتوى الحديث عنه .

و لا شك أن بيان الطريق الصحيح فى البحث تعرية للمناهج الباطلة التى سلكها المستشرقون المغرضون

﴿۞﴾ ثم تحدثت عن سمات المناهج العلمية . ليستبين لنا أىَّ نُوق الضلالة ركب القوم فى حملتهم الصليبية الجديدة على الإسلام .

﴿۞﴾ ثم عقدت مقارنة بين المنهجين الغربى و الإسلامى . و التى أظهرت عورات هذا المنهج الغربى الذى يريد أن تكون له القوامة على مناهج البحث . فيكون هو مركز الدائرة الذى يدور الكل فى فلكه

﴿۞﴾ تم تحدثت عن مواجهة الاستشراق . و ذلك من خلال المستويات التالية :-

﴿۞﴾ مواجهة الاستشراق على مستوى الجماهير الإسلامية .

﴿۞﴾ عداد الكوادر العلمية التى تتولى مهمة التعرض للهجمات الاستشراقية . التى أصبحت تظهر لنا الآن فى صورة مسلمين . يعتقدون غير ما عليه المسلمون .

و إعداد الموسوعة العلمية للرد على المستشرقين و هى أمل الدارسين فى هذا المجال حتى توقفهم على شبه المستشرقين و كيفية الرد عليها . و حتى تمثل المادة العلمية التى ينبغى أن تقدم للغرب كصورة واقعية لحال المسلمين .

- ثم المواجهة الإعلامية و هذه لها شقان :
- شق إيجابى عن طريق تخصيص برامج تعطى الصورة الحقيقة الناصعة للإسلام .
- مواجهة إعلامية سلبية : و أعنى بها أن تمتنع وسائل الإعلام عن عرض الطرح العلمانى الذى هو فى حقيقته استشراق بأيدى مسلمين . أو بأيدى من يركبون سفينتنا و يخرقون فيها خروقـا . و لكـن ليس معهم علم لدنى . يستكنهون به مراد الله فى خلقه .
- و قد اقترحت استخدام الانترنت فى مواجهة الاستشراق كسابقة بشرية فى مجال التطور و التقدم

و فى نهاية بحثى أسأل الله تعالى أن يقيض لدينه من يذبون عنه كيد الكائدين . و أن يستعملنا فيهم و نعوذ به سبحانه من بطلان السعى و ضلال القصد أو أن يستبدل بنا غيرنا .

و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين . وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد .

نتائج البحث

١- الاستشراق حلقة من حلقات الصراع الفطرى بين الحق والباطل .

٢- دوافع الاستشراق تتعدد . و لكنها متحدة الوجهة و المصدر .

٣- الاستشراق صنو التبشير و الاستعمار و العلاقة بينهما تكاملية .

٤- إن الواقع المر الذى يعيشه العالم الإسلامى اليوم . من بُعدٍ عن الإسلام . و فقدان لمصداقية هذا الدين فى نفوس أبنائه . ووهن التمسك به . و الإحساس بالدونية و الاستخذاء . و واقع التهميش الذى تعيشه جميع شعوب المسلمين . ما هى إلا نتائج المؤامرات الغربية التى نظَّر لها الاستشراق .

٥- ولع الغرب بمخالفتنا . فإذا قلنا إن القرآن من عند الله قالوا : هو من تأليف محمد . و إذا قلنا إن السنة قال بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . قالوا : هى من تأليف أصحابه .

٦- إن كوادر العلمانية الوجودة فى بلادنا ما هم إلا صنائع الغرب الذى اصطنعهم على عينه . و مكن لهم حتى تسنَّموا مواطن التوجيه . و بدأوا كما أريد من قبل يتولون تشكيل عقلية الأمة الإسلامية بما لا يتعارض مع المصالح الغربية .

٧- إن الطرح الإعلامى الذى يشكل عقليات أبناء المسلمين . تهيمن عليه روح استشراقية . بطريق مباشر أو غير مباشر . عن طريق الترجمة لأعمال المستشرقين مباشرة . أو عن طريق الأعمال الفنية لصنائع الاستشراق . الذين يؤمنون بالغرب و يكفرون بالشرق . و هى صورة من صور الخداع اللفظى . و قد كان أحرى بهم أن يقولوا : يؤمنون بالباطل و يكفرون با لله .

٨- الإعلام الغربى يهيمن على عقليات الأمم الإسلامية . و يشكلها بنظرياته و فلسفاته .

٩- ضآلة المادة الإعلامية التى تعنى بالإسلام و حضارته . و عجز هذه المادة أن تتحرك فى مواجهة التيار الجارف لتشويه الإسلام .

١٠- دعوات القوميات و الوطنيات عصبيات مذمومة . و هى نفثات الاستشراق فى روع عملائه الذين يبلغون رسالات الاستشراق .

١١- إن الإعمال التى يمكن أن تمثل طرحا جيدا لإبراز صورة الإسلام المضيئة ليست بالقدر الذى يتناسب مع الهجمة الشرسة على الإسلام و التى تتجدد لنا كل يوم فى صورة من صور الحرب للإسلام .

١٢-أهمية دور الإعلام فى مواجهة الاستشراق و اتساع مداه و شموليته .

توصيـــــــــات

١- تخصيص قناة إسلامية بكل دولة إسلامية . تتولى شرح مبادئ الإسلام . و تجيب عن السؤال الحائر لدى الغربيين . و هو : ما هو الإسلام ؟ و تمثل ردءا و درعا واقيا للشباب المسلم من سئ الأخلاق و العادات . الذى ترزأنا به القنوات الأجنبية و اللادينية . وكما توجد قنوات متخصصة للرياضة . و قنوات متخصصة للبرامج التعليمية . و غيرها من أنواع الأنشطة الإعلامية . فإنه كذلك من العدل أن يكون للدين – الذى تدين معظم شعوب العالم الإسلامى له – قناة تنشر مبادئه . و تلقى الضوء على عقيدته و أخلاقه و عباداته و معاملاته .

٢- إنشاء قسم خاص للاستشراق بكلية الدعوة الإسلامية . يتولى تنشئة الكوادر التى تتولى نقد الاستشراق نقدا موضوعيا . فى كل ما تطرق إليه من دراسات للعلوم الإسلامية .

٣- مراجعة الطرح الإعلامى بشتى صوره . حتى لا يمثل جيبا للإعلام الغربى الذى يتبنى الأفكار الاستشراقية فيما يبثه من أعمال .

٤- تكثيف الجهود المبذولة لتعريف الغرب بصورة الإسلام الصحيحة . و ذلك بتشجيع البرامج التى تكلفت هذه المهمة . و استحداث برامج جديدة فى نفس الصدد .

٥- صرف هم المترجمين عن القصص الفارغ عن المعنى . إلى ترجمة أعمال المستشرقين . التى لمّا تزل حبيسة المكتبات . محصورة على من يجيدون اللغات التى كتبت بها .

و يكفى أن دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين . لم تتم ترجمتها كاملة . فقد توقفت ترجمتها عند حرف العين و هو غير كامل الترجمة .

٦- تشجيع الدراسات المتعلقة بالاستشراق . سواء كانت أعمالا نقدية . أو ترجمة . أو غير ذلك من النشاطات المتعلقة بأعمال المستشرقين .

٧- تشجيع التيار الاستشراقى المعتدل . و العناية بالمستشرقين الذين أسلموا . بإعطائهم ما ينبغى لهم من العناية والتكريم . و ذلك – فى اعتقادى – عن طريق الاهتمام بآثارهم . و الترجمة لأعمالهم ، و تقديمها للقارئ المسلم . لتكون له زادا ثقافيا . و ليعلم أن ا لله تعالى ناصر دينه . و أن ا لله يقيض لهذا من يذبون عنه . و ينفون عن تحريف الغالين . و جهالات المبطلين . و إن كانوا من غير العرب المسلمين . و صدق ا لله العظيم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى ا لله بقوم

يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل ا لله و لا يخافون لومة لائم ذلك فضل ا لله يؤتيه من يشاء و ا لله واسع عليم ﴾ المائدة ٥٤ .

لقد تبين لى من خلال البحث فى كتب التراجم للمستشرقين . الإغماط المتعمد لهؤلاء المستشرقين الذين أسلموا . فنجد – إن و جدنا لهم ترجمة – تراجمهم مبتسرة .

إن من الإغماط لهؤلاء أيضا . أن نسكت نحن كذلك عن جهودهم و أعمالهم . التى خدموا بها الإسلام و كانت غصة فى حلوق المستشرقين المغرضين .

و من ثم كان من الواجب إفراد أعمال خاصة بالترجمة للمستشرقين الذين أسلموا . و أن تكون أعمالا متكاملة تتناول البحث عن حياتهم . و مواطنهم . و عوامل التأثير التى انتقلت بهم من قلق الأديان الأخرى إلى طمأنينة الإسلام .

و لا شك أن هذه الدراسات فضلا عن أنها تقدير لجهودهم . و اعتراف لهم بشئ من جهادهم فى سبيل الحق .

فإنها كذلك توقفنا على الأسباب و العوامل التى تؤثر فى حياة الغربى . و تأخذ بيده إلى الهداية .

و إذا كان الأسبان يحتفلون بابن رشد و البيرونى . و يقيمون المهرجانات و يطبعون الطوابع بأسماء هؤلاء العلماء لتنشر فى بلاد الأقليات الإسلامية . و ليست هذه الأقليات هى التى دفعت تلك الحكومات و الدوائر الاستشراقية لهذه الاحتفالات .

أو ليس من أوجب الواجبات أن نتحرك نحن المسلمين . و قد صار هؤلاء إخواننا فى الدين .و انضووا تحت لواء الإسلام ؟ فنقدم لهم من التقدير و الاحترام . ما يمكن أن يكون عاجل بشرى المؤمن فى الدنيا قبل ثواب ا لله فى الآخرة ؟ اللهم نعم .

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا . و استرنا بسترك الجميل الذى سترت به نفسك . فلا عين تراك .

و الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . و الحمد لله رب العالمين .

و صل اللهم و سلم و بارك على سيدنا محمد و على آله وصحبه و سلم .

المصـــــادر و المـــــراجـــــع

١- أ/ إبراهيم أحمد عبد الفتاح ـ القاموس القويم للقرآن الكريم جـ٢ صـ ٣٦ . بـدون ط١٤٠٤هـ . ١٩٨٣م مجمع البحوث الإسلامية القاهرة .

٢- أ/ إبراهيم خليل أحمد – الاستشراق و التبشير و صلتهما بالإمبريالية العالمية . مكتبة الوعى العربى . القاهرة .

٣- أ/ إبراهيم مصطفى و آخرون – المعجم الوسيط جـ٢ صـ٩٢٥ . طبعة دار الدعوة . الطبعة الثانية – بدون تاريخ طبع

٤- العلامة / أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى ـ الرد على النصارى . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م ـ مكتبة وهبة القاهرة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م ، دار القلم . دمشق . بيروت

٥- أ/ أبو الحسن الندوى ، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين و الباحثين المسلمين الطبعة الثالثة ١٤٠٦ = ١٩٨٦ م دار الرسالة بيروت

٦- أ/ أبو الحسن الندوى . ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ مكتبة الدعوة القاهرة.

٧- العلامة / أبو عبد الله محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى القرناطى الحيانى . التفسير الكبير المسمى البحر المحيط .

٨- العلامة / أبوالحسن البلاذرى ـ فتوح البلدان . ١٤١٢هـ ـ١٩٩١م ـ دار الكتاب العلمية بيروت ـ لبنان .

٩- أجناس جولدزيهر ـ العقيدة والشريعة فى الإسلام ـ ترجمة د/ محمد يوسف موسى وآخرون . دار الكتاب المصرى ـ القاهرة .

١٠- أ/ أحمد الشيخ – حوار الاستشراق . الطبعة الأولى ١٩٩٩ م المركز العربى للدراسات الغربية . ألف مسكن . القاهرة .

١١- الإمام / أحمد بن حجر العسقلانى – شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر . راجعه و قدم له د/ محمد عوض – و علق عليه محمد عياش الصباغ . الطبعة الثانية . ١٤١٠هـ ١٩٩٠م – مكتبة الغزالى . دمشق . سوريا .

١٢- الشيخ / أحمد ديدات – عتاد الجهاد – ترجمة على الجوهرى . دار الفضيلة . القاهرة

١٣- د/ أحمد سعد الدين البسطى . التبشير و أثره فى البلاد العربية . مكتبة الإيمان . القاهرة .

١٤- د/ أحمد سمايلوفتش فلسفة الاستشراق و أثرها فى الأدب العاصر . رسالة دكتوراه سنة ١٩٧٤م كلية اللغة العربية . جامعة الأزهر . بالقاهرة .

١٥- د/ أحمد شلبى . الاستشراق تاريخه وأهدافه . مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة

١٦- د/ أحمد الموسوعة الإسلامية ـ الفكر الإسلامى منابعه وآثاره .

١٧- د/ أحمد شلبي . موسوعة النظم والحضارة الإسلامية - الفكر الإسلامي في منابعه وآثاره .

١٨- د/ أحمد عبد الحميد غراب . المستشرقون والعملاء الجدد. الطبعة الأولى ١٩١٩م= ١٤١٢هـ .

١٩- د/ أحمد عبد الحميد غراب . رؤية إسلامية للاستشراق . الطبعة الثالثة ١٤١١هـ . المنتدى الإسلامي ، لندن .

٢٠- د/ أحمد عروة - الإسلام في مفترق الطرق ترجمة عثمان أمين . ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م .دار الشروق . القاهرة

٢١- د/ أمين الخولي - صلة الإسلام بالمسيحية .سلسلة الأعمال الكاملة رقم ٩ الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٢- أ/ أنور الجندي - أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد و التاريخ و اللغة و الأدب و الاجتماع . الطبعة الأولى . ١٩٧٤م دار الكتاب اللبناني بيروت .

٢٣- أ/ أنور الجندي - أصالة الفكر الإسلامي فيمواجهة التغريب و العلمانية و التنوير الغربي قضايا الأدب و الثقافة و الفن . دار الفضيلة - القاهرة .

٢٤- أ/ أنور الجندي - رجال اختلف فيهم الرأى . دار الأنصار ، القاهرة .

٢٧- أ/ أنور الجندي - معلمة الإسلام . ١٤١١هـ- ١٩٩١م - دار الصحوة - القاهرة .

٢٨- أ/ أنور الجندي . أهداف التغريب في العالم الإسلامي . طبعة الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .

٢٩- أ/ أنور الجندي .سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية . مكتبة التراث الإسلامي .القاهرة .

٣٠- أ/ أنور الجندي . تاريخ الإ سلام في مواجهة التحديات . مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

٣١- أ/ أبو العلاء محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م دار الكتاب العلمية بيروت -لبنان .استانبول . تركيا .

٣٢- الإمام القرطبي - الإعلام . دار التراث العربي .

٣٣- الإمام مسلم بن حجاج القشيري . مكتبة الغزالي . دمشق - مؤسسة مناهل العرفان - بيروت .

٣٤- ا.ل.شاتليه . الغارة على العالم الإسلامي . لخصها و نقلها إلى العربية أ/ محب الدين الخطيب ، مساعد اليافي . بدون ط . بدون ت . مكتبة أسامة بن زيد . بيروت .

٣٥- الإمام / ابن حجر - تقريب التهذيب - تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا . طبعة الثانية ١٤١٧هـ١٩٩٧م دار المعرفة بيروت لبنان .

٣٦- الإمام / ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري - الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٣٧- العلامة / ابن خلدون . كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الحبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم

من ذوي السلطان الأكبر .

٣٨- د/ باسم خفاجي . الإعلام الغربي و تشويه حقائق الصراع . مجلة البيان . عدد ١٢٦ صفر ١٤١٩هـ يونيو ١٩٩٨م . المنتدى الإسلامي . لندن .

٣٩- د/ التهامي نقرة - القرآن و المستشرقون . بحث في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية و الإسلامية . ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م . المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم . مكتب التربية العربي لدول الخليج .

٤٠- - د/ التهامي نقرة . القرآن و المستشرقون . مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية

٤١- توماس أرنولد - الدعوة إلى الإسلام . الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

٤٢- توماس كارليل - الأبطال - عربه الكاتب الكبير محمد السباعي . المطبعة الرحمانية - القاهرة .

٤٣- د/ جعفر عبد السلام - الأمم الدولية . الطبعة السابعة - بدون ت . دار المنار - القاهرة .

الجغرافيا الاقتصادية صـ٢٣٢ .

٤٤- د/ جلال محمد عبد الباقي - مناقشة آراء جولد زيهر في تفسير القرآن الكريم . ١٣٩٨ -١٩٧٨ م ..

٤٥- د/ جلال مظهر . مآثر العرب على الحضارة الأوربية . الطبعة الأولى . ١٩٦٠ م مكتبة الأنجلو مصرية . القاهرة.

٤٦- أ/ جلال سلطان . قضية سلمان رشدي . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ . ١٩٨٩م . دار الرسالة للنشر و التوزيع - الزقازيق .

٤٧- د/ جلال عبد الهادي وزميلاه - المؤامرة على الإسلام فيما كتبه د / طه حسين . ١٩٩١م دار الوفاء . المنصورة .

٤٨- جوستاف ا. جرونباوم . حضارة الإسلام ١٩٥٦م مكتبة مصر . القاهرة .

٤٩- جون ب. ديكنسون . العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث. ترجمة شعبة الترجمة باليونسكو. عالم المعرفة عدد ١١٢ شعبان ١٤٠٧هـ أبريل ١٩٨٧م .الكويت .

٥٠- جون لابوم . تفصيل آيات القرآن الحكيم و يليه المستدرك لإداورد مونتيه . دار الكتاب العربي . بيروت لبنان .

٥١- الحافظ ابن كثير . البداية والنهاية . الطبعة الأولى . بدون ت . النور الإسلامية . القاهرة .

٥٢- د/ حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . الطبعة ١٣ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م دار النهضة المصرية القاهرة .

٥٣/ حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلامي السياسي و الديني و الثقافي والاجتماعي .

٥٤ / أ.د/ حسن الهواري . البهائية صـ٣٠-٣١ . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ =١٩٨٩م . مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة

٥٥- أ.د/ حسن الهوارى . القاديانية . الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م . مطبعة الحسين الإسلامية . القاهرة .

٥٦- د/ حسن كمال أسعد – أصول الاقتصاد . مكتبة عين شمس – القاهرة .

٥٧- حسن محمد الشرقاوى ـ المسلمون علماء وحكماء .

٥٨- أ.د/ حسن محمد الشرقاوى ـ المسلمون علماء وحكماء . دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية .

٥٩- د/ حسين عمر /مقدمة علم الاقتصاد . ١٩٦٨م . الطبعة الثالثة ١٩٦٨م دار لمعارف . القاهرة .

٦٠- دائرة المعارف الإسلامية ـ ترجمة أحمد الشنتناوى وإبراهيم ذكى خورشد وعبد الحميد يونس .

٦١- د/ ذوقان عبيدات و آخرون . البحث العلمى مفهومه أدواته أساليبه ١٩٩٧م . دار أسامة للنشر و التوزيع – الرياض . السعودية .

٦٢- أ.د/ رأفت الكمار ، نماذج أسئلة عن مقدمة الحواسيب نظم التشغيل . لغة البيسك صـ٥٥،٥٦ . بتصرف . كلية الهندسة . جامعة الزقازيق .

٦٣- الشيخ / رابح لطفى جمعة – القرآن و المستشرقون . ١٣٩٣هـ . ١٩٧٣م المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٦٤- د/ رفيق يونس المصرى – أصول الاقتصاد الإسلامى . الطبعة الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م دار القلم ، دمشق – الدار الشامية . بيروت .لبنان .

٦٥- د/ رودى بارت . الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية .

٦٦- د/ ريتشارد ميتشل- الإخوان المسلمون – ترجمة أ/ عبد السلام رضوان – تقديم / صلاح عيسى ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م مكتبة مدبولى القاهرة .

٦٧- العلامة / الزبيدى – مختصر صحيح البخارى . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م مكتبة الإيمان – المنصورة

٦٨- أ/ زغلول عبد الحليم عبدالله . شعوبية سلامة موسى تطل برأسها من جديد . مجلة التوحيد ، السنة ٢٧ العدد١١ ذو القعدة ١٤١٩هـ جماعة أنصار السنة المحمدية . القاهرة .

٦٩- المهندس / زكريا هاشم زكريا ـ المستشرقون والإسلام . بدون ط . بدون ت . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة

٧٠- د/ زيغريد هونكه . شمس الإسلام تسطع على الغرب . الطبعة الثامنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ترجمة / فاروق بيضون ـ كمال دسوقى . دار الآفاق الجديدة . بيروت . لبنان .

٧١- د/ سعد الدين السيد صالح ـ الماسونيا فى أثوابها المعاصرة . دار الصفا ـ القاهرة . ١٦٣- أ / أبوالأعلى المودودى ٧٢- مبادئ الإسلام صـ١٩٨ ١٩٠ . دار الفكر الإسمى ـ حلب ـ سوريا .

٧٣- د/ سعد الدين السيد صالح – احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام . الطبعة الثانية ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع – الزقازيق.

٧٤- د/ سعد الدين السيد صالح . أساليب وشبهات الاستشراق في مجال التعريب المجلة العمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م - العدد الثامن - المجلد الأول — المكتبة العلمي الحديث للطباعة . الزقازيق

٧٥- أ/ سعيد حوى .الرسول . مكتبة وهبة .القاهرة .

د/ سمير سعود- الاقتصاد الخليجي و قبضة الغرب . بنت الحكمة للإعلام و النشر و التوزيع – القاهرة .

٧٦- د/ سهيل زكار - الحروب الصليبية . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م دار حسان دمشق .

٧٧- أ/ سيد قطب – هذا الدين . الطبعة السادسة عشرة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م . دار الشروق . القاهرة .

٧٨- أ/ سيد قطب في ظلال القرآن .طبعة ١٢ سنة ١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ دار الشروق القاهرة

٧٩- الإمام / شمس الدين محمد بن أبي بكر ا بن القيم — زاد المعاد في هدى خير العباد ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م - دار الريان للتراث - القاهرة .

٨٠- أ.د/ شوقي إبراهيم على عبدالله . في الغزو الفكرى و التيارات المعادية للإسلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م . دار الطباعة المحمدية – القاهرة .

٨١- صفى الرحمن الباركفورى – الرحيق المختوم صـ٨٩ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م مكتبة الإيمان – المنصورة .

٨٢- د/ عائشة عبد الرحمن – تراجم سيدات بيت النبوة . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م دار الريان – القاهرة .

٨٣- أ/ عباس محمود العقاد – أثر العرب في الحضارة الأوربية . الطبعة الثانية ١٩٩٥م . نهضة مصر ، القاهرة .

٨٤- أ/ عبد الحافظ عبدربه – فلسفة الجهاد في الإسلام . ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢ م دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان

٨٥- أ/ عبد الحفيظ حسين حسن " العلم و الحضارة في الإسلام. سلسلة كتب إسلامية العدد ١١٢ . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٨٦- المستشار / عبد الحليم الجندى : القرآن و المنهج العلمى المعاصر صـ٥٠ . ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م . دار المعارف ، القاهرة .

٨٧- أ.د/ عبد الحليم محمود – التفكير الفلسفى في الإسلام . الطبعة الثانية . بدون ت . دار المعارف . القاهرة .

٨٨- د/ عبد الرءوف عبد الرحمن رافع – الاقتصاد . التعاون العربى فى شئون البترول -صدر الكتاب عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية . القاهرة .

٨٩- الشيخ / عبد الرحمن الجزيرى - الفقه على المذاهب الأربعة . دار الإرشاد للطباعة والنشر - القاهرة .

٩٠- أ/ عبد الرحمن بدوى . مناهج البحث العلمى . ١٩٦٣م دار النهضة العربية القاهرة .

٩١- د/ عبد الرحمن حبنكة الميدانى - كواشف زيوف . الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١ م - دار القلم دمشق - بيروت

٩٢- د/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى - أجنحة المكر الثلاثة . الطبعة السادسة سنة ١٤١١هـ= ١٩٩٠م ، دار القلم دمشق - بيروت.

٩٣- د/ عبد الرحمن زيد الزنيدى - مصادر المعرفة فى الفكر الدينى الفلسفى الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م مكتبة المؤيد السعودية .

٩٤- د/ عبد الرحمن عميرة - رجال أنزل الله فيهم قرآنا .

٩٥- أ/ عبد العزيز حلمى - قبل أن يهدم الأقصى . دار التوزيع و النشر الإسلامية - القاهرة .

٩٦- د/ عبد العزيز صقر . الإعلام الإسلامى . ١٩٧٩م . دار الأنصار . القاهرة .

٩٧- د/ عبد العظيم إبراهيم المطعنى . أوربا فى مواجهة الإسلام الوسائل و الأهداف الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م مكتبة وهبة القاهرة .

٩٨- د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى - افتراءات المستشرقين على الإسلام . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م مكتبة وهبه القاهرة .

٩٩- د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى . أوربا فى مواجهة الإسلام الوسائل والأهداف الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م مكتبة وهبة القاهرة .

١٠٠- أ/ عبد الفتاح القاضى - القراءات فى نظر المستشرقين و الملحدين ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م . مجمع البحوث الإسلامية . القاهرة .

١٠١- د/ عبد الله سدث . الاستشراق بين الجحود و الإنصاف . نقلا عن المختار الإسلامى عدد ٧٣ رجب ١٤٠٩هـ فبراير ١٩٨٩م صـ٢٨ .

١٠٢- د/ عبد المتعال الجبرى - الحضارة و التمدن الإسلامى . بتصرف . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م ، مكتبة وهبة - القاهرة .

١٠٣- د/ عبد المتعال الجبرى - السيرة النبوية و أوهام المستشرقين . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م مكتبة وهبة - القاهرة

١٠٤- د/ عبد المتعال الجبرى . الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى صـ٨٠ . الطبعة الأولى ١٤١٦ م=١٩٩٥م مطبعة المدنى . القاهرة .

١٠٥- د/ عبد الودود شلبى . الزحف إلى مكة صـ٢٩ .. الطبعة الأولى . ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م . الزهراء للإعلام

العربي . القاهرة .

١٠٦- العلامة ابن منظور . لسن العرب . بيروت لبنان .

١٠٧- المستشار / علي جريشة نحو إعلام إسلامي . الطبعة الأولى١٤٠٩هـ . ١٩٨٩م . مكتبة وهبة . القاهرة .

١٠٨- المستشار / علي جريشة و زميله . أساليب الغزو الفكري . دار الاعتصام . القاهرة .

١٠٩- د/ علي حسن الخربوطلي ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامي .

١١٠- د/ علي عبد العزيز سليمان - مجلة الاقتصاد الإسلامي . العدد ١٥٨ محرم ١٤١٥هـ يونيو/يوليو ١٩٩٤م .

١١١- د/ علي عبدالحليم محمود . نحو منهج بحوث إسلامي . الطبعة الأولى . ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م . دار الوفاء . المنصورة .

١١٢- د/ علي علي صبح . الاستشراق و حركات التغريب بحث نشر في كتاب المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية جـ٢ . بدون ط ١٤٠٨هـ =١٩٨٨م . مجمع البحوث الإسلامية . القاهرة .

١١٣- الشيخ / علي محفوظ - الإبداع في مضار الابتداع .الطبعة الخامسة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦ م دار الاعتصام ٠- القاهرة

١١٤- أ/ فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي ـ النفوذ اليهودي صـ١ ـ دار اليقين ـ المنصورة .

١١٥- أ/ فتحي يكن . العالم الإسلامي و المكايد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م مؤسسة الرسالة . بيروت .

١١٦- الإمام / فخر الدين الرازي ـ مفاتيح الغيب . الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ ٥ ١٩٩٢ م ـ دار الغد العر بي.

١١٧- د/ فيلب حتى .د/ إدواردجرجي .د/جبرائيل جبور ـ تاريخ العرب المطول . الطبعة الثالثة ١٩٥٨ م دار الكشاف ببيروت

١١٨- د/ فيليب حتى . العرب تاريخ موجز . بدون ط . ١٩٤٦م . دار العلم للملايين . بيروت . لبنان .

١١٩- القاضي عياض - الشفاء . ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .

الإمام / القرطبي - الجامع لأحكام القرآن . طبعة دار الريان للتراث . القاهرة

١٢٠- د/ كرم شلبي - الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١ م مكتبة التراث الإسلامي . القاهرة .

١٢١- د/ كرم شلبي - الإعلام و الدعاية في حرب الخليج وثائق من غرفة العمليات الطبعة الأولى ١٩٩٢م . مكتبة التراث الإسلامي . القاهرة .

١٢٢- د/ كرم شلبي . الإعلام و الدعاية في حرب الخليج وثائق في غرفة العمليات . الطبعة الأولى ١٩٩٢م . مكتبة التراث الإسلامي القاهرة .

١٢٣- د/ كليفورد .ل. جيمس - أصول علم الاقتصاد . ترجمة الشيخ : نسيب وهيبة الخازن . دار الثقافة -

بيروت

١٢٤- د/ لورافيشيا فاغليري - دفاع عن الإسلام ترجمة منير البعلبكي . الطبعة الأولى ١٩٦٠ م دار العلم للملايين - بيروت

١٢٥- مجلة المختار الإسلامي - ماذا قال مصطفى مشهور لسكرتير السفارة الأمريكية . العدد ١٣٣ رجب ١٤١٤هـ .ديسمبر ١٩٩٣م .

١٢٦- مجلة المنهل عدد ٤٧١ السنة٥٥ مجلد ٥٠ رمضان وشوال ١٤٠٩هـ أبريل و مايو .١٩٨٩م .

١٢٧- مجمع اللغة العربية . المعجم الوجيز . صـ٣٢٨ . طبعة خاصة بوزارة التربية و التعليم . ١٤١٥هـ . ١٩٩٤م . القاهرة .

١٢٨- أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم و على محمد البجاوى أيام العرب فى الإسلام صـ١٩٣ الطبعة الرابعة سنة١٣٩٤هـ ١٩٧٤م دار إحياء الكتب العربية الحلبى القاهرة .

١٢٩- العلامة / محمد أبو بكر بن عبد القادر الرازى - مختار الصحاح .طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

١٣٠- د/ محمد أبو شهبة - دفاع عن السنة . الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م مكتبة

١٣١- د/ محمد أحمد الغمراوى - الإسلام فى عصر العلم . ١٣٦٣هـ . ١٩٧٣م . دار الكتب الحديثة . القاهرة .

١٣٢- أ.د/ محمد إبراهيم الجيوشى - مواقف من حياة رسول الله صـ٤٤٤ . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م دار الهدى للطباعة - الطباعة .

١٣٣- د/ محمد إبراهيم الفيومى . الاستشراق رسالة استعمار . ١٤١٣هـ-١٩٩٣م . دار الفكر العربى. القاهرة .

١٣٤- أ.د/ محمد البهى . الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى . الطبعة التاسعة ١٤٠١هـ ١٩٨١م مكتبة وهبة القاهرة .

١٣٥- الشيخ / محمد الغزالى - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين . الطبعة الخامسة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م دار الكتب الإسلامية القاهرة

١٣٦- الشيخ/ محمد الغزالى - معركة المصحف . سنة ١٩٩٦ م نهضة مصر القاهرة

١٣٧- الشيخ/ محمد الغزالى . صيحة تحذير من دعاة التنصير. دار الصحوة . الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١م القاهرة

١٣٨- الشيخ/ محمد الغزالى . قذائف الحق . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت .

١٣٩- د/ محمد بن محمد أبو شهبة - الإسرائيليات و الموضوعات فى كتب التفسير . الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ

مكتبة السنة . القاهرة .

١٤٠- د/ محمد حسين الذهبي – التفسير و المفسرون . طبعة الرابعة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩ م – مكتبة وهبة – القاهرة .

١٤١- د/ محمد حسيني أبو سعدة – الاستشراق و الفلسفة الإسلامية . الطبعة الأولى ١٩٩٥م كلية الآداب – جامعة حلوان . القاهرة .

١٤٢- د/ محمد حسيني أبو سعدة -الاستشراق و الفلسفة الإسلامية .

١٤٣- أ/ محمد خليفة التونسي ـ الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٦١-١٦٣ بتصرف ـ دار التراث ـ القاهرة .

١٤٤- د/ محمد خليفة حسن . آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية . الطبعة الأولى ١٩٩٧م . الناشر عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية . القاهرة .

١٤٥- أ/ محمد رشيد رضا . الوحي المحمدي . الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ . ١٩٣٣م . طبعة الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .القاهرة .

١٤٦- د/ محمد رياض ـ دكتوره /كوثر عبد الرسول ـ الاقتصاد الأفريقي ص ٢٣٦ بتصرف ١٩٦٣م ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة

١٤٧- أ/ محمد زاهد الكوثري ـ من عبر التاريخ في الكيد للإسلام ص ١٣-١٤ .

١٤٨- د/ محمد زيان عمر – البحث العلمي مناهجه و تقنياته . ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م . جدة . السعودية .

١٤٩- د/ محمد سميح عافيه و زميله – تنمية الموارد المعدنية في الوطن العربي ١٩٧٧ م . دار ناصح . القاهرة

١٥٠- د/ محمد سمير الجوهري – البحث العلمي الأسس و القواعد . الطبعة الأولى ١٩٨٠م وكالة الشركة التجارية . القاهرة

١٥١- د/ محمد سيد أحمد . الغزو الثقافي و المجتمع العربي المعاصر .

١٥٢- د/ محمد سيد محمد . الغزو الثقافي و المجتمع العربي المعاصر . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م . دار الفكر العربي . القاهرة.

١٥٣- العلامة / محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي .

١٥٤- د/ محمد عبد الفتاح عليان ـ أضواء على الاستشراق . الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م دار البحوث العلمية

١٥٥- أ/ محمد عبد الله السمان – مفتريات لليونسكو على الإسلام . الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ ١٩٧٦م المختار الإسلامي – القاهرة .

١٥٦- الإمام / محمد عبده – الإسلام و النصرانية .

١٥٧- أ/ محمد غريب البغدادي – العلاقات العامة ووسائل الاتصال بالجماهير . مطابع الطناني – القاهرة .

١٥٨ - أ/ محمد قطب . الإنسان بين المادية والإسلام صـ ٥٤ - الطبعة العاشرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م دار الشروق - القاهرة .

١٥٩ - أ/ محمد كرد علي - الإسلام والحضارة العربية . الطبعة الثالثة - ١٩٦٨م=١٣٨٨ هـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة .

١٦٠ - أ/ محمد محمد الدهان - قوى الشر المتحالفة . الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م دار الوفاء - المنصورة .

١٦١ - د/ محمد محمد حسين - الإسلام و الحضارة الغربية . مؤسسة الرسالة - بيروت .

١٦٢ - د/ محمد محمد حسين - حصوننا مهددة من داخلها . الطبعة الثالثة عشرة - ١٤١٣هـ-١٩٩٣م دار الرسالة . مكة - السعودية .

١٦٣ - د/ محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية .

١٦٤ - د/ محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م دار الرسالة مكة السعودية .

١٦٥ - د/ محمد مورو - المواجهة بين الإسلام و الغرب . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م الدار المصرية للنشر و التوزيع - القاهرة .

١٦٦ - د/ محمدصالح البنداق - المستشرقون وترجمة القرآن الكريم - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م . دارالآفاق . بيروت .

١٦٧ - أ.د/ محمود أبو العلا - جغرافية العالم الإسلامي و اقتصادياته الطبعة الخامسة ١٤١١ هـ ١٩٩١م مكتبة الفلاح الكويت .

١٦٨ - أ.د/ محمود أبو العلا -جغرافية العالم الإسلامي و اقتصادياته .

١٦٩ - د/ محمود أحمد هاشم - تيسير مصطلح الحديث . ١٤١٧هـ ١٩٩٧ م النجوم الهاشمية - الزقازيق - مصر

١٧٠ - أ/ محمود الشرقاوي - المدينة المنورة صـ ٢٠٧ . الشعب . القاهرة .

١٧١ - العلامة / محمود بن عمر الزمخشري - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل . الطبعة الأولى المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة .

١٧٢ - أ/ محمود ثابت الشاذلي - المسألة الشرقية . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م- مكتبة وهبة - القاهرة .

١٧٣ - د/ محمود حسن صالح منسي - تاريخ الشرق العربي الحديث

١٧٤ - د/ محمود حمدي زقزوق - الإسلام في تصورات الغرب . الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م مكتبة وهبة - القاهرة

١٧٥ - د/ محمود حمدي زقزوق - الإسلام في مرآة الفكر الغربي . الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م دار الفكر

العربى - القاهرة .

١٧٦- د/ محمود حمدى زقزوق - الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضارى .

١٧٧- د/ محمود محمد شاكر - رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا . كتاب الهلال العدد ٤٤٢ ـ ١٤٠٨هـ صفر ١٩٨٧ م أكتوبر دار الهلال القاهرة .

١٧٨- الإمام / محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى الشافعى - الأذكار مكتبة زهران - القاهرة .

١٧٩- د/ محيى الدين عبد الحليم - الإعلام الإسلامى الأصول و القواعد و الأهداف . بحث ضمن كتاب الإعلام الإسلامى . مطابع وزارة الأوقاف . القاهرة.

١٨٠- المستشار / محمد عزت الطهطاوى - التبشير و الاستشراق أحقاد و حملات . الطبعة الأولى ١٤١١هـ =١٩٩١م . الزهراء للإعلام العربى . القاهرة .

١٨١- المستشار محمد عزت الطهطاوى - التبشير و الاستشراق حملات و أحقاد الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م الزهراء للإعلام العربى القاهرة .

١٨٢- د/ مصطفى السباعى - الاستشراق و المستشرقون مالهم وما عليهم . الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م المكتب الإسلامى بيروت - دمشق.

١٨٣- د/ مصطفى السباعى - الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم . الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م . المكتب الإسلامى بيروت دمشق .

١٨٤- د/ مصطفى السباعى - الاستشراق و المستشرقون ما لهم و ما عليهم .

١٨٥- د/ مصطفى السباعى - السنة و مكانتها فى التشريع الإسلامى . الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م المكتب الإسلامى - بيروت .لبنان .

١٨٦- د/ مصطفى السباعى . الاستشراق و المستشرقون .

١٨٧- د/ مصطفى خالدى و د/ عمر فروخ - التبشير و الاستعمار . الطبعة الثالثة ١٣٧٢هـ - المكتبة العصرية - صيدا بيروت - لبنان .

١٨٨- مكسيم رودنسون . جاذبية الإسلام . ترجمة إلياس مرقص . الطبعة الثانية ١٩٩٨م دار التنوير للطباعة و النشر . بيروت لبنان .

١٨٩- مهندس / محمد الدياسطى - الطاقة النووية و آفاق المستقبل . عن مجلة الاقتصاد الإسلامى عدد ١٦٣ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ. نوفمبر . ديسمبر ١٩٩٤م .

١٩٠- د/ موريس بوكاى . التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم . ترجمة الشيخ / حسن خالد الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م المكتب الإسلامى . بيروت

١٩١ - ناصر الدين دينيه ـ أشعة خاصة بنور الإسلام صـ٤٣:٣٥ . ترجمة راشد رستم ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م المطبعة السلفية . مصر .

١٩٢ - د/ نبيل عبدالحميد سيد أحمد - النشاط للأجانب و أثره في المجتمع المصرى من ١٩٢٢ :١٩٥٢م . ١٩٨٢م - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٩٣ - أ/ نجيب العقيقي ـ المستشرقون . الطبعة الرابعة . بدون ت . دار المعارف . القاهرة.

١٩٤ - د/ نجيبة الخضرى . علم النفس الاجتماعى . الطبعة الأولى ١٩٧٢م مكتبة عين شمس . القاهرة .

١٩٥ - الندوة العالمية للشباب الإسلامى - الموسوعة الميسرة فى الأديان و المذاهب المعاصرة الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م الندوة العالمية للشباب الإسلامى - الرياض - . السعودية .

١٩٦ - د/ نذير حمدان ـ الرسول فى كتابات المستشرقين . الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ـ دار المنار ـ جده

١٩٧ - النووى - رياض الصالحين . ١٤٠١هـ - ١٩١٨م - مؤسسة جمال - بيروت - لبنان .

١٩٨ - النيسابورى أسباب النزول على هامش المصحف المفسر للإمام الطبرى . ١٩٩٣م دار الغد العربى - القاهرة

١٩٩ - ول ديورانت . قصة الحضارة . ترجمة محمد بدران . الطبعة الثالثة ١٩٧٤م لجنة التأليف و الترجمة و النشر . الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية . القاهرة .

٢٠٠ - د/ يحيى بن سليمان العقيلى . العفة و منهج الاستعفاف . الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ . ١٩٩٢م . دار الدعوة للنشر و التوزيع . الكويت .

٢٠١ - د/ يوسف القرضاوى ـ العبادة فى الإسلام ـ طبعة١٥ سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ ـ مكتبة و هبه ـ القاهرة

٢٠٢ - د/ يوسف القرضاوى - المبشرات بانتصار الإسلام صـ٤ . و هى دراسة نشرت بجريدة الشعب التى يصدرها حزب العمل بالقاهرة فى الأعداد بتاريخ ٢، ٦، ٩، ١٣، ١٦ فبراير ١٩٩٦م .

٢٠٣ - د/ يوسف القرضاوى . الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ:١٩٩ . الطبعة الثانية ١٤١١هـ . ١٩٩١م دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة .

الفهـــــرس

